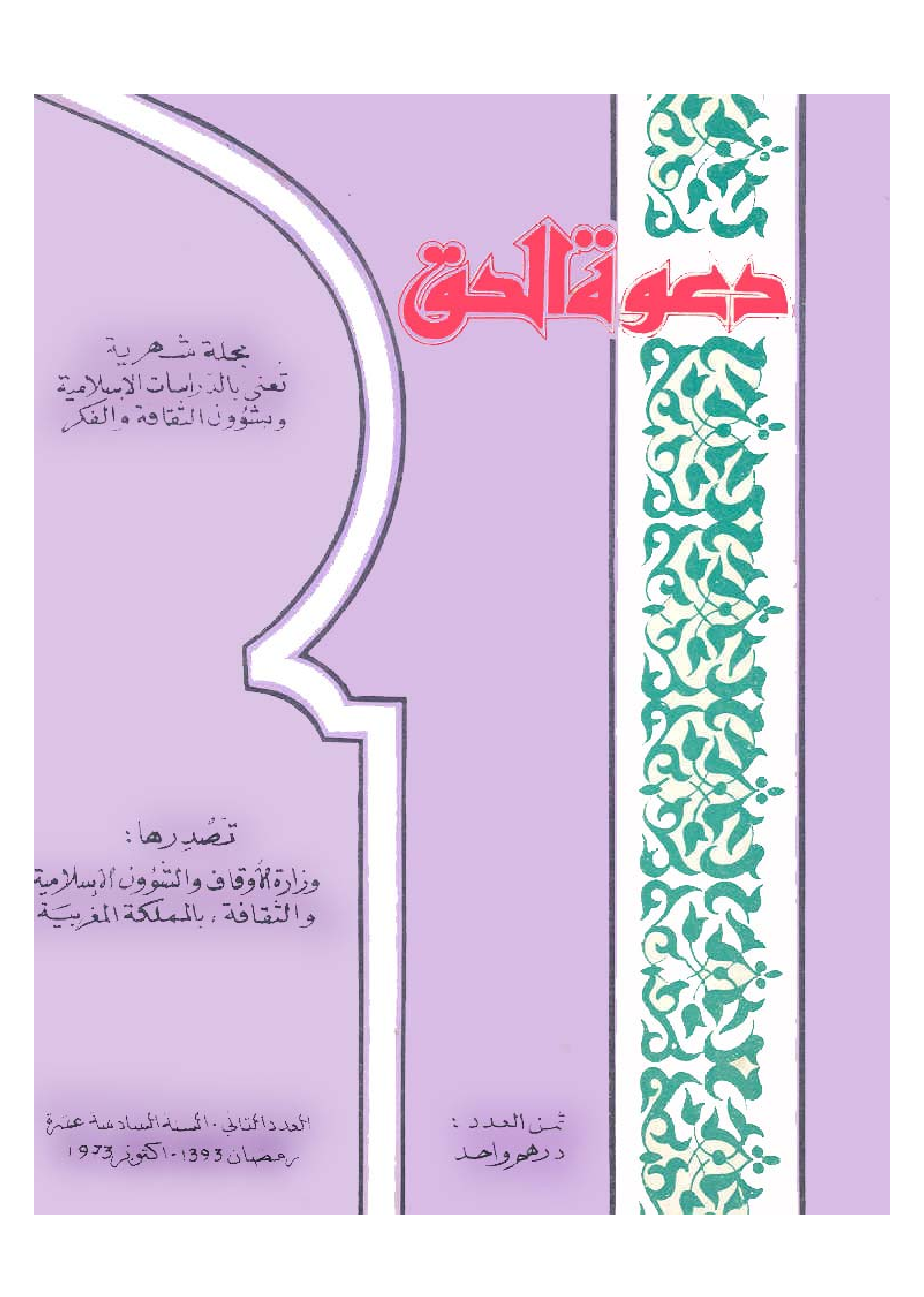


دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها :
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
والثقافة : بالمملكة المغربية
العدد الثاني . السنة السادسة عشرة
رمضان 1393 - اكتوبر 1973
ثمن العدد :
درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثاني
السنة السادسة عشرة
رمضان 1393
أكتوبر 1973
ثمن العدد: درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد

في رحاب الملتقى السابع ...

في مدينة ((تيزي أزو)) من القطر الجزائري الشقيق التي تأنقت فيها يد الطبيعة، وتألقت بها قدرة الله ، وازدانت جنباتها بالحدائق الغلب ، وتفيأت الدوح الباسق ، والشجر الوريف ، فطفحت بالبركة والخير ، وفاضت بالامل والنعيم ، وربضت على عيون وكنوز ومقام كريم ، ما يملأ الخيال بالتأمل الحالم ، والذهن بالتفكير الرفيع ، والشعور بالطرب المنعش ، والوجدان بالفرح الباسط ...

وفي احضان جبال جرجرة الشاهقة ، وقننها السامقة التي تناغي السحاب وتحمل قمتها اسم للا خديجة أم البطلة المناضلة فاطمة ((نسومر)) التي أيقظت بنضالها وتضحياتها وبسالتها وعي الامة الجزائرية في القبائل الكبرى ، وأوقدت نار الثورة ، وقادت كتائب الجهاد ، وكافحت الجيش المعتدي الذي كان يقوده سبع جنرالات على رأسهم الحاكم العام الفرنسي في الجزائر المارشال راندون الذي عمل ، في مكر وخبث ، على اذلال الامة الجزائرية الصابرة ، فعوق نهضتها ، وفرق كلمتها ، وبدد ثروتها ، فجرعته مر العذاب ، وعلقم الاوصاب في ثورة عارمة زلزلت أقدامه ، وهزت أركانه ، وأتت بنيانه من القواعد ، وأخذته ، في قوة وضراوة واستماتة ، أخذة رابية ..!

وفي رعاية الحكومة الجزائرية المسلمة ، وحفاوة علمائها الملتزمين الاوفياء الذين فكروا في تحضير مؤتمر اسلامي جامع يرمي الى تحقيق غاية واحدة يهتدي اليها من ضل ، ويتوافى عليها من تأخر ، وعناية شبابها المتوثب الذين فاضت في نفوسهم الحياة وزخرت في صدورهم القوة ، وانتعشت بهم الآمال فاسترجعوا المجد الذاهب ، واستردوا الحق المغصوب ، وأجلوا عن وجه بلادهم الوسيم القسيم غبرة القرون ، وثلة الاحداث ، وعنجهية الدخيل فاضفوا على الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي روحا وثابا ، وأبعادا جديدة حيث نزلوا الى ميدان الملتقى جنودا متطوعين وعمالا متواضعين يهيئون الجو الملائم المنعش لنجاح الملتقى ، ويؤكدون حضورهم بأنهم يشقون طريقهم القاصد لانقاذ بلادهم العظيم الراقي من احتلال فكري قاهر ، شديد الخطر ، قبيح الاثر خلفه أجنبي واغل طغى بيده ، وبغى بلسانه وكفر بالقيم الانسانية ، والمثل العليا ...

وفي ظروف مواتية هيأتها مؤتمرات سابقة في المغرب والمشرق ، وفي شتى المناسبات ، وعلى مختلف المستويات يتدارك فيها علماء الاسلام ومفكروه ، في عناية يقظة ، واهتمام بالغ ، ما فات ليضعوا للامة الاسلامية فكرا محددا ، وتشريعا اسلاميا مستمدا من الكتاب والسنة يرشد الغوي ، ويوجه الحائر ، وينبه المخطىء ، ويهدى ، من يشاء ، الى صراط مستقيم ...

في هذه الاجواء العبقة ، والظروف المواتية احتضنت مدينة ((تيزي أوز)) في الصيف الماضي الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بمشاركة وفود جاءت من شتى الجهات ومختلف انحاء العالم الاسلامي تضم نخبة من الباحثين والمفكرين في القضايا الاسلامية المتنوعة .

وانعقاد هذا الملتقى الاسلامي في القطر الجزائري الشقيق وفي كل سنة له دلالة وابعاد ... فالجزائر الاسلامية ظلت طيلة ثلاثة عشر قرنا متمسكة بمبادىء الاسلام ومثله العليا ، وقيمه الخالدة تحميها وتذود عنها ، وتستميت في سبيلها ، وتعمل لها ، وتدعو اليها في ظروف عسيرة قاتمة الافق ، حالكة السواد ، كما شاركت بصفة خاصة في بناء الحضارة الاسلامية في هذه المنطقة من العالم الاسلامي فكانت الدرع الواقي التي تحطمت على صفاته كل موجات الغزو التبشيري التخريبي الذي قام به أبالسة الانس ، وسماسرة القلوب ، وشياطين الضمائر .

لقد أبدى أحد المستشرقين الاروبيين المنصفين في معرض حديثه عن الاسلام في الجزائر فقال : ((لو أن أمة أخرى تعرضت لما تعرضت له الجزائر من محاولات ضارية ، ومتواصلة لتقويض ما في داخل وجدانها من الاعتزاز بالنفس ، والتمسك الى درجة التعصب بالاسلام ، لانهارت وذابت ...)) .

ان الجهود التي يبذلها دعاة التخريب في العالم الاسلامي ، والمبشرون ذوو القلوب الغلف ، والاكباد الصلد الذين لا يستطيعون ان يبذروا غير الخلاف ، ولا أن يحصدوا غير الضغينة بما يبثونه ، في أوساط المجتمعات الاسلامية من ضلال العقيدة، وشيوع الجهالة ، وأفكار تبلبل كل نفس ، وتخدر كل حس ، وتزعزع كل نظام ، وتغير كل معنى لهي جهود ضائعة مائعة لانها توقظ الغافل وتنبه الوسنان ، وتهدى الحائر ، ثم يقضى عليها في المهد ...

وقد أدرك ((زويمر)) أحد أساطين التبشير هذه الحقيقة فقال : ((ان الغاية من التبشير ليس التمسيح بالضرورة ، ولكن يكفينا ان نذبذب المسلمين ، ونشككهم في عقيدتهم ونزعتهم وثقتهم بأنفسهم وأصالتهم ...)) .

وبالرغم عن ان المبشرين ينفخون في رماد ، ويصيحون في واد ، ويضربون في حديد بارد، الا أن شبح قيام دولة اسلامية يقلق راحتهم ، ويزعج أفكارهم، ويطير النوم عن معاقد أجفانهم فيطردون عن خيالهم قيام هذه الدولة ذات الدين الاسلامي الذي هو صورة كاملة لشرائع الله ، وقوة مهذبة لقوانين الطبيعة ... فقد نشرت مجلة ((درشبيغل)) الالمانية مقالا عن الاسلام جاء فيه : ((ان خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب الى أندونيسيا ستبقى حلما من أحلام المثاليين ، وأمنية من اماني الطوباويين ...)) .

— ❊ —

من أجل هذه الغاية احتضنت مدينة ((تيزي أزو)) هذا الملتقى لدراسة مشاكل التبشير ، ودور الاستعمار التخريبي بالامس واليوم وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر ...

وفكرة الملتقى الاسلامي ، كما هو معلوم ، عبارة عن لقاء يضم عدة وفود من البلدان العربية والاسلامية تضم نخبة ممتازة من العلماء والمفكرين والاساتذة والشخصيات الاسلامية والاجنبية تقوم بأدوار هامة في انحاء الوطن الاسلامي ، وتعكف على معالجة جوانب من حياة الامة الاسلامية ، والكشف عن مآثر الفكر الاسلامي المبدع الخلاق ، ودوره البارز في اثراء الحضارة الانسانية ، واخراج بني البشر من ظلمات الجهـل والفساد الى رحاب العلم وحياة العدل والامن والاستقرار ...

وفي هذا الملتقى ، الذي يتميز بالجدية والارتفاع الى مستـوى المسؤوليـات ، يجري الحوار الهادف حول مجموعة من المسائل التي تهم الشعـوب الاسلاميـة في مجالات مختلفة وقضايا متنوعـة .

— * —

وقد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علماء مسلمين في مناسبات عدة ، وفي عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامي الاوسع الرحيب ، ولكن لاول مرة في العصر الحديث تحركت في الجماعة الاسلامية حوافز السمو ، ونوازع الكمـال ، وانبعثـت رواقـد الاماني، فاجتمع في القطر الجزائري، وفي «تيزي آزو» مدينة ابن معطي صاحب الالفية، رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد ، وفي ايمان صادق ، ويقين واثق ونية خالصة لتجديد ما درس من مفهوم الاسلام ، وتوضيح ما التبس فيه ، ونفي مـا غشيه من أضاليل النحل وأباطيل القرون وترهات علماء السوء ، وتبادل وجهـات الرأي حول المصير الواحد والقرابة الواشجة ، واللغة الواحدة والوطن المشاع حتى يعيدوا للاسلام جدته وللامة الاسلامية منزلتها من صدر الحياة ، ومكانتها من قيـادة النـــاس ...

فقد تلاقى في مدينة « تيزي آزو » السادة المالكية والزيدية والشيعية والاباضية والحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية ، وعلماء الدين من كل مكان، انسلخوا من جمود المذهبية ، وتحللوا من عقد التسامي والاستعلاء ، ونفروا من كل فرقة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

وفي هذا الملتقى الاسلامي الرائع الضخم الذي حضره ما يربو على ألفي طالب تسللوا اليه من كل جهات العالم الاسلامي ، سادت الفكرة الاسلامية التي يحـس المسلم معها ان اخوانه سواسية ، متفقون في الشعور، متحدون في الوجهة، متعاطفون في المكروه ، متناصرون في الشدة ، فلا يتنابذون بالمذهب ، ولا يتنافرون في الوجهة ولا يتعادون في الخلاف .. فيقولون هذا سني ، وهذا شيعي ، وهذا درزي ، وهـذا اسماعيلي ... وانه ليس لمسلم فضل على مسلم الا بالتقوى ، وان الوحدة الاسلامية هي التي حررته اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وعقيدة التوحيد هي نواة الاصلاح ونقطة التحول التي تملك غرس الوئام في النفوس واقرار السلام في العالم ، فلا تبقى معنى للنعرات المذهبية التي طالما غرسها الاستعمار ، وعمق جذورهـا في الارض وبثها في نفوس المذبذبين تحقيقا لمطامعه واغراضه وشهواته فكانت في تاريخنا الحافل بالاحداث والعبر علة العلل في انتشار الامر ، وانحلال العقدة ، وانقسام الـرأي وانشقاق العصا وتعدد الدول التي تتقاطع في الدين وتتجافى في الدنيا وتتطاحن على الاغراض والشهوات .

— * —

ويكفي أن نشير الى جدول أعمال الملتقى الذي عكفنا على دراسة موضوعاتـه الهامة أيام المؤتمر طرفي النهار وزلفى من الليل لندرك الاهداف والغايات التي ترمي الى تحقيق فكرة الجامعة الاسلامية المنشودة التي هي الغاية المحتومة التي تتوافـى

عندها أمم الاسلام في يوم آت لا ريب فيه ، لانها تتضمن نظاما الاهيا أجدر النظـــم بكرامة الانسان يقوم أساسه على الاخاء في الروح ، والمساواة في الحق والتعاون على الخير لتكون كلمة الله هي العليا ، وعقيدته هي الوثقى ، ودينه هو الصحيح ، ودولته هي القائمة ، وحزبه هو الغالب ...

فقد تضمن الملتقى المواضيع التالية :

1) روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الاسلامي .

2) المؤامرات التي تعرضت لها وحدة الامة الاسلامية بالامس ويتعرض لها ما تبقى منها اليوم من طرف الصهيونية وغيرها ، وما يجب علينا حيال ذلك .

3) نشاط التبشير ودور الاستعمار التخريبي بالامس واليوم ، وما يجب القيام به ازاء هذا الخطـــر .

4) اخطار العزلة والاندماج التي يتعرض لها أبناء الجاليات الاسلامية في الهجــــرة وواجب الدول الاسلامية نحوهم ...

5) دور وسائل التاثير على الجماهير ، وخاصة منها الصحافة والسينما والتلفــزة في عملية ايقاف التخريب لبقايا الشخصية الاسلامية في البلاد النائية ، أو دور الاعلام في تقويم او تعقيم الاجيال الصاعدة ازاء الصراعات الفكرية المعاصرة

— ❊ —

تلك هي المواضيع التي ادرجت للدراسة في جدول أعمال الملتقى ، ووفقت في اختيارها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية في الحكومة الجزائرية الشقيقة ، وهي في ذات الوقت مواضيع جد هامة في الظروف الحاضرة لانها تمس حياة الاسلام ، وأوضـــاع المسلمين ، وواقع تشريعهم في حاضر العالم الاسلامي ، وتتناول ، أيضا ، أخطار العزلة القاتلة ، والاندماج الذي يتعرض له أبناء الجاليات الاسلامية في الهجــرة ، وواجب الدول الاسلامية نحوهم ، وتستحث العلماء ودعاة التجديد الى أن يصدعوا بالحق ، ويبينوا للناس ما نزل اليهم ، ويكشفوا حقائق الاسلام ، كما انزلها اللــــه سبحانه وتعالى ، بالتوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ ، لمن اعمتهم الضلالة ودفعتهم شهوة الاباحية ، وجهلهم التام ، وعلمهم الناقص ورأيهم الفطير الى أن يشتـــــروا الضلالة بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا ان يكونوا كالذيــن كفــروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام ...

— ❊ —

ان يقظة الوعي الاسلامي التي بدت اليوم أكثر من أي وقت مضى والتي تتجلى في التآم عقد الملوك ورؤساء المسلمين — وهم معقد الرجاء ، ومناط الامل ، ومثابة الامن — وتبرز رغبتهم الصادقة في تحقيق أشواق الامة الاسلامية وتطلعاتها ، وتتراءى في تعاطفهم على البعد ، وتناصرهم على الاعداء ، وتحالفهم على الاحداث لتدعو الى التامل والتفاؤل والثقة والرضى بمستقبل خطير للاسلام ، وتقدم مطرد لاحوال المسلمين يستمد غذاءه الروحي من الحنيفية السمحة ، وآداب الرسول ، وعقيدة السلــف ، وشجاعة الابطال ، وتاريخ الفتوح ، وحضارة الانسانية الراقية ..



ألقى جلالة الملك القائد الحسن الثاني نصره الله خطابا تاريخيا سيظل علامة كبيرة فى طريق مسيرة ثورة الملك والشعب من أجل بناء مغرب مزدهر متقدم قوي وقدوة .

تحدث جلالة الملك نصره الله الى شعبه ، الى الشباب خاصة دعاهم الى تحمل المسؤولية التي يطرحها عليهم التاريخ ، ويطوقهم بها شعبهم .

تحدث جلالة الملك الى الشباب ، فى عيد الشباب عن التعبئة ، وعن أهدافها وعن دورها ومسؤولياتها .

أعلن حفظه الله ان هذه السنة ستكون سنة الانطلاقة الاجتماعية والاقتصادية فى ظل اشتراكية اسلامية مغربية معبرة عن اصالتنا وعن عبقريتنا وعن عظمة بلادنا وشعبنا .

الانطلاقة الكفيلة بخلق اشتراكية مغربية ، لا اشتراكية تاتي فى حقائب او فى صحف او فى كتب تدرس .

وتحدث جلالة الملك القائد الى جميع أفراد امته شارحا تبعات وأهداف مرحلة العمل الوطني الراهنة ، معلنا عن قرارات ثورية تاريخية ، تضع اختياراتنا على طريق العمل والتطبيق والبناء والانجاز

أعلن جلالة الملك عن قرار اشراك الفلاحين فى تسيير مصانع السكر .

وتحدث جلالة الملك القائد عن فلسفة الجماعة ، ومن الاسس التاريخية والحضارية والوطنية للاشتراكية الاسلامية المغربية ...

قال صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني فى خطابه التاريخي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز ـ ها هي سنة جديدة قد أطلت علينا بعد ما انصرمت سنة مليئة بالاعمال الجليلة والمنجزات ، مليئة بما وعدنا به شعبنا العزيز على ان السنة الماضية كانت سنة بعث اسلامي .

وقد حاولنا جهد المستطاع ان نحقق هذا الهدف وان كان البعث الاسلامي فى نظرنا لا يمكن ان ينحصر فى سنة أو فى سنين ولا حتى فى جيل بل عليه ان يبقى بعثا ممتدا مدى العصور ومدى القرون فى تجدد وابتكار وخلق وتجديد .

وقد اردنا ان نعطي للسنة المقبلة هاته التي اشرقت علينا وتطل علينا ان نعطيها مدلولا خاصا بها ومغزى خاصا بها فاردنا ان تكون سنة الانطلاق الاجتماعي والاقتصادي المبني على اشتراكيتنا الاسلامية ، الاشتراكية المغربية تلك التي ترمي الى

ايجاد الثروة فتوزعها احسن توزيع ، لا تفقر الغني بل تغني الفقير .

ولكن هذا التوزيع وهذه الاشتراكية وهذا التعادل بين ضعف المجتمع المغربي تاجرا او فلاحا كان، لايمكن ان يكون له مدلول او ان يعتمد على قاعدة متينة ما دام مفتقرا الى اطر والى شباب والى قواعد .

انا خاطبنا وزيرنا الاول وسلمنا اليه أوامرنا مكتوبة ان يجند الشباب وطاقات الشباب للعمل في اطار الادارة المغربية لتتمكن من سد العجز والنقص الذي يلحقنا .

بل انني أريد ، ولو في فترة وجيزة ، ان اشرح لك شعبي العزيز ، وشبابنا العزيز ، ما هي الاسباب التي جعلتني اتخذ ذلك القرار الذي من شأنه ان يجند الطاقات للعمل سنتين في الادارة ، ذلك انه كما سبق لي ان قلت في خطابي المكتوب ان الحاجيات تتكاثر وتتراكم كل سنة ، ذلك ان النسل يتزايد ذلك ان تدخل الدولة ذلك التدخل المطلوب والمرجو لا ذلك التدخل الديكتاتوري المتعنت الواجب يكثر كل سنة ، فهو كل سنة ينتقل من الميدان التربوي الى الميدان الصحي ، ثم من الميدان الصحي الى الميدان الاجتماعي ، ثم من الميدان الاجتماعي الى الميدان النقدي ، الى الميدان الصناعي والتجاري أو الصناعة التقليدية .

فنرى ان تدخلات الدولة عليها ان تكون باستمرار الاخذ بيد الرعايا ، علينا أن يكون أخذا مستمرا غير منقطع ولا سيما أن مغربة القطاع الخاص من شأنها ان تجلب الى القطاع الخاص ذلك الشباب الذي كان ربما يرغب في العمل في اطر الادارة ، لذا رأينا لزاما علينا أن نطلب من جميع الشباب ان يعطونا سنتين من عمرهم يعملون بجانبنا نتعرف عليهم ويتعرفون علينا ويتعرفون على مشاكل امتهم وبلدهم ووطنهم ويتعرفون على ما تلاقيه الدولة من عراقيل بين متطلباتها وبين امكانياتها ولا سيما اننا ربما سوف نجد في صفوف أولئك الشباب من سيطيب لهم العمل في الادارة ومن سيطمئنون الى البقاء في أحضان الوظيفة العمومية ، اضيف الى هذا ان مشكلة القضاء توجب علينا ان نستعمل اكثر ما يمكن من الاطر الصالحة الشابة التي يمكنها ان تتنقل بين العمالات وبين الجهات وفي كل قرية وفي كل مدينة مدينة حتى تسهل على المتقاضين المشاكل ، وحتى تقرب القضاء من المتقاضين .

نعم علمنا بوسائلنا الخاصة ان الشباب كان متحفزا ولا زال متحفزا لهذه التجربة الا ان هذا الشباب يتساءل : سؤاله الاول : ما ذا سوف تكون اجرتنا – السؤال الثاني : ماذا سيكون عملنا – تساؤلهم اخيرا هل سوف يقع الفرز بين هؤلاء وهؤلاء ، فيزج بالبعض منا في أخطر المناصب ويبقى البعض منا آكلا شاربا مطمئنا في بعض المدن ومتمتعا بجميع وسائل العيش الرغيد .

اجيب على هذه الاسئلة فاقول : سوف يؤهل الشباب كلهم بكيفية ديمقراطية عادلة لا فرق بين هذا وذاك .

ثانيا – سوف يتقاضون أجورا ملائمة لمستواهم ملائمة لشباب ربما قد قرر ان يتزوج أو ربما منهم من هو متزوج أو ربما عمود الاسرة التي يعولها .

واجيب على السؤال الثالث فاقول اننا اعطينا اوامرنا الى وزارة الداخلية كي تكون خلايا الاستقبال ، فبمجرد ما يتخرج الشاب ويكون مجيبا لما نرتضيه فيه سوف يرسل اذ ذاك فورا الى محل عمله حتى يمكن لبلده ان تستمتع بمواهبه وحتى يمكنه هو من جهته ان يعمل في اقرب وقت ممكن وان يدلي بنصيبه في العمل الجماعي .

وفوق هذا كله أعطينا أوامرنا الى مختلف وزاراتنا حتى تكون على بينة تامة قبل شهر اكتوبر المقبل من حاجياتها .

فعلى كل وزارة ان تحدد حاجياتها من الموظفين فيمكننا اذ ذاك ان نوزع هؤلاء الموظفين الجدد على الاقاليم حتى يمكننا ان ننهض بادارتنا وننهض بواجباتنا تجاه مواطنينا ورعايانا ، وخاتمة هذا المطاف سوف تكون أننا سنخلق عمالات جديدة ذلك ان العمالات المغربية الان شاسعة الاطراف والعامل كيفما كانت شخصيته وكيفما كانت مواهبه وكيفما كانت حيويته لا يمكنه ان يطوف بعمالته او يطلع على أحوالها او أحوال السكان الا في ظرف أسابيع ، لذا قررنا ان تصغر العمالات ، وبهذه الكيفية سيمكن لكل عامل ان يكون اقرب ما يمكن القرب من الرعايا الذين له مسؤولية النظر في شؤونهم والاخذ بيدهم .

وهذا التكثير من العمالات وتقسيم العمالات الموجودة سيلزمنا ان تكون لنا اطر جديدة وموظفون اكثر وشباب أحسن وأطهر ، فلذا كان لزاما علينا اننا

نخطو هذه الخطوة خطوة العمل المدني الاجباري حتى يمكننا كل سنة ان نتوفر على قسط وافر من الموظفين

واملي فى الله ان يكون هذا اللقاء بين المسؤولية وبين الشباب من اللقاءات التاريخية تلك اللقاءات التي يزخر بها تاريخ المغرب لقاءات الانتصار والفوز وعدم الخيبة ، هذا اللقاء يا شبابنا العزيز بينكم وبين المسؤولية ، لقاء بينك وبين الجهاد الاكبر ، لقاء بينك وبين طهارة النفس ، لقاء بينك وبين عملك صباح مساء لصالح مواطنيك ، وكما قلت هذا اللقاء من اللقاءات التاريخية التي تعودت عليها وعودك التاريخ ان تجدها فى طريقك ، وعودتنا انت وآباؤنا وأجدادنا ان تخرج منها مرفوع الراس وضاء الجبين طاهر الضمير مرتاح السريرة .

فاذن شعبي العزيز انطلاقتنا هذه ، هذه الانطلاقة الاجتماعية والاقتصادية التي ترمي الى خلق اشتراكية مغربية لا اشتراكية تاتي فى حقائب ولا اشتراكية تاتي فى صحف ولا اشتراكية نقراها فى كتب دراسية بكليات فى الخارج ، ولكن اشتراكية مغربية محضة تطابق اصولنا واصالتنا ، ها نحن اوجدنا لها الاطر ، وها نحن اوجدنا لها الاسباب ، والآن ما هي الانطلاقة وما هي نماذجها ؟

غير خاف عليك شعبي العزيز ان المغرب امام انعدام الثروة المغربية الحقيقية خلافا لما يقال فليست هناك ثروة مغربية ، وامام انعدام ادخار مغربي اذ انه ليس هناك ادخار بالكم الذي نريده ، وامام انعدام خروج رؤوس الاموال الاجنبية التي كانت هنا فى المغرب أيام الحماية والتي خرجت وهربت بعد استقلال المغرب ، وجد المغرب نفسه أمام لا أقول اختيارا بل اضطرارا ، ان يخلق صناعته وعلى ان تكون ثروته من مال الدولة ، وهكذا انشأ مصانع متعددة الجوانب كثيرة الفوائد فى جميع انحاء المغرب ، منها ما هو صناعي محض ومنها ما هو نصف صناعي ، ومنها ما هو صناعي وفلاحي فى آن واحد .

الا أن هذه المصانع فى بعض الاحيان وفى بعض المناطق خلقت نوعا جديدا من البشر بمعنى اننا نلقى فى الانسان الوحيد نوعا من الثنائية لا أقول الازدواج ولكن الثنائية للشخصية .

معنى هذا ان الانسان تلقى فيه شخصيتين، فمثلا اذا توجهنا من هنا الى مكناس عبر القنيطرة وسيدي قاسم وسيدي سليمان ورأينا مصانع السكر ورأينا الفلاحة نتساءل : هل هذا النوع من البشر الذي يعيش هناك ، هل هو فلاح ؟

الجواب : لا هل هو عامل صناعي محض ؟ نقول لا ، بل نجد شخصية فيها ثنائية ما هو لا فلاح ولا هو عامل بل هو الشخصان فى آن واحد .

وكلما بحثنا وحللنا اكثر نجد ان نفس الفلاح الذي ينتج الشمندر مثلا او ربما له واحد من اسرته يعمل بالمعمل وأن فضلات المعمل بالاضافة الى السكر الذي يستهلكه تعود مرة اخرى الى الفلاح اما طعاما لماشيته أو غبارا او سمادا .

فاذن، كل شيء يبتديء من الفلاح ويعود اليه كمستهلك واما كعامل ، وتكونت مشاكل وكان من الضروري ان توجد هذه المشاكل ، كان يمكن أن نحل هذه المشاكل بوسائل وليست قوة الابتكار هي التي تنقصنا ، بالعكس .. ولكن لم نكن نرى حلا آخر سوى ان نعثر على الحل الذي يتناسب وسياسة المغرب وهو تعميم الخير .

فلذا قررنا ان نخوض تجربة فى معمل من السكر تملكه الدولة وسيعود فى ملك الفلاحين .

معنى هذا ان الفلاح الذي يبيع الشمندر سيصبح هو المشارك والمساهم فى المعمل وستصبح ثلاثة ارباع الاسهم التي تملكها الدولة فى ملك الخواص .

باية كيفية ؟

أولا : سنحارب الاحتكار أكثر ما يمكن ، ذلك اننا سنعطي الاسبقية للفلاحين الصغار والمتوسطين دون تنحية الكبار ، ولكن وجود كبار الفلاحين سيكون هو الاستثناء وليس هو القاعدة .

ثانيا : سنعمل قروضا لاولئك الفلاحين ليمكنهم اداء اسهمهم ، فمثلا يمكن للعامل الفلاح ان يكون قد ادى واجبات اسهمه ، كيف ؟ هل الصندوق الفلاحي هو الذي سيدفع التسبيقات المالية ؟ او سيطلب منا أن نقتطع كل سنة نصيبا من صابته ؟ كيفما كان الحال المهم انه ابتداء من هذه السنة سيمكنه ان يصبح بنفسه رب المعمل ، ولكن اية معامل سيطبق عليه هذا النظام ؟

انطلاقا من القاعدة فاننا لا نريد ان نقتسم الخسارة ، ولكن نريد ان نقتسم الربح ، اخترنا معملين

من معامل السكر حتى الان ، أديا ديونهما ويعمـــلان وأصبحا يدران ربحا وهما معمل بني ملال فى تادلـــة ومعمل بهت فى الغرب ، وستظل الدولة مشاركة فى المجلس الاداري بثلث الاسهم لسببين :

أولهما : حتى يمكنها كمشارك فى المعمل ان تساهم فى تخطيط وتسطير السياسة السكرية للبلاد .

ثانيهما : لحماية صغار الملاكيـــن بالنسبـــة للمتوسطين أو الكبار .

وهنا شرط آخر ان الانسان اذا ما باع ارضـــه وكان فلاحا وله اسهم فى الشركة فالدولة لها اسبقية شراء أسهمه حتى تسلمها لعامل آخر ، وما هي نتيجة كـــل هـــذا ؟

نتيجته ان جميع الحسابات وسير تلك المعامل سيسير كما تسير الشركات الخاصة بمجالسه الادارية وبكل ما هو حول الشركات الخاصة من ضمانـــات فى الحسابات وحرية المناقشة ، بين جميع أعضاء المجلس الاداري .

ولا أخفي عنكم انه طرحت قضية عمـــال تلـــك المعامل ، فالعمال سيقولون لماذا لا تكون لنا ايضـــا مشاركة فى أعباء وارباح المعمل ... هناك تخوفات والتخوف الذي يمكن ان يتبادر الى الذهن هو ان هذه المشاركة التي هي فلسفتنا والتي توجد دول كبيرة وعظيمة لم تحققها ، والتي تضع المغرب فى رهـــان النجاح فى تجربة المشاركة ، والتي لا بد من ان ينجح فيهـــا .

والمشاركة تستجيب تماما لفلسفتنا ورغبتنا ، نعم هناك تخوفات من ان تكون هذه السابقة بالنسبة للقطاع الخاص او الشبه الخاص بمثابة مطالبات هوجاء غير منظمة وغير مدروسة للمشاركة فى جميع المعامل .

لقد فكرت في الموضوع جديا ، وكيفما كـــان الحال، فان هذه الخطوة لابد من ان نخطوها يوما ما .

ولا بد من ان نجد انفسنا يوما ما امام هذه العقبة ، فمن الافضل ان نخطو هذه الخطوة ونحن احرار فـــي اختيار المواقيت والوسائل والمعامل والمصانـــع او نخطوها ارضاء للخواطر ، وسيرا مع الديماغوجية ، لذا أوجه نداء خاصا الى الطبقة العاملة وللمنظمات النقابية وأقول : ان املي وارادتي وفلسفتي وايماني ويقيني هو اشراك العمال فى أقرب وقت ممكن فى كل معمل معمل، ولكن هذه عملية خطيرة جدا لانها اذا سارت بكيفية غير معقولة ودون تجارب ، ربما تؤدي بالعمال انفسهم الى كوارث ، وذلك بانهيار المعامل والمصانع ، لذا فليتركونا نجرب فى هذين المعملين المشاركة .

ورغم التخوفات التي ابداها البعض من عـــدة جهات سأقدم على مشاركة العمال فى مصنعي تادلـــة وبهت على أساس ان هذه المشاركة لن تكون عبارة عن أسهم فردية لكل عامل عامل ، ولكن مشاركة تعطـــي لصندوق العمال الذين يزاولون عملهم فى المعمل ، لماذا؟

لاسباب متعددة : أولها : خوفا من ان ينتقـــل العامل من معمله ونصبح فى هذه الحالة مكلفين بالبحث عنه لاعادته الى معمله ، خصوصا وهو يحمل سهما من أسهم المعمل الذي كان يشتغل فيه .

ثانيا : ربما تكون الدولة فى حاجة لهذا العامـــل لانه من الاطر المهمة حتى يساهم بخبرته فى معمل زايو أو معمل السكر الذي سيشيد فى الجنوب عندما يتم تشييد سد ماسة ، وفى هذه الحالة سيقع خلـــل فى توازن الاسهم ، لذا ستقرر ان تكون مساهمة العمال بواسطة صندوق لهم وفى آخر السنة يوزع عليهم بكيفية تضمن العدل وحقوق الجميع .

هذه تجربة مهمة جدا ، فلهـــذا لا أقبـــل ان يفشلها البعض بالمطالبة فى المشاركة فى معـــمل من المعامل أو شركة من الشركات ، ويفسدون تجربتنا .

أطلب من جميع العمال ان يكونوا واعين وفى مستوى مسؤوليتهم حتى نستطيع التفكير ونجرب هذه التجربة وأنا اعاهدهم انني لن اقف عند هذا الحد ، فلا يعقل انني أشرك عمال مصنعين فقط، فمصانعنا والحمدلله كثيرة ومتعددة فى المغرب ، الدولة لها مصانـــع فى القطاع العام أو الشبه العام اوالتي هي مشاركة فيها، انما يجب ان نسير تدريجيا حتى لا تقف سيارتنا فى الطريق ونحن نفكر فى وضع كناش بارقام المداخيل والمصاريف ، وكل معمل او مصنع بالنسبة لعدد عماله ورأسماله والمشاركين فيه أجاب لتلك الارقام والى ذلك المعيار ودخل فى قالب المشاركة ، فان الدولة ستعمل على اشراك العمال فيه قبل مطالبتهم بذلك ، فالدولة هي التي ستولى عملية دفع المعامل الى مشاركة العمال بعد ان تكون هذه المعامل قد اصبحت فى وضع يسمح لها بذلك أي بعد ان تصبح هـــذه المعامـــل

تستجيب بنسبة أرباحها وتوازن حساباتها ، وأسهمها وأموالها الموضوعية فى البنك ، وعدد عمالها وتسويق انتاجهـــا .

وهذا يلزمنا بالتفكير ومهلة من التجارب ، لـذا اقول للعمال ان يكونوا واعين ذوي تفكير ولا يستمعون الى المشعوذيـن لان المشعوذيـن سيكثـر عـددهم وسيطالبون بثمن اضراب للمطالبة بالمشاركة هنا او هناك ، لان الدولة غير مستعدة للعمل تحت الضغـط بل هي مستعدة لان تفكر وتمهد لكل اسباب نجـــاح المشـــاركـــة .

ان هذا يتطلب وعيا واحساسـا وشعـــورا بالمسؤولية .

ولكن يقيني ان هذا الشعور وهذا الوعـي وهـذا الاحساس موجود عند الطبقة العاملة .

هذه الطبقة الاولى من هذه الانطلاقة الاجتماعيـة الاقتصادية الرامية الى الاشتراكية المغربية وبناء صرح الاشتراكية المغربية .

بقيت الصفحة الثانية : اخطر من الاولى بالنسبة لانعكاساتها، وبالنسبة لما يمكن ان يترتب عنها، اما عن نجاحها او عدم نجاحها ذلك اننا نريد ان نعيد تجربة جديدة في استثمـــار الاراضـي المسترجعـــة التى استرجعناها اخيرا بظهير شريف مؤرخ في 2 مارس.

نحن حاولنا ان نعرف الخلية التى سنبني عليها عملنا ، وتبادرت الى ذهننا خلية الجماعة ومما يؤسف له شعبي العزيز وشبابي المتوثب ان الجماعة المغربية لم يدرسها احد من المغاربة ولم يكتب عنها من المغاربة ــ والحالة هذه ــ والله .. اقول والله لو وجد لينين فى روسيا سنة 1917 لو وجد قاعدة كقاعدة الجماعة لاتخذها لبناء الاشتراكية السوفياتية، ذلك ان الجماعة فيها التعاونيات والجماعة فيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الجماعة كانت فيها توزيع ــ التويـــزة ــ وتوزيع الماء ، الجماعة كان من واجباتها حفر الآبار ، الجماعة كانت من حقوقها كذلك النظر فى مسائـل السلم او الحرب بين القبائل ، كان كل شيء يتمشى فى الجماعة بالراي والاستشارة والشورى ، لا بالضغط ولا بالقهر ، وكانوا بهذه الكيفية يجعلون ــ المخزن ــ فى بعد عن عدة مشاكل يحلونها بأنفسهم .

قلت لكم ، كانوا يحلون مشكل توزيع الماء اذا كانت الساقية ــ والذى كان هو أهم شيء ولا يزال يحلون مشاكل القضايا بينهم ، يحلون مشاكل المرعى بين قبيلة واخرى ، يحلـون مشاكل ــ التويـزة ــ وتوزيعها ، فكانت حقيقة اللا مركزيـة التى جعلـت اجدادنا يمكنهم ان يجابهوا العدو والاخطار التى كانت قادمة من الخارج مطمئنين على ان المسائل اليوميـــة الضرورية ستتولى الجماعة حلها .

وقلت لكم ، طالعوا هذا الموضـــوع ، ولقــد اكتشفت فيه شخصيا اشياء مهمة والله ، قلت لكم ، لو وجده لينين فى بلادنا لبنى اتحاد الجمهوريـــات السوفياتية على نظام الجماعة .

الا ان الجماعة مع الاسف لم تبق لها نفــس الحيوية ، ولم يبق لها نفس الدور القديم لاسباب : اولا : اننا اذا قرأنا الكتب التى كتبهـا الفرنسيـون عسكريون او مدنيون نجد ان من جملة المقاومين لدخول الاجنبي للمغرب والذين قاوموا الاستعمار النظـــام الجماعي وجدوا قلاعا للجماعات التى كانت متحالفة بعضها مع بعض والتى وقفت فى وجه العدو، ومن ثم قرر الفرنسيون ان يقللوا من قدرة الجماعات .

ثانيا : وسائل التنقل فى البلد جعلت كثيرا من الناس يخرجون من البوادي الى المدن واختلط هـذا بذاك والقبائل ببعضها ولم تبق الجماعة متوفرة علـى الصبغة التى تعطيها قوة الامر والنهي والالتزام واخيرا احداث جماعات قروية او بلديات جعل من الجماعة غير تلك التى كنا نعرف وجعلتني شخصيا لا ابنـي العمل الذي ساقوله لكم على الجماعة ، معنى هذا انني لن ابنيه على الجماعة جغرافيا ولكن لابد ان نبنيه على الجماعة من الناحية الفلسفية والسير والتمشـي والمذهب .

فلذا قررنا ان نقوم هنا كذلك بتجربة : سناخذ ضيعة فى كل جهة من الجهات الاقتصادية او ربمـا ناخذ ضيعة من كل اقليم من الاقاليم .

وهنا سنرى الضيعات التى سناخذها ستكون من احسن الضيعات انتاجا وستبقى ملكا للدولة .

وسنعتمد فقط موقعها وسينتخب من الجماعات والقبائل المحيطة بالضيعة مجلس خاص منتخـب تشترط فيه عدة مسائل .

لابد ان يكون المنتخب من سكان المنطقة لا بد وان يكون فلاحا ولابد ان يكون متزوجا وله اولاد لكي يعرف حق المسؤولية ولا يكون اقل من خمس وثلاثين سنة ولا اكبر من ستين سنة ينتخبونه ويضمونه الى المجلس البلدي او مجلس الجماعة القروية لا كمنتخبين للناحية ولكن منتخبين لقطاع خاص بمعنى ان الجماعة القروية او البلدية تبقى فى اختصاصاتها بحيث لا يتدخل الآخرون فى المسائل البلدية او القروية كما ان مجلس الجماعة القروية او البلدية لا يتذاكر فى مشكل يتعلق بالضيعة او الاراضي التى هي من اختصاص ذلك المجلس ولكن رعاية لهم واخذا بيدهم واكبارا لشأنهم وشخصيتهم وتشجيعا لهم على القيام بمسؤولياتهم سيكونون منضمين للمجلس البلدي او الجماعة القروية لتعطيهم هيبة وحرمة .

ومدخول تلك الضيعة سيكون ثلثه للدولة وثلثاه لتلك الجماعة القروية التى تقع فيها الضيعة .

وليس مدخول الجماعة لسد عجز من الميزانية او ليصرف على موظفي البلدية ، لا .. سيكون مودوعا فى صندوق خاص للتنمية لمشاريع مشخصة ، بارزة مدروسة ، معروفة ، بحيث انه سيرجع بالفضل على القرية والجماعة او جماعة القبائل المحيطة .

ماذا سيكون دور الادارة اذ ذاك ؟

الادارة ستتدخل فى مرحلتين :

الاولى ــ وزارة الفلاحة هي التى ستعين المسؤول الموظف فى القرية او الجماعة الذى سيتكلف بالضيعة ، ولكن باقتراح من الجماعة ، وليست الوزارة من الرباط هي التى ستبعث لهم بفلان للتكفل بالضيعة ، اذا ارادوا ان يختاروا اي شخص يأتون به للقيام بذلك العمل ، ووزارة الفلاحة ليس لها الا ان توافق، تدخل الادارة ينحصر فى وجود القائد دون اي حق فى التدخل ودون اي اختصاص فى المجلس الاداري الذى عليه ان يجتمع مرة كل شهر او شهرين .

وتنحصر مهمة القائد فى تسجيل حاجيات الجماعة ليبلغها للرباط ، او ليبلغ المجلس ماذا تقترحه وزارة الفلاحة ، او ماذا يقترح مكتب التسويق والتصدير .. سوف لا يبقى ذلك التداخل فى الضيعات التى سلمت للعمالات وكان ذلك التداخل يشكل مصيبة فى بعض العمالات ، لا لانه كان هناك تداخل وتساكن بين السلطة والمنتخبين ، فكان يغطي على هذا .

لكن هنا ، فان الدولة والسلطة ليس لها اي حق فى التقرير ، ولا حتى حق المداولات فى المجلس الاداري فقط حضور استشاري وتناول الكلمة او عدمها من حق المجلس ، وللمجلس ان يكلف اولا يكلف برفع تقرير او رسالة ، وعليهم ان يطبقوا .

واذا اراد المجلس ان يشغل رجلا تأكدت لديهم صلاحيته وسابق معرفة بخبرته وحديثه يطلبون من وزارة الفلاحة اعتماده ، وليست وزارة الفلاحة هي التى تقرر بعث فلان او فلان للعمل فى الضيعة .

بالطبع ، هذا يتطلب من الجماعة ان تستعين لقضاء حاجتها وحوائجها، بشركات خاصة بالمحاسبات والحسابات ، ولهذه الشركات ان تتولى ضبط كنانيش حساباتهم ، ليعرفوا المداخيل والمصاريف .

ونحن ، من جهتنا ، فان هذه التجربة لن نقدم عليها بالخسارة ، بل سنختار احسن ضيعة من الضيعات فى كل اقليم ويكون انتاجها السنوي ممتازا وبها سنطبق هذه التجربة .

فاذا نجحت هذه التجربة ، سيكون المشكل حقيقة قد انتهى .

لماذا ؟

لان المشكل الذى نواجهه اليوم ، لا نتكلم عن اراضي البور او الاراضي السقوية للحبوب والقطنيات او اراضي الرعي ، تلك ستوزع وسيبدأ التوزيع فى شتنبر ــ انناتكلم عن الضيعات التى تتجاوز ستين وسبعين ومائة هكتار من الحوامض او الفواكه .

على اي مقياس سنعطيها او نبيعها ؟ لا يمكن تجزئتها ، لا يمكن ان نتركها للاجانب ، فاذا تمكنا حقيقة من الانتاج واستمرار الانتاج ، نفس او احسن مما كنا ننتج بدون ان نفوت الدولة ومع ايجاد مصدر جديد لثروةقروية او محلية، سنكون قداتهينا المشكل،

فلا اقطاعية بالسماح لفلان بمائة هكتار او لماذا فلان دون فلان ؟

فاذا اخذنا مثلا شخصين من نفس القرية فلاحين ومثريين ما هو المقياس الذى نبيع بمقتضاه لفلان دون فلان ؟

سنتجنب الظلم ، ونتجنب المحسوبية وسنخطو خطوة جديدة فى اشتراكيتنا وهو اننا نغني البلد ، دون ان نفقر احدا ودون ان نكون قد ساعدنا على خلق قلاع تكون بمثابة دور قوية وسط بيوت من قصدير لذلك فانني اضع آمالا كبيرة على هذه التجربة ، اذا نجحت فانها ستعمل على حل عدة مشاكل ، ولكن لا يمكنها ان تنجح وأؤكد واقول : اذا وقعت انتخابات حرة ونزيهة ، على شكل الجماعات اناس القبائل (رجال نموت عليهم) او فلان نعطي يدنا من اجله ، اناس هم زبناء للجماعة القروية والمصلحة العامة قبل أي شيء آخر ، وليسوا زبناء لهذا او ذاك .

لا يمكن ان تنتج التجربة الا اذا أعطينا لتلك الجماعة التى ستتكون لتسيير تلك الاراضي القانون الخاص بالحسابات والا اذا اعناها لكي تسير سيرا حسنا .

لا يمكن لنا ان نعرف حقيقة مصدر الخلل الا اذا ظلت الادارة فى معزل ، الا اذا ظل دور وزارة الداخلية ووزارة الفلاحة دور المراقبة فقط ، دون تدخل .

سيمكنني حينئذ اذا وقع خلل ان اعرف أين مصدره

ولماذا لا نقوم بهذه التجربة ؟

وهل المغاربة اقل ذكاء من بلاد اخرى التى تدعي الاشتراكية وليست اشتراكية أبدا ، فيها حزب واحد ، ونقابة واحدة ، ورئيس دولة هو الكاتب العام وهو وهو وهو .. الخ.

ونحن ؟

آلا يمكننا ان ننجح ؟

هل نحن اقل منهم ؟

فاذا كان للمغاربة غيرة فسينهضون بالتجربة ويظهرون للجميع بان اشتراكيتنا نبنيها يوما عن يوم

.. نحن الذين نستعمل ونعطي لكلمة الثورة مدلولها الحقيقي .

ومع الاسف فقد بحثت كثيرا فى القاموس ، فما وجدت الا حاجة واحدة .

توجد بعض الدول تخلط بين الثورة والفتنة .

انا لست مع الفتنة ، الفتنة يمكن القيام بها بمسدس واحد ، الثورة هي عمل يومي ،، كل يوم ،، كل يوم ،، كل يوم كل سنة ،، كل سنة ،، كل جيل .

الثورة لا تنحصر فى انسان ولا فى جيل ولا فى كتاب ، ولكن هي قبل كل شيء عقيدة ، لانها عمل مستمر للتجديد للتلقيح للانتاج .

فلماذا اذن لن ينجح المغاربة فى اشتراكيتهم هذه ؟

هل لن ينجحوا لانهم يسيرون تدريجيا ؟ انا شخصيا اقول لكل من يستعجلني ، انك تغشني .

واقول لمن يستوقفني هل تعتقد ان المغاربة اقل عقلا من شعوب أخرى .

انا فى هذا الباب رجل وسط .

وكلما نحن نجحنا فى تجربتنا الاولى بالنسبة للمعامل السكرية والثانية بالنسبة للاراضي المسترجعة، كلما تمكنا اذ ذاك من فتح الباب لعمليات مثل هذه حتى لا تظل واحدة فىكل اقليم او واحدة فى كل ناحية ، بل عمليات وعمليات يوميا ، يوميا ، يوميا ، لهذا أريد ان تكون هذه السنة سنة الانطلاق للاشتراكية الحقيقية .

واقول للعمال فى النقطة الاولى ، نحن سنضع نماذج ، سأعطي الامر للحكومة لتضع النماذج .

بالنسبة للمعامل لا يمكن المشاركة فيها لانه اقتصاديا غير ممكن .

فكلما أجاد معمل من المعامل كان خاصا أم غير خاص ، كلما اجاد واستجاب للمعايير والمشاركة ، نحن الذين سننادي العمال ونقول لهم بأن معملكم على استعداد للمشاركة ولكن اتركونا نعمل .

واقول للفلاحين ، كلما نجحتم ليس في ضيعة واحدة التي تكون عندكم في الاقليم ربما كل الضيعات حتى التي استرجعت منذ ثلاث سنوات ربما ترجع اليكم ، وتنتفعون منها ، فلهذا فالرهان تنقسم الى قسمين ، رهان جماعي ، رهان المغرب ، والرهان الثاني في هذا الرهان رهان آخر ، ولست انا الذي ساتراهن معكم ، انا اعرف بانكم سوف تنجحون لان لديكم من المؤهلات ما تكفل لكم النجاح ، ولكن الرهان خصومكم لا في الداخل ولا في الخارج ، اظهروا لهم على انكم اكفاء وان المغاربة لن يتلقوا اي درس من اي احد وان المغاربة لا يستوردون الاشتراكية من الخارج وان المغاربة لا تاتيهم الحقائب، هم الذين ذهبوا ونصروا الانصار وفتحوا البلاد، وهم الذين طبعوا دولا اخرى بالطابع المغربي ، وليس هم الذين قبلوا بان تطبعهم دول اخرى بطابع اجنبي ..

ولهذا شعبي العزيز اذا نحن انطلقنا من القاعدة ومن الثالوث الذي ذكرت لكم: تجنيد طاقات الشباب في اطر الادارة للانطلاق في ميدان بين المجتمع الاجتماعي والاقتصادي تسوده الاشتراكية المغربية الحقيقية التي ترمي قبل كل شيء الى توزيع ثروات احسن توزيع، واذا طبقنا هذا في الميدان الصناعي وفي الميدان الفلاحي ، واذا نحن احسنا التطبيق ، واذا نحن نجحنا سوف تكون هذه السنة ان شاء الله سنة بعث وانطلاق وثورة مستمرة سوف نبداها نحن ويتممها ابناؤنا لان ابناءنا ، ولان الثورة لا تنقطع ، لان الثورة فلسفة ليست معركة دامية ، اما الثورة فهي فلسفة ، فهي ايمان ، فالثورة هنا ليست في العضلات ولكن هي قبل كل شيء في الدماغ وفي القلب وفي التفكير والابداع والانتاج .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعطينا جميعا على قدر نوايانا ، وانه سبحانه وتعالى يعلم ان نوايانا جميعا نوايا طاهرة ، نوايا شعبنا نوايا طاهرة ، نقية ، لانه شعب معتز باسلامه ، معتز بلغته ، معتز بماضيه، ومعتز بحاضره .

ان الله سبحانه وتعالى سيأخذ بيدنا ، يسير بنا دائما في طريق النجاة ليجعل سفينتنا دائما في مأمن من كل زوبعة ، وفي مأمن من كل فتن رجيم ، انه سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا هيأ له اسبابه ، ولكن اسباب النجاح كلها متوفرة في المغرب : سماء معطاء وارض خصبة ، وشمس منيرة، وشعب طيب ، يقبل كل نوع من العمليات الفلاحية او الصناعية بحر غني بثرواته المكتشفة غير المكتشفة ، ماض اصيل لا نحتاج الى مرب والى ملقن ، مستقبل باه بسام لاننا خططنا له وخطط له آباؤنا من قبل هذه اسباب الله ، فالله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا هيأ له أسبابه والاسباب كلها مهياة ، ولم لا يبقى علينا الا ان نستعمل هذه الاسباب فيما يرضي الله والرسول والضمائر .

((رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين))
((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب)) .

ربنا اغفر لنا ، واجعلنا من الذين يحافظون على ما وعدوا به انفسهم وغيرهم ومواطنيهم وقبل كل شيء ما واعدوا به الله وما واعدهم به حيث قال: ((ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا)) ، اللهم آتنا من خيرك ، وآتنا من فضلك ، وآتنا من قوتك وصبرك حتى يمكن لنا ان نهزم اعداءنا وقبل كل شيء ان نتغلب على انفسنا ، اعاننا الله جميعا ، والسلام عليكم ورحمة الله .



في شهر رمضان المعظم

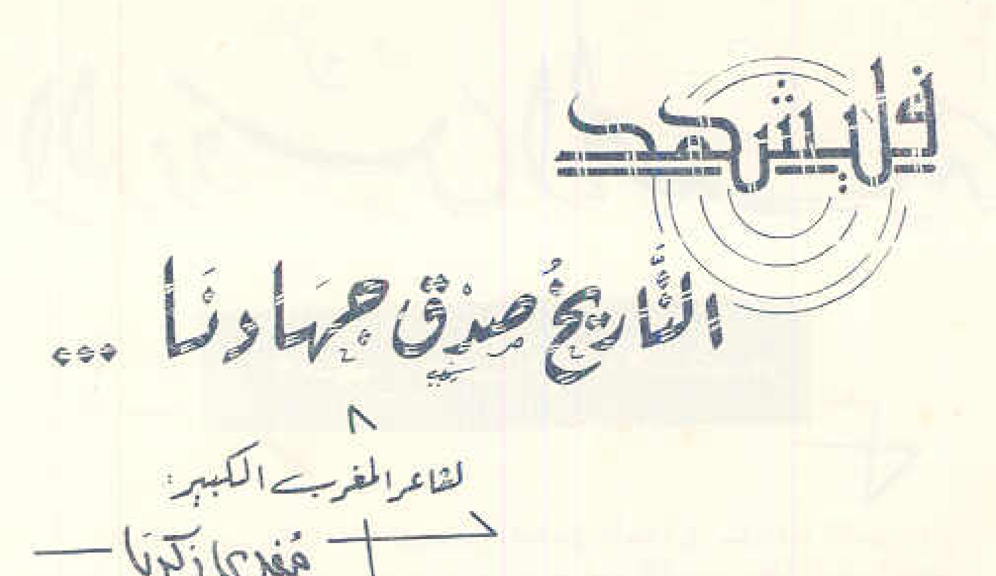
نظمت الدروس الحسنية الرمضانية كما هي العادة في مثل هذا الشهر المبارك بضريح مولاي الحسن قدس الله روحه وبرئاسة أمير المؤمنين جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ومشاركة نخبة مختارة من العلماء والمفكرين والدعاة استدعوا خصيصا لهذه الدروس من مختلف أنحاء العالم الاسلامي تدعيما لأواصر الأخوة الاسلامية من جهة وانفتاحا على آفاق جديدة للفكر الاسلامي من جهة أخرى ، وحتى تتاح الفرصة لجماهير شعبنا المسلم للافادة من العلماء الافاضل . وهي سنة حسنة سنها أمير المؤمنين تأكيدا للخط الاسلامي الذي تسلكه بلادنا وتمسكا بأصالة شعبنا المتمسك بدينه وسيرا على هدى ملوك الأسرة العلوية الشريفة واقتداء بسيرتهم العطرة في مجال التوعية الدينية ونشر الثقافة الاسلامية على نطاق واسع .

وتوالت دروس السادة العلماء كل في مجال هو مختص فيه . وقد تميزت دروس رمضان 1393 بمشاركة فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو هيئة العلماء بمصر الشقيقة . والاستاذ الشيخ الدكتور محمد الغزالي والعميد الاستاذ محمد المبارك والدكتور فاروق النبهان وطائفة أخرى من المفكرين المسلمين منهم من زار المغرب للمرة الاولى .

وقد ساهمت أجهزة الاعلام المغربية في توعية جماهير الشعب المغربي بنقلها الدروس الحسنية على أمواج الاذاعة وشاشة التلفزة ، كما نشرت صحيفة الأنباء نصوص الدروس فتم بذلك نشرها على نطاق واسع تعميما للفائدة المرجوة .

وشاءت قدرة الله سبحانه وتعالى أن تندلع الحرب في الشرق الاوسط بين العرب والمسلمين واسرائيل الآثمة في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك . وكان لجلالة الملك المعظم الفضل الأول في اطلاع السادة العلماء والحاضرين في ضريح مولاي الحسن في عصر اليوم نفسه على خبر بدء الحرب المقدسة على الجبهتين السورية والمصرية ، وطلب أمير المؤمنين حفظه الله من رواد الدروس الحسنية ، وهم مجتمعون بضريح جده رضوان الله عليه أن يستغيثوا بالقوي العزيز سبحانه وتعالى مناصرة للمجاهدين المغاربة والمشارقة على خط النار ، وهكذا افتتح جلالة الملك المعظم قراءة مائة مرة : يا قوي يا عزيز ، جماعة في خشوع واجلال ، وقد ردد مآت الآلاف من المشاهدين والمستمعين في مختلف أنحاء المغرب اسمي الله الكريم : « يا قوي يا عزيز » وراء جلالة الملك أمير المؤمنين .

وهكذا امتازت الدروس الرمضانية لهذه السنة بمشاركة روحية للمجاهدين فحققت بذلك هدفين اثنين : توعية الشعب المغربي ، وتأييد المجاهدين والوقوف الى جانبهم .



الاستاذ الكبير مفدي زكرياء في غنى عن تقديمه الى قراء ((دعوة الحق)) فقد عرفناه شاعرا للثورة الجزائرية ، وشاعرا للعروبة والكفاح ، وصاحب ديوان ((اللهب المقدس)) الذي هو انصع وجه مشرق لثورتي الانعتاق والانطلاق ، بمواكبته خطوة خطوة مختلف احداث الجزائر الثائرة. والاستاذ مفدي لا ينى يعطي من الشعر المبتكر المتفوق باصالته ولغته العذبة ، وديباجته المشرقة ، وما برح يشارك الامة العربية في آلامها ومآسيها وآمالها وأمانيها ، ومواسمها واعيادها ، وقد اتحفنا يوم عاشر رمضان المعظم بمناسبة حفل الذكرى الخالدة لوفاة المرحوم مولانا محمد الخامس ، طيب الله ثراه ، وامام صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله ونصره ، بقصيدة جزلة الاسلوب ، رائعة التعبير ، فواحة العبير ، ملهبة للمشاعر ، مثيرة للحماس ، متجاوبة في ذلك اليوم مع معركة التحرير التي خاضتها الامة العربية ضد العدو المغير ، فكان بحق شاعر العروبة ، معبرا عن ضميرها ، مترجما لخوالجها ، في قالب غير رخو ولا عليل وصوغ عربي متين .

فالى قرائنا الكرام نص القصيدة التي انشدها الشاعر المبدع امام صاحب الجلالة بضريح محمد الخامس في حفل الذكرى الخالـــدة :

فلك يدور ، ولا تنام جـــراح ... ومنى تمور ، ولا يغور طمـــاح !
ومواكب الايام ، تنتهب الخطـــى ... فتهب طـــوع رياحهـــا الارواح
رمضان ... في دنياك كون غامـــض ... لكن السنـــة الزمـــان فصـــاح
لك من جلال الذكريات ، مصاحـــف ... ومن النضال ، صحائف ، وصفـــاح
(بدران) (1) هذا شق ليلة قـــدره ... في الخالدات ... وذاك فيه رباح
يا يوم بدر ... هل دعاك محمـــد ؟ ... فتسامت الارواح ، والاشبـــاح ؟ ؟
أم من رسول الله .. الهم سبطـــه ... سر الكفاح ... فجل منه كفاح ؟ ؟
أم لابن يوسف موعد لم ينســـه ... (جولان) فاجتاح الظلام صبـــاح ؟؟
أم مع (صلاح الديـن) بر بموثـق ... فمضى .. وفي الحسن العظيم (صلاح)؟

(1) اشارة للمغفور له محمد الخامس في عروجه لرحاب الخلود ، واشارة لغزوة بدر الكبرى التي ربح فيها المسلمون المعركة الكبرى .

هذا الذي جرح الزمان وكبره ... يحدوه في درب الفلاح صلاح
يا وارثا سر ابن يوسف ، سر بنا ... وعليك من سر الرسول وشاح
ومن الجلال قداسة ، ومهابة ... ومن الكمال ، مروءة وسماح
ومن الاصالة ، يا صفي محمد ... روح ، يفيض بها السخاء وراح
نلت الرهان ، مع الزمان ، فحيثما ... درجت خطاك ، فنصرة ، ونجاح ؟!
والشعب ، تزخر بالمنى اعطافه ... ويسوق موكبه السعيد فلاح
والزرع اخرج في جنانك شطاه ... فانصب يعشق ارضه الفلاح !
واعتزت الهمم الكبار بدينها ... في مغرب ... دمه الاصيل صراح
ومضت تلقح بالصلاح شبابها ... فلربما نفع الشباب لقاح
ولربما غزت الهداية انفسا ... حيرى ... من القيم الكبار براح
ولربما ، هذي الجحافل ، في الحمى ... تغزو الفساد ، بها ، يرد جماح
ولعل طوع (مواعظ حسنية) ... يوما ... يرف على البلاد جناح !
من يقتده بهدى الرسول ، وآله ... يذر الجبال وما عليه جناح !
(واللطف والتوفيق)(2) ان شملا امرءا ... يجد السفين ... ويهتد الملاح

— ◆ —

رفقا امير المومنين ... بمهجة ... تصلى لظى ... ويخونها الافصاح
اواه ... من كبد يمزقها الاسى ... وتنوشها من فلسطين .. رماح !!
من آدم ... طردوه من جناته ... فتقاسمته مدامع ، وجراح !
وبمسرح الايام ، تبعث قصة ... ابطالها .. (حواء والتفاح (3) !!
قم يا محمد ... نستجر بمحمد ... من محنة .. فيها الديار تباح
ومن الغفاة الحالمين ، سلاحهم ... في الحادثات ... توجع ونواح
وقضية ، قد غلقت ابوابها ... مذ ضاع من يد اهلها المفتاح !!
والخلف . مزق شملها ، فكأنها ... من فوق مائدة القمار .. قداح !
وتوزعت يمنى ويسرى .. والردى ... في الحالتين ... محرم ... ومباح
وبكل زاوية ... دعاة نبوة ... ووراء كل المرسلين ... (سجاح !!)
والربل .. والدولار في عرصاتنا ... يغزو الضمير ... غدوه ، ورواح !

---

(2) اللطف والتوفيق هو الدعاء الدائم الذي يردده صاحب الجلالة صباح مساء .
(3) اشارة الى ان الفلسطينيين طردوا من ديارهم لان بعضهم باع ارضه لليهود بدافع الاغراء ، كما طردت حواء وزوجها آدم من الجنة عندما أكلت التفاحة المحرمة .

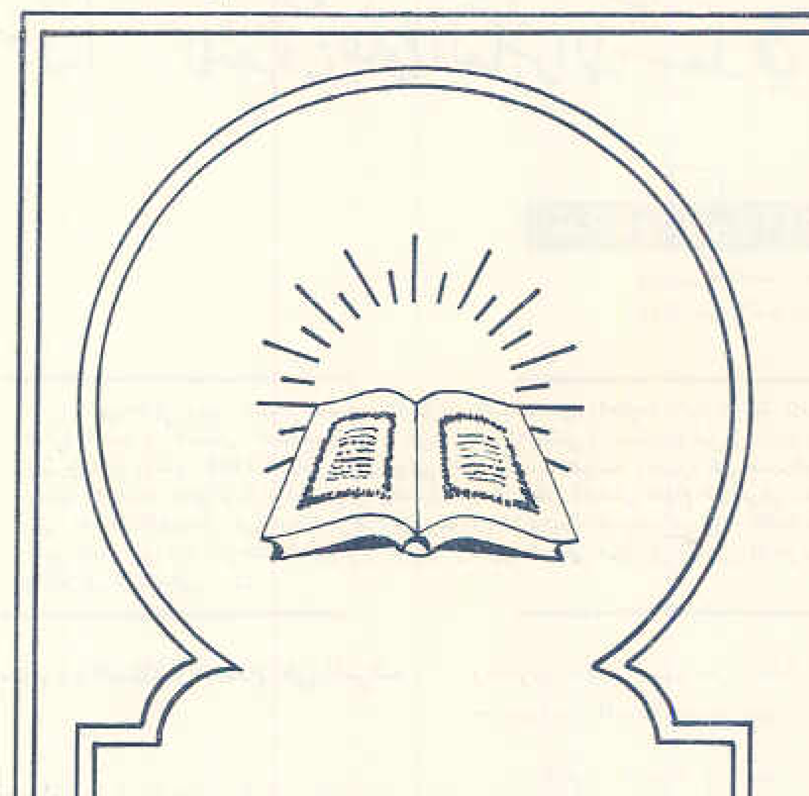
ليس الرصاص بنافع .. وصفوفنا ... يوم القصاص . تؤزهن رياح !
وهل السلاح بنافذ ، وبعضنا ... خبث النوايا ... عدة وسلاح !
كالديك ، اذن ، وهو فوق (نجاسة) ... ومن (النجاسة) ضجة وصياح !
والبدر ، فى كبد السما متشامخ ... أينال من قدر البدور نباح ؟!؟
ذمم الاواصر . حرمة . وكرامة ... لا بالسيادة فى البلاد يطاح !
فذروا الخوالف ، والخلاف . ووحدوا ... هذي الصفوف ، فما يباح مزاح !
وذروا العواطف للملاح .. ففي الهوى ... لا فى الهوان ... عواطف وملاح !
ودعوا ، ؤوس الحب يمرج صرفها ... عطر الدماء ... ففي المذابح .. راح!
«لايسلم الشرف الرفيع من الاذى» ... حتى تغسل بالدماء بطاح ...
(أحد) .. (حزيران) .. اياسو جرحنا ... فى (يوم بدر) موعد فكفاح ؟ !
الله اذن ... فاسمعوا لندائه ... وتأذنوا .. يتحطم السفاح !
فمن الخيانة ، للضمير ... تخاذل ... ومن النذالة أن يقص جناح !

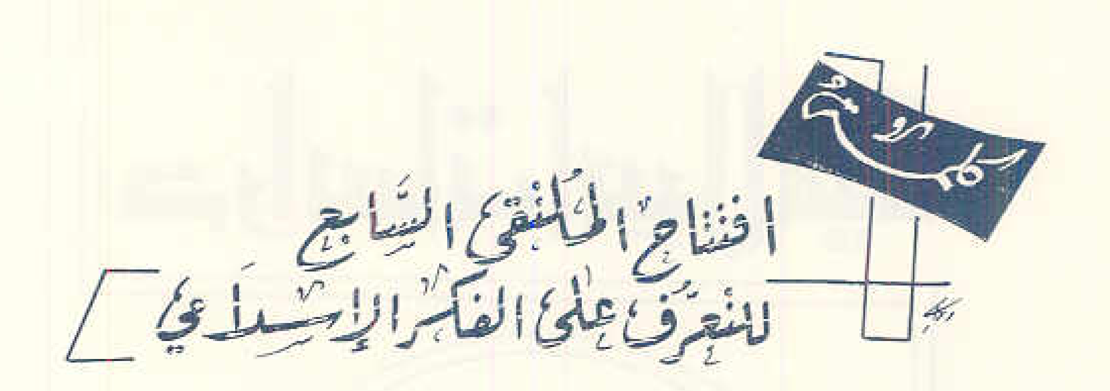
— ◆ —

يا حاملين من المليك رسالة ... أزلية ... كلماتها ... الارواح ! ! !
يرعى بها الحسن العظيم وشجية ... عربية . يسمو بها الايضاح
سبق الزمان ، وجال فى أعماقه ... (جولان) والنظر البعيد رجاح
فتنزلوا – مثل البواشق – فى الذرى ... تفخر بكم فى زحف يعرب ساح
المغرب الجبار اخلص واجبا ... فضميره متفائل مرتاح
وتجاوب الحسن العظيم ، وشعبه ... طوع الجهاد ، فاسرج المصباح
من (للقوي ، وللعزيز) تصاعدت .. ... صلواته ، فجوابهن نجاح
والام – (بالحنا) يخضب هامها ... ملء الحمى ... وتهزها الافراح
فليشهد التاريخ صدق جهادنا ... ولتحفظ الاسفار ... والالواح !!!
وليخلد الحسن العظيم ، وشعبه ... وليرو عنه ... البلبل الصداح

الرباط : مفدي زكرياء

دراسات إسلامية





للأستاذ مولود قاسم

وزير التعليم الأصلي
والشئون الدينية بالجزائر

ألقى معالي وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية فى الحكومة الجزائرية الاستاذ مولود قاسم فى الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي فى مدينة ((تيزي أوز)) 10– 20 جمادي الثانية 1393 ، 10 – 20 يوليو 1973 كلمة قيمة رحب فى مستهلها باسم الحكومة الجزائرية بالحاضرين والمشاركين فى هذا الملتقى الهام ، وتعرض بعدها الى مقاومة الجماهير فى جبال جرجرة وغيرها ، كما تحدث باسهاب عن الامة الاسلامية التي كانت خير امة أخرجت للناس تركز عليها او على ما تبقى منها كل وسائل التخريب والتمزيق والتضليل ...

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

اود فى بدء هذه الكلمة ان ارحب بكم باسم الرئيس بومدين والحكومة والجزائر كلها ، وفى هذه الربوع بالذات ، عند سفح هذه الجبال الشامخة الشماء التي صاعدت الغزو والاحتلال ، وكافحت الاستعمار والاذلال ، على مر العصور واختلاف الغزاة ، هذه القلعة من قلاع الاحتجاج والاشهاد ، بالتضحية والاستشهاد ، فى وجه كل ثمود وعاد .

انها جبال جرجرة التي تحمل قمتها للا خديجة ، اسم ام بطلة كانت امراة من عظماء الرجال ، للا فاطمة نسومر التي كافحت الجيش المعتدي سنة 1856 – 1857 ، الذي كان يقوده سبع جنرالات على راسهم الحاكم العام الفرنسي فى الجزائر ، المريشال راندون ، وجرعتهم مر العذاب ، واعطتهم ، على رأس جيشها من المسلمين ، صورة حية عن الفداء والجهاد !

نلتقي اليوم والامة الاسلامية – واقول الامة الاسلامية – التى كانت خير امة اخرجت للناس ، تركز عليها أو على ما تبقى منها كل وسائل التخريب ، والتمزيق ، والتضليل !

نلتقي لنتدارس نقاطا من صميم ما تعاني منه هذه الامة نقاطا تتصل بصلب حياتها ، اذا لم تعالج عجلت بموتها !

1) فتشريعها ، المنتظر منه ان يبين لها شرعتها، ويضمن لها ، اذا ما طبق، سلامتها وتماسكها، بل ونموها وازدهارها ، ابعد ما يكون ، فى اغلب جوانبه عما شرع الله لها من الدين ، واقرب ما يكون الى ابعادها عن قواعدها واصولها ، وهي روح القوانين ، وشريعة الجهد ، والجهاد ، والاجتهاد !

2) ووحدتها ، التي كانت قوتها ووجودها ، خاطرت بها عن غفلة وسذاجة من قوم تبع لكل من يريد هلاكها ووأدها ، بعد ان اعد لذلك بالتآمر على فك عراها وتفتيتها ، وراحت تصفق لكل غراب ناعق ، لسم خصومها لاعق ، غربان مختلفة الالوان والصفات ، ولكنها في هذا موحدة الاهداف والغايات ، فتحاقد طورانيوها وقحطانيوها ، فمزقتها الشعوبية ، وكادت لها الدونمة، وشهد لها لورانس بالشجاعة والعبقرية ، ووقع عبد الحميد لرفضه ان يوقع ، فسقطت معه القبلة الاولى ، وأصبحت الامة في غمة ، وضحكت من جهلها الامم !

لقد نشرت اخيرا جدا مجلة « در شبيقل » الالمانية مقالا عن الاسلام جاء فيه ان « خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب الى اندونيسيا ستبقى حلما من احلام المثاليين ، وامنية من اماني الطوباويين»

هل يبقى الامر في عصر التجمعات الكبرى ، عبر الاجناس والقارات ، والاديان واللغات ، على ما هو عليه لامة الاسلام من التشتت والتفرق ، والتنازع والتمزق، وهي التي ينبغي أن يجمعها كل شيء ، والا يفرق بينها اي شيء ؟

هل من جواب على التحدي ؟ هل سيبقى العقد هكذا منتشرا ، والمجد الى الابد مندثرا ؟

3) وسلامة عقيدتها وصحة ايمانها ؟ الم يعبث العابثون بعقول الكثير من ابنائها وبناتها ، بعد ان ظننا انها ، اي هذه الامة باستعادة الاستقلال ، الذي كان تآمر عليه المبشرون مع الجنرالات بالتمهيد للاحتلال، ستضع عندها حدا لعبث التبشير، فتستأصل جذوره، وتجتث اصوله وبذوره ؟

هل ننسى في الجزائر مثلا ما قام به دوفوكو من دور في هذا المجال ، الذي ادى به الى ما نعرفه من مآل ؟ ولا فيجري بعده ، الم يجهد نفسه في تنصير اليتامى في 1866 اثر المجاعة، وان لم تكن لمساعيه كل النجاعة ؟

كثير من السذج لدينا يستخفون بمحاولات الذين هم بالضلال والردة مبشرون ، ويقولون خطأ عنهم انما هم لجهودهم مبذرون !

ولكنهم ينسون أن احد اساطين التبشير وهو زويمر هو الذي قال أن الغاية من التبشير ليس التمسيح بالضرورة ، ولكن يكفينا أن نذبذب المسلمين، ونشككهم في عقيدتهم ونزعتهم وثقتهم بأنفسهم واصالتهم .

لقد اكدنا مرارا لمختلف رجال الدين المسيحي في الخارج ، الذين زارونا بمبادرة منهم ، من بروتستانت وكاثوليك ، وارثوذكس ، ان الاسلام ، ان كان سمحا ، فهو لا يتسامح في نفسه ، واننا مستعدون دائما لمساعدتهم في مهمتهم . . . ولكن لدى ابناء دينهم ، وعليهم ان يتركوا ابناءنا وشأنهم !

ومع ذلك لا نزال نتلقى اكواما من الرسائل من دوائر تبشيرية مختلفة ، ومن بلدان متعددة ، شرقية، وغربية ، يأتي الينا آباء الاطفال الذين ترسل اليهم بالبريد ، او توزع عليهم قرب المدارس ، يأتون الينا محتجين علينا بأننا لا نفعل شيئا لايقاف هذا السيل العارم من هذه المحاولات الاجرامية ، للتغرير بالاطفال العزل الابرياء !

4) وابناء هذه الامة في الخارج ، وما يتعرضون له من مثل هذه المحاولات ، ومن غيرها مما هو أكثر اغراء لهم ، او ضغطا عليهم ، ماذا يمكن هذه الامة ، أو ما تبقى منها ، ان تقوم به ازاءهم ؟

فهناك ملايين من المسلمين في اوربا ، وامريكا ، واستراليا ، وابناؤهم يزداد عددهم باطراد .

اما من نواد ثقافية ؟ اما من مدارس ابتدائية ، وثانويات مزدوجة اللغة ؟ هذا ما قررت بعض الدول الشروع فيه ، وعزمت على انجازه ، ولكن يدا واحدة لا تصفق ، كما يقال ، وهل من تنسيق ، وتعاون ، والاقلاع عن الاهمال والتهاون ، على الاقل في هذا المجال ؟ هل من تدخل فعال من جمعيات خيرية ، وبوادر فردية ، تدعيما لجهود الدول والمؤسسات ؟

5) واخيرا ، وليس آخرا ، تعاني هذه الامة المسكينة من نفسها ربما اكثر مما تعاني من غيرها ، وما ربك بظلام للعبيد ! نعيب على الغير ، ولكن العيب فينا ، نعيب على جيل اليوم ، وعلى الزمن ، وعلى القرن الرابع عشر الهجري ، او العشرين الميلادي ، والعيب كله فينا ، وابو الطيب هو الذي قال :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا !

واظن ان عنوان محاضرة استاذنا الدكتور عثمان امين ، الذي اقتصر على الجزء الثاني من صدر البيت، يشير الى نفس الموضوع ، وان لم نتصل بالنص بعد !

وفعلا ، الا تبحث هذه الامة في مجموعها عن حتفها بأنفها ، والا تخرب بيتها بيديها، والا تعرض دولها ، وطهارة اطفالها بالسموم والجراثيم بما تعرضه في اجهزتها الرسمية من خلاعات، ونابيات، في شكل افلام تدعو الى الالحاد ، والانحلال ، وتدفع الاحداث الى الجنوح ، بل والكبار الى الاجرام ، كما رأينا امثلة لذلك نستطيع ان نذكرها بالاسماء ؟

ونود ان نقول هنا بدون اية مبالغة ان بعض الاشرطة التي تعرض في تلفزات كثير من البلدان الاسلامية تحث حثا مباشرا على الانحلال والاجرام ، هذان التوأمان المشؤومان !

الا نستفيد من تجارب الدول التي تصدر الينا مثل هذه الاشرطة ؟ أم نريد ان نعرض انفسنا لما تعانيه ، وان لم تكن لنا نفس الوسائل لمعالجته ، او التخفيف من حدته ، اذا ما نما واستشرى !

لقد جاء في جريدة لوموند بتاريخ 30 مارس 1973 ان امريكا تنفق ما يعادل 750 مليار فرنك قديم سنويا على مكافحة الاجرام .

هل لذة الخمور ، ومتعة الاشرطة البوليسية والاجرامية ، تستحقان ان تدفع من اجلها هذه المبالغ على فرض توافرها لدينا ، ونعرض مجتمعاتنا للهزات والزوابع ؟ هذا هو السؤال !؟

لقد جاء في احدى الصحف الاوربية اخيرا ان فرنسيا رفع قضية على شركة للطيران لانها عرضت ، في طائرة لها وهي في الجو ، شريطا مخلا بالاداب ، شاهده مكرها وبجانبه بنته الصغيرة .

قد يكون هذا السعي منه ناشزا في نظر الكثير . الا يستحق منا المناصرة والتقدير ؟ ام نحن نحسب الشذوذ في السلبيات فحسب ، لان المنحدر دائما اسهل ، والانسان الى الشر بطبعه اميل ؟

ان اجهزة الاعلام وسائل هائلة ، وجامعات شعبية خصبة أو قاتلة ، اذ تنفذ الى صميم الديار والاسر . فماذا نريد ان يكون برنامجها ؟ وماذا نريد ان يتعلمه منها اطفالنا ؟ وماذا نريد ان نجعله بواسطتها من امتنا ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي ان يلقيه المسلمون على اجهزة اعلامهم ومسؤوليهم ، لان المصيبة عامة طامة لاغلب اجزائها التي زرناها ، او قرأنا عنها ونقرأ عنها اليوم ، وما اكثرنها تلك التي تستحق اللوم والعقاب !

ان المسؤولية لن يعود لها معنى اذا لم يكن امام المسؤولين سائلون ، واذا مات حس الخير والشر في النفوس، وانعدم روح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتفى رجال الدين بالفتاوي الادارية ، واقتنع رجال الفكر والفن بالتنسيق، والتزويق والتصفيق !!

اليست هناك أشرطة علمية ، تاريخية ، موسيقية راقية ، تربوية ، تملأ بها البرامج ، وتغذى بها العقول ، وتستطيع الاسرة مجتمعة أن تشاهدها بدون أي تخوف او احتياط ؟

هناك بلدان أوربية تمنع بعض المناظر لا في شوارعها فحسب ، بل حتى على شواطئها ، وفي بواديها ، وتعاقب عليها العقاب الشديد .

ونحن نرى هذه المناظر ليس فقط في شوارع الكثير من البلدان الاسلامية التي نعرفها ، ولكنها تتبع الانسان حتى الى المنزل، وتنفذ الى صميم الاثر !

وفي الاخير ، هل نحن مسلمون بصدق ، او فقط عن وراثة وتقليد؟ هل نحن في الاسلام، ام ننتمي اليه فقط من بعيد ، بالذكريات والنسب المقطوع ، كأبناء الدوقات ، والمركيزات ، والاميرات والملوك ، والاباطرة ، والقياصرة ، الذين زال ملكهم ، وطردوا ، من بلادهم يعيشون في المنفى ، وليس لهم من ملك آبائهم وأمهاتهم الا اللقب الشرفي الموروث ؟

اسمحوا لي أن أختم هذا « الوعظ والارشاد » ، كما قد يرى البعض بذلك التحذير الذي استخف به الالمان في احدى مراحل تاريخهم ، وندموا على ذلك مر الندم ، وهو « Wehret den Anfaengen » أي حذار من البداية !! .



للأستاذ عبد الله كنون

هذا عنوان كتيب من الحجم الصغير في 70 صفحة لمؤلفه م . ر. رحماتوف كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في جمهورية طاجيكستان السوفياتية سابقا ، والسفير الحالي للاتحاد السوفياتي بموريطانيا . وصلني بالبريد من الكامرون في ظرف واحد مع نشرة تحمل اسم (بريد الاتحاد السوفياتي)، تصدرها السفارة الروسية في الكامرون . وهما معا محرران باللغة الفرنسية ، الا ان النشرة باستثناء الغلاف مطبوعة بالآلة الكاتبة ، اما الكتيب فبحروف الطباعة العادية وهو من نشر وكالة نوفوستي للانباء بموسكو .

ذكرت اني توصلت ببيان اذاعته هذه الوكالة تتبرا فيه من كتاب يطعن في الاسلام نشر باسمها ، كما توصلت بعد ذلك بتصريح لصديقنا الشيخ ضياء الدين بابا خان الداعية الاسلامي والمفتي بالاتحاد السوفياتي يحذر فيه من النشرات المعادية للاسلام التي تصدر من جهات مشبوهة وتنسب للسوفييت، مؤكدا فيه ما يتمتع به المسلمون من حرية دينية تحت الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ونافيا ان تكون تلك النشرات من كتب وغيرها ، من عمل المسؤولين في روسيا .

وبما ان هذا العمل قد تكرر مرارا ، وان هذه النشرات تحمل طابع النشرات الاخرى التي تصدر عن الاتحاد السوفياتي ، فان السكوت عنها يعتبر عجزا وضعفا وتسليما بما ورد فيها من الانتقاد والطعن والتجريح للاسلام . وصدور البيانات باستنكار هذه النشرات غير كاف في ايقاف الحملة الشيوعية على الاسلام ، والذين تحدوني شخصيا بارسال كتيب (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن) الي ، ان كانوا يظنون اني سالقي باليد واغض الطرف عن عملهم الشنيع ، فقد وهموا . وما مهمتي اذن ، ان كان كتاب الاسلام الاول ودستوره الخالد يحرم بهذه الكيفية المشوهة ، ويعرض على هذا التجريح ، وانا ساكت لا اقول كلمة ترد هجوم الخصوم وتبين تفاهة اقوالهم ، حتى لا يغتر بها من يطالع عليها ولا يستطيع ان ينفذ الى خبثها ويدرك زيفها .

لذلك رايت ان اتتبع فصول هذا الكتيب وانقض ما فيه من التهم والاباطيل فصلا فصلا ، من غير ان يكون في ذلك مس بجهة من الجهات ، لان الكلام مع الكلام . والصداقة او العلاقات الطيبة لا تتاتى بالنقد النزيه ، لاسيما والجهة المعنية التي تحرص على صداقتها قد بينت عدم مسؤوليتها في هذا العمل المغرض . ولكل قوم هاد .

حاشيــة بمقدمـة

يبتديء الكتيب بحاشية تفسيرية (Annotation) بمقدمة . واحب ان اقدم هذه الحاشية بنصها الكامل ، ليعلم القاريء مدى ما يكنه هذا المؤلف للاسلام وكتابه العزيز من كراهية وحقد ، بالاضافة

الى محاولة التاثير فى قارئه من اول وهلة ، حين يلخص له كل ما شحن به كتيبه من باطل وزور ، فى هذه العبارات القلائل التى يسميها بالحاشية ، ليستدرجه الى قراءته او ليتركه مع نتيجة دراسته المزعومة للقرآن ، وهي عدم امكان الاعتقاد به . والى القاريء نص تلك الحاشية :

« السؤال المطروح فى هذا الكتيب ، يهم عددا من الاشخاص الذين يومنون ايمانا اعمى بالقرآن . والجواب المقدم من المؤلف على هذا السؤال ، المبني على العلم وقبل كل شيء ، على الحياة من منظورنا العصري ، يظهر بكيفية مقنعة ان القرآن ليس فقط تعليما غير منطقي ، بل هو فوق ذلك اوجد كهنوتا اسلاميا باطلا ومتناقضا يعادي الشعب ولا يصح ان يكون محل ايمان . » ويبين مؤلف الكتيب فى احد فصوله عبثية الاعياد والطقوس الاسلامية ومضارها التى تلحق بالمومنين وبالمجتمع ايضا » .

ان هذا الكلام الملقى على عواهنه ، لاصطياد السذج والاغرار ، يجعلنا نتعرف على طريقة تفكير هذا المؤلف ، وتناوله لموضوع خطير مثل الذى يتضمنه عنوان كتيبه ، والنظرة الاولى التى نخرج بها عنه ، هي انه وان كان شيوعيا ملحدا ، فان عقليته عقلية مبشر مسيحي ، لانه يتكلم بلغة المبشرين ، ولا يختلف عنهم فى سوق الاتهامات بدون حجة ، وبناء الاحكام الجزافية عليها من غير حياء . والا فما مقام هذه الحاشية من الاعراب ، وتصديرها حتى قبل المقدمة ، مع خلوها من اي فائدة الا الطعن والقذف، فى كتاب ودين يومن بهما اكثر من سبعمائة مليون نسمة ، من بينهم نحو الستين مليونا من مواطنيه الروس ؟

فعلى الاقل كان من واجبه ان ينتظر حتى نهاية الكتيب ليعطينا هذه النتيجة الباهرة ، ان صححتها ادلته وبراهينه العلمية والمنطقية ، ومع ذلك فكان عليه، ان يتجنب الالفاظ السوقية والكلمات المقذعة التى لا تدل على ثقافة ولا على ديبلوماسية مما يصف به المؤلف نفسه ..!

وما مثل هذه الحاشية الا مثل ان يؤلف احد الكتاب فى نقض الشيوعية مؤلفا يجعل عنوانه على سبيل الفرض : « هل الشيوعية مذهب صالح لحكم الشعوب ؟) ثم يكتب فى اوله على غرار ما فعل مؤلف (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟) حاشية تفسيرية يقول فيها مثلا :

« ان هذا السؤال الذى يهم المتسلطين على الشعوب باسم الاشتراكية العلمية وحكومة العمال ، قد تعرض المؤلف لنقضه بالحجج العلمية والحقائق الثابتة ، وبين انه دعوى باطلة وفكرة خيالية بعيدة عن الاقرار والتطبيق . وان الشعب الذى كتب عليه ان يقع تحت سيطرة طغمة من الشيوعيين ، يعاني من الاستبداد والحرمان ما لا يمكن ان يحتمل . وان الشيوعية ما قامت فيه الا بعد مذابح وانهار من الدماء سالت فى الدفاع عن كيانه وعقيدته وممتلكاته، ولكن قوة سدنة الفكرة الشيوعية والعمال المغرر بهم ، تغلبت فى النهاية على مقاومة الشعب الاعزل واخضعته للحكم الجهنمي الذى فرضته ثورة الموتورين والحاقدين والانتهازيين الذين يسمون انفسهم بالشيوعيين » الى آخر ما يمكن ان يقال .

وبالطبع ليس هذا كلاما يمكن ان يرد به على ذلك السؤال ، ويطعن فى مذهب يسود بلادا شاسعة الاطراف وشعوبا متعددة الاجناس واللغات ، مهما يكن الراي فيه ، ومخالفة الكاتب لمن يعتنقونه وياخذون به .

طنجة ـ عبد الله كنون



للمرحوم العلامة محمد عبد السلام السائح

لما رأيت كثيرا من الناس يتناول ما في كتاب الفروع والنوازل على انه فقه صالح لكل زمان ومنطبق على كل حادثة في اي اوان من غير التفات الى ما كان من النصوص مبنيا على عادة حكمت او مصلحة اعتبرت او لسد ذريعة قد تنوسيت واليوم اغفلت وما هو لسبب خاص قد زال وما هو في قضية عينية كان ذلك فيها هو مقتضى الحال .

على ان كثيرا من الروايات ورد على موضوع مخصوص يجب ان يقصر عليه ويساق حديثه اليه واخذ النصوص مع قطع النظر عن مواردها من الخطأ العظيم في الدين وانظر الى ماذكروه في شروط العمل بالعمل مما هو منظوم في قول القائل :

والشرط في عملنا بالعمل
ثبوته عن ثقة مؤهل
معرفة الزمان والمكان
وجود موجب الى الاوان

ولقد كان اهل العلم رضي الله عنهم يبحثون عن سبب ورود الحديث كمايبحثون عن اسباب النزول ليهتدوا بذلك الى مواقعه والمراد منه .

وقصارى القول انه لا يجوز للقاضي والمفتي ان يكتفي من المنقول بمجرد المفهوم والمداول بل لا بد له من معرفة كاملة وزمام تام ليقف على مقاصد الائمة والغايات التي تضمرها افكارهم وترمي اليها انظارهم رأيت ان اجمع بهذا التقييد ما تيسر الوقوف عليه من النصوص المصرحة بوجوب مراعاة الاعراف المختلفة وامعان النظر في تطبيق الروايات على النوازل المتجددة حتى يكون الناظر فيها وضع الهناء موضع النقب والشاه صدر الدست . وسميته « نجعة الرائد في ابتناء الحكم والفتوى على المقاصد والعوائد »

مقدمة وجيزة في الكلام على العرف :

العرف غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد او بعضها وهو معمول به في الشرع لقوله تعالى : « وامر بالعرف » . وقوله سبحانه : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » . وقوله صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة زوج ابي سفيان حين قالت له انه مسيك لا يعطيها ما يكفيها وولدها : « خذي من ماله ما يكفيك وولدك المعروف اي المعتاد من النفقة عند الناس » اخرجه البخاري وغيره .. وقالت عائشة رضي الله عنها : « لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد » اخرجه مالك والبخاري رحمهما الله .. وقال شريح للغزالين : « سنتكم بينكم » ، اورده البخاري ايضا. وفي الاحكام لابن العربي لدى قوله تعالى : « وان تعاسرتم فسترضع له اخرى» الآية في المسألة الرابعة

فى تقدير الانفاق قال: «قد بينا انه ليس له تقدير شرعي وانما احاله الله سبحانه على العادة وهي دليل اصولي بنى الله عليه الاحكام وربط به الحلال والحرام وقد احاله الله على العادة فيه فقال : « فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم » وقال : « فاطعام ستين مسكينا » ، وقد تكلمنا عليه فى موضعه هـ .

وفى «جمع الجوامع» : « وان العاد محكمة فى الاحكام ايضا العرف والعادة اصل من اصول الشريعة يقضي به في الاحكام » هـ .

ثم ان محل العمل به ما لم يخالف دليلا شرعيا والا وجب نبذه والعمل بالشريعة لانها لا تنسخ به وقد انكر العلامة الامير تقييد الونشريسي ومتبوعه الابي الجمع ليلة المطر بما اذا لم يجر العرف بتركه فى موضع كالجامع الاعظم بتونس وجامع القرويين والاندلس بفاس ، وقال : انما يحكم العرف فى امور المعاملات ولا ينسخ له سنة وقد جمع صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الشرع اهـ كلامه وهو حسن الا ان ما ذكره من الحصر غير صحيح كما تعلمه مما ياتي :

المواضيع التى يحكم فيها العرف

هي الاحكام الفرعية التى وكل الشارع امرها الى العرف كمعرفة اسباب الاحكام من الصفات الاضافية كصغر ضبة الفضة وكبرها وغالب الكثافة فى اللحية ونادر العذر ودائمه وطول الفصل فى السهو وقصره وقرب منزله وبعده وكثرة فعل او كلام وقلته فى الصلاة وثمن مثل ومهر مثل وكفؤ نكاح وكتقدير نفقات الزوجات والاقارب وكسوتهم وما يختص به الرجال عن النساء من متاع البيت وما يختص به النساء عن الرجال وكالرجوع اليه فى المقادير كالحيض والطهر واكثر مدة الحمل وسن اليأس وكالرجوع اليه فى فعل غير منضبط تترتب عليه الاحكام كاحياء الموات والاذن فى الضيافة ودخول بيت قريب وتبسط مع صديق وما يعد قبضا وايداعا وهدية وغصبا وحفظ وديعة وانتفاعا بعارية وكالرجوع اليه فى امر مخصص كالفاظ الايمان والوقف والوصية والتفويض ومقادير المكاييل والموازين والنقود وغير ذلك هـ. من الفتح بتصرف حسن وفى لامية الزقاق .

بيان وتخصيص وتفسير مبهم
شهيد وتقييد لصرف جرى حلا

به الحكم والفتوى فان صح ما جرى
من العرف فاحكم ناظرا ومنخلا

الخ ...

وفى العمليات :

واعتبر الاعراف فى الفتوى وفى
الحكم لكن بانتقالها قفى

وفيها ايضا :

وروعي المقصود فى الاحباس
لا اللفظ فى عمل اهل فاس

والنصوص فى هذا المعنى متواترة متطابقة وفى مبحث القضاء بقول المدعي لرجحانه بالعوائد وفصل القضاء بالعرف والعادة من تبصرة ابن فرحون فوائد نفيسة فى هذا الموضوع .

تنبيهات :

الاول ـ اختلفوا : هل ينزل العرف منزلة الشاهد الواحد وعليه فلا يعتبر فيما لا يثبت الا بشاهدين ويحلف معه من شهد له فيما يثبت بالشاهد واليمين او ينزل منزلة الشاهدين والاول المشهور وعليه قول التحفة :

وها هنا عن شاهد قد يغنى
ارخاء ستر واحتياز رهن

وقول اللامية وكيلا باخلاق ذي عرف صحيح الخ .. والمسالة على طرف التمام .

الثاني ـ اذا تعارض الطرف والاصل قدم العرف قال ابن عبد السلام اذا تعارض الاصل والغالب فالحكم للغالب والغالب والعرف مترادفان كدعوى الزوج على ولي الامة انه غره بحريتها فالاصل عدم الغرور والغالب عدم رضى الزوج بنكاح الامة فالقول له كدعوى الزوجة على زوجها الحاضر عدم

الاتفاق فهي متمسكة بالاصل وهو بالغالب فالقول له وكدعوى العبد المحوز بالملك انه حر فهو مدع للاصل مخالف للعرف وفى ذلك يقول ابن عاصم فى مرتقى الوصول :

وغالب ان عارض اصل رجح
وقيل عكسه واول اصح

نعم يستثنى من هذا الاصل مسائل الم القرافي بعشرين منها فى الفرق التاسع والعشرين بعد المائتين فراجعه .

الثالث ـ العادة تنزل منزلة الشرط المدخول عليه وقد بنوا على ذلك عدة احكام فى عدة ابواب .

الرابع ـ ذكروا انه ينبغي فى القاضي ان يكون بلديا ليجري الناس على اعرافهم وعوائد بلدهم قال ابن رشد من خصال القاضي المستحبة ان يكون بلديا هـ .

وكذا المفتي ففى كتاب الاحكام للقرافي رحمه الله ما نصه : ينبغي للمفتي اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من اهل البلد الذى منه المفتي وموضع الفتيا فلا يفتيه بما عادته يفتي به حتى يساله عن بلده وهل حدث لهم عرف فى تلك البلد فى هذا اللفظ اللغوي ام لا ؟.. وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد فى عرفه ام لا ؟.. وهذا امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء وان العادتين متى كانتا فى بلدين ليسا سواء ان حكمهما ليس سواء انما اختلف العلماء فى العرف واللغة هل يقدم العرف على اللغة ام لا ..؟ والصحيح تقويمه لانه ناسخ والناسخ مقدم على المنسوخ اجماعا فكذلك ها هنا هـ .

منه بلفظه قال فى التبصرة اثر ما نقله ايضا .

تنبيــه :

ونقلت من الرحلة لابي عبد الله بن راشد فيمن حلف بالايمان اللازمة وحنث هل يلزمه الطلاق الثلاث او واحدة ثم قال والمعتبر فى ذلك عرف الحالف لا عرف المفتي فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به الطلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي فيه بذلك ولا يحل ان يفتي بما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف ولو تغير العرف لتغير الجواب وهذا من الامر المهم معرفته انتهى .

وهذا يعضد كلام القرافي مع كلام التبصرة .

واذا انتهينا الى هنا فلنسق من النصوص ما هو شاهد لموضوع التقييد ، قال ابن عبد السلام اكثر العلماء لا يقول بسد الذرائع ولاسيما فى البيع وقد علمت ان المنع فى البيع والسلف انما نشأ عن اشتراط السلف نصا وبيانات الاجل لا نص فيها باشتراط ان البائع يشتري السلعة التى باع وانما هو امر يتهمان عليه ويستند فى تلك التهمة الى العادة ثم قال وهب ان تلك العادة وجدت فى قوم فى المائة الثالثة بالمدينة او بالحجاز ، فلم قلتم انها وجدت بالعراق والمغرب فى المائة السابعة ؟.. ثم قال : وان اتوقف فى الفتيا فى هذا الباب وفيما اشبهه من الابواب المستندة الى العادة بما فى الكتب لان الذى فى الكتب من المسائل لها قوة من السنين وتلك العوائد التى هي شرط فى تلك الاحكام لا يعلم حصولها الآن والشك فى الشرط شك فى المشروط .

ومن الذخيرة قاعدة كل حكم مرتب على عرف او عادة يبطل عند زوال تلك العادة فاذا تغير تغير الحكم . هـ . نقلهما المواق .

ومن كتابه الاحكام فى تمييز الفتاوي عن الاحكام للشهاب القرافي رحمه الله فى السؤال التاسع والثلاثين ما نصه :

ان اجراء الاحكام التى مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الاجماع وجهالة فى الدين بل كل ما فى الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة الى ما تقتضيه العادة المتجددة وليس تجديد الاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه اهلية الاجتهاد بل هذه قاعدة اجتهد فيها من غير استئناف اجتهاد الا ترى انهم لما اجتمعوا على ان المعاملات اذا اطلق فيها الثمن يحمل على غالب النقود فاذا كانت العادة نقدا معينا حملنا الاطلاق عليه فاذا انتقلت العادة الى غيره عينا ما انتقلت العادة اليه والغينا الاول لانتقال العادة عنه وكذلك الاطلاق فى الوصايا والايمان وجميع ابواب الفقه المحمولة على العوائد اذا تغيرت العادة تغيرت الاحكام فى تلك الابواب وكذلك الدعاوي اذا كان القول قول من ادعى شيئا لانه العادة ثم اذا تغيرت العادة لم يبق القول قول مدعيه بل ينعكس الحال فيه

بل ولا يشترط تغيير العادة بل ولو خرجنا نحن من تلك البلد الى بلد آخر عوائدهم على خلاف عادة البلد الذي كنا فيه وكذلك اذا اقدم علينا احد من بلـد عادته مضادة للبلد الذي نحن فيه لم نفته الا بعادة بلده دون عادة بلدنا ومن هذا الباب ما روى عن مالك اذا تنازع الزوجان في قبض الصداق بعد الدخول ان القول قول الزوج مع ان الاصل عدم القبض قال القاضي اسماعيل هذه كانت عادتهم بالمدينة ان الرجل لا يدخل بامرأته حتى تقبض جميع صداقها واليوم عادتهم على خلاف ذلك فالقول قول المرأة مع يمينها لاجل اختلاف العوائد .

وفي انوار البروق في الفرق الثاني بعد كلام فاذا احطت به علما ظهر لك الحق في هذه الالفاظ وهوانا لا نجد احدا في زماننا يقول لامرأته عند ارادة تطليقها حبلك على غاربك ولا انت برية ولا وهبتك لاهلك هذا لم نسمعه قط من المطلقين ولو سمعناه وتكرر ذلك على سمعنا لم يكف ذلك في اعتقادنا ان هذه الالفاظ منقولة كما تقدم تقريره واما لفظ الحرام فقد اشتهر في زماننا في اصل ازالة العصمة فيفهم من قول القائل انت علي حرام او الحرام يلزمني انه طلق امرأته اما انه طلقها ثلاثا فانا لا نجد في انفسنا انهم يريدون ذلك في الاستعمال هذا قوله فيما يتعلق بمصر والقاهرة فان كان هناك بلد آخر تكرر الاستعمال عندهم في الحرام او غيره من الالفاظ في الطلاق الثلاث حتى صار هذا العدد هو المتبادر من اللفظ فحينئذ يحسن الزام الطلاق الثلاث بذلك اللفظ واياك ان تقول انا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث لان مالكا رحمه الله قاله او لانه مسطور في كتب الفقه لان ذلك غلط بل لابد ان يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال والعادة ، كما يحصل لسائر العوام ، كما في لفظ الدابة والبحر والرواية ، فالفقيه والعامي في هذه الالفاظ سواء في الفهم لا يسبق الى افهامهم الا المعاني المنقول اليها فهذا هو الضابط لا فهم ذلك من كتب الفقه فان النقل انما يحصل باستعمال الناس لا بتسطير ذلك في الكتب بل المسطر في الكتب تابع لاستعمال الناس فافهم ذلك اذا تقرر ذلك فيجب علينا امور احدها ان نعتقد ان ملكا وغيره من العلماء انما افتى في هذه الالفاظ بهذه الاحكام لان زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هذه الالفاظ للمعاني التي افتوا بها فيها صونا لهم عن الزلل وثانيها انا اذا وجدنا زماننا عريا عن ذلك وجب علينا ان لا نفتي بتلك الاحكام في هذه الالفاظ لان انتقال العوائد يوجب انتقال الاحكام كما نقول في النقود وفي غيرها فانا نفتي في زمان معين بأن المشتري تلزمه سكة معينة من النقود عند الاطلاق لان تلك السكة هي التي جرت العادة بالمعاملة بها في ذلك البلد في ذلك الزمان فاذا وجدنا بلدا آخر وزمانا آخر يقع التعامل فيه بغير تلك السكة تغيرت الفتيا الى السكة الثانية وحرمت الفتيا بالاولى لاجل تغير العادة ، وكذلك القول في نفقات الزوجات والذرية والاقارب وكسوتهم تختلف بحسب العوائد وتنتقل الفتوى فيها وتحرم الفتوى بغير العادة الحاضرة ، وكذلك تقدير العواري بالعوائد وقبض الصدقات عند الدخول او قبله او بعده في عادة نفتي ان القول قول الزوج في الاقباض لانه العادة وتارة بان القول قول المرأة في عدم القبض اذا تغيرت العادة او كانوا من اهل بلد ذلك عادتهم ، وتحرم الفتيا لهم بغير عادتهم ، ومن افتى بغير ذلك كان خارقا للاجماع فان الفتيا بغير مستند مجمع على تحريمها وكذلك التلوم للخصوم في تحصيل الديون الغرماء وغير ذلك مما هو مبني على العوائد مما لا يحصى عدده متى تغيرت فيه العادة تغيرالحكم باجماع المسلمين وحرمت الفتيا بالاول .

وفي الفرق الثامن والعشرين منه ايضا بعد كلام لان الاحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيف دارت وتبطل معها اذا بطلت كالنقود في المعاملات والعيوب في الاعراض في المبياعات ونحو ذلك ، فلو تغيرت العادة في النقد والسكة الى سكة اخرى لحمل الثمن في البيع عند الاطلاق على السكة التي تجددت العادة بها دون ما قبلها وكذلك اذا كان الشيء عيبا في الثياب في عادة رددنا به المبيع فاذا تغيرت العادة وصار ذلك المكروه محبوبا موجبا لزيادة الثمن لم ترد به وبهذا القانون تعتبر جميع الاحكام المرتبةعلى العوائد وهو تحقيق مجمع عليه بعض العلماء لا خلاف فيه بل قد يقع الخلاف في تحقيقه هل وجد ام لا ؟ .. وعلى هذا التحرير يظهر أن عرفنا اليوم ليس فيه الحلف بصوم شهرين متتابعين فلا تكاد تجد احدا بمصر يحلف به فلا ينبغي الفتيا به وعادتهم يقولون عبدي حر وامرأتي طالق وعلي المشي الى مكة ومالي صدقة ان لم افعل كذا ، فتلزم هذه الامور وعلى هذا القانون تراعى الفتاوي علىطول الايام فمهما تجدد في العرف اعتبره ، ومهما سقط اسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك بل اذا جاءك رجل من غير اهل اقليمك يستفتيك لا تجره

على عرف بلدك واسأله عن عرف بلده واجره عليه وافته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك فهذا هو الحق الواضح والجمود على المنقولات ابدا ضلال ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين وعلى هذه القاعدة تتخرج ايمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات فقد يصير الصريح كناية يفتقر الى النية وقد تصير الكناية صريحا مستغنية عن النية. هـ .

ولما نقل الهلالي في شرح المختصر كلام القرافي المذكور آنفا

قال : ومن امثلة هذا القانون مسائل اختلاف المتبايعين في قبض العوضين وفي الصحة وضدها وغير ذلك ومسائل التناول في المبيعات ومسائل التهمة في بيوع الآجال ومسائل المرابحة ومداولات الالفاظ في الايمان وغير ذلك، الا ترى ان المنصوص عليه في المدونة وغيرها في لفظ اليمين عند عدم النية ان اللازم فيها كفارة يمين بالله فقط والذي به الفتوى هو لزوم الطلاق وما ذاك الا ان السلف حملوها على اليمين الشرعية اذ لم يكن في عرفهم ارادة الطلاق بلفظ اليمين والعرف المطرد الان ارادة الطلاق بها انظره .

والى ذلك يشير صاحب العمل بقوله :

وفي اليمين طلقة رجعيه
اذ هي قد حصلت الماهيه

افتى به والدنا كالقصار
كابن مؤلف كتاب المعيار

ومن فتوى والده سيدي عبد القادر الفاسي التي احال عليها لفظ اليمين اصله في اليمين بالله لكن عرف الناس في هذه الاعصار وفيما قبلها صرفه لعصمة الزوجة فيعمل على مقتضاه لان الايمان ابدا دائرة مع عرف الحالف او بلده وتختلف الفتاوي باختلاف الاعراف والعادات .

وفي اوائل نوازل الاحباس من المعيار اثناء جواب لسيدي عبد الله العبدوسي ما نصه : ينبغي المفتي ان ينظر في مقاصد الناس ومقتضى خطاباتهم فيبني عليها الحكم ويرتب عليها الجواب وكل من ينظر الى الروايات فيفتي فيما تختلف فيه الاحكام باختلاف المقاصد والعوائد فقد اخطأ وكان ذلك منه فسقا ان عنى ذلك وقصده . هـ .

ومن جواب لابن منظور اورده في المعيار ما نصه :

لا شك ان احكام الاقضية والفتاوي تتبع عوائد الزمان وعرف اهلها وفي نوازل الجهاد منه بعد كلام اذ الحكم في القضايا والفتيا في النوازل يختلف كثيرا بحسب العوائد والحال الحاضرة .

وفيه ايضا قال اهل العلم ان الفتوى في المسائل الفقهية تكون بحسب النازلة والحال الحاضرة فيؤخذ في بعض القضايا ببعض الاقوال دون بعض من غير خروج على المذهب .

وفي نوازل العلامة الوزاني ان الواجب على القاضي والمفتي النظر الى جزئيات المسائل في كل نازلة نازلة والى العوائد والاعراف لانه اسلوب معتاد في الشريعة فلا يعتمد في جميع النوازل على فقه مجمل بل لابد من النظر في الصور الجزئية وما اشتملت عليه من الاوصاف الكلية وقد طرق هناك هذا الموضوع في عدة مباحث وكذا ايضا صاحب البهجة في مواضع بيع الثنيا والدماء وغيرهما والشيخ الرهوني في مبحث تنازع الزوجين وراجع ايضا ما لهم في تعازير الجناة بالعقوبة المالية عند عدم التمكن من اقامة الحدود وما لسيدي العربي الفاسي في ذلك في تاليف اورده ابو حفص في شرح اللامية .

وقال الولاتي في شرح مرتقى الوصول مبحث الكلام على العرف والعادة ومتى انتقل العرف في هذه المسائل تبعه الحكم وحكى المقري على ذلك الاجماع . هـ .

وقال ايضا مبحث الافتاء واما كتب النوازل فلا يجوز لهم الافتاء بها لان الغالب فيها فتاوي المتاخرين التي لا نص فيها للاقدمين وتلك لا تكون مبنية الا على مصلحة مرسلة او عادة محكمة او سد ذريعة الى مفسدة ونحو ذلك فلا يجوز الافتاء بها الا لمن نظر في اصلها المبنية عليه فاذا كان باقيا افتى بها، واذا ارتفع رماها والتمس للنازلة حكما باجتهاده انظره .

وقال الساطي على قول مالك رحمه الله في اهل الذمة : ارى ان توضع عنهم اليوم الضيافة والارزاق لما حدث عليهم من الجور، واعلم انه لا يؤخذ باقوال الائمة مع قصر النظر عن المقاصد لانه اذا اشفى الظلم وكانوا هم الظلمة كما في نصارى مصر

فالواجب ان يغلظ عليهم وان يزاد على ما كان مقررا عليهم . هـ . نقله الدسوقي في الجزية.

وفي شرح الزرقاني للموطا على قول عائشة : لو ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء الخ .. ما نصه : واستنبط من قول عائشة ايضا انه يحدث للناس فتاو بقدر ما احدثوا كما قال مالك ، وليس هذا من التمسك بالمصالح المباينة للشرع كما توهمه بعضهم وانما مراده كمراد عائشة ان يحدثوا امرا تقتضي اصول الشريعة فيه غير ما اقتضته قبل حدوث ذلك الامر ولا غرو في تبعية الاحكام للاحوال هـ .

ومن مسامرة للعالم الاستاذ محمد الخضر بن الحسين التونسي نشرتها مجلة البدر التونسية بالجزء الثامن ما نصه :

ومن وفاء الاسلام بحق المصالح ان جعل للعرف والعادة اعتبارا في تفاصيل الاحكام ما يبينه الشارع على رعاية حال مستمرة وسبب لا ينقطع فيتعين العمل به في كل مكان وزمان كالمنع من الربا ومطالبة المدعي بالبينة ومنها ما يبينه على رعاية احوال تتغير وعادات تتجدد وهذا النوع من الاحكام لا يلزم طرده في كل عصر ولا اجراؤه بكل موطن بل يجري العمل فيه على ما يقتضيه العرف السائد بين الناس ، قال شهاب الدين القرافي في قواعده ان الاحكام تجري مع العرف والعادة وينتقل الفقيه باشتغالها ومن جهل المفتي جموده على المنصوص في الكتب غير ملتفت الى تغير العرف فان القاعدة المجمع عليها ان كل حكم مبني على عادة اذا تغيرت العادة تغير الحكم والقول باختلاف الحكم عند تبدل الاحوال والعادات لا يستلزم القول بتغيره في اصل وضعه والخطاب به كما توهمه بعضهم وانما الامر تدعو اليه الحاجة عند قوم او في عصر فيكون مصلحة وتتناوله دلائل الطلب فان لم تقتضه عاداتهم ولا تعلقت به مصلحتهم دخل تحت اصل من اصول الاباحة او التحريم .

وممن حقق ان في احكام الشريعة ما يجري بحسب اختلاف الزمان شهاب الدين القرافي حيث قال : ان التوسعة على الحكام في الاحكام السياسية ليس مخالفا للشرع بل تشهد له القواعد ومن جملتها ان الفساد قد كثر وانتشر بخلاف حاله في العصر الاول ومقتضى ذلك اختلاف الاحكام بحيث لا تخرج عن الشرع ويوافق هذا قول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور.

وقول عز الدين بن عبد السلام : تحدث للناس احكام بقدر ما يحدثون من السياسات والمعاملات والاحتياطات اي يحدثون اسبابا فتستدعي احكاما تنتزع لها من دلائل ومن هنا لزم ان يكون المقرر لاحكام السياسة وغيرها ممن اوتي العلم بقوانين الشريعة والفهم الراسخ في مداركها حتى لا يخرج في تقديره عن الرسوم المطابقة لمقاصدها هـ كلامه . اورده في الحاوي

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله في الحبل الوثيق : ان المفتي حكمه حكم الطبيب ينظر في الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان فالمفتي طبيب الاديان وذاك طبيب الابدان . وقد قال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس احكام بحسب ما أحدثوا من الفجور.

قال السبكي ليس مراده ان الاحكام الشرعية تتغير بتغير الزمان بل باختلاف الصور الحادثة فانه قد يحصل بمجموع امور ما لا يحصل لكل واحد منها فاذا حدثت صورة على صفة خاصة علينا ان ننظر فيها فقد يكون مجموعها يقتضي الشرع له حكما خاصا هـ .

وقال السبكي في فتاويه ما معناه : يوجد في فتاوي المتقدمين من اصحابنا اشياء لا يمكن الحكم عليها بانها المذهب في كل صورة لانها وردت على وقائع فلعلهم راوا ان تلك الوقائع يستحق ان يفتى بها بذلك ولا يلزم اطراد ذلك واستمراره هـ . الخ ..

وفي كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي رحمه الله في نقد مسالك الصوفية في الغناء والسماع ما نصه :

وانما ينبغي للمفتي ان يزن الاحوال كما ينبغي للطبيب ان يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك انظره .

وفي كشف الظنون في بحث الاحتساب ما نصه وفائدته اجراء امور المدن في المجارى على الوجه الاتم وهذا من ادق العلوم ولا يدركه الا من له فهم ثاقب وحدس صائب اذ للاشخاص والازمان والاحوال سياسة خاصة وذلك من اصعب الامور فلذلك لا يليق بمنصب الاحتساب الا من له قوة قدسيه مجردة عن الهوى كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان عالما في هذا الشأن . انتهى .

وقال الحافظ شمس الدين بن القيم الحنبلي فى اعلام الموقعين ما نصه :

فصل فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة التى فى اعلى رتب المصالح لا تاتي به فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى ارضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسله صلى الله عليهم وآلهم وسلم اتم دلالة واصدقها وهي نوره الذى به ابصر المبصرون وهداه الذى به اهتدى المهتدون وشفاؤه التام الذى به دواء كل عليل وطريقه المستقيم الذى من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهي قرة العيون وحياة القلوب ولذة الارواح فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير فى الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها وكل نقص فى الوجود فسببه من اضاعتها ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض ان تزولا فاذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع اليه ما بقي من رسومها فالشريعة التي بعث بها رسوله وهي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة ونحن نذكر تفصيل ما اجملناه فى هذا الفصل بحول الله وتوفيقه ومعونته بأمثلة صحيحة. انظره فقد بسط النفس فى هذا الموضوع واناخ الركائب وحط الرحال والله الموفق سبحانه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد تم تبييضه فى خواتم ذي الحجة الحرام متم عام 1346 بعد تسويده قبل ذلك بنحو العامين والحمد لله اولا وآخرا .

الرباط ـ محمد بن عبد السلام السايح





- 1 -

القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم ، أوحى به الى رسوله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وانزله بلسان عربي مبين منجما خلال نيف وعشرين سنة . وقد لفت القرآن انظار العلماء والباحثين والمستشرقين فى مختلف العصور ، فهام به حبا من سلم طبعه ، وحسنت نيته ، واولى الهداية والرشاد ، وانحى عليه بالدحض المزعوم والنقد الزائف من لج فى التمرد والعصيان . ولعل اكبر تهمة ينسبها هؤلاء لكلام الله ، وتعتبر فى الوقت نفسه اوهى حجة يتذرعون بها ، هي عزوهم تاليف القرآن للنبي العربي الامي! ولا اجد فى الرد على هؤلاء الآن ، خيرا من كلمة سير ادوارد دينيسون روس فى مقدمته لترجمة جورج سيل للقرآن ، حيث قال ما معناه: «ومن الخير لكل من يدرسون القرآنان يتحققوا ان النص الحالي لم يكن البتة من تاليف النبي ، ولكنه كلمة الله خاطب بها النبي » .

ولكونه وحيا الهيا جاء فى اسلوبه البارع ، والفاظه المنتقاة ، ومعانيه الساحرة ، وافكاره الخلاقة ، وبلاغته الخارقة للعادة ، معجزا للعرب انفسهم وهم شعب عرف بثبات الجنان فلا يقبل التحدي ولا يرضخ له ، كما عرف بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وسرعة البديهة ، تحداهم ان يأتوا بسورة من مثله ، ولكنهم عجزوا ، وكان مآل كل محاولة بذلك ، الخسران والفشل الذريع .

ولما كان القرآن معجزا لمن حاول تقليده او محاكاته ، كان معجزا لمن حاول ان يترجم الفاظه ومعانيه الى لغة من لغات الدنيا : دنيانا التى نعيش بين اكنافها الآن ، ودنيا الاولين الذين عاشوا فيها من قبلنا ، ويمكن القول بلا تحفظ : انه رغم المحاولات العديدة التى قام بها المترجمون فى الشرق او الغرب ، فان الترجمة الحقيقية الدقيقة لما يكتب لها ان تخرج الى حيز الوجود بعد ، وربما لن يكتب لها ذلك ابدا ، لان المترجم ـ كما قيل بحق ـ خائن ، ومترجم القرآن ـ فيما اعتقد ـ اكثر خيانة من غيره . وهكذا نردد مع المترجم المسلم محمد مارماديوك بيكتال قوله فى مقدمة كتابه (معنى القرآن المجيد) : « ان القرآن لا تمكن ترجمته ، هذه هي عقيدة الشيوخ القدامى ، وهي وجهة نظر الكاتب الحديث » .

نستخلص من هذا ان الترجمات القرآنية كلها تقريبية ، وان اعجاز القرآن يعتبر فى الوقت نفسه ذا شقين : اعجازا للعرب الذين عاصروا الدعوة المحمدية وناوأوها فلم يستطيعوا ان يأتوا ولو بأقصر سورة من مثل كتاب الله . واعجازا لغير العرب ، فلم يقدروا ان يأتوا بترجمة صادقةدقيقة للقرآن مهما أوتوا من قوة عارضة ، وسعة علم ، وفصاحة لسان ، ويرى علماء الاسلام ايضا ان القرآن مزدوج الاعجاز: فهو معجز من حيث لفظه ، ومعجز من حيث معناه ، ومن ثم تصعب ترجمته لا محالة .

— 2 —

مع الانتشار الاسلام صوب الاتجاهات الاربعة المعروفة ، انتشر القرآن الكريم واللغة العربية ، لقد سار الثلاثة جنبا الى جنب ، مسيرة مظفرة سريعة، لم يحظ بمثلها فى القديم او الحديث دين او لغة او كتاب مقدس . فالسرعة التى انتشر بها الاسلام فعم معظم انحاء العالم القديم هي مثالية ، واللغة العربية التى قدر لها ان تصارع لغات فى عقر دارها فصرعتها ، اصبح يتحدثها الآن ازيد من مائة وعشرين مليون عربي ، والقرآن العزيز كان وما زال اقدس كتاب احتفظ باصالته وسنده العلمي وتواتره عبر اجيال وقرون ، وظل الدستور الديني، والمنار الذى يهتدي بنوره نحو سبعمائة مليون مسلم فى مجالاتهم الدينية والدنيوية .

مع انتشار الاسلام صوب الاتجاهات الاربعة كانوا يحفظونه عن ظهر قلب ــ لا عن اكراه او اجبار ، لانه لا اكراه فى الدين ، وما كان القرآن ليشذ عن الدين فى شيء ــ وانما انتشر القرآن بين المسلمين الجدد عن طريق الاسوة الحسنة ، وطبقا للنظرية التى نادى بها ــ فيما بعد ــ فيلسوف المغرب الاجتماعي ابن خلدون ومفادها : « ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده » ، وخلافا لما تمشدق به رفائيل كانسينوس وامثاله من المستشرقين المغرضين ، فان المحاربين العرب لم يحملوا معهم القرآن فوق سنان رماحهم ، وانما حملوه فى شغاف قلوبهم . واما سلاحهم فحملوه دفاعا عن النفس والعقيدة ، ولم يكن ليتدخل فى نشر القرآن بين السكان الذين هرعوا تلقائيا لتقبل ما اتى به الفاتحون ، ولمسايرة الظروف الطارئة ، ولاكتساب ثقافة جديدة لا عهد لهم بها ، اساسها القرآن العظيم ، وعمادها دين الاسلام الحنيف .

— 3 —

انزل الله كتابه على نبيه منجما ــ كما اشرنا ــ ليثبت به فؤاده وافئدة اصحابه ، وليتمكنوا من حفظه اولا بأول ، ومن تدوينه فى مواد الكتابة التى كانت معروفة آنذاك ، ثم جمعه فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان على هيئة مصحف امام تم توزيعه على أهم العواصم الاسلامية ، فكان كل ذلك دعامة قوية من دعائم تواتره وحفظه : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » .

لقد درج المسلمون فى كل العصور على حفظه عن ظهر قلب ، وعلى التبرك بنسخه وكتابته بخطوط ايديهم . وقد احتفظ لنا التاريخ الادبي بأسماء شخصيات وملوك مسلمين احتجزوا من اوقات فراغهم وقتا ليقضوه فى تحبير آي الذكر الحكيم ، وفى تحرير مصاحف ، بغية الاحتفاظ بها لانفسهم ولاعقابهم من بعدهم ، او قصد اهدائها لمن يودون من الاصدقاء والاحباب .

اخترع جوهانس غوتنبرغ (1) حروف الطباعة المتحركة ، وتمكن من استعمالها ــ وهي من خشب ــ فى الطبع لاول مرة سنة 1438 بمدينة استراسبورغ . ولما انتقل الى بلده Mainz سنة 1449 او سنة 1450 اشرك معه صائغا ثريا يدعى جوهانس فاوست فقدم المال اللازم لتاسيس مطبعة طبع فيها الكتاب المقدس باللغة اللاتينية لاول مرة .

وكان لابد من مرور ما يقرب من قرن من الزمان قبل ان يصدر القرآن الكريم مطبوعا بهذه الطريقة الجديدة ، وكان فضل السبق فى ذلك لمدينة البندقية ، حيث صدرت عنها اول طبعة للقرآن الكريم سنة 1530 ، اصدرها Paganini وتتابع طبع القرآن فظهرت طبعة اخرى فى هامبورغ بألمانيا سنة 1694 وفى بادوا بأيطاليا سنة 1698 . وقد تمت هذه الطبعة الاخيرة على يد القسيس الايطالي لويجي مراكسي .

وجاء اشتغال المسلمين بطبع كتاب الله العزيز متاخرا عن هذا التاريخ . ولعل لذلك اسبابا هي :

ا ــ تهيبهم كل جديد ، وحرصهم على الا تلحق اية اهانة محتملة القرآن اثناء طبعه او بعده .

ب ــ تمسكهم بعادة نسخ القرآن الكريم بايديهم تبركا به ، وتمجيدا له ، وجلبا لرزق كثير من النساخين .

(1) كذا يعتقد الالمان . اما الهولنديون فيدعون ان مخترع حروف الطباعة المتحركة هو مواطنهم Laurens Coster من مدينة هاولم .

ج ـ تأخرهم في ميدان الآليات المستحدثة ، فلم يتمكنوا من استيراد المطابع واستعمالها الا في فترات لاحقة .

ومن المجيب ان يجفل المسلمون ـ كما راينا ـ من طبع القرآن بحروف الطباعة المتحركة الحديثة باديء ذي بدء ، ويقبلوا في سرعة ملحوظة على طبعه طباعة حجرية (ليتوغرافيا) وهي فن استحدثه حوالي سنة 1799 الماني من ميونيخ يدعى Alois Senefelder !

وهكذا ظهرت في طهران سنة 1828 نسخ من القرآن الكريم مطبوعة على الحجر ، كما ظهرت بعد ذلك في سنة 1833 بمدينة تبريز بايران طباعة حجرية اخرى للقرآن. أما في المغرب فكانت المطبعة الحجرية اول مطبعة ادخلت ، وذلك في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن ، وكان تأسيسها بمكناس سنة 1282 هـ (1865 م) ، وكان اول كتاب طبع بها هو كتاب « الشمائل المحمدية » الترمذي . وطبع القرآن بها بعد ذلك التاريخ .

ولم يتمكن المسلمون من طبع القرآن بطريقة غوتنبرغ الا في اواخر القرن التاسع عشر حيث ظهرت في بطرسبورغ سنة 1873 طبعة مولاي عصمان . وتلت ذلك طبعة ظهرت في قازان بروسيا. وفي تركيا شرع في طبع القرآن ابتداء من سنة 1877 ، وذلك بالمطبعة تارة ، و«بالفتوتيبيا» تارة اخرى . وفي القاهرة ظهرت اول طبعة محكمة متقنة للقرآن الكريم سنة 1342 هـ (1923) وذلك تحت رعاية فؤاد الاول ملك مصر حينئذ .

ـ 4 ـ

كان الاقبال شديدا على القرآن الكريم تلاوة وحفظا ودراسة وتفسيرا ونشرا وترجمة الى مختلف اللغات الحية . ويعنينا هنا ان نميز بين لونين من الترجمات القرآنية ، او صنفين من المترجمين :

ا ـ مسلمون غير عرب ، قاموا بترجمة القرآن عن حسن نية ، خدمة لاغراضهم الدينية ، واسهاما منهم في القيام بالواجبات المفروضة عليهم ازاء تثقيف اخوانهم ثقافة قرآنية متينة ، باللغة التي يفهمونها جيدا ، وهكذا نجد القرآن قد ترجم الى اللغات التي يتحدث بها سكان فارس وتركيا وباكستان والهند واندونيسيا وماليزيا والصين وروسيا واليابان وغيرها من بلدان العالم التي يسودها الاسلام ويكثر فيها المسلمون .

ب ـ مستشرقون درسوا ـ كلهم او معظمهم ـ القرآن ، وترجموه خدمة لابناء جلدتهم ولاغراضهم الدينية التي تتنافى احيانا مع مباديء الدين الاسلامي الحنيف . ومن ثم أتت اهمية الاطلاع على ترجماتهم للقرآن ، وعما كتبوه عنه للتثبت من الامانة والدقة في الترجمة ، ومن الروح العلمية التي ما فتئوا يزاولون البحث والانتاج باسمها .

ان هذا الصنف الاخير من مترجمي القرآن هو الذي يعنينا الآن، ويحدونا في نفس الوقت الى القيام بالقاء نظرة عجلى على ما تم ببلاد الغرب المسيحي من ترجمات للقرآن . وطبيعي اننا لا نستطيع في هذه العجالة ان نحيط بجميع الترجمات الى جميع اللغات ، ولكن يكفينا الالمام بأهمها . وسنتتبع حركة الترجمات القرآنية في بلدان أوربا الغربية ، سالكين في ذلك نظام الترتيب المكاني ، لا الترتيب الزمني لظهور الترجمات .

في اسبانيا

ونبدا باسبانيا لانها اول بلد اوربي تم فيه القيام بأول ترجمة للقرآن . وغير خاف ان استعمال كلمة اسبانيا هنا فيه الكثير من التجوز ، ذلك ان هذا الاصطلاح اسبانيا (عند الاغريق والرومان : Spania و Hispania) رغم قدمه ، لم يكن في العهد الذى نحن بصدده، يطلق على تلك الامارات او الممالك التى اقتطعت من جسم الدولة الاسلامية بشبه جزيرة ايبريا ، كمملكة ليون ومملكة قشتالة وغيرهما ، وانما اعيد اطلاق اسم اسبانيا على مجموع هذه الدويلات المتحدة بعد حروب الاسترداد بزمن طويل .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان أول ترجمة للقرآن ، تمت في الواقع بأرض هي مجاورة للحكم الاسلامي بالاندلس ، وكانت هي نفسها بلادا تتمتع بالحكم الاسلامي الى عهد جد قريب ، وقام بالترجمة فيها مسلمون ارتدوا عن الاسلام ، وذلك في الوقت الذى بدا فيه ظل الحكم العربي يتقلص بشبه الجزيرة .

ترجمة القرآن الى اللاتينية : هي اول ترجمة للقرآن الى لغة أوربية ، وقد تمت على ارض اسبانيا

بمبادرة اجنبية ، اي باقتراح بطرس المحترم رئيس دير Clugny بفرنسا الذى سبق له أن ألف خمسة كتب تهجم فيها على الاسلام والمسلمين .

زار بطرس هذا بلاد اسبانيا سنة 1141 ، فاغتنم وجود مسلمين ارتدوا عن دينهم ، يتقنون العربية ولا يجهلون اللاتينية ، فاقترح ترجمة القرآن الى اللاتينية ، وقد وقع تنفيذ الاقتراح ، وصدرت الترجمة سنة 1143 مصحوبة فى هامشها بتعاليق اعتبرها المترجمون دحضا وتفنيدا لبعض مبادىء الاسلام !

وقد اختلف الباحثون فى المكان الذي تمت فيه الترجمة ، وفى اسماء الاشخاص الذين استخدمهم الراهب الفرنسي فى الترجمة ، وافترقوا فريقين ازاء هذا الموضوع :

أ ـ فبعضهم يقول ان المكان هو Everra والذى قام بالترجمة هو المسلم المرتد المدعو بطرس الطليطلي ، بتوجيه وارشاد من سكرتير للراهب كان ضليعا فى اللغة اللاتينية ويدعى بطرس كذلك .

ب ـ والبعض الآخر يقول : ان الترجمة تمت بالقرب من نهر ابره Ebro وان اللذين قاما بالترجمة هما الانكليزي روبرت أوف رتينا الذى كان يشغل منصب رئيس شمامسة كنيسة بامبلونة ، ثم شخص من دالماسيا (بلاد الصرب) يدعى هرمان ، وكلا الرجلين كانا يشتغلان بالتنجيم هناك .

وجدير بالذكر ان الفريق الاول هو المحق فيما ادعاه ، ذلك ان الموريسكي بطرس الطليطلي (بدرو دي توليدو) هو الذى ترجم القرآن الى اللاتينية ، بتوجيه وارشاد من طرف بطرس (أو بدرو) آخر كان معلما للاتينية ، كما كان ذلك الطليطلي معلما للعربية .

واما روبرت الرتيني الانكليزي الاصل ، فقد قام بالتعاون مع هرمان الدلماسي بترجمة ما اطلق عليه خطأ اسم «القرآن» ، بينما كان فى الواقع كتابا يتعلق بحياة النبي وبدين الاسلام .

وقد طبع هذه الترجمة اللاتينية T. Bibliander فى Bâle بسويسرة سنة 1543 ، وكانت طبعتها الثانية سنة 1550 م . ودقة هذه الترجمة وامانتها جد نسبية ، نظرا للظروف السائدة آنذاك ، وللاشخاص الذين قاموا بتحقيقها والروح التى كانوا متشبعين بها .

هذا وقد ضاعت هذه الترجمة اللاتينية الاولى للقرآن ، ولم يبق لها ذكر الا فى المراجع التى تتحدث عنها .

ب ـ **ترجمته الى الرومانشية :** واول ترجمة القرآن الى اللهجة الاسبانية المشتقة من اللاتينية ، والمدعوة Romance تمت فى القرن 15 م بوساطة الموريسكي المرتد خوان اندريس وهو فقيه من شاطبة ولد وتربى بين ظهراني المسلمين بالاندلس ، واستمر بينهم حتى سنة 1487 وهي السنة التى ذهب فيها الى مدينة بلنسية ، حيث حضر يوم 15 اغسطس من السنة ، صلاة فى كاتدرائية المدينة ، قام بالوعظ فيها احد رجال الدين الدومينيكان R. Maestre Marques Adesora الذى كان يشغل منصب اسقف باحدى مدن صقلية . عندئذ ارتد الموريسكي عن دينه الاسلام ، وتسمى عند تعميده بذلك الاسم ، وتحمس لدينه الجديد تحمسا شديدا ، وتسبب فى ارتداد كثير من المسلمين بالاندلس .

وهذه الترجمة ضاعت ايضا .

وبعد القرن الخامس عشر الميلادي يفتر اهتمام الاسبانيين بترجمة القرآن او ينقطع بتاتا ، وذلك فى الوقت الذى تشتد فيه مهاجمة القرآن والاسلام من لدن مثقفي الغرب والمهتمين منهم خاصة بشؤون دين مخالف لدينهم . وقد يتبادر الى الذهن ان الانصراف عن ترجمة القرآن ، كان نتيجة طبيعية لهذه الحملات التى كان يشنها رجال الكنيسة والمستشرقون على النبي العربي ودين الاسلام ، ولكن الواقع ان سبب فتور الترجمة او الانصراف عنها تماما ، هو خوف المترجمين من ان يعتنق الاسلام اولئك الذين يطلعون على ترجمات القرآن من المسيحيين !

ج ـ **ترجماته الى القشتالية :** يقبل القرن الثامن عشر الميلادي فنجد ترجمات القرآن الى الاسبانية (القشتالية) لا تستحق الاعتبار ، فهي ليست فى مستوى الترجمات الاجنبية غير الاسبانية ، بل يمكن القول بأنها على وجه العموم تكرار واعادات لترجمات فرنسية للقرآن ، وذلك على الرغم من ان اصحاب تلك الترجمات لا يصرحون بأنهم فعلوا ذلك .

وحتى لا نطلق الكلام على عواهنه ، نأتي بأمثلة لهؤلاء الذين يعتبرون عالة على التراجمة الفرنسيين:

1 ـ اندريس بوريكو : أصدر سنة 1844 ترجمة قرآنية غير كاملة .

2 ـ فيسنتي اورتيث : اصدر ترجمةببرشلونة سنة 1872 .

3 ـ مجهول : اصدر ترجمة للقرآن في مدريد سنة 1875 .

4 ـ موركوندو اي اوكرتندو أصدر ترجمة القرآن خالية من تاريخ النشر ، وتتسم ترجمته بروح رجعية وبميل معاد للاسلام شبيه بذلك الذي يسود ترجمة مراكسي الذي سنتحدث عنه عند تعرضنا للترجمة في ايطاليا . وتتضح تلك الروح العدائية من العنوان الذي جاء فيه : « القرآن مترجما بأمانة الى الاسبانية ومعلقا عليه ومدحضا طبقا للعقيدة والتعاليم المقدسة والاخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني » .

5 ـ ويدخل القرن العشرون فتصدر عن دار النشر Bergua بمدريد ترجمة القرآن تكاد تكون مجهولة المؤلف ، ذلك ان صاحبها امضاها هكذا : O.B.B.J. وعنونها بهذا الشكل : قرآن محمد طبع وترجمة وتقديم . وفي الطبعات اللاحقة عدل العنوان فجعله تارة El Koran وجعله تارة اخرى El Coran وابان عن اسمه الكامل وهو Juan B. Bergua .

وابيركوا هذا الآن : ترجمتان احداهما مختصرة طبعت بمدريد للمرة الثامنة 1963 . وهي مزودة بمقدمة من 12 صفحة من الحجم الصغير ، وبتعليقات (6 صفحات) وفهرس تحليلي اجمالي لاهم محتويات القرآن (12 صفحة) وفهرس آخر للسور مرتبة كما وردت في المصحف العثماني ، وباقي الصفحات (443) للترجمة القرآنية .

والاخرى ترجمة مطولة من نفس الحجم، طبعت للمرة التاسعة بمدريد سنة 1970 وهي مصدرة بدراسة اولية (109) صفحة) ومزودة في آخرها بتعليقات عددها 742 تعليقا شغلت 161 صفحة ، وتحتوي كذلك على فهرس تحليلي (76 صفحة) ، وفهرس للسور (صفحتان)، والباقي (576 صفحة) للترجمة القرآنية .

لم يكن بيركوا في مقدمته وتعليقاته باحثا امينا، وناقدا نزيها ، وموضوعيا مجردا ، بل كان متعصبا تعصبا اعمى ، وكان ذاتيا الى أقصى حد ، ومتهجما او ناقدا شريرا حسب التعبير الاسباني Zoilo .

ومن تكرار طبعات الترجمتين يستبين مدى اقبال القراء عليهما ، وبالتالي مدى الخطر والضرر الذي حاول بيركوا الحاقه بكتاب الله ونبيه العظيم . واري ان لتكرار الطبعات عاملين : يتمثل احدهما في وجود المطبعة تحت تصرفه، فدار النشر تحمل اسمه العائلي . ويتمثل الآخر في الاغراب الذي تعمده في مقدمته وتعليقاته ، وقصد به في الدرجة الاولى تملق عواطف قرائه بالتنقيص من قدر اقدس كتاب سماوي ، وتشويه سمعة محمد (ص) والاسلام والمسلمين والعرب ، وهو متأثر بالمترجمين السابقين وبحملاتهم الهوجاء التي شنوها على كل ما هو عربي او اسلامي .

وبيركوا في ترجمته هاتين يلعب على الحبلين ، فهو ، مثلا ـ يعطي الآية رقما هنا ، لا يعطيه لها هناك ، وهو يفسر الكلمة في ترجمة، بغير ما يفسرها به في ترجمة اخرى ، وكأنه في ذلك يراهن على معاني القرآن . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على النقل عن غيره، وعلى عدم الثقة بنفسه. وانعدام الثقة ناتج عن ضعفه في العربية او جهله بها وبقواعدها وأساليبها .

وتحتوي كلتا الترجمتين على اخطاء فنية عديدة ، وعلى شطحات تنم عن الجموح والحقد والتعصب الاعمى .

6 ـ والديبلوماسي الاسباني Rinaldy ـ فيما يظهر ـ ترجمة للقرآن ، اقتبس منها بعض فقراتها مؤلف كتاب « المرآة المغربية » وهو الدكتور Ovilo ولم تكن هذه الترجمة مطبوعة عند تأليف هذا الكتاب اوائل الخمسينات ، ولا ندري ما اذا كانت قد كتب لها ان رأت النور بعد ذلك .

7 ـ ويزعم رفائيل كانسينوس أسينس ان غيبة ترجمة اسبانية مباشرة للقرآن ، وعدم اقدام المستشرقين الاسبانيين الاكفاء (مثل آسين بلاثيوس ، وكونثاليث بالنثيا ، وغرسيا كوميث) على القيام بهذا العمل ... كل ذلك دعاه لسد هذه الثغرة ، والقيام بهذه المهمة التي كان يمكن ان يقوم بها اولئك المستشرقون خير قيام .

ويصف البعض ترجمة كانسينوس هذه بأنها تميل الى القديم وتتأثره ، وهذا يعني ان صاحبها يميل الى استعمال الالفاظ والاساليب المهجورة او

العتيقة . ولم يكتب لنا الاطلاع حتى ساعة كتابة هذه السطور على هذه الترجمة لنستطيع تكوين فكرة عن مدى دقتها ونزاهتها . ولكنا لسنا متفائلين ازاء كانسينوس ، ولا مطمئنين لكتاباته عن شؤون الاسلام . وعذرنا في ذلك واضح مقبول ، فكتابه الموسوم محمد والقرآن ، المطبوع سنة 1954 في عاصمة الارجنتين ، يتضح بالغمز واللمز ، ويطفح بالاخطاء وتشويه الحقائق ، الامر الذى لا يجعله يختلف عن المترجمين المغرضين مثل مراكسي او بيركوا ، ولا يجعلنا - بالتالي - نطرب كثيرا او قليلا لقيامه بترجمة القرآن الى اللغة القشتالية ، سواء اكان ذلك بطريقة مباشرة من العربية كما يدعي ، ام كان بطريقة النقل عن اسلافه من مترجمي فرنسا خاصة .

8 - واحدث ترجمة اسبانية للقرآن هي التي قام استاذ اللغة العربية بجامعة برشلونة خوان فرنيت بنشروها لاول مرة سنة 1963 . وقد صدرت في نوفمبر 1967 طبعة ثانية لهذه الترجمة تدل على ما وصل اليه فن الطبع باسبانيا من مكانة رفيعة ، وما يتحلى به من مهارة واناقة في الاخراج .

وتتألف هذه الطبعة من مقدمة طويلة (110 صفحة) تحدث فيها المترجم عن محمد (ص) وعن الكتاب (اي القرآن) ثم خصص صفحتين للحديث عن مميزات ترجمته . وتستغرق الترجمة 691 صفحة، يليها فهرس ابجدي من 29 صفحة ، ثم خصص المترجم ثلاث صفحات للفهرس العام الذى يشمل المقدمة والسور القرآنية المرتبة عنده حسب ترتيب المصحف الامام ، وان كان قد نصح قراءه في آخر مقدمته بان يقرأوا النص القرآني حسب الترتيب الزمني لنزول السور ، طبقا لما هو عند نولدكه او بلاشير ، مع العلم بأن بلاشير في طبعات ترجمته الاخيرة للقرآن ، قد تخلى نهائيا عن ترتيبه « كرونولوجي » المزعوم .

وتتخلل هذه الترجمة تعليقات على بعض الآيات جعلها المترجم باسفل الصفحات ، وخصص التعليق نفس لرقم الذى تحمله الآية . كما حاول ان يضع لكل موضوع قرآني عنوانا فرعيا خاصا به .

هذا وترجمة فرنيت غير سالمة من الاخطاء الفنية . اما تعليقاته فمعتدلة على العموم وان كانت لا تخلو من بعض التلميحات والمغامز . ولعلنا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان الترجمات الاسبانية عامة ما زالت بعيدة عن الكمال ، مفتقرة في كثير من اجزائها الى مزيد من دقة البحث ، واستيعاب الحقائق ، والى الامانة في الترجمة ، والنزاهة في النقد « المزعوم»، على اننا ننزه كلام الله عن ان يحتاج الى نقد نزيه او غير نزيه !

(للبحث بقية)

تطوان - د. عبد الله العمراني



اشرت فى مقال سابق الى ان ظاهرة التأميم ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لم تعد مقتصرة على الدول الاشتراكية ، وانما تعدتها الى الدول الراسمالية، فقد اممت انجلترا السكك الحديدية والكهرباء ومناجم الفحم واستيراد القطن وبنك انجلترا وصناعة الغاز والحديد والفولاذ والطيران المدني والملاحة الداخلية، كما اممت فرنسا بدورها صناعات الفحم والغاز والكهرباء وشركات التأمين ومصانع السيارات رونو ، وبنك الاصدار . والى جانب ذلك يكاد المرء لا يجد فى الوقت الحاضر دولة الا وقد اممت مرافق النقل الحضري أو مرافق الغاز والكهرباء او البنك المركزي او تجارة الادوية او الشركات التجارية الاجنبية ...

وبغض النظر عن شرعية او جواز استرجاع الملكيات المغتصبة ، فان سياسة التأميم فى كثير من البلاد الاسلامية اصبحت تستهدف احداث المساواة الاقتصادية ، على غرار ما حدث فى الدول الاشتراكية.

وقد انعكست هذه الظاهرة على كثير من الكتاب والباحثين المسلمين ، اما عن التزام او تأثر ، فراحوا يبحثون عن اسس اسلامية لهذا الاسلوب المبتدع ، ولم يقتصروا على تخيله كدواء سحري لمشكلة التخلف فى البلدان الاسلامية ، وانما صاروا يعدونه اسلوبا اسلاميا بحجة أو أخرى ، ولم يتورع بعضهم عن القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا اليه ، او ان عمرا رضى الله عنه قد قام به فعلا !

وقد ظن الكثير من هؤلاء انهم وجدوا فى الوقف احسن دليل لاقناع المسلمين باشتراكية اسلامهم ، فصاروا يتوهمون ، او يوهمون الناس ، بأن التأميم لا يختلف فى شيء عن الوقف ، وبأن الاسلام كان سباقا الى التأميم متمثلا فى الوقف .

— ◆ —

بين التاميم والوقف :

وهكذا وجد من بين الكتاب المسلمين الكبار فى العصر الحاضر ، من لا يفرق بين التاميم والوقف ، ويقول : « ومن المعلوم ان الوقف جائز فى الاسلام ، بل هو مرغوب فيه للحاجيات الاجتماعية التي تحدثنا عنها فى قوانين التكافل الاجتماعي . والوقف كما عرفه الفقهاء هو اخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها الى ملك الله تعالى ، أي ان تكون غير مملوكة لاحد ، بل تكون منفعتها مخصصة للموقوف عليهم ، وهذا هو التاميم » (1)

فليس فى نظر هذا الباحث الكبير ، وهو أحد الفقهاء المسلمين الذين عاصروا حركة التاميم فى بعض البلاد العربية ، أي اختلاف بين الوقف والتأميم ، لوجود خاصيتين يشتركان فيهما :

الاولى : اخراج العين من الملكية الخاصة .

والثانية : تخصيص منفعتها للكل .

(1) انظر اشتراكية الاسلام ص 160 ، الطبعة الاولى.

ويبدو ان صاحب هذه الفقرة ، في سبيل تدعيم فكرة التأميم ، لم يكن في وضع فكري يسمح له بلمس الفروق الموجودة بين التأميم والوقف ، ولكنه كان منقادا لفكرة التأميم ، ولفكرة الاشتراكية ، الى حد جعله يرى في الفروق بين التأميم والوقف خصائص مشتركة ومميزات متطابقة . فاذا كان الوقف ، على حد تعبيره ، هو اخراج العين من ملك صاحبها الى ملك الله تعالى وجعلها غير مملوكة لاحد ، فان التأميم ، على عكس ذلك ، هو استيلاء على الاملاك الخاصة ، ونقلها باسم الشعب الى الدولة ، التي ليست في واقعها سوى سلطة قهرية متركبة من اشخاص طبيعيين . وبتعبير اكثر وضوحا ، ان الوقف يعني التخلي بطواعية واختيار عن الملك الموقوف ، وهذا ما يقصده الفقهاء عند تعريفهم للوقف بانه اخراج المالك لعين يملكها . اما التأميم فيعني نزعه من صاحبه بواسطة اجبار تمارسه سلطة قهرية . وتبعا لهذا الاختلاف ، لا يصح باي حال ان يعتبر الوقف تأميما ، ولا التأميم وقفا ، لا سيما اذا اضيف الى ذلك ان الغاية من الوقف تختلف عن الغاية من التأميم كما سنرى في نهاية هذا البحث .

ووجه التعارض بالنسبة للخاصية الثانية ، الذي عده الدكتور المحترم اتفاقا ، هو في تخصيص منفعة العين ، اذ قال ان منفعة العين في الوقف تخصص للموقوف عليهم . لكن هذه الصفة لا تنطبق على التأميم من قريب ولا من بعيد ، لان منفعة العين المؤممة لا تخصص لاشخاص معينين ، ولكن تصير ملكا للشعب كله دون تخصيص . واوضح مثال لهذا التعارض هو الوقف المخصص لجهات البر والاحسان او للاهل والاقارب .

ويترتب على جواز تخصيص المنفعة في الوقف ، وعدم جوازه بالنسبة للتأميم ، تعارض آخر لا يقل اهمية ، وهو ان توزيع المنفعة بالنسبة للوقف ليس من الضروري ان يكون بيد الدولة ، ولا سيما في الاوقاف الخيرية والذرية ، وعلى عكس ذلك ، فمن اللازم في التأميم ان ينتقل توزيع المنفعة الى يد الدولة او الى احدى مؤسساتها .

وهكذا يمكن القول بأن الباحث المحترم ، لم يؤسس رايه على اي أساس سليم ، وكان دافعه الى مماثلة التأميم بالوقف ، هو ايمانه باشتراكية اسلامية وهمية ، خدمت التيار الاشتراكي اكثر من خدمتها للاسلام . وحتى يتبين القارىء سلامة هذا الحكم ، سنعقد مقارنة بين التأميم والوقف من حيث التكوين ، ومن حيث الخصائص ، ومن حيث الاثار ، لنتبين من ذلك ، ليس فقط وجود التعارض بين الوقف والتأميم ، ولكن ايضا وجوب الاخذ باحدهما دون الاخر .

— ◆ —

مقارنة من حيث التكوين :

فلو امعنا النظر في الوقف لوجدناه يتكون من ثلاثة عناصر :

اولا : الواقف او صاحب الملكية المتخلي عنها .

ثانيا : الشيء محل الوقف .

ثالثا : الموقوف عليهم .

وعلى عكس ذلك يتكون التأميم من اربعة عناصر هي :

اولا : صاحب الملكية .

ثانيا : نازع الملكية وهو السلطة القهرية في الدولة .

ثالثا : الشي محل التأميم .

رابعا : المستفيدون من التأميم .

فالوقف يلتقي مع التأميم في وجود : صاحب الملكية ، ووجود الملكية ، ووجود المستفيدين من عملية التغيير في شخص المالك ، لكنه يختلف عنه في عنصر أساسي هو عدم وجود طرف نازع للملكية فيه ، فهو موكول الى المبادرة الفردية ، وليس فيه اي اجبار .

على ان الاتفاق في تواجد العناصر الثلاثة المذكورة لا يعدو ان يكون اتفاقا شكليا ، اذ يشترط في الواقف :

اولا : ان يتخلى عن ملكيته بمحض ارادته ، فلا يحق مثلا لسلطة قهرية ان تلزمه بالتخلي عنها وحبسها، وانما ينبغي ان ينبع التزامه من الرضى .

ثانيا : ان يكون تملكه حلالا ، ووفق الطرق المباحة والمقبولة شرعا .

ثالثا : ان يكون كامل الاهلية ، اي اهلا للتصرف وليس قاصرا او مجنونا ...

على ان هذه الشروط ، ونذكرها على سبيل المثال وليس الحصر ، لا يفترض توافرها في صاحب

الملكية المؤممة ، ولا تكون موضع اي اعتبار . فالمالك في حالة التأميم يكون مجبرا على التخلي عن ملكيته ، بموجب قواعد قانونية تسهر السلطة العامة في الدولة على احترامها . ثم انه لا ينظر الى شرعية التملك او عدمها ، فقد ينزع الملك من صحابه رغم انه اكتسبه بالطرق الحلال ، ووفق ما أمر به الشرع الاسلامي . كما انه لا ينظر الى صاحب الملكية المؤممة هل هو كامل الاهلية او عديمها ، وانما ينظر فقط الى الغاية المتوخاة من التأميم ، ومعنى هذا ان السلطة العامة حين تقرر التأميم لا تعير اهلية المنزوع منه ملكيته اي انتباه ...

وبالنسبة للشيء محل الوقف ، لا يجوز الوقف مثلا على اماكن تمارس فيها نشاطات محرمة ، ولكن يشترط فيه ان يكون محله حلالا . اما الشيء المؤمم ، فلا نجد في التجارب التي اخذت بالتأميم ، وخاصة تلك التي قامت في بعض البلاد الاسلامية ، ما يشجع على القول بأن التأميم يلتزم قواعد الحلال والحرام ، بل على العكس من ذلك ابعدت هده القواعد تماما ، ولم ينظر اليها بأي اعتبار ...

اما المستفيدون من الوقف فقد يكونون من اسرة واحدة ، او من جماعة معينة ، او ممن توفر فيهم شرط معين .. وهذا أمر غير متوفر بالنسبة للتأميم ، لان المستفيدين نظريا من التأميم يتمثلون في « الشعب » كوحدة غير قابلة للتجزئة ...

ولعل التعارض بين التأميم والوقف يصل ذروته في انتفاء وجود طرف نازع للملكية في الوقف . فالوقف كما قلنا يتعارض مع الاجبار ، ولو وجد فيه اي اجبار لما كان وقفا ، وانما يصير، من وجهة نظر القانون الاسلامي ، نزعا للملكية او مصادرة لها . وعلى عكس ذلك ، فوجود سلطة قهرية نازعة للاملاك شرط اساسي في التأميم ، فهذه السلطة هي التي تقرر التأميم ، وهي التي تقوم بتنظيمه وتنفيذه ...

— ◆ —

مقارنة من حيث الخصائص

ولا يقتصر التعارض بين الوقف والتأميم على العناصر التي يتكون منها كل واحد منهما ، ولكن يتعداه الى خصائصهما . وسنحاول ، في اطار تناسق أجزاء هذا البحث ، الاقتصار على أهم الخصائص التي تبين ذاتية كل من الوقف والتأميم من جهة ، واستقلالهما وتعارضهما من جهة اخرى :

اولا : فالوقف كما بينا سابقا ارادي ومن مبادرة المالك الشرعي ، وليس فيه اي الزام ، وعلى عكس ذلك فالتأميم اجباري ، وتتخذه السلطة العامة في الدولة .

وقد يعترض معترض بأن الاجبار والالزام قد توفرا في وقف الدولة الاسلامية للاراضي المفتوحة عنوة بالشام والعراق ومصر بدل توزيعها على مستحقيها من المجاهدين . لكن هذا الاعتراض مردود من ناحيتين :

الاولى : ان الدولة الاسلامية تصبح مالكة للاراضي المفتوحة ، فيحق لها ان تقسمها بين الفاتحين ، ويحق لها ان تحبسها على مصلحة هؤلاء الفاتحين ومن يليهم من أجيال (2) .

واختلاف الفقهاء في هذه القضية لا يؤثر على هذه الحقيقة ، ويعود الى تمسك بعضهم بالراي الاول ، وتمسك البعض الآخر بالراي الثاني .

ان الفقه الاسلامي يعرف الوقف بانه اخراج المالك الشرعي لعين يملكها ... وعلى ضوء هذا التعريف ، نرد على القائلين بتوفر الاجبار في وقف عمر رضي الله عنه للاراضي المفتوحة عنوة ، بأنه لا وجود للاجبار الذي يحتجون به ، والا لما كان عمل عمر رضي الله عنه وقفا ، باعتبار ان الواقف يشترط فيه اساسا ان يكون هو المالك الشرعي .

والقول بان الدولة الاسلامية مارست الاجبار في الوقف المذكور ، يخرج عمل عمر رضي الله عنه من نطاق الوقف ، ليصبح نزعا للملكية او مصادرة لها . والواقع ان هذا الراي لا يثبت امام التحليل ، لان الدولة الاسلامية لم « تصادر » ولم « تنزع » اية ملكية اكتسبها المجاهدون وفق الاساليب العادية للكسب . ولكن قررت ، بصفتها المالكة الشرعية ، وقفها اعتبارا للمصلحة العامة لهؤلاء المجاهدين ولمن سياتي بعدهم ، وهي في قرارها هذا ، كما سنرى في مناسبة أخرى ، لم تات بتصرف يتعارض مع قواعد الشرع او ينافي مقاصده . وعلى هذا الاساس ، يمكن الجزم بانها لم تمارس اي اجبار ، ولم تقض على اية حيازة شرعية

(2) اعتقد ان هذا الوقف يستند على سند شرعي ، ولا يصح تبعا لذلك الالتجاء الى المصلحة العامة لتبرير التأميم .

للمجاهدين ، حتى يمكن القول بأن فى ذلك الوقف ملامح التاميم ، او انه يصح اعتباره اساسا وسندا للتاميم .

والثانية : ان وقف الدولة الاسلامية للاراضي المفتوحة عنوة فى سواد الشام والعراق ومصر ، هو استثناء من القاعدة العامة . فالاوقاف الاسلامية فى اغلبها واعمها ، كانت من مبادرات المسلمين الشخصية، ولم تكن الدولة الاسلامية تتدخل لتوجههم الى وقف املاكهم ، ولكنهم كانوا يحبسونها بمحض ارادتهم ، ودون ضغط ، او تدخل ، او اجبار من طرف السلطة العامة . ويضاف الى ذلك كله ، ان هذا الاستثناء لم تتوفر فيه صفات التأميم وشروطه ، فوقف اراضي الخراج كان نتيجة للحرب ، ولم تكن هذه الاراضي قد انتقلت بعد الى ملكية المسلمين ، كافراد ، حتى يمكن مقارنتها بالملكيات المؤممة ، لان الدولة الاسلامية وضعت يدها عليها قبل ان تتم حيازتها .

ثانيا : عند التاميم تصبح الدولة طرفا فى جميع ما ينشأ من علاقات قانونية ، وتستأثر هي وحدها بالمنافع ، وبحق توزيعها ، وتحصيلها ، وادراجها فى ميزانيتها العامة ، ويظل الافراد اجراء لديها . ويحدث عكس ذلك عند الوقف ، سواء كانت الدولة طرفا فيه ام لم تكن . فالوقف بصفة عامة ، وان كان يحبس الملكية عن التداول ، الا انه يتصف بخاصيتين لا تتوفران فى التاميم هما :

الاولى : انه يخصص المنفعة فى اشخاص او فى جماعة معينة .

والثانية : انه يبقى الانتفاع خاضعا للتداول .

فمنفعة العين الموقوفة قد تعود الى فرد او الى اسرة او الى جماعة ، بينما هذه المنفعة فى حالة التاميم تعود الى الشعب ، وتدرج فى الميزانية العامة للدولة . وقد يبدو فى هذا تشابه مع خراج الاراضي المفتوحة عنوة ، لكنه كما بينا تشابه شكلي ، ويقتصر على نوع معين من الوقف ، لا تتوفر فيه خصائص التاميم ...

وبالنسبة للانتفاع او الاستغلال ، فان التاميم يقضي على العنصر الشخصي فى هذا الميدان ، وتتولى الدولة ادارة الملكية مباشرة (3) او بواسطة مؤسسة عمومية او اشخاص تختارهم لهذا الغرض . اما عند الوقف ، فيبقى الانتفاع خاضعا للتداول ، ويمكن تبعا لذلك لاي شخص ان يكتري ارضا حبسية او دكانا حبسيا او اي شيء آخر ، وما عليه الا ان يؤدي واجب الانتفاع لا غير . وهذا امر ينطبق ايضا على اراضي الخراج ، التي ترك الانتفاع منها لمالكيها السابقين مقابل الخراج الذي يؤدونه . فلا شك فى ان الاستثمار المتواصل لهذه الاراضي عبر الاجيال ، يقتضي تبدل الاشخاص المنتفعين منها ، ووجود تداول للانتفاع منها . وفى ذلك تناقض اساسي مع التاميم .

ثالثا : التاميم يلتقي مع الوقف فى صفة الجماعة، لكن هذه الصفة ليست مشتركة على اطلاقها ، لان الجماعية التي تنشأ بالتاميم تتجلى فى سيطرة الدولة باسم الشعب ، وبالاجبار ، على الملكية والانتفاع منها فى آن واحد . اما الجماعية التي يحدثها الوقف فتنحصر فى نطاق « الملكية » ولا تتعداه الى «الانتفاع» وتبعا لهذا التمييز يظهر اختلاف آخر لا يقل اهمية ، هو ان الملكية المؤممة تصبح ملكية غير مخصصة ، اما الملكية الموقوفة فهي قابلة للتخصيص .

رابعا : يلاحظ فى بعض البلاد الراسمالية ان الدولة تعطي بعض الاملاك المؤممة لتستغل بما يسمى بنظام الامتياز . وفى هذه الحالة تفوت الدولة الانتفاع الى اشخاص تتعاقد معهم على ادارة الاملاك المؤممة . وقد يبدو للبعض ان هذه المعاملة لا تختلف فى شيء عن معاملة استغلال اراضي الخراج ، لكن بين المعاملتين عدة فروق جوهرية اهمها ان حق الاستغلال يسند الى اشخاص آخرين عند التاميم المذكور ، بينما اسند بالنسبة لاراضي الخراج الى الملاك السابقين .

— ◆ —

مقارنة من حيث الاثار :

ان الوقف من حيث آثاره هو تصرف يحبس الملكية عن التداول بقصد الانفاق من منفعتها بصفة

(3) الاصلاح الزراعي فى مصر تسلم اراضي الاوقاف فهبط ايرادها من 8 مليون جنيه الى 800 الف فقط فى العام الواحد ، ونتيجة لهذا الهبوط الخطير اعيدت ارض الاوقاف مرة اخرى لتديرها وزارة الاوقاف بمعرفتها بعد عشرين عاما من تجربة الاصلاح الزراعي : مجلة البلاغ الكويتية ، العدد 212 ، 8 يوليوز 1973 .

مستمرة ودائمة فى وجوه البر والاحسان او على الحاجات الضرورية للامة وحتى الكمالية منها . وقد ذكر المرحوم الدكتور السباعي فى كتابه اشتراكية الاسلام كثيرا من الاوقاف العامة المخصصة لتلبية الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والجهادية والتعليمية، كالمدارس ، والمكتبات العامة ، والمستشفيات ، والابار ، والقنوات ، والجهاد ، والمجاهدين ، واصلاح الجسور ، والقناطر ، والطرقات العامة ، والعاجزين ، وادوات الزراعة ، والقرض الحسن للتجار ، والعلماء ، وتزويج الشبان ، وتوفير الحليب للاطفال ... (4) .

ومن خلال هذه الامثلة يمكن ان نستخلص حقيقتين :

الاولى : ان الدولة الاسلامية ليست وحدها المسؤولة عن تلبية حاجات المجتمع ، فالافراد العاديون ايضا يساهمون فى تلبية هذه الحاجات بواسطة الوقف .

وما من شك فى ان هذا الوضع لا يمكن ان يقوم فى ظل سيطرة الدولة على الاقتصاد ، وتحكمها فى التوزيع باستيلائها على الملكية والمنافع . فالوقف يعني التخلي عن ملكية ذات مردود ليستفيد منها آخرون لا يملكون ، وهؤلاء قد يستطيعون من خلال الاستفادة من هذا الوقف ، تكوين ثروة ، او شق طريقهم للحصول على ملكية خاصة بهم . وهذا يعني من جهة اخرى ان الوقف يكون سببا للتملك ، وللحصول على الثروة ، لا سيما بالنسبة للمنتفعين منه .

على اننا لو افترضنا ان نفس الملكية قد أممت عوض وقفها ، فسنجد ان مردودها سيندرج فى اطار الميزانية العامة للدولة ، وسيستفيد منه ، نظريا ، الشعب بمجموعه . فيكون التأميم لذلك ضمانة للمساواة بين افراد المجتمع ، وحائلا دون تفاوتهم لحصول بعضهم على الملكية او الثروة . لكن هذه المساواة نظرية لا غير ، لان الواقع العملي يشهد بأن التاميم لم يستطع القضاء على اللامساواة حتى فى أكثر الدول اشتراكية !

وهكذا يمكن القول بان الوقف ، على الصعيد الاقتصادي ، يساهم فى توزيع تعاوني تكافلي للثروة ، دونما حاجة الى تدخل الدولة او لاجبارها وقهرها ، فى حين ان التأميم اسلوب اجباري لتحقيق توزيع متساو لا زال بعيد المنال ، ان لم يكن مستحيلا .

والثانية : ان تدخل الدولة ، حسب القانون الاسلامي ، لا يستهدف التغيير فى شخص المالك ، الا اذا كان باحدى الطرق المباحة شرعا لجميع الاشخاص الطبيعيين ، أو المعنويين . وحسب هذا المبدأ ، يمكن للدولة ان تؤثر فى الحياة الاقتصادية للمسلمين باحدى طريقتين :

الاولى عن طريق الحصول على المشاريع القائمة بواسطة التعويض العادل ، اي بالشراء ، لتخضع بذلك لقواعد الشرع التي تنتظم مثل هذه العملية ،

والثانية : عن طريق احداث مشاريعها من مواردها الخاصة ، أو بقروض عامة او بتطوع وتبرع مواطنيها . اما اذا أممت المشاريع ، بدل الحصول عليها باحدى الطريقتين ، فنتيجة ذلك هي انها ستضرب عرض الحائط بقواعد الشرع . واول اثر لهذا السلوك ، هو انها ستسقط شرعية تملك الاشخاص ، بحجة احداث المساواة بينهم ، رغم ان تملكهم شرعي من الوجهة القانونية الاسلامية . وبالتالي ، وما دام الهدف هو تحقيق المساواة ، فانها لن تمنح اولئك الاشخاص تعويضا موازنا لما سيخسرونه ، حتى تظل المساواة قائمة !

ونخلص من كل هذا الى نتيجة هامة ، وهي ان الدولة ، حسب الشرع الاسلامي ، تخضع لنفس القواعد التي يخضع لها الافراد ، فان كان من المحرم على شخص ما ان يستولي على جزء من ثروة شخص آخر بحجة تحقيق مساواة معه ، فانه لا يحق للسلطة العامة ان تستولي على الثروات بحجة احداث مساواة بين الناس ، فما هو محرم على الفرد ، محرم على الدولة أيضا .

وعلى ضوء هذا التحليل ، الذي سنعود اليه بصورة أوسع عند مناقشة فكرة التأميم على ضوء مفهوم المصلحة العامة عند المسلمين ، وعلى ضوء قانون الارث الاسلامي ، يمكن ان نتبين باختصار تعارض آثار الوقف والتأميم من خمسة وجوه :

الاول : ان التأميم يقضي على حرية التملك ، وعلى حرية تداول الثروة ، ويجعل الاقتصاد تحت ادارة

(4) اشتراكية الاسلام ، ص 28 وما يليها .

السلطة القهرية ، اما الوقف فلا يقضي على حرية التملك ، ولا يحد من تداول الثروة ، ولا يجعلها بالتالي تحت ادارة السلطة القهرية ، ولكن على العكس من ذلك لا يقوم ، ولا يزدهر الا بازدهار الحيازة الشخصية ولا يتصور بقاؤه في مجتمع يقضي عليها .

والثاني : ان الوقف يشكل جزءا من نظام التوزيع فى المجتمع الاسلامي ، بحيث يمكن اعتباره وسيلة لتنمية الثروات الشخصية . اما التأميم ، فهو كما ذكرنا ، وسيلة لتحقيق توزيع للثروة على الطريقة الاشتراكية ، او بصفة عامة هو وسيلة تمكن اية سلطة قهرية من القضاء على الحيازة الشخصية بحجة او اخرى .

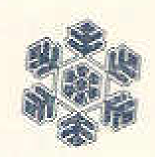
والثالث : ان الوقف ، ولو كانت الدولة طرفا فيه لا يتبعه استخدام الناس كماجورين ، فالمنتفعون من الاملاك الموقوفة يستاثرون بنتيجة الاستغلال ، ويؤدون فقط واجب الانتفاع ، الذي ينفق بدوره على الموقوف عليهم ... ويحدث العكس فى حالة التأميم ، فلا ياخذ الافراد الا اجورهم ، ولا يتمكنون تبعا لذلك من استغلال مشروع لحسابهم الخاص ، او تكوين اية ثروة .

والرابع : ان العين الموقوفة تصبح غير مملوكة لاحد استقبالا ، فلا يصح ارجاعها الى التداول كباقي الاملاك . اما الاملاك المؤممة فليس هناك مانع من اعادتها لاصحابها الاصليين اذا وقع التخلي عن سياسة التأميم ، فبوسع السلطة التي سنت قانون التأميم ان تسن قانونا آخر يلغيه .

والخامس : يتجلى فى اختلاف القواعد القانونية التي تنظم التأميم من جهة ، والوقف من جهة أخرى. فلا شك فى أن التأميم يقتضي وجود قواعد قانونية تكون الدولة طرفا فيها ، وتكون من صنع السلطة القهرية . اما الوقف فيخضع لقواعد تشريعية منزلة من عند الله تعالى ، أو مستمدة منها بواسطة الاجتهاد.

وتخلص من كل هذا ، الى ان الوقف يختلف فى طبيعته ، ومن حيث تكوينه ، وخصائصه ، وآثاره ، عن التأميم . ويصل هذا الاختلاف الى حد التناقض ، ووجوب الاخذ باحدهما دون الآخر ، ما دام كل واحد منهما تنتظمه قواعد قانونية متعارضة من حيث المصدر ، ومن حيث الجوهر ، ومن حيث الغاية والهدف ، وما دام كل واحد منهما يمثل نظاما خاصا لتوزيع الثروة ، ينتهي عند الوقف الى الاسلام ، وينتهي عند التأميم الى الجاهلية .

تطوان : عبد الواحد الناصر



اليمين بين واليسار ...



1) التصور الاسلامي للحياة :

الحياة ... ! هل جاءت نظريات الاولين بما يفسرها ؟ وهل ستاتي علوم الآخرين بما يجلو ابهامها ويحل لغزها ؟

لم يدرك لها احد معنى ، ولم يحدد لها بشر مدى. الله جل جلاله ، الخالق البارىء المصور هو الذي براها ، ويعلم بداها ومنتهاها ، ويدرك سرها المكنون الذي حارت أمامه عقول البشر ، وقصرت أخيلتهم — رغم أنها قد تجنح احيانا — عن أن تحلق فى اجواز فضائها السامية العالية ، الا بالهام ووحى منه سبحانه تقدست اسماؤه وتعددت نعمه وآلاؤه .

الحياة ... !! منه مصدرها واليه مصيرها ، وهي بين هذا وذاك رهينة بما يشاء لها وما يقدره ويقضيه فى شانها ، لا تحيد عنه انملة ، والا مسها الضر وعمها البلاء وشاع فيها الخراب ... وقد يدركها الفناء .

الحياة وحدة ... من وحدة الله ، تخضع للنواميس الازلية التي خطها لها ، فان زاغت عنها ضلت واضلت والتوت بها السبل وعميت عليها المسالك وأصابها الخبال ونزل بساحتها الوبال .

الحياة .. ! فى جميع وجوهها وعلى مختلف انواعها ، ومهما تباينت وتعددت مستوياتها وحدة ... من وحدة الله ، قد تقبل التجزا وقد تخضع للتجزيء، ظاهريا ، ولكنها تظل هي الحياة ... السر الخفي الذي عجزت عن اكتناهه أقوى العقول ، ووقفت عند أعتاب قدس اقداسه تسبح باسم بارئها خاشعة خاضعة ، وان جرها الضلال الى الجحود كانت كناطح الصخور .

الحياة وحدة ... من وحدة الله الحي ... قد تتجزا ، ولكن أجزاءها مهما دقت وصغرت تظل عناصر الوحدة والاتحاد قائمة فيها وبينها ، ولا عجب ، فهي من صنع الله ، وما كان من صنع الواحد الاحد انعدم فيه الخلاف وانتهى منه الصراع ، وان بدا لذوي البصر الكليل والبصيرة العمياء عكس ذلك .

هكذا يرى المؤمن الحياة ... يوجهه كتاب ربه وتهديه سنة نبيه وتلهمه الفطرة السوية التي فطره الله عليها .

الحياة وحدة ... من وحدة الله القادر المريد.. لماذا ؟

اذا تخلينا عن الاسلوب الغربي فى البحث والنظر، يكون الجواب كالآتي :

انها الحقيقة الكونية التي تقدم مفهوما واضحا سليما وطريقة قويمة للبحث المعملي فى الخلية الحية ، ولتكوين الموقف التصوري الامثل للكون ، انها النظام والمنهج الذي به وعلى اساس ما يقتضيه ننظر الى الحياة النظرة التي تسبر الاغوار وتستكنه الاسرار ، دون أن نتعدى حدود الله فنظلم انفسنا ... بها تكون الموقف التصوري السليم لانفسنا ومجتمعاتنا والكون

الواسع البديع المذهل الذي كتب علينا ان نحيـــا في اقطاره ... بما تتهيأ لدينا الوسائل والادوات العلمية القويمة التي نبحث بها في مادة الحيـــاة ومكوناتهـــا وعناصرها ، ونلمس خيط الوحدة الشامل الدقيـــق الخفي الذي يسري فيها لطيفا فعالا ، فتنعقد الصلـة الصحيحة بين الحياة والاحياء وبين رب الحياة والاحياء .. صلة العبودية الخالصة الخاضعة الطائعة .

انها النظرية التي تجعلنا نقف الموقف الســـوي الامثل حين الفشل في استكناه اسرار الحياة ، فـــلا نتمرد ولا نثـــور ولا نتحفـــز للصـــراع ــ ببطولـــة دون كيشوتيه ــ ضد قوى الغيب الخفية التي نجهلها ــ ان لم نعتمد على ما اخبرنا به الله عنها على لســـان رسله وانبيائه ــ كما يفعل انسان الغرب التعس الان ، بل نعرف عن يقين ان فشلنا ناتج عن ان ارساءنا لقواعد الحلول المثلى للمعضلات التي تواجهنا لم يحالفنا فيه التوفيق ، فنعيد النظر في أدواتنا وفي أساليب الرؤية القويمة عندنا ، فنجدد ما يحتاج الى التجديد ، وننفي ما يحتاج الى النفي مما بلي منها ورث ، ونعاود التجربة من جديد بروح وثابة واثقة من النجاح تساندها ثقـــة مطلقة في ربها وفي انها على الخط المستقيـــم وعلى المحجة البيضـــاء .

2) التصور الجاهلي للحيـــاة :

موجة الصراع القائمة على روح « التناقـــض او التقابل » التي تسري مسرى خفيا في جميع مناحي الحياة ــ كما يريد أن يوهمنا فلاسفة التصور الجاهلي للحياة ــ بدات تطفى عارمة تحمل الضلال والتضليـــل لتغرق بهما ارضنا الطيبة في العصر الحاضر ، فمدها العارم بدأ يغمر عالمنا الاسلامي بعد ان نخر جسم العالم الغربي وهد كيانه منذ العهود الاولى للحضارة اليونانية .. ولا عبرة بما نراه من مظاهر التقدم المادي الـــذي تغشى له ابصار المضللين منا ...

صارع الانسان الغربي آلهته المتعددة فصرعته ، وتلك قمة الروعة والبطولة الزائفة في مأساة وجـــود الانســـان الغربي .

الانســـان ! ضئيل جدا .. ! ضعيف جـــدا .. ! جاهل جدا .. ! يتطلع ويتشوف الى ان يحتل عروش الآلهة على جبل « الاولمب » ، ويجد من (بروميثيوس) مساعدا يسرق له « الشعلة » ويقدمها له هدية ثمينة ، فتثور ثائرة الاله الاكبر « زيوس » عنـــد اليونـــان ــ « جوبتير » عند الرومان ــ وينتقم من الاله الســـارق انتقاما رهيبـــا .

اما الانســـان فأصبح لا هو بالاله ولا هو بالانسان ، ولم يتخل عن تعطشه الى ان يدرك مرتبة الآلهة ... الآلهة الشهوانية المتصارعة الخادعة المخدوعة لنزيحها عن عروشها ويحل محلها في متعها الحسية الدنيئـــة التي الهتها عن نفسها وعن قدسيتها .

ودخل انسان طرفا آخر في الصراع ، ولكنه في كل حين الطرف الضعيف الخاسر المسحوق ، وهنا يكمن سر بلواه ، وهنا أيضا يكمن سر وهم البطولة عنده الوهم الاكبر الذي يعيش فيه الانسان الغربي بعيدا عن هدي الله الواحد في دوامة الصراع ... هذا عـــن الميثولوجيا اليونانية الرومانية التي ارضـــت غرور الانسان الغربي وارضت غريزة الصراع البهيمية الكامنة في اعماقـــه .

وماذا عن الفلســـفة اليونانية الشرعيـــة لهـــذه الميثولوجيا .. ؟ اشهر مدرسة فلسفيـــة يونانيـــة اشتهرت وذاعت هي المدرسة السفسطائية التـــي انقســـمت الى قسمين او على الاصـــح مدرستيـــن متناقضتين في ميدان الفكر النظري الصرف ، وكذلك في الميدان الوحيد للتطبيق المعـــروف آنـــذاك ، السياسة . ففريق كان يرى أن (الطبيعة) صالحة ان لم تتدخل يد الحضارة فيها بالتشويه ، وأن الطبيعة جعلت الناس متساوين ، ولكن تفاوتهم ينشأ عـــن الانظمـــة الانسانية الدخيلة المصنوعة ، وما القانون الا بدعة من الاقوياء لتكبيل الضعفاء بالاغلال . اما الفريق الثانـــي فيرى الطبيعة هي أم الشر في كل ما يبدو لنا شرا ، وانها خلقت الناس غير متساوين ، وما الاخـــلاق الا خدعة اصطنعتها الارانب لتسلب الذئاب حقها في ان تفترسها ، وهي تؤمن ايمانا راسخا بان الحق في يـــد القوي ما دام قويا ، فان فرط في قوته او وجد من هو اقوى منه ضاع حقه وضاعت هيبته .

وان اتينا الى سقراط ، وحاولنا ان نحدد لـــه وجهة نظر محددة غرقنا في طوفان من المتناقضات التي لن نخرج منها بأي فكرة مستقرة تساعدنـــا على معرفة سقراط معرفة حقيقية تشفي الغليـــل .

كان انسانا فاشلا في حياته العلمية ، ترى فيه زوجته الانسان الخامل الذي لا يصلح لشـــيء ، واذا عرفنا انه هو نفسه لم يكن يزعم انه حكيم يمتلك ناصية

الحكمة بل عاشق لها وقد قال : « هناك شيء واحد اعرف به الا وهو انني لا اعرف بأي شيء » زادت حيرتنا والتبس علينا الامر في معرفة الوجه الحقيقي لهذا المعلم ... لقد اجتمع حوله شباب ارستوقراطي ارضته اللهجة اللاذعة عند المعلم في مهاجمته للديمقراطية . واجتمع حوله شباب من طبقة الفقراء الاحرار ، اعجبته اللامبالاة الغريبة التي يبديها المعلم نحو فقره المزري ... ولم يكن يدلي بأية وجهة نظر معينة محددة ... لقد كان يثير من الاسئلة اكثر مما يقدم من الاجوبة ... ومن اصدق ما قيل في هذا الرجل ما اورده فولتير في احدى سخرياته اللاذعة على لسان اثنين من أهل أثينا يتناقشان، فقال احدهما: « هذا هو الملحد الذي يقول بأن هناك الها واحدا فقط » نعم لقد كان كافرا بآلهة « الاولمب » مؤمنا باله واحد ، وكان يؤمل ان يعيش حياة اخرى بعد الموت . ولكنه لم يستطع أن يأتي بنظام خلقي متين يساند هذه العقيدة الموحدة . فاضطر ان يخضع راضيا للنظام الذي يشجبه ليحاكمه ، واخيرا شرب السم الذي قدمه له أعداؤه ممسكا بالكأس بيد لا ترتجف ، رافضا كل المساعدات ومعرضا عن كل محاولات الانقاذ التي جاء بها تلاميذه المخلصون .

في جمهورية افلاطون نقرأ ان أحد تلاميذ سقراط، ضاق ذرعا بالتدمير الذي كان يلقى به سقراط كل تعريف عن العدالة يقدمونه اليه ، فانفجر مغيظا محنقا: « أية حماقة قد ركبتك يا سقراط ! ؟ وانتم ايها الآخرون ماذا دهاكم لتتراموا على اقدام بعضكم بهذه الطريقة البليدة الغبية ؟ انني اقول بأنكم اذا اردتم أن تعرفوا ما هي العدالة ، فيتوجب عليك ياسقراط أن تجيب لا أن تسأل ، وأن لا تفاخر بنفسك بدحضك لأقوال الآخرين ... وذلك لان هناك الكثيرين الذين بمقدورهم ان يسألوا ، لكنهم يكونون عاجزين عن الاجابة » .

ان نظرة عجلى نلقيها على فلسفة افلاطون تكفي لنخرج بها مقتنعين تمام الاقتناع بان فكرة التناقض وروح الصراع هي السائدة فيها وهي منها بمثابة القطب من الرحى .. نظرية المثل ... الاساس الذي بنى عليه افلاطون جميع آرائه في الله وفي الطبيعة وفي النفس وفي الاخلاق وفي الدولة وفي الفن .. انها نظرية تقوم على التفريق بين العقل والحس .. الاشياء ظلال للمثل .. الواقع صورة مشوهة للنموذج ... المثل رمز للكمال المطلق وللوجود الحقيقي المكتفي بذاته الحقيقة الكاملة التي لا ينقصها شيء .. فلماذا طبعت هذه المثل صورها على المادة ناقصة محرقة ؟

لترقيع هذا الخرق جاء افلاطون بفكرة الاله القائم وراء المثل ووراء المادة معا ، يصور هذه على مثال تلك ، وعلى هذا يكون الاله والمادة قد وجدا منذ الازل الى جانب المثل ولم ينشأ منها كما أراد ان يوهمنا ، فاذا علمنا ان اله أفلاطون مما يغض من قيمته وقداسته ان يتولى تدبير شؤون مخلوقاته تدبيرا مباشرا ، فاننا نشعر بانه اله منفي ، ولم يبق بساحة الصراع سوى المادة والمثل .. وفي محاولة يائسة منا للخروج من هذه المتاهة العقلية نتساءل : « كيف كانت المادة قبل ان تصوغها المثل على غرارها ، ولم اعتراها التحريف والتشويه ولم تكن كاملة كخالقتها ؟ » بهذا السؤال نفتح خرقا جديدا اوسع من الاول في « المرقعة » الفلسفية التي جاء بها افلاطون ، ولكنه كعادته يجد رقعة يلفقها له حين يحاول ان يوهمنا ان المادة في وجودها الاول كانت في « شبه عدم » ، وحين حل الكمال المثالي في (شبه العدم) هذا اعتراه النقص وحاق به التشويه ، وهكذا ها نحن من جديد أمام الهوة السحيقة التي تفصل فصلا تاما بين الحس والعقل .. أمام « روح التناقض والتقابل » التي خلقت فكرة الصراع التي سادت الحضارة اليونانية ، ومنها الى الحضارة الغربية الحديثة ابنتها الشرعية ...

ويأتي ارسطو ليبني فلسفته على نفس العنصرين الاولين اللذين اقتبسهما من أستاذه افلاطون .. أي اننا لن نخرج من الحلقة المفرغة التي كنا ندور فيها من قبل .

الصورة والوجود ... الصورة هي الحقيقة ، والوجود هو التحقق الذي يحصرها في هذا العالم الواقعي الارضي الذي نعيش فيه .. الصورة هي الادراك الكلي وما الاشياء الجزئية الا التحقيق لهذه الصور الكلية على صعيد الواقع الحي .. وهكذا يكون ارسطو قد انزل افلاطون من عليائه المثالية الى الواقع اليومي المعاش دون أن يتخلى عن فكرة التناقض التي بنى عليها اول فكرة فلسفية للتطور على اساس الصراع الحاد بين المتناقضات ، والهدف هو الارتقاء العقلي المنظم .. الى اين المصير ! ؟ علم ذلك بقي عند ارسطو ، وقد دفن معه في قبره .

من لبان هذه الحضارة المصابة « بالصرع » رضع الانسان الغربي ، وصاحبته فكرة الصراع حتى في فترة

سيادة المسيحية على اوربا ، اخذ الانسان الغربي المسيحية ، تبناها بعد ان ذر عليها « ملح الحياة » بالنسبة اليه « فكرة الصراع والتناقض والتقابل » :

نزول الانسان الى الارض كان بعد ان طرد من الجنة مذموما مدحورا .. لماذا ؟ لقد اكل من شجرة المعرفة بعد ان شدد عليه النهي فى عدم الاكل منها او حتى الاقتراب اليها ، ولم يكتف بذلك ، بل تطلع الى الاكل من شجرة الخلود ليساوي الهه فى بقائه ..

ووصم الانسان بوصمة « الخطيئة » القاصمة للظهر ، وتلطخ بعارها وشنارها ، ولكن غرور الانسان الغربي لا يسمح له بأن يسعى الى ربه مستغفرا نادما تائبا منيبا .. كلا ! وكيف يكون ذلك وهو الذي تأصل فيه العناد والغرور منذ عصور سحيقة فى القدم ؟ ان غروره وعناده اديا به الى ان يختلق على ربه انه هو الذي سعى الى الصلح ، فقدم « ابنه » كبشا للفداء ، وبدمه المقدس سيكون الخلاص لبني آدم من عار خطيئتهم .

وتنمو فكرة الصراع ويتسع مداها فتصبح هي نظرية الحياة واساسها الاول والاخير الذي تسند اليه .. ولا حياة بدونه .. والفضل فى ذلك لنبي « الصراع » ماركس ومن حذا حذوه ، الذين فرضوا انفسهم رسلا يلقون كلمة الصراع الى الناس .

ماركس ... ! الفيلسوف الهيجلي المبتذل الذي تبنى روح « الجدل الهيجلي » ، ولكنه جعل الحصان يدفع العربة من الخلف ، اي انه جعل « هيجل » الذي كان من قبل يزحف على بطنه حين جاء بنظرية « الديالكتيك » التي استلهمها من روح الصراع والتناقض التي سادت الفكر الغربي طيلة عصوره المختلفة ، جعله يمشي مكبا على راسه ...

لا اريد ان امضي فى بحثي قبل ان القي بعض الاضواء على « الديالكتيك الهيجلي » بما يكفي لكشف جوانب التهافت فيه ، يقول كيرد : « ... ولكن القحة فى تقديم الهذر المحض وفى الربط بين متاهات من كلمات لا معنى لها ولا لزوم ، ربما لم نعرف له من قبل مثيلا سوى فى مشافي المجانين ، انما بلغ ذروته عند هيغل ، وامسى او قح واشمل تعمية عرفها البشر ابدا ، تعمية نجمت عنها نتيجة ستبدو اسطورية فى اعين الاجيال القادمة ... » .

لقد غرف هيجل من ثقافة اليونان القائمة على فكرة التناقض والصراع ، وهام بها حبا حتى انه قال :

« ان المثقف الالماني يجد نفسه ، عند ذكر اسم اليونان بين أهله وذويه ... »

كان يرى ان اوسع العلاقات واشملها هي علاقة « التناقض او التقابل » أي « الصراع » وهي مستمدة من فلسفة اليونان ، يقول ارسطو : « ان المعرفة بالتنقيض أو المتقابل هي واحدة » ، والحياة فى نشوئها انما هي تجسم التطور المستمر للنقائض الناجم عن الصراع الحاد القائم فيما بينها ، والذي يؤدي حتما الى نوع من التوافق يولد نقيضه ... وهكذا فى حلقة مفرغة لا تنتهي ...

الصراع هو قانون النمو والخلق ، مبني على ما فى العالم من متاعب ومشاق وضيق ، والتاريخ حركته الدائبة قائمة على (الديالكتيك) ، وهو فى الغالب الاعم يتألف من سلسلة من الثورات والصراعات .

وفى اخريات أيامه تخلى هيجل عن هذه النظرية الاسطورية متعللا بروح العصر ، ولكن ماركس يأتي ويصوغ منها نظرية الصراع الطبقي الذي يؤدي حتما الى الاشتراكية المحتومة .

عند هيجل « المطلق » و « روح العصر » هما الاساسان اللذان ترتكز عليهما « حركة التاريخ » ، اما ماركس واساتذته وتلاميذه فيحلون محلهما « حركات الجماهير » و « القوى الاقتصادية » كاسباب رئيسية لكل تبدل جوهري فى « الحياة كلها » .

وتثور ثائرة الفيلسوف العجوز ، فيستنكر بشدة التشويه الذي الحقه بنظريته جماعة ممن سماهم هو بنفسه « بالمتطرفين الحالمين » ، وبموته يخلو الجو المتطفلين على نظريته ، ومن خلال تمسك جائع بخط حزبي مفروض ، ودفاع ملتو عن نظريات هجينة تملى من أعلى — من بشر يخطئون وينحرفون — انحرفت وتشوهت « روح العصر » ، وسادت جاهلية حديثة بانهيار النظم الجاهلية التقليدية القائمة على الطغيان الظاهر ، ليحل محلها طغيان حديث قائم على ايديولوجية مغرورة تدعي الشمول الواسع العميم ، وتتسرب الى كل ميادين الحياة الخفية والظاهرة حاملة التشويه والتحريف .

وتمر السنون .. وتفقد الماركسية الثقة بها كعلم اقتصادي ، ويثبت الزمن خطل تنبآتها الخرافية ، وتنهزم فى ميدان التطبيق العملي على صعيد الواقع الحي ..

ولكن « روح العصر » لا تريد ان تتخلى عن ماركس ... النبي المهزوم ، ان فشل في ميدان علم الاقتصاد ، فميدان العلم الاجتماعي فسيح أمامه ، وهكذا تحول الصراع الشامل بين الطبقات القديمة في أمم العالم كله ، الى ثورات عنيفة تقوم بها الطبقات الجديدة المسحوقة في دول المستعمرات ، مع أن النظرة العابرة لاي شخص عادي تثبت ان قادة هذه الطبقات وعددا كبيرا من جنودها هم من أبناء الطبقات الوسطى التي قد لا تتعارض مصالحها — في بعض الاحيان — مع مصالح دول الاستعمار بشقيه : السافر والمقنع ... وبالتالي تثبت ان ما يحرك الانسانية في مسيرتها المقدسة اسمى وانبل مما اوهمتنا به الماركسية سابقا ، وتحاول أن تلقي في روعنا حاليا ، وهي لا بد راجعة الى سواء السبيل رغم الانحرافات التي لازمتها طويلا على درب المسيرة الرائعة .

وقد كان ماركس رغم تمجيده للصراع العنيف ومناداته في غالب الاحيان بالعنف الثوري لا يعطف على العصاة والفوضويين والثوريين الذين لا يرون الثورة ناجحة بغير اراقة دماء مناهضيها . ان الماركسية — بوجهها القديم — كانت لا ترى مانعا من العنف بكل اشكاله : الحرب ، التخريب ، التعذيب ، الاغتيال ، الارهاب ... ولكن ذلك كله يمكن أن تتخلى عنه ان امكن العمل بدونه ، وكان دعاتها المروجون لها ينادون بالسلام وبالتعايش السلمي قناعا يغلف اطماعهم ، وفي سنوات ما بعد الحرب الاخيرة جعلوا من حمامة بيكاسو رمزا وشعارا لدعايتهم .

اما الماركسية بقناعها التحرري الجديد فقد مجدت العنف ، وها هو « هوبرت ماركوز » يكتب قائلا : « هناك في المصطلح التاريخي فرق بين العنف الثوري وبين العنف الرجعي ، بين العنف الذي يمارسه المظلومون وبين العنف الذي يمارسه الظالمون ، وكلا نوعي العنف في المصطلح الاخلاقي غير انساني وشر ، ولكن متى اتبع التاريخ المقاييس الخلقية ؟ »

ان نظرة الانسان الغربي للحياة على أنها « صراع بطولي بين الانسان وبين القوى المجهولة التي تسيطر على العالم » ما هي الا انحراف رهيب تحاول به قوى الشر المظلمة التي تود السيطرة حقا على العالم ان تنفي عنه فكرة عبوديته لله وحده فيتحرر ويحطم قيوده التي تحول بينه وبين الغاية الاولى والاخيرة من وجوده ، وتعبده لمثله من البشر أو لفكرة ضالة أو لمادة عمياء ... الخ .

ان الغرب — ومن يدور في فلكه — في خضوعه لهذه النظرة الضالة المضللة اشبه بمن هو تحت تأثير مفعول مخدر قوي سلبه قدرته على التمييز والحكم بين النافع والضار والصالح والطالح ، ولو دققنا النظر لوجدنا بعض اوجه التقارب في أسباب انتفاضات الشباب الماركسي الاخيرة في الشرق والغرب وبين اسباب ظهور « الهيبة » — رغم الاختلاف الشديد الشاسع بينهما — في عدة امور :

1 — بغضهما المشترك للبورجوازية الراسمالية .

2 — بغضهما لكل قديم ، وافتتانهما بكل جديد .

3 — اتفاقهما على براءة الانسان وطهارته وبطولته ، لانه يقبل العيش في عالم من المتناقضات الحادة .. عالم يثير من التساؤلات اكثر مما يقدم من الاجوبة المقنعة .

4 — اتفاقهما على بغض القيود الخلقية المرتكزة على اي اساس يمت الى الدين بصلة .

5 — ايمانهما العميق بروح الصراع بين المتناقضات التي تسود العالم .

وباختصار ان النظرة الجاهلية الى الحياة نبعت من الحضارة اليونانية الوثنية القائمة على فكرة (التناقض او التقابل) ، وقد بدات — كما راينا — بالصراع المحتدم بين آلهة « الاولمب » ، ثم دخل الانسان طرفا في الصراع ، ثم استحال هذا الصراع اخيرا الى مفهوم ايديولوجي قائم على روح المنافسة في النظام الليبرالي ، ثم اقتضت « روح العصر » ان يتحول الصراع الى ثورات دامية عنيفة تقوم بها الجماهير المسحوقة المغلوبة على امرها لتستخلص حقها بالعنف الدموي ممن اغتصبه منها ...

3) معنى اليمين واليسار في الاسلام :

نظرة الاسلام ترى في الناس فئات ثلاثا : 1) السابقون ، 2) أصحاب اليمين ، 3) اصحاب الشمال .

1) السابقون هم الطليعة من عباد الله الذين خلصت نياتهم وصلحت اعمالهم ، وكانت كل خطوة من خطواتهم عبادة خالصة مخلصة لرب العباد . انهم

الرسل والانبياء والشهداء والاولياء ، هداة البشرية وقادتها وروادها ، خصهم الله بالفضل العميم ، واعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى جنة النعيم .

2) اصحاب اليمين هم الذين آمنوا واهتدوا وساروا على النهج الذي خطه لهم ربهم فى كتبه التي وصلت اليهم عن طريق الرسل ، فقاوموا الضعف البشري الذى كان يركسهم فى بعض الاحيان فى حماة الضلال ، ان رؤيتهم السليمة (للحياة) ترى أن وحدة خالقها تجمع شمل عناصرها ومكوناتها فى اتحاد شامل فعال لطيف خفي ، لا تراه الا البصائر المفتوحة والعقول المستنيرة التي تؤمن بالغيب لانها ترى ان ايمانها به لا ينافي ما فى طبيعة وجودها من قصور ونقصان يكملها ذلك الايمان ويمنحها العزاء والصبر والثبات فى الملمات ، انها ترى ان (صراعها الحقيقي) مع قوى الشر التي لا ترى الدنيا جميلة الا اذا اصطبغت بصبغة الطغيان وسادت فيها روح الشيطان . انهم الذين يلقون ربهم وكتابهم بيمينهم ، نفوسهم مطمئنة راضية مرضية تنعم بالامن والسلام فى دار السلام .

3) اصحاب الشمال هم الذين غاصوا الى اذقانهم فى الوحل .. الطغاة البغاة .. الضالون المضلون الذين راوا الحقيقة امامهم ساطعة وهاجة ، فغشيت عنها أبصارهم وعميت قلوبهم ؛ وران على عقولهم الجهل والظلام ، ومرضت قلوبهم فزادهم الله مرضا بما كسبت أيديهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا لانفسهم ظالمين .. انهم فى الجحيم يسقون من الحميم ويستظلون باليحموم ويطعمون من الزقوم .

يرى القارىء الكريم معي هذا المفهوم السمح الذي يحدد به القرآن الكريم أصحاب اليمين واصحاب الشمال من البشر يوم القيامة .. يوم الدينونة .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

ولو رجعنا الى حديث سيد الاولين والآخرين فسنجد ـ الى جانب المفهوم القرآني الاول ـ مفهوما آخر لا يناقض الاول ولا ينفيه .. ولكن كلا منهما يوضح جانبا من الجوانب الدينية التي ينبغي للمسلم أن يعلمها ويعمل بها حتى يتقي عذاب ربه وينال رضاه فى حياته الدنيا والاخرى ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا » .

هذا هو المفهوم السمح اللطيف الذي نراه فى القرآن والسنة عن معنى اليمين واليسار فى الاسلام .. ولكن (تطلعاتنا) الى ان ننهل ونغترف من النظريات الضالة التي تسود عند غيرنا من الامم المعتلة ، وشعورنا بالخذلان امام الاقوام الذين سبقونا فى ميدان العلم المادي ـ بعد ان اخذوا بالاسباب التي تؤدي اليه وتخلينا عنها نحن ـ جعلانا نستورد منهم كل انظمة الحياة عندهم ، محاولين فى نفس الوقت ايهام انفسنا ان ذلك لا يخالف النظام الكامل الامثل الذي اخذناه عن الله سبحانه ، فما احسنا تطبيقه ولا العمل به .

حين كانت « روح العصر » تسودها « الفردية » كنا امناء على تطبيق ذلك النظام الضيق على أرض الاسلام ، وحين بدلت « روح العصر » موضتها وتحولت الى النقيض هللنا واستبشرنا وتفاءلنا بالخلاص من الكروب والنكبات التي نزلت بأرض الاسلام وقصمت ظهر المسلمين .

انظمة الحياة فى العالم الاسلامي كلها مستوردة من الخارج ، من الغرب الذي يسوده التناقض والصراع كما عرفنا آنفا ، تخبطات « الصرع » التي تعانيها المجتمعات الغربية اصبنا منها بالعدوى نحن ايضا فى مجتمعاتنا الاسلامية ، فاستورد كل مجتمع مسلم النظام الدخيل الذي يراه صالحا للتطبيق فيه حسب ما تمليه المصالح والاهواء والثقافة السائدة الرائجة ، وهو فى غالب الاحيان مغلوب على امره خاضع « لروح العصر » .

وقد شاءت « روح العصر » هذه ، ولا مرد لمشيئتها ـ فى أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ـ ان تستورد اغلب مجتمعات المسلمين النظام الليبرالي ، وان تفصل منه على قدر الروح القومية السائدة فى كل مجتمع مسلم ، فان فتح احد المسلمين فمه بالاحتجاج على هذه النظرة الضيقة الضالة ، القموه احجار « حرية العقيدة » و « الدين لله والوطن للجميع » و « فصل الدين عن الدولة » ، فان التقمها وهضمها دخل فى دواليب المجتمع كاحد الاركان والدعائم الاساسية، وان لم يستسغها ولفظتها معدته فما عليه الا ان يغلق فمه وينزوي صامتا ، والا فان حماة الحرية ودعاتها سيكونون له بالمرصاد يحصون عليه حركاته وسكناته بل انفاسه ، فان اشتموا منه ولو القليل من التذمر اخرسوه باي وسيلة من الوسائل ... وهكذا انزوى الاسلام فى ركن الاحوال الشخصية والعبادات الشكلية ، وافرغ من محتواه الحركي الحي

الذي يبني الامة المثلى ، خير أمة أخرجت للنـــاس ، الامة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وتجاهد في سبيله بكل غال ونفيس ، ولا ترضى بالدنية في دينها ودنياها ، فتدنت هذه الامة الى الدرك الاسفل من الانحطاط،الى الحضيض الذي ليس بعده حضيض، واصابها الله بالنكبة القاصمة ، سلط عليها احقر عباده الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، يسومونهم الخسف ضروبا ويذيقونهم الـــذل الوانـــا .

وبدات الامة تدرك الكارثة التى حاقت بها، واخذت تتطلع الى الخلاص .. ولم تجده لشقوتها في كتاب الله وسنة رسوله ، لقد اتجهت الى اليسار ، مستلهمة (روح العصر) ومتأثرة بالموجة العارمة التي تعم العالم المنكوب بهذه الظاهرة اليسارية التي تسللت في غفلة من الحراس الامناء لهذه الامة ، أو على الاصح في وقت كانوا فيه اعجز عن مقاومتها لان كل قوى الشر قــد تكالبت عليهم محاولة سحقهم مستهدفة القضاء المبرم عليهم ، وقوى الشر والدمار هذه تتمثل في المخدوعين من قلب امة الاسلام ومن بين ابنائها انفسهم ، اقتبسوا هذه الظاهرة الغربية عن طريق التقليد الاعمـــى دون تفكير او تمحيص ، يساعدون بذلك الاعداء التقليديين لهذه الامة ــ عن قصد او غير قصـــد ــ الاستعمـــار الغربي الامبريالي ، أو الشيوعي الاحمر ، وهؤلاء كلهم أدوات مسخرة في يد الصهيونية العالمية التي تستهدف التوسع الاستيطاني في قلب المجتمع المسلم كـــورم خبيث يسمم جسم الامةالاسلامية ويقتل طاقاتها ويهدم مقوماتها ، وما ذلك الا لتحرم العالم خير امة فيه ... الامة التي لا تقوم على العرق ولا التسلط .. الامة التي اختارها الله لتحرر الانسان من الطواغيت سواء كانوا بشرا او مبادىء هدامة .

وبتبني المسلمين للظاهرة اليساريـــة عمـــت المصائب وتوالت النكبات وتفاقم الخطب .. فمتـــى يرعوي المتنطعون ويتجهون الوجهة السليمة ؟

ان الله أكرم المسلمين تكريما عظيما بأن حملهم مسؤولية الشهادة على الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدا عليهم ، وهو عليه الصلاة والسلام المثل الاعلى لكل انسان يود ان يعيش حياته على أساس من الحق والعدل ، مستهدفا الخير العام لكـــل النـــاس وهدايتهم الى الطريق المستقيم ، وحين تمثلنا هذا النهج القويم في جميع امورنا الدينية والدنيوية كنـــا الامة الوسط ، خير امة اخرجت للناس ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لا غاية لها من وراء ذلك الا جلـــب النفع للبشر ، كل البشر ، ودفع الضرر عنهم .

وشهادة الرسول على هذه الامة تتمثل في ان كل مؤمن حين يمارس شؤون حياته تكون كل حركة مـــن حركاته وكل سكنة من سكناته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، المنبع الثر لكل سلوك حســن وعمل صالح . وشهادة الامة الاسلامية على الناس تأتي من انها الامة التي تقيس كل الامم انظمتهـــا واعرافهـــا وتقاليدها عليها ، فيتبين لها فيها وجـــه الانحـــراف والضلال ، فتاخذ نفسها بالاستقامة والتقويم ، ولكن العكس هو ما نراه .

4) معنى اليمين واليسار في الفكر الجاهلي :

كنت اتحدث الى احد « اليساريين » ، والحديث ذو شجون ، وتطرق بنا الحديث الى الكلام عن صـــدر الاسلام ، وبالضبط الى عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فاذا بالاستاذ يتكلم عن هذا الانسان العظيم كلاما اقل ما يوصف به انه لا يمكن أن يصدر عن مثقف يحترم رأيه ، لقد « وصمه » وبكل بساطة وبرود بأنه (يميني) ، لم يثرني الوصف نفسه بقدر ما أثارتنـــي اللهجة التي نطق بها .. وارغمت نفسي على ان « احاربه بسلاحه واقتله بسمه كما يقولون » فقلت له : « الا تعلم ان عمر ــ رضي الله عنه ــ قد سبق الى كثير مـــن الاصلاحات والاجراءات التي تعد بالقياس الى عصرنا هذا متطرفة في « ثوريتها ويساريتها » ؟ ولم يكتـــف بذلك بل انه في أواخر حياته كان يأسف كثيرا على انه لم يأخذ من فضول أمـــوال الاغنيـــاء ليـــردها على الفقـــراء ... ؟ »

ودفعني هذا الحديث الى الاستزادة من المطالعة في كتب « اليساريين » بحثا عن المعنى المحدد الذي يتناسبه لفظ « اليمين » أو « اليسار » . واخلاصـــا للحق أقول انني ما وجدت ما يقنعني ولا يشفي غلتي .

فكلمة اليسار اطلقت ــ أول ما اطلقـــت ــ على حزب المعارضين في البرلمانات الفرنسية الذي كان اعضاؤه يقعدون على يسار منصة الرئاسة ، فان اخذنا بهذا التعريف فاننا سنقع في نوع من الارتباك بيـــن مفهوم « المعارضة » ومفهوم « اليسار » ، في حين ان المعنى اليساري مستقر نوعا ما ، بينما نجد ان معنى المعارضة يتارجح تبعا لوجود الحزب الذي تنتمي اليه في الحكم او خارجه .

فاذا حاولنا أن نلقي نظرة خاطفة على الجماعات المتعددة اليسارية عبر تاريخها القصير – في بلاد الغرب مهدها الاول طبعا – بحثا عن خط الوحدة الذي يجمعها ، نجد أنه من الاجدر بالباحث ان يحصي أوجه الخلاف والاختلاف ، من أن يحاول التنقيب عن وجه للاتحاد ، فهو لن يتمكن حتى من اختلاقه ، فقد ظلت الشعارات التي تطرحها الاحزاب اليسارية تتغير من حين لآخر ، اما برامج تنفيذ تلك الشعارات فهي لم تعرف الثبات أبدا ، فان ابدى أحد مكابرة أو عنادا فاني اناشده الحق أن يوضح لي – لوجه الحق – نوع الوحدة بين يساري يؤمن بالاتجاه المتمهل الوئيد – عن طريق المؤسسات الدستورية القائمة – نحو تحقيق الاشتراكية ، وبين حزب لا يرى تحقيق الاشتراكية الا بالطفرة والثورة . . . ! بين حزب يساري ناضل فى الماضي من أجل حكومة (برلمانية ديمقراطية) ، وبين حزب يساري آخر يناضل الان من أجل خلق حكومة (ديمقراطية شعبية) .

فى البيان الشيوعي نادى « ماركس » ورفيقه « انجلز » عمال العالم بأن يتحدوا . . . وفى جميع مؤتمرات الاحزاب اليسارية نودي بضرورة الوحدة والتكتل ، ولكن ماذا نرى ؟ نرى الوحدة املا خرافيا سود آلاف الصفحات وخطته الاف الاقلام ولهجت به آلاف الالسن وخفقت به آلاف القلوب ، ولم يتحقق مرة واحدة على صعيد الواقع ، نرى اليسار الذي يدعو الى الوحدة مبعثرا ، فوضويا ، معقدا ، تعددت به الاسباب وموته واحد .

فى البلد الواحد نرى الجماعات اليسارية تتنافس فيما بينها للاستحواذ على الحكم ، وتحارب بعضها طمعا فى الاستئثار بمغانم السلطة ، وتختلف على شكل نظام الحكم الذي يصلح للبلاد ، وتتنازع على الوسائل والسبل التي يراها كل منها الاصلح لتحقيق الحكومة المثلى فى البلاد ، فان وقع ائتلاف – وقلما يقع الا اذا كان اليسار مبعدا عن الحكم – وقفز جناح من اليسار الى الحكم خاصمته الاجنحة الاخرى ، لانها لا تتفق معه على الاصلاحات التي اتخذها ، لانها ترى انها اقصر مدى مما كان يمكن ان يحققه ، ومما تدعو اليه شعاراته .

يتبع

الرباط : عبد الله كديرة

حالة المسلمين الديموغرافية

في البلاد الواقعة تحت النفوذ الشيوعي

للدكتور علي المنتصر الكتاني

يعيش اليوم تحت النفوذ الشيوعي ما يقارب سبع الامة الاسلامية أو ما يعادل 100 مليون من اخواننا . وقع هؤلاء المسلمون تحت النفوذ الشيوعي في ظروف متفاوتة . فالاتحاد السوفياتي مثلا ورث مسلميه عن الامبراطورية الروسية القيصرية التي فتحت دولا اسلامية عدة واستعمرت أراضيها . اما الصين فالمسلمون يكونون فيها أقليات مهمة على مر العصور وفي شتى انحائها . فوقع هؤلاء مع من وقع من سكان الصين تحت النفوذ الشيوعي عام 1948 م ، غير ان مسلمي مقاطعة التركستان الشرقية أو « سينك يانك » كما يسميها الصينيون (اي المقاطعة الجديدة) كانوا يكونون دولة بمفردهم غزتها الصين واخضعتها . اما مسلمي دول البلقان فهم ما تبقى من انحسار الدولة العثمانية في اواخر القرن الميلادي الفارط واوائل هذا القرن . اما عدد المسلمين في كل دولة ونسبتهم لمجموع السكان فهي موضحة في الجدول التالي لعام 1391 هـ .

الدولة	مجموع السكان بالملايين	عدد المسلمين بالملايين	نسبة المسلمين المائوية
الصين	720 ر 00	60 ر 00	8 ر 3
الاتحاد السوفياتي	241 ر 08	36 ر 00	13 ر 6
يوغوسلافيا	20 ر 50	3 ر 10	15 ر 1
البانيا	2 ر 08	1 ر 47	70 ر 7
بلغاريا	8 ر 52	1 ر 45	17 ر 0
دول اخرى	—	0 ر 80	—
المجموع	—	103 ر 00	—

حالة المسلمين فى الصين مشكلة قائمة بنفسها وفى غاية الاهمية ، وهي تستحق دراسة مستقلة وسوف لا نتطرق لها فى هذا التقرير . سنكتفي هنا بدراسة احوال المسلمين الديموغرافية فى البلدان الشيوعية الاوروبية وهي :

ا ــ الاتحاد السوفياتي
ب ــ يوغسلافيا
ج ــ البانيا
د ــ بلغاريا

ويجدر بنا ان نذكر ان هناك جاليات اسلامية فى البلدان الشيوعية الاخرى . ولكن هذه الجاليات صغيرة ولا تضاهي أهمية الجاليات فى البلدان الاربع المذكورة اعلاه . وأهم هذه الجاليات توجد فى رومانيا (حوالي 70.000 مسلم اليوم) ، حيث للمسلمين مفتي أعلى يقطن مدينة كونسطانطة . فلقد كان عدد أفراد هذه الجالية 260.000 نسمة عام 1939 م غير ان هذا العدد انخفض الى 5.000 فقط (ومعظمهم من الاتراك والتتار) عام 1958 م . معظم المسلمين كانوا يسكنون فى الاراضي التي استولى عليها الاتحاد السوفياتي من رومانيا بعد الحرب العالمية الثانية . وهناك حوالي 15.000 مسلم تتاري فى بولندا وبضعة الاف فى المجر والمانيا الشرقية ، وتشيكوسلفاكيا ، وهم كذلك اتراك .

ا ــ الاتحاد السوفياتي

1 ــ لمحة تاريخية :

عندما زار الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري الذي يوافق القرن الرابع عشر الميلادي الاراضي التي تكون اليوم معظم الاتحاد السوفياتي ، كانت تلك الاراضي آنذاك تابعة لدول اسلامية او فى طريق اسلامها فى اوج قوتها وعظمتها . وكانت تلك الدول تركية اللغة حنفية المذهب ، أعظمها دولة السلطان محمد اوزبك وعاصمتها السرا على نهر اتل (نهر الفولكا اليوم) . اما الروس فكانت قبائل مغلوبة على امرها يقول ابن بطوطة انهم « نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور اهل غدر » .

وبعد حوالي القرن من تلك الزيارة صارت موسكو مركز ولاية روسية صغيرة تدفع الجزية لسلاطين الترك التتار الذين كانت عاصمة دولتهم قازان على نهر الفولكا قرب مدينة بلغار التي زارها ابن بطوطة . لكن مع مر الايام قويت تلك الولاية الضعيفة وترعرعت حتى غزت دولة التتار واحتل الروس عاصمتها قازان عام 1552 ميلادية تحت زعيمهم ايفان . فوقع اول قوم مسلمين حينذاك تحت براثن الاستعمار الروسي وذلك منذ 420 سنة بالضبط ، اي ستون سنة بعد غزو الاسبان لغرناطة .

وبقاء التتار مسلمين الى يومنا هذا برهان على ان الاستعمار الروسي القيصري رغم شراسته وشناعته لا يضاهي فى تعصبه الاستعمار الاسباني للاندلس ، الذين انقرضوا نهائيا كامة بعد بضع عشرات من السنين فقط من غزو غرناطة . نعم أرغم الكثير من المسلمين صبيحة غزو قازان على التنصر قهرا ، وطرد المسلمون من مدنهم الى الصحاري والقفار ، وصودرت اموالهم . لكن بعد أجيال عاد احفاد المتنصرين للاسلام تحت مرأى مستعمريهم ومسمعهم حيث انهم كاخوانهم الاندلسيين بقوا يقومون بشعائرهم الدينية خفية رغم القهر والقتل . وعاش اخواننا المسلمون التتار فى هذه الحالة أربعة قرون ورغم ذلك كان فى عام 1897 ميلادية فى محافظة مدينة اوفة وحدها 1555 مسجدا و 6220 مدرسة اسلامية . ولم يصل القرن العشرون الا واسلام التتار اقوى واشد مما كان عليه من قبل .

ووقعت اراضي المسلمين بعد سقوط قازان الواحدة تلو الاخرى فى قبضة الروس . ففي عام 1783 احتل الروس شبه جزيرة القرم . ثم وصل الروس الى كرغيزيا فى اواخر القرن الثامن عشر ، وجبال القفقاز فى أوائل القرن التاسع عشر . ثم تلى ذلك احتلال والتركستان مع مدنه الشهيرة بخارى ومرو وترمذ وسمرقند ، وكان ذلك بين سنة 1847 و سنة 1881 . وتبع ذلك استعمار للارض بعد طرد سكانها الاصليين . فمثلا كان عدد مسلمي القرم نصف مليون عام 1783 فنزل الى مائة الف عام 1862 . وتتابعت الثورات ضد الاستعمار الروسي التي كان يقودها علماء المسلمين وابرزهم الامام شامل وأوزون حاجي .

2 ــ بعد الثورة الشيوعية :

وقبيل الثورة الشيوعية بقليل كان المسلمون فى حالة انتعاش روحي وانبعاث اسلامي عظيم . فقازان نفسها صارت عند ذلك مركزا لجامعة اسلامية تضم سبعة الاف طالب ومطبعة اسلامية طبعت مليوني ونصف مليون نسخة من 250 كتاب فى سنة 1902 وحدها ، ومكتبة اسلامية يزورها عشرون الف قارىء فى السنة وتكاثر بناء المدارس الاسلامية والمساجد حتى صار لكل الف مسلم مسجد . وهذا رغم اضطهاد الروس

وغلبتهم . واخذ المسلمون يفكرون فى الاستقلال بأنفسهم .

واذا بالثورة الشيوعية عام 1917 تاتي بوضع جديد . فثار المسلمون فى مناطق متعددة على الاستعمار الشيوعي الجديد . فثار البشكير ، وثار تتار القرم تحت زعيمهم شلبي ، وثارت بخارى تحت اميرها سعيد عالم .

وعند ما فشلت تلك الثورات جاء امير التتار السيد السلطان علي اوغلي الذي يسميه الروس سلطان عالياف ، بفكرة جديدة وهي جمع الاراضي الاسلامية فى دولة واحدة تندمج فى الاتحاد السوفياتي على مستوى واحد . فسجن عام 1923 واعدم عام 1937 رحمه الله « كعدو للشعب ! » .

فاتبعت الحكومة الشيوعية سياسة جديدة ، وهي تجزئة وحدة المسلمين الى وطنيات مصطنعة فى وحدات جديدة . وقضت على اللغة العربية وحروفها وتابعت سياسة هجوم مستمر على الدين الاسلامي وحضارته. فجعلت لكل جماعة يتكلمون لغة او لهجة قومية قائمة بهم ثم اخذت تنقل الروس الى الاراضي الاسلامية لجعل المسلمين مع مر الايام اقليات فى عقر دارهم .

3 — حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1897 و 1939 :

مرت على مسلمي الاتحاد السوفياتي فى هذه الفترة مراحل قاسية . وكان لذلك تاثير سيء على حالة المسلمين الديموغرافية . فلقد قتل الروس مئات الآلاف من المسلمين البشكير والكرغيز اثر ثورتهم عام 1917 . ومات مليون من المسلمين الكزاخ والكرغيز اثر مجاعات 1921 التي اصطنعها الشيوعيون ثم استشهد حوالي مليون مسلم كزخي آخر عام 1926 عندما صادر الشيوعيون ماشية رجال الكزاخ الرحل لتطبيق مبادىء الشيوعية ، فمات جوعا ربعهم . فاتى عندئذ الشيوعيون بمعمرين روس ليحلوا محلهم .

ففي عام 1897 كان عدد مسلمي الامبراطورية الروسية 16 مليون مسلم من مجموع 127 مليون نسمة اي كانت نسبتهم حوالي 12,6 فى المائة . وبعد 42 سنة لم يصل عدد مسلمي الاتحاد السوفياتي الا الى 21 مليون فى عام 1939 م . اي نزلت نسبتهم الى 11,3 فى المائة من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي . ويعني ذلك انه لم تكن زيادتهم فى ظرف 42 سنة الا 32 فى المائة بينما ازداد غيرهم بنسبة 35 فى المائة فى نفس المدة . وهذه تعد نتيجة حسنة بالنسبة للمحن التي مروا بها فى تلك الفترة .

4 — من هم مسلمو الاتحاد السوفياتي ؟

فى احصاء عام 1897 الذي اجراه الحكم القيصري كان يسأل السكان عن دينهم وبذلك عرفنا ان عدد المسلمين كان حينذاك 16 مليون . اما فى الاحصاءات التي اجريت فى العهد الشيوعي فلم يكن لهذا السؤال وجود . ففي المادة 124 من الدستور السوفياتي لعام 1936 قيل بالحرف الواحد : « انه يسمح بحرية الطقوس الدينية والدعاية اللادينية » . ولكن فى الحقيقة شجعت الدولة الهجوم الرسمي على الدين وخاصة الاسلام واخذت منه كل امكانيات الدفاع عن النفس . وفى الوقت نفسه غزت اللهجات المحلية فاخذت تكتب بحروف روسية واخذت الكلمات الروسية تخلف الكلمات الفارسية والعربية بالمئات . وعمل الشيوعيون على طمس حتى تاريخ الشعوب الاسلامية الوطني بحجة انه تاريخ مظلم لا يستحق الانتباه . ومع ذلك سمح للمسلمين بتكوين اربع مناطق على كل منطقة منها مفتي :

1) آسيا الوسطى ، 2) شرق روسيا وسيبريا ، 3) جبال القفقاز ، 4) شيخ الاسلام لشمال القفقاز . لكن لم تكن للمسلمين اي حرية صحيحة فى القيام بشعائرهم أو تعليم اولادهم ، ومنعوا من الحج كذلك .

فمن الصعب فى هذه الظروف تحديد من هو المسلم . لكن من حسن الحظ يسأل الاحصاء الشيوعي عن قومية السكان ، وبما أن الاقوام المسلمين معروفون كان من المكن استخلاص عدد المسلمين من الاحصائيات الرسمية بدقة جيدة .

تنقسم الشعوب الاسلامية فى الاتحاد السوفياتي الى قسمين :

القسم الاول : وهو الاهم عددا ، يتكون من المسلمين الذين يتكلمون لهجات تركية ، والقسم الثاني يتكون من غير هؤلاء . واغلب هؤلاء المسلمين سنيون على المذهب الحنفي ، وبعضهم خاصة فى آذربيجان شيعيون جعفريون .

فالشعوب التي تتكلم لهجات تركية هي حسب اهميتها العددية اليوم : الاوزبك ، التتار ، الكزاخ ، الاذربيجانيون ، الكرغيز ، التركمان ، البشكيز ، القاراقلباك ، البلكار ، القارتشاى ، القارانغيس .

اما الشعوب التي لا تتكلم اللهجات التركية فهم : التاجيك ، التشيشين ، الانكوش ، القابرديون ، الاجار ، الابهازيون ، الاديغيون ، الشركس ، الداغستانيون ، الاودمورت ، المجرى . اما الاوسيت والتشوفاش فالمسلمون فيهم يكونون نسبا كبيرة .

4 — حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1939 و 1971 م :

في الجدول التالي نوضح اهم الشعوب الاسلامية مبينين قيمتها العددية ونسبة ازديادها بين سنتي 1939 و 1971 :

اسم المجموعة	عدد الافراد عام 1939	عدد الافراد عام 1971	نسبة الزيادة المئوية	عددهم من بين كل الف مسلم عام 1939	عددهم من بين كل الف مسلم عام 1971
الاوزبيك	4 845 000	9 200 000	90	231	256
التتار	4 300 000	5 900 000	37	205	164
الكنزاخ	3 098 000	5 300 000	81	147	147
الاذربيجانيون	2 274 000	4 400 000	94	108	122
التاجيك	1 200 000	2 100 000	75	57	58
الكرغيز	884 000	1 500 000	79	42	42
التركمان	811 000	1 500 000	85	39	42
البشكير	843 000	1 200 000	42	40	33
باقي المسلمين	2 745 000	4 900 000	77	131	136
مجموع المسلمين	21 000 000	36 000 000	71	—	—
غير المسلمين	149 500 000	205 800 000	38	—	—
نسبة المسلمين المئوية	11ر3	13ر6	—	—	—

نرى ان حالة المسلمين الديموغرافية تحسنت تحسنا هائلا منذ 1939 قبيل الحرب العالمية الثانية الى اليوم . وهذا صحيح بالنسبة لجميع الشعوب الاسلامية ، حتى الكنزاخ والبشكير الذين قل عددهم بين عامي 1897 و 1939 من جراء الاضطهاد والتشريد فاعلى نسبة ازدياد بين المسلمين كانت بين الاذربيجانيين (94 في المائة) ويتبعهم مباشرة اكثر الاقوام الاسلامية عددا وهم الاوزبيك الذين ازداد عددهم بنسبة 90 في المائة . اما معدل ازدياد المسلمين العام فكان 71 في المائة في الوقت الذي لم يزد فيه غير المسلمين في الاتحاد السوفياتي الا بنسبة 38 في المائة . وهذه هي نسبة ازدياد أقل الشعوب الاسلامية تزايدا التتار . غير ان هذه الظاهرة عند التتار لم تكن الا موقتة بسبب الاضطهاد الذي حل بهم عندما اتهمهم الشيوعيون بالتعاون مع الالمان في الحرب العالمية . فشردوهم وقتلوهم والغوا احدى جمهورياتهم وهي جمهورية القرم واجلوا جميع أهلها عنها . فهاجر منهم الكثير الى خارج الاتحاد السوفياتي . وتوجد منهم اليوم جاليات متعددة في أوربا الغربية وفي أمريكا . فاذا راينا احصاء 1959 نرى ان عدد التتار كان 4 970 000 فقط ، اي لم يزد عددهم بين 1939 و 1959 الا بنسبة 15ر5 في المائة ، بينما ازدادوا بين عام 1959 وعام 1971 بنسبة 19 في المائة .

وهذه الحالة الديموغرافية خلقت وضعا جديدا بالنسبة لمسلمي الاتحاد السوفياتي . فنسبة المسلمين في ظرف 32 سنة ازدادت من 11ر3 في المائة الى 13ر6 في المائة . اي صارت نسبتهم اعلى مما كانت عليه في احصاء عام 1897 وذلك رغم اكتساب الاتحاد السوفياتي لمناطق غير اسلامية

جديدة بعد الحرب العالمية الثانية . ولهــذه الزيادة الديموغرافية نتائج طيبة أخرى ندرسها فيما يلي :

5 ـ تنظيم المسلمين السياسي في الاتحاد السوفياتي :

جزأ الشيوعيون المسلمين الى قوميات متعددة. واهم هذه القوميات اسست لها جمهوريات فدرالية . ويتكون الاتحاد السوفياتي من 15 جمهورية فدرالية منها ست جمهوريات لقوميات اسلامية . اما القوميات الاسلامية الاخرى فلقد جمع أهمها في 11 جمهورية ذات حكم ذاتي ، منها 9 في جمهورية روسيا واثنان في جمهورية جيورجيا (وهي ابخازيا واجاريا) . وكونت للقوميات الاقل اهمية مناطق ذات حكم ذاتي . وتوجد 3 مناطق من هذا النوع لقوميات مسلمة ، اثنان منها في جمهورية روسيا (اديغيا ومنطقة الشركس) والثالثة في جيورجيا (منطقة الاوسيت الجنوبيين) . امـا جمهورية القرم فلقد الغيت نهائيا كما قلنا ، واجلي عنها اهلها بعد الحرب العالمية الثانية . وهـم يطالبـون بالرجوع اليها الى يومنا هذا . وهناك جماعات اسلامية كثيرة خارج هذه المجموعات الادارية ، فمثلا يوجـد مسلمون كثيرون في جميع مدن الاتحاد السوفياتي ، اما سكان بعض المدن كمدينة الحاج ترخان آسترخان فمعظمهم مسلمون .

وكل هذه التجزئات انما هي شكليـة وغايتهـا ادارية . فاللغة الروسية جعلت في الواقع لغة رسمية بينما لم يترك للغات الوطنية الا اهمية ثانوية . امـا الوزراء في الجمهوريات الفدرالية فالذين لهم الحـل والعقد منهم روسيون وليس لابناء البلد تأثير فعلي على ما يجري في بلادهم .

ونبين في الجدول التالي الوحدات ذات القوميات الاسـلاميـة :

نوع الوحدة	الوحدة الادارية	عاصمتها	مساحتها بالكلم المربع	عدد السكان سنة 1971	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها
ج ف	كزاخستان	آلما آتا	2 750 000	13 070 000	1866	1936
ج ف	وازبكستان	طاشقند	450 000	12 300 000	1873	1924
ج ف	آذربيجان	باكو	87 000	5 219 000	1920	1936
ج ذ	بشكيريا	أوفة	143 600	3 838 000	1557	1919
ج ذ	تتاريا	قازان	68 000	3 165 000	1552	1920
ج ف	كرغيزيا	فرونز	198 000	3 000 000	1886	1936
ج ف	تاجكستان	دوشمبه	143 000	3 000 000	1873	1929
ج ف	تركمنستان	آشخباد	487 790	2 223 000	1873	1925
ج ذ	الداغستان	محج قلعة	50 300	1 457 000	1723	1921
ج ذ	اودموريتيا	ايجفسك	42 100	1 422 000	1560	1934
ج ذ	تشوفاشيا	شبوقساري	18 300	1 237 000	1552	1925
ج ذ	تشيشين ـ انكوش	غروزنـي	19 300	1 084 000	1850	1957
ج ذ	ماري	يوشكار ـ أولاف	23 800	687 000	1552	1936
ج ذ	القابرد ـ بلكار	نلتشيك	12 500	600 000	1557	1936
ج ذ	الاويت الشماليون	اردجونيكيدزي	8 000	560 000	1784	1936
ج ذ	ابخازيا	سخومي	8 600	489 000	1810	1939
م ذ	اديغيا	ميقوب	7 600	389 000	1878	1922
م ذ	قرتشاي ـ شركس	شركسك	14 100	347 000	1878	1957
ج ذ	اجاريا	باتومي	3 000	316 000	1878	1921
م ذ	الاوسيت الجنوبيون	تسخينوالي	3 900	100 000	1878	1922
—	المجموع	—	4 538 900	54 503 000	—	—

نستنتج من هذا الجدول ان مساحة الاراضي الاسلامية التي استحوذ عليها الروس تقارب ربع مساحة الاتحاد السوفياتي اذا عددنا معها الاراضي التي اخذت للمسلمين وضمت لجمهوريات اخرى . هذا رغم ان نسبة المسلمين لا تزيد على 13ر6 في المائة من مجموع السكان . وهذه المساحة لا تقل عن نصف مساحة العالم العربي باكمله وهي اخصب أراضي الاتحاد السوفياتي واكثرها غنى في المعادن والمناجم .

غير اننا اذا راينا عدد سكان هذه المناطق نجد انه يعادل 54 مليون ونصف مليون شخص . وهذا في حد ذاته برهان ساطع لمدى استعمار تلك الاراضي من طرف العنصر الروسي . وبما ان حوالي اربعة ملايين ونصف مليون مسلم يسكنون خارج تلك المناطق المذكورة في الجدول نرى ان عدد غير المسلمين الذين جاء بهم الروس والشيوعيون كمعمرين وعمالا يرتفع الى 23 مليون شخص ، ومعظمهم من الروس . فتكون نسبة المسلمين لمجموع السكان في الاراضي الاسلامية تعادل 57ر8 في المائة فقط . ولولا حالة المسلمين الديموغرافية الجيدة لصار المسلمون أقلية في عقر دارهم .

ومشكلة الاستعمار الروسي هذه في غاية الاهمية ويجدر بنا ان ندرسها بامعان . ولهذا سوف نقتصر على الجمهوريات الفدرالية وعلى الفترة بين سنتي 1939 و 1971 .

6 — الاستعمار الروسي للاراضي الاسلامية في الاتحاد السوفياتي :

لدراسة الحالة الديموغرافية للجمهوريات الفدرالية نقارن بين سنتي 1939 و 1971 في الجدول التالي :

الجمهورية	مجموع السكان سنة 1939	نسبة المسلمين المئوية 1939	مجموع السكان سنة 1971	نسبة المسلمين المئوية 1971
كزاخستان	6 150 000	50	13 070 000	43
اوزبكستان	6 280 000	93	12 300 000	84
آذربيجان	3 210 000	71	5 219 000	76
كرغيزيا	1 460 000	78	3 000 000	63
تاجكستان	1 490 000	96	3 000 000	82
تركمنستان	1 254 000	80	2 223 000	83
روسيا	109 280 000	4ر4	130 700 000	5ر8
يوكرانيا	30 960 000	2ر0	47 496 000	2ر0
جيورجيا	3 540 000	12ر0	4 740 000	15ر0
ارمينيا	1 280 000	15ر4	2 545 000	10ر3
باقي الجمهوريات	5 600 000	1ر0	17 500 000	2ر0

نرى في هذا الجدول ان نسبة المسلمين المئوية انخفضت في اربعة من الجمهوريات المسلمة الست بين سنة 1939 وسنة 1971 . ولم تزد نسبة المسلمين الا في آذربيجان وتركمنستان . ومما يدهش ان هذا الانخفاض العام حدث رغم ازدياد المسلمين النسبي الذي يفوق بكثير ازدياد السكان الغير المسلمين النسبي . والجواب على هذا التناقض الظاهر هو ان لا شك ان هجرة هائلة من غير المسلمين اتجهت الى تلك المناطق ، حتى صار المسلمون في اكبر الجمهوريات المسلمة اقلية اليوم ، وهذه الجمهورية هي كزاخستان . وهؤلاء المهاجرون أكثرهم من الروس .

ولنحاول الان ان نصل الى عدد الروس الذين هاجروا الى المناطق الاسلامية . ففي عام 1939 كان مجموع سكان الجمهوريات الست 19 844 000 نسمة وكان بينهم حوالي 14 766 000 مسلم و 5 078 000 من غير المسلمين . وفي عام 1971 صار عدد سكان الجمهوريات الست 38 812 000 نسمة من بينهم

فاذا اعتبرنا زيادة غير المسلمين الطبيعية يكون عدد من هاجر الى الاراضي الاسلامية بين عامي 1939 و 1971م 5 700 000 شخص مع اولادهم . وهذا رقم هائل يساوي ضعف عدد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين من أوائل القرن الميلادي الى يومنا هذا . وهذه الارقام يمكنها أن تعطينا نظرة مبسطة عن محنة اخواننا في تلك المناطق ، ولولا ازديادهم الطبيعي المرتفع لصاروا اقليات في أكثر من جمهورية واحدة .

وبقي لنا أن نجيب على سؤال واحد قبل ان نختم هذا البحث . اذا لم يكن هناك مهاجرون من خارج الاتحاد السوفياتي ، وحيث ان اكثر المهاجرين يقدمون من روسيا ، وبما ان نسبة ازدياد المسلمين اعلى من نسبة ازدياد الروس ، فسوف يؤدي ذلك الى ازدياد نسبة المسلمين في جمهورية روسيا نفسها . وذلك بالفعل ما حدث حيث ازدادت نسبة المسلمين في روسيا من 4ر4 في المائة الى 8ر5 في المائة ، كما ازدادت نسبة المسلمين في جمهورية جيورجيا من 12 في المائة الى 15 في المائة في نفس الفترة .

7 — تلخيص وتوصيات :

بايجاز نرى ان المسلمين يتزايدون في الاتحاد السوفياتي بسرعة تكاد تكون ضعف سرعة تزايد الروس وغيرهم من غير المسلمين . وهذا الوضع له تأثير حسن على ناحيتين :

1 — يرفع معدل المسلمين العام في الاتحاد السوفياتي .

2 — يخفض من ضغط الهجرة الروسية ويعين المناطق الاسلامية على الحفاظ على طابعها الاسلامي .

ومن ناحية اخرى وجدنا ان اكثر الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفياتي حيوية من الناحية الديموغرافية هم الاوزبك ، وهم اكثر عددا كذلك . وبهذا تكون اوزبكستان قلب الاراضي الاسلامية الخافق في الاتحاد السوفياتي . كيف لا وهي المنطقة التي لعبت دورا في التاريخ الاسلامي لا يستهان به وهي موقع مدن الاسلام الشهيرة كبخارة وسمرقند وطاشقند . ويتبع الاوزبك في الاهمية التتار وعاصمتهم قازان . ويجدر بنا ان تكن لهم الاحترام ونأخذ منهم درسا في الثبات والصمود حيث انهم الشعب الاسلامي الوحيد الذي ظل محافظا على اسلامه رغم اضطهاد متواصل وحرب على الدين دامت اربعة قرون . فهل يجوز لنا ان نعتقد بضياع دينهم بعد خمسين سنة فقط من الاضطهاد الشيوعي ؟ .

يتضح لنا من هذه الدراسة ان للمسلمين في الاتحاد السوفياتي مستقبلا لا ريب فيه . فلديهم الشرط الاساسي للبقاء وهو الحيوية الديموغرافية . فهل يمكننا ان نعينهم على اكتساب الشرط الاساسي للبقاء كمسلمين باعانتهم على معرفة ابسط تعاليم دينهم ؟ اسأل هذا السؤال ولا ادري بماذا اجيب في ظروف العالم الاسلامي الراهنة . ومع هذا اود ان اوصي بما يلي :

1 — تعريف المسلمين في شتى أنحاء العالم عن حالة اخوانهم في الاتحاد السوفياتي في الماضي وفي الحاضر . وذلك بترجمة الكتب التي كتبت عنهم الى العربية والى اللغات الاسلامية الاخرى وتوزيعها على الناس والقيام بدراسات جديدة عنهم .

2 — ادخال تاريخ مسلمي الاتحاد السوفياتي ضمن المناهج المدرسية مع التاريخ الاسلامي العام . ليأخذ الطالب عبرة من ذلك ودرسا في التضحية والشجاعة والصبر من اخوانه في العقيدة .

3 — محاولة اقناع الاتحاد السوفياتي — من طرف من يمكنهم ذلك — باعطاء حريات ثقافية ودينية اكثر للشعوب الاسلامية ، ومنها السماح لهم بالحج .

4 — القيام باذاعات دينية وثقافية موجهة نحو المناطق الاسلامية تبث بأهم اللغات الوطنية كالاوزبكية والتتارية والكزاخية والاذرية وكذلك باللغة الروسية .

5 — البحث عن الجاليات التتارية وغيرها في اوربا وامريكا واستراليا واعانة افرادها على الحفاظ على دينهم واعانتهم على التعريف بحالة اخوانهم داخل الاتحاد السوفياتي .

6 — اعطاء منح دراسية في العلوم الاسلامية لابناء الجاليات الاسلامية النازحة عن الاتحاد السوفياتي والمقيمة في بلاد الغرب . والله ناصر عباده الصالحين وهو القادر فوق عباده .

ب ـ يوغسلافيا

1 ـ لمحة تاريخية :

كانت قبائل اليرية تسكن الاراضي التي تكون اليوم يوغسلافيا في غابر الازمان . وقبل حوالي الفي سنة احتل الرومان تلك المناطق ، ودام ذلك الاحتلال حوالي اربعة قرون . وفي القرن الثاني للميلاد اخذت المسيحية تنتشر في أرض اليرية من روما ، ثم من القسطنطينية بعد ان انقسمت الامبراطورية الرومانية على نفسها عام 395 ميلادية .

وفي غضون القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) اخذت قبائل صقلبية (سلافية) تغزو مناطق اليرية حتى قضوا على الايريين الا في المناطق الجنوبية الغربية حيث ينحدر منهم اليوم الالبانيون . ومعظم سكان يوغسلافيا اليوم بما فيهم المسلمون البشناق ينحدرون من هؤلاء الصقالبة ، واسم « يوغسلافيا » يعني « أرض الصقالبة الجنوبيين » اما الصقالبة الآخرون فهم الروس واليوكرانيون والبولنيون والتشيكيون والسلفاكيون .

وكانت القبائل الصقلبية التي غزت اليرية من الشمال تنقسم الى مجموعات متعددة أهمها : السلوفين والصرب والكرواط ، واعتنق الكرواط والسلوفينيون المذهب الكاثوليكي بينما اعتنق الصرب المذهب الارثذكسي . وقامت معارك دينية طاحنة بين الصرب والكرواط كانت جبهتها هي أرض البشناق الجبلية .

وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تأسست دولتان حسب التجزئة الدينية ، احداهما دولة الصرب الارثذكس في الجنوب ، والثانية دولة الكرواط الكاثوليك في الشمال . اما بلاد البشناق فضلت منطقة نزاع بين الدولتين . وفي أوائل القرن السادس الهجري (عام 1137 ميلادية) غزا المجر بلاد البشناق ، غير ان هذا الغزو لم يطل حيث ان البشناقيين كونوا دولة قائمة بنفسها . وهذه الدولة ظلت محافظة على استقلالها الى ان فتحها العثمانيون في القرن التاسع الهجري (عام 1473 ميلادية) .

2 ـ اعتناق البشناق الاسلام :

لقد حافظ الشعب البشناقي على تقاليده القبلية ولم يقتنع بالنصرانية لا في مذهبها الكاثوليكي ولا الارثذكسي . وبقيت دولة البشناق تقف موقف الحياد بين نزعات الصرب والكرواط الدينية . واعانهم على ذلك موقعهم المنيع في جبال وعرة . فتكونت كنيسة مستقلة سميت بالكنيسة البشناقية . وهذه الديانة البشناقية الجديدة كانت في كل مظاهرها وعقائدها قريبة جدا من الدين الاسلامي . فأثارت حقد البابا وملوك المجر الذين حاولوا جهدهم ارغام البشناق على اعتناق مذهبهم الكاثوليكي .

فما هي خواص هذه الديانة البشناقية القديمة التي تسمى كذلك البوغوميلية والتي اعتنقها الالبانيون كذلك ؟ كان منبع هذا المذهب الجديد بلاد مقدونيا جنوب بلاد البشناق . وكان هذا المذهب يرفض مبدا النزاع بين الروح والمادة المسيحي ، ويرفض أكثر ما اتى به المسيحيون عن العهد القديم ، ويرفض تقديس البشر وعبادة الصليب ، وكذلك جل الطقوس المسيحية بما في ذلك التعميد . وكان البوغوميليون ينتقدون التنظيم الكنسي وتزيين الكنائس الزائد . وكانوا يرون في المسيحية السائدة ديانة شرك ويريدون الرجوع بها الى أصلها الصحيح . ولهذا يرفضون عبادة الصور ولا يعترفون بألوهية المسيح . واضطهد أصحاب هذا المذهب من كلا الطائفتين الارثذكس والكاثوليك . ولا شك ان هذه الديانة كانت ناتجة عن تأثير الاسلام الروحي قبل ان تصل الجيوش الاسلامية بكثير الى تلك المناطق . وللطرق الصوفية في ذلك العهد دور مهم في نشر الدعوة الاسلامية في الاراضي النصرانية خارج الحدود العثمانية . فدخلت عن طريقهم كلمات عربية الى لغة البوغوميلية الدينية ، وكانوا يسمون زعيمهم الاكبر « الجد » .

وفي هذه الاثناء اتى المسلمون العثمانيون من الشرق ففتحوا غاليبولي عام 1354 ثم درنة وفليبولي . فتوحد البيزنطيون والصرب والبلغار للوقوف في طريقهم ، لكنهم انهزموا هزيمة شنعاء في عام 1371 م . واخذت الدول الصربية الشمالية في الانضمام لبعضها للوقوف في وجه المسلمين ، لكنهم انهزموا جميعا عام 1389 م في منطقة كمسوفو جنوب يوغسلافيا . وبذلك انضمت جميع اراضي الصربية الى الدولة العثمانية ، فاصبح المسلمون على ابواب بلاد البشناق . ورغم ضعف دولة البشناق لم يفتحها العثمانيون واكتفوا باخذ جزية سنوية من ملوكها .

وداخل دولة البشناق ضل النزاع الديني على اشده . فلقد كان الشعب وزعماؤه الاصليون تابعين المذهب البوغوميلي بينما بقي ملكهم واتباعه كاثوليكيين . واخذ المبشرون الكاثوليك يأتون من كل مناطق أوربا لارغام البشناق على اعتناق دينهم . واخيرا قرر ملك البشناق القضاء نهائيا على المذهب البوغوميلي ، فوقعت معارك دامية وحرب اهلية طاحنة . واستنجد

زعيما البوغوليميين وهما فوكجيتش وبافلوفيتش بالمسلمين لنصرتهم . واخذ البوغوليميون يهربون بدينهم الى الاراضي العثمانية . فحينئذ قرر السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله ، فاتح القسطنطينية، فتح بلاد البشناق . وكان ذلك في ربيع سنة 1463 م (29 سنة قبل سقوط غرناطة) . وأعلن محمد الفاتح ان لا اكراه في الدين ، ومن اراد ان يتبع مذهبا من المذاهب فله ذلك . وبهذا ارتاح البوغوميليون من اضطهاد الكنيستين الشرقية والغربية .

وعندما اكتشف البوغوميليون مبادىء الدين الاسلامي الحنيف رأوا فيه الدين الحق ، فاخذوا يعتنقونه زرافات ووحدانا . ولم يمر قرن واحد حتى اعتنقوا الاسلام جميعا طواعية وباندفاع ، فصاروا من اقوى انصاره وأعز حماته طيلة الحكم العثماني . وكانوا الدرع الشمالي الحصين للدولة الاسلامية . وبرز منهم في الدولة العثمانية كثير من الوزراء والقواد والعلماء .

3 ـ حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1879 و 1931 :

وافتتح للبشناق عهد جديد ، فاخذوا يشيدون المدن التي لم تكن موجودة قبل ذلك ، وبعطوها طابعا اسلاميا بمساجدها ومدارسها واسواقها ، واهم هذه المدن سراييفو ، او بشناق سراي كما كان يسميها الاتراك . وعم الاسلام معظم المناطق اليوغسلافية التي كانت تابعة للدولة العثمانية . لكن مع الاسف اعطى السلطان محمد الفاتح رحمه الله الاذن للكاثوليك بالقدوم باخوانهم في الدين من خارج الدولة العثمانية لتعمير الاراضي المهجورة ، وذلك في ظهير مشهور باسم « عهد تامة »للسكان ميلودرازيفو . ولولا ذلك الاذن لما كان في بلاد البشناق غير المسلمين .

وانحسرت الدولة العثمانية وتقهقرت ، وانهزمت المرة تلو الاخرى حتى اضطرت في عام 1878 ميلادية للتنازل عن بلاد البشناق لدولة النمسا ـ المجر . فوقع البشناق لاول مرة بعد اسلامهم تحت حكم غير المسلمين . فهاجر الكثير منهم الى الاناضول والبلاد الاخرى التي بقيت تحت الحكم العثماني . وكان الحكم النمساوي قاسيا على المسلمين ، منعوتا بالتشريد والاضطهاد ومحاولة التنصير من طرف الكاثوليكيين . فادى ذلك مرة اخرى بالكثير من المسلمين الى الهجرة الى تركيا . وفي عام 1900 ثار المسلمون على النمساويين بزعامة رئيسهم علي فهمي جابيتش . فانضم الصرب الارثذكس الى المسلمين في حربهم ضد الاضطهاد الكاثوليكي النمساوي . فنجح المسلمون في الحصول على الحكم الذاتي في الامور الدينية في 15 ابريل عام 1909 . وانهزمت دولة النمسا ـ المجر في الحرب العالمية الاولى . وبعد الحرب تأسست الدولة اليوغسلافية لاول مرة حيث جمع فيها السلافية الجنوبيون . وكانت فرحة المسلمين كبيرة لهذا الحدث حيث كان هدفهم التخلص من الاستعمار والاضطهاد النمساوي . وبعد الاستقلال غدر الارثذكس بالمسلمين، وتحت شعار الاصلاح الزراعي صادروا جميع أراضيهم عام 1918 واعطوها للفلاحين الارثذكس . فادى ذلك الى تفقير المسلمين وتأخيرهم بعد ان كانوا في طليعة التقدم بين الشعوب اليوغسلافية .

فماذا كان تأثير كل هذا على حالة المسلمين الديموغرافية في الفترة بين عامي 1879 و 1931 ؟ للجواب على هذا السؤال سنركز دراستنا على منطقة البشناق والهرسك في تلك الفترة ملخصين نتائجها في الجدول التالي :

السنة	مجموع السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
1879	1 153 000	449 000	38ر7
1895	1 496 000	549 000	35ر0
1910	1 848 000	588 000	32ر3
1921	1 886 000	612 000	31ر1
1931	2 290 000	717 000	30ر9

نستنتج من هذا الجدول ان المسلمين في تلك الفترة التي دامت 25 سنة لم يزدادوا الا بمقدار 20 في المائة بينما ازداد غيرهم بمقدار 123 في المائة في نفس الفترة . اي كان تزايد النصارى ضعف تزايد المسلمين . وبهذا انخفضت نسبة المسلمين المائوية في ولاية البشناق والهرسك من 7ر38 في المائة عام 1879 الى 9ر30 في المائة عام 1931 ، وهذا انخفاض هائل . وفي الحقيقة كان المسلمون في بلاد البشناق

والهرسك اكثرية ايام الحكم العثماني . ولم يؤخذ احصاء عام 1879 بعد الاحتلال النمساوي الا بعد ان هاجر الكثير من المسلمين الى تركيا وجيء بالكثير من النصارى الى بلاد البشناق لتعمير الاراضي الفارغة .

وسبب انخفاض نسبة المسلمين متعددة : اولها هجرة المسلمين الى تركيا . ففي تلك الفترة هاجر الى تركيا اكثر من ثلاثمائة الف بشناقي مسلم عدا الاتراك والقوميات الاخرى . والسبب الثاني هو جلب الحكومة النمساوية للمعمرين الكاثوليك للاستيطان في الاراضي الاسلامية . والسبب الثالث هو تزايد المسلمين الطبيعي الضعيف بسبب حالتهم المعنوية والصحية والاقتصادية السيئة .

ولم يكن مسلمو يوغسلافيا يتكونون من البشناق فقط بل كان هناك مسلمون سلافيون خارج ولاية البشناق والهرسك في مقدونيا وبلاد الصرب التي توحدت كلها بعد الحرب العالمية الاولى لتكوين يوغسلافيا . وعندئذ دخلت في المجموعة اليوغسلافية عناصر جديدة من المسلمين وهم الاتراك والالبانيون والشركس . لكن عدد الاتراك اخذ يتضاءل بسبب هجرتهم الى تركيا ؛ بينما هاجر جميع الشركس الى الاراضي الاسلامية . وبصفة عامة كانت الفترة التي ذكرناها فترة تضاؤل المسلمين النسبي في يوغسلافيا .

4 ـ حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1931 و 1971 :

لم يأت عام 1931 حتى كانت احوال المسلمين في يوغسلافيا قد استقرت . فخف اضطهادهم وتضاءلت هجرتهم ، وتوقف استعمار الكاثوليك لارضهم . فاخذوا يسترجعون دورهم القيادي شيئا فشيئا . واسس عام 1919 الحزب الاسلامي اليوغسلافي بزعامة الدكتور محمد سباهو الذي تراس عدة حكومات يوغسلافية بين الحربين .

واعلنت الحرب العالمية الثانية وكانت ايامها صعبة على جميع اليوغسلافيين . واتسمت تلك الحرب بمذابح بين المسلمين والارثذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة اخرى . وبعد الحرب سيطر النظام الشيوعي ، فضيق على المسلمين كما ضيق على غيرهم من السكان . وفي السنوات الاخيرة اخذت قبضة الشيوعيين تضعف شيئا فشيئا . واخذ ينفتح للمسلمين عهد جديد مليء بالفرص .

ولم يصل عام 1931 حتى اصبح المسلمون منقسمين الى ثلاثة اقسام :

1) المسلمون البشناق الذين يشتركون مع الصرب والكرواط في اللغة والعرق .

2) الالبانيون .

3) الاتراك .

وكل هؤلاء المسلمين سنيون حنفيون .

قبل عام 1953 كان يسأل في الاحصاء عن القومية والدين وبهذا كنا نعرف عدد المسلمين بدقة . لكن بعد 1953 صار يسأل عن القومية فقط . ومن هنا كان بامكاننا استنتاج عدد المسلمين . فالاتراك كلهم مسلمون ، وكذلك الالبانيون . اما المسلمون البشناق فاغلبهم يجيب عن سؤال القومية بمسلم واحيانا بيوغسلافي . فاكثرهم يعدون اسلامهم قومية قائمة بذاتها ؛ بينما يعد الارثذكس نفسهم صربا والكاثوليك كرواطا . وبهذا كان بامكاننا استنتاج الجدول التالي :

اسم المجموعة	عددها عام 1931	ع. عام 1953	ع. عام 1961	ع. عام 1971	الزيادة المائوية في الفترة 1931 – 1971
البشناق	1 011 000	1 117 000	1 270 000	1 520 000	50ر2
الالبانيون	400 000	754 000	930 000	1 200 000	200ر0
الاتراك	150 000	250 000	300 000	380 000	153ر0
مجموع المسلمين	**1 561 000**	**2 121 000**	**2 500 000**	**3 100 000**	**99ر0**
مجموع غير المسلمين	12 373 000	14 826 000	16 049 000	17 405 000	**40ر6**
المجموع العام	13 934 000	16 947 000	18 549 000	20 505 000	—
نسبة المسلمين المئوية	11ر2	12ر5	13ر5	15ر1	—

ومن هذا الجدول نستنتج ان حالة المسلمين الديموغرافية تحسنت تحسنا هائلا فى الاربعين سنة بين عام 1921 وعام 1971 . ففي تلك الفترة تضاعف المسلمون تقريبا بينما لم يزدد غيرهم الا بنسبة 40ر6 فى المائة . وادى هذا الى ارتفاع نسبتهم ارتفاعا هائلا بين سكان يوغسلافيا من 11ر2 فى المائة سنة 1931 الى 15ر1 فى المائة عام 1971 . واذا بقي الحال على ما هو عليه بعد حوالي اربعين سنة اخرى فسيصبح ربع سكان يوغسلافيا مسلمين .

ونلاحظ ان الشعوب المسلمة الثلاثة التي تعيش فى يوغسلافيا لا تتزايد بنفس النسبة . فاكثر تلك الشعوب تزايدا هم الالبانيون الذين ارتفع عددهم الى ثلاثة أضعاف فى الاربعين سنة الماضية . ويتبع الالبانيين الاتراك الذين تزايدوا بنسبة 153 فى المائة بينما كان البشناق اقل تزايدا (50ر2 فى المائة فى الفترة المذكورة) ، ورغم ذلك فنسبتهم فى التزايد اعلى من نسبة غير المسلمين فى يوغسلافيا. غير انهذا الوضع ادى الى تغير ملحوظ فى اهمية الشعوب الاسلامية العددية مع بعضها البعض . ففي عام 1931 كان من بين كل الف مسلم فى يوغسلافيا 648 بشناقي، و 256 البانى ، و 96 تركي . اما فى عام 1971 فلقد اصبحت هذه النسب كما يلي : 490 بشناقي ، 387 الباني و 123 تركي .

وكانت حالة المسلمين الديموغرافية الطيبة سببا فى تحسن وضعهم فى ولاية البشناق والهرسك كما تبين فى الجدول التالي :

المجموعة	سنة 1931	سنة 1961	سنة 1971
المسلمون	717 000	1 082 000	1 250 000
مجموع السكان	2 320 000	3 278 000	3 743 000
نسبة المسلمين المائوية	30ر9	33ر0	33ر4

فبينما كان المسلمون يتضاءلون نسبيا بين عامي 1879 و 1931 ، تحسنت أحوالهم فى الاربعين سنة الاخيرة واخذوا يتزايدون بسرعة أكثر من غيرهم ، حتى ارتفعت نسبتهم فى الولاية من 30ر9 فى المائة عام 1931 الى 33ر4 فى المائة عام 1971 م .

5 ـ وضع المسلمين اليوغسلافيين اليوم :

تتكون الدولة اليوغسلافية اليوم من ست جمهوريات فدرالية وهي : جمهورية الصرب ، وجمهورية الكرواط ، وجمهورية البشناق والهرسك (مساحتها 51ر129 كيلومترا مربعا) ، وجمهورية سلوفينيا ، وجمهورية مقدونيا ، وجمهورية الجبل الاسود ، ومساحة الكل 255ر804 كيلو مترا مربعا . وتضم جمهورية الصرب ولايتين ذات حكم ذاتي ، وهي ولاية كسوفو وولاية فوجفدينا . ويكون الدولة اليوغسلافية قوميات متعددة ، وهي : الصرب ، والكرواط ، والسلوفين ، والمقدونيين ، والالبانيين . ويكثر المسلمون البشناق فى جمهورية البشناق والهرسك ، كما يكثر المسلمون الالبانيون فى ولاية كسوفو . بينما هناك نسبة كبيرة من المسلمين فى جمهورية مقدونيا، حيث يوجد معظم المسلمين الاتراك. ولكل جمهورية لغتها الرسمية : كالسلوفينية والصربية والكرواطية والمقدونية ، وكذلك الالبانية فى ولاية كسوفو . اما الصربية والكرواطية فهي فى الحقيقة لغة واحدة تكتب بحروف مختلفة : الحروف اللاتينية بالنسبة للكرواطية ، والحروف الروسية بالنسبة للصربية . وحاول المسلمون ان يعترف بهم كقومية بشناقية مستقلة . لكن لم يتوفقوا بعد فى ذلك . غير ان وجود جمهورية بشناقية ضمن الجمهوريات الفدرالية كانت من اهم مطالبهم التي استجيب لهم فيها .

يعترف القانون اليوغسلافي بحرية الاديان ، ولا يفضل دينا عن آخر. وللمسلمين حرية القيام بشعائرهم الدينية . فيوجد فى البلاد اتحاد اسلامي عام يترأسه رئيس للعلماء . وفى عواصم اربع جمهوريات مجالس للعلماء لتنظيم شؤون المسلمين . وهذه العواصم هي : سرايفو عاصمة البشناق والهرسك ، سكوب عاصمة مقدونيا ، تيتوغراد (بودكوريكا سابقا) عاصمة الجبل

الاسود ، وبريشتينا عاصمة كسوفو . وهناك مدارس عليا للعلوم الاسلامية فى سراييفو وفى سكوب .

اما فى ما يخص الحياة العامة فالمسلمون البشناق احسن حالا من اخوانهم الاتراك والالبانيين . فرئيس المجلس الفدرالي اليوغسلافي اليوم واحد منهم وكذلك وزير التجارة الفدرالي ، ولا أدري عن مدى تعلق هؤلاء بالاسلام . وللاتراك 56 مدرسة ابتدائية و 5 مدارس ثانوية و 7 مدارس لتدريب المعلمين بلغتهم . كما للالبانيين 1.040 مدرسة ابتدائية و 30 مدرسة ثانوية و 80 مدرسة لتدريب المعلمين .

6 ـ تلخيص وتوصيات :

حالة المسلمين اليوم فى يوغسلافيا ممتازة من الناحية الديموغرافية وحسنة من الناحية الدينية . فشعب يوغسلافيا المسلم برهن بكل قوة زهاء قرن تعلقه بالاسلام . فهم جديرون بمساندة اخوانهم خاصة ان القوانين اليوغسلافية لا تعارض فى ذلك . ففي يوغسلافيا قوميات واديان متعددة جعلت الضغط على المسلمين ضعيفا الى حد ما . ولهذا أوصى بما يلي :

1 ـ اقامة علاقات اخوية على جميع المستويات مع مسلمي يوغسلافيا . وحث الاطراف الثلاثة (البشناق والترك، والالبان) على التآخي والبعد عن المنازعات القومية .

2 ـ اخذ اكبر عدد ممكن من الطلبة اليوغسلافيين للالتحاق بجامعات المملكة .

3 ـ بعث الاساتذة للتدريس فى المعاهد الاسلامية العليا فى يوغسلافيا فى سرايفوا وفى سكوب اذا امكن ذلك .

4 ـ اعانة المسلمين اليوغسلافيين على جعل اللغة العربية لغة اسلامية بترجمة كل ما امكن من الكتب الاسلامية اليها .

5 ـ اخذ عدد الحجاج اليوغسلافيين فى السنوات الاخيرة يرتفع ارتفاعا هائلا حتى صار بضعة الاف . فيجب الاعتناء بهؤلاء الحجاج وتزويدهم بكتب عن تفسير القرآن وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومبادىء الاسلام بلغتهم .

وفقنا الله لما فيه الخير .

ج ـ البـانيـا

1 ـ لمحة تاريخية :

الالبانيون هم احفاد سكان بلاد البلقان الاصليون الاليريون الذين ذكرناهم فى الفصل الماضي . ولقد فتح السلطان محمد الفاتح رحمه الله بلاد الالبان سنة 1467 ميلادية،اي اربع سنوات بعد فتح بلاد البشناق. وكان الالبانيون من اتباع المذهب البوغيميلي فأسلم أغلبهم فى نفس الظروف التي اسلم فيها البشناق .

وفى عام 1912 استقلت البانيا عن الدولة العثمانية . ونصب عليها الحلفاء عام 1914 ملكا نصرانيا غربيا : الامير وليام اوف ويد فمكث فى البلاد ستة شهور ثم تركها لعدم تعاون السكان معه ، وبقيت البانيا فى فوضى داخلية وتدخلات اجنبية من الدول القريبة ومن ايطاليا حتى أعلنت فيها الجمهورية فى يناير عام 1925 . وكان اول رئيس لجمهوريتها هو احمد بك زوغو ، فنصب نفسه ملكا للبلاد فى فاتح شتنبر عام 1928 . واستقرت الاحوال فى ايامه الى ان غزا الايطاليون البلاد عام 1939 عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية . وعندما اجلي الايطاليون عن البلاد عام 1944 بسنتين استحوذ الشيوعيون على الحكم فى البلاد والغوا الملكية . فاخذت البانيا تبتعد شيئا فشيئا عن مبادىء الاسلام .

2 ـ حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1930 و 1969 :

البانيا ـ ومساحتها 28٫748 كيلو مترا مربعا او ما يعادل مساحة فلسطين كلها ـ هي الدولة الوحيدة فى اوربا ذات اغلبية مسلمة . وسكان البلاد كلهم البانيون ، ولقد رأينا ان قسما كبيرا منهم بقي خارج حدود البانيا فى ولاية كسوفو بيوغسلافيا . ونلخص تزايد السكان فى الجدول التالي :

المجموعة	سنة 1930	سنة 1953	سنة 1969	نسبة التزايد المئوية فى الفترة 1930 ـ 1969
المسلمون	688 000	860 000	1 470 000	113
غير المسلمون	315 000	390 000	610 000	93
المجموع	**1 003 000**	**1 250 000**	**2 080 000**	—
نسبة المسلمين المائوية	68٫6	69٫0	70٫7	—

نلاحظ ان الالبانيين تزايدوا تزايدا كبيرا منذ عام 1930 رغم الاضطرابات التي عاشوها في هذه الفترة . ونرى كذلك ان تزايد المسلمين (113 في المائة) كان اعلى من تزايد غيرهم (93) . وبهذا ارتفعت نسبة المسلمين في البانيا من 68ر6 في المائة عام 1930 الى 70ر7 في المائة عام 1969 ، وكلهم سنيون حنفيون . اما غير المسلمين فهم نصارى كاثوليك في الشمال ونصارى ارثذكس في الجنوب .

3 ـ وضـع المسلمين الراهن :

لم يستقر المسلمون في البانيا منذ ان انفصلوا عن الحكم العثماني . فلقد مروا من محنة الى محنة حتى آلوا الى حكم شيوعي متعصب اخذ يضيق عليهم شيئا فشيئا حتى وصل به الاستهتار عام 1967 باعلان البانيا اول دولة ملحدة في العالم . واغلقت حينئذ الحكومة 169 2 مسجد وكنيسة . وقبل ذلك كان ينظم شؤون المسلمين مفتي اعظم مقيم في العاصمة تيرانة . وكانت البانيا منقسمة الى اربع مناطق دينية في عاصمة كل منطقة منها مجلس للعلماء .

ومما يؤسف ان يكون القائمون على هذا الحكم الملحد المتعصب اناس يحملون اسماء اسلامية : فاسم رئيس الجمهورية حاجي ، واسم رئيس الحزب انور ، واسم رئيس الوزراء محمد ، واسم نائبيه الباقر وعادل ، واسماء سكرتيري الحزب حسني ، وحقي ، ورامز ، واسماء الوزراء قدري وعبد الله وجعفر ، الخ .. وثلثي اعضاء الوزراء « مسلمون » بينما الثلث فقط يحمل اسماء مسيحية . ومما يؤسف كذلك ان يكون المسلمون الالبان الذين يعيشون كاقلية في يوغسلافيا (والذين يقرب عددهم عدد المسلمين الالبانيين في البانيا) في احسن حال من اخوانهم في البانيا فيما يخص حريتهم الدينية والثقافية .

4 ـ توصيـات :

حالة المسلمين في البانيا جيدة من الناحية الديموغرافية ، لكنها سيئة للغاية من الناحية الاسلامية ، لذا لا يمكن التوصية الا بما يلي :

1 ـ البحث عن العناصر التي لا زالت فيها روح اسلامية داخل البانيا ومحاولة الرجوع بها الى الاسـلام .

2 ـ مساندة الامة الالبانية كامة كيف ما امكن .

3 ـ توجيه دروس اذاعية دينية وثقافية اسلامية باللغة الالبانية الى البانيا .

4 ـ ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغة الالبانية وتوزيعها على الالبانيين خارج البانيا .

5 ـ البحث عن جاليات الالبان المسلمين ومساندتهم معنويا واعانتهم على نشر الكتب الاسلامية بينهم بلغتهم ، ونشر التعليم الاسلامي بين ابنائهم . واعطاء منح للمتفوقين منهم للدراسة الاسلامية في المملكة . وتكثر هذه الجاليات في اوروبا الغربية وامريكا واستراليا .

والله المستعان وهو ولي التوفيق .

د ـ بلغـاريـا

1 ـ لمحـة تاريخيـة :

البلغاريون قوم من اصل تركي غزوا الاراضي السقلبية في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) من الشرق . ولكن سرعان ما اضاعوا لغتهم واخذوا يتكلمون لغة مغلوبيهم السقالبة (السلافيين) (ولغتهم اليوم قريبة من اللغة الروسية) . ثم اعتنقوا المسيحية عام 765 ميلادية (اي في القرن الثالث الهجري) . وفتح المسلمون العثمانيون بلغاريا سنة 1393 ميلادية ، وبعد حكم اسلامي دام خمسمائة وخمسة وخمسون سنة انفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية وكونت مملكة قائمة بنفسها عام 1908 . وفي الحرب العالمية الاولى انحازت بلغاريا الى المانيا والدولة العثمانية ، فانهزمت مع من انهزم وصغرت رقعتها من جراء ذلك . وفي الحرب العالمية الثانية انحازت بلغاريا مرة ثانية مع الالمان فغزاها الروس عام 1944 . وفي عام 1946 سيطر فيها الشيوعيون على الحكم ، فألغوا الملكية واقاموا جمهورية شيوعية .

2 ـ حالة المسلمين الديموغرافية بين عامي 1949 و 1971 :

ينقسم المسلمون في بلغاريا اليوم الى ثلاث قوميات : الترك والبلغاريون والغجر . اما البلغاريون المسلمون فيكثرون في جبال الرودوب الجنوبية ،

ويسمون البوماك . اما الغجر المسلمون فهم يكونون اغلبية الغجر المقيمين فى بلغاريا ، او حوالي ثلاثة ارباعهم . اما الترك فمعظمهم ترك عثمانيون وليس فيهم الا عدد ضئيل من التتار الذين نزحوا الى تلك المناطق من الاتحاد السوفياتي . ولقد كان عددهم ستة الاف فقط فى احصاء عام 1956 . ولنلخص الان حالة المسلمين الديموغرافية فى الجدول التالي مقارنة مع حالة باقي السكان :

اسم المجموعة	عددها عام 1949	عددها عام 1956	عددها عام 1971	الزيادة المائوية فى الفترة 1949 و 1971
الترك	683 000	740 000	890 000	30
المسلمون البلغار	150 000	190 000	320 000	113
المسلمون الغجر	115 000	145 000	240 000	109
مجموع المسلمين	**948 000**	**1 075 000**	**1 450 000**	**53**
مجموع غير المسلمين	**6 074 000**	**6 525 000**	**7 152 000**	**15**
المجموع العام	**7 100 000**	**7 600 000**	**8 524 000**	—
النسبة المائوية	13ر3	14ر1	17ر0	—

هنا كذلك يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم باضعاف . فبينما كانت نسبة تزايد غير المسلمين 15 فى المائة فى فترة 22 سنة بين عامي 1949 و 1971 ، تزايد المسلمون بنسبة 53 فى المائة فى نفس الفترة . وادى هذا الى ارتفاع نسبة المسلمين من مجموع السكان من 13ر3 فى المائة عام 1949 الى 17ر0 فى المائة عام 1971 . واذا استمر هذا الوضع على ما هو عليه فسيصبح ربع سكان بلغاريا مسلمين فى غضون عام 2 000 ميلادية .

لا تتزايد القوميات المسلمة الثلاثة فى بلغاريا بنفس النسبة . فاقلهم تزايدا الترك ، ورغم ذلك كان تزايدهم ضعف تزايد غير المسلمين . اما البلغاريون والغجر المسلمون فكلاهما تضاعف فى نفس الفترة . وسبب قلة تزايد الاتراك يعود الى هجرة الكثير منهم الى تركيا كلما سنحت لهم الفرصة ، ولولا هذه الهجرة لكانت نسبة المسلمين فى بلغاريا اعلى بكثير مما هي عليه اليوم . وادى هذا التفاوت فى تزايد المسلمين فى بلغاريا الى تغير فى نسبهم العددية بين بعضهم البعض: ففي عام 1949 كان من بين كل الف مسلم فى بلغاريا 720 تركي و 158 بلغاري و 122 غجري . بينما تغيرت هذه النسب عام 1971 الى 615 تركي و 220 بلغاري و 165 غجري .

3 ــ وضع المسلمين الراهن :

يعاني المسلمون اليوم اضطهادا كبيرا فى بلغاريا ، فليست لديهم حرية مزاولة شعائرهم الدينية بما فيها الحج ، وليست لهم مدارس خاصة بهم ، وحتى المصاحف منعت عنهم . وليس لهم الحق فى الهجرة . ولا وجود لهم لا فى الحكومة ولا فى المؤسسات العامة رغم انهم خمس سكان البلاد .

وسبب ذلك هو التعصب ضد الاسلام الذي ورثه الشيوعيون عن الكنيسة الارثذكسية وكرههم للاتراك الذين يكونون أكثر مسلمي بلغاريا . اما المسلمون الغجر فهم بدو رحل وليست لهم الاهمية العددية ولا الدور القيادي الذي يمكنهم من التأثير لصالح المسلمين فى بلغاريا . وأكبر امل للاسلام فى تلك البلاد هم المسلمون البلغاريون . لكن عددهم قليل ودورهم القيادي فى البلاد اقل بكثير من دور البشناق فى يوغسلافيا . فهم قوم اسلموا منذ قرنين تقريبا ويسكنون مناطق نائية جبلية . ولكن يجب رعاية هؤلاء بشتى الطرق لان اسلامهم قوي وحالتهم الديموغرافية طيبة يمكن ان تجعل منهم عنصرا مهما فى المستقبل .

أما من الناحية التنظيمية فللمسلمين فى بلغاريا اليوم حوالي 1 200 مسجد ويرعى شؤونهم الدينية

مفتي اكبر . ووزعت بلغاريا الى ست مناطق اسلامية على راس كل منطقة منها مجلس للعلماء . ومن اهم هذه المراكز مدينة بوغاز الاسلامية حيث يكثر فيها المسلمون الاتراك ومدينة سموليان حيث يكثر المسلمون البلغار .

4 - توصيات :

بلغاريا دولة صغيرة مساحتها 110 912 كيلومتر مربع وتحدها دولة مسلمة وحيدة هي تركيا . ورغم تعصبها ضد الاسلام وتطرفها الشيوعي فهي بلاد سياحية وليس من الصعب الاتصال بالمسلمين هناك . ولهذا اوصي بما يلي :

1 - محاولة اقناع بلغاريا بأي وسيلة من الوسائل باعطاء حريات ثقافية ودينية اكثر لمسلميها ، ومنها السماح لهم بالحج .

2 - محاولة الاتصال بالمسلمين هناك وتزويدهم بالمصاحف والكتب الدينية .

3 - الاعتناء بالعنصر البلغاري من المسلمين بتوجيه اذاعات دينية بلغتهم وترجمة الكتب الاسلامية وتوزيعها عليهم .

4 - البحث عن المسلمين البلغاريين النازحين واعطاء منحا في الدراسات الاسلامية للمتفوقين من شبابهم لكي يعودوا الى وطنهم ويكونوا عنصر قيادة للمسلمين هناك .

والله الموفق لما فيه خير هذه الامة وهو خير حافظا .

خاتمة

بعد انحسار دام نصف قرن على الاقل اخذ المسلمون يتزايدون تزايدا طبيعيا كبيرا في كل المناطق التي درسناها ، وبهذا زادت نسبتهم في السنين الاخيرة في البلاد الشيوعية الاربع التي درسناها . فمن بين كل الف سوفياتي كان 113 مسلم عام 1939 فصار 136 مسلم عام 1971 ، ومن بين كل الف يوغسلافي كان 112 مسلم عام 1931 وصار 151 مسلم عام 1971 م ، ومن بين كل الف الباني كان 686 مسلم عام 1930 وصار 707 مسلم عام 1969 ، ومن بين كل الف بلغاري كان 133 مسلم عام 1949 واصبح 170 مسلم عام 1971 م .

وهذا هو نفس الوضع في معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسلمون اكثر من غيرهم . وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسل بين المسلمين . فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات، ومن جهة اخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادي والمعنوي . والله الموفق .

الظهران : الدكتور علي المنتصر الكتاني





قد يبدو هذا العنوان غريبا او ربما في نظر البعض سوقيا ، في الموضوع الذي تحاول القاء اضواء عليه ، وهو موضوع البحث عن انجع السبل واقوم الطرق لجعل الانسان يسمو عن واقعه الارضي وينطلق عن مادیته اللاصقة به نحو الكمال المطلق ، ونحو التخلق باخلاق الله ، ذلك ان الطعام في مضمونه وشكله ابرز شيء يلصق الانسان بالتراب، فمن غير المقبول اذن ان تحاول عن طريقه تخليص الانسان من المادية التي تعوقه عن فهم ذاتيته وتعرقل سيره الحثيث نحو الحقيقة الابدية التي كانت وستظل هدفه الاسمى ، وان ظهر في بعض الظروف انه يجحدها وينكرها أو يعتبرها على الاقل احدى الخرافات التي تسعى المادية الحالية لكشف تهافتها وابراز تناقضاتها ، وبالتالي للتثبت من انها شيء عدمي لا وجود له ولا مضمون . ومع ذلك فانه عن طريق الطعام ــ يستطيع الانسان اذا اراد ، واذا احس علاقته بالطعام ، وعرف كيف يستفيد مما يقدمه له من بذور الحياة ، ان يقرر دوره النهائي في هذه الحياة ، ويقرر العلاقة بين جسمه الفاني والحياة الباقية ، ويقرر مدى الارتباط القائم بين الحياة كرغبة اثيرة وبين دوره فيها كتجسيم لهذه الرغبة .

ذلك ان الانسان ــ في مفهومه الزمنكي (وكما قلنا من قبل) ــ مادة وروح ، فكما انه ــ كما قال المسيح عليه السلام ــ « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » ، فكذلك لا يمكنه ان يحيا بالايمان او العقيدة وحدهما .. وهذه حقيقة ملموسة لا يتطرق اليها ريب ..

وقد عمل الاسلام دين الفطرة على ابراز هذه الحقيقة وفي كل المجالات ، حتى تلك التي تتصل بالروح اتصالا مباشرا ، فالحياة المعادية التي وعد بها المحظوظون الاتقياء من عباده تعالى كانت ابرز مظاهرها المغرية والتي عنون بها القرآن لملذاتها واجواءها الساحرة هي توفر مادة الطعام في اصنافها الشهية اللذيذة ، فنقرأ مثلا في آيات سور الطور) ــ والخطاب للمتقين وهم في جنات النعيم ــ « كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون » وفي نفس السورة نقرأ الآيتين : « وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تاثيم » (1) كما نقر افي سورة الحاقة) هذه اللوحة الزيتية الرائعة لتلك الحياة الرغدة العيش ، اللذيذة المباهج: « في جنة عالية قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية» (2) ونقرأ في سورة

---

(1) سورة الطور الايتان 20 ــ 21 .
(2) سورة الحاقة الايات : 21 ــ 22 ــ 23 .

(الواقعة) : « يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون» (3). ونقرا كذلك فى سورة الرعد هذه الآية المفرية : « مثل الجنة التى وعد المتقون ، تجرى من تحتها الانهار ، اكلها دائم وظلها » (4)

ولعل فى دعاء المسيح ، هذا الدعاء الذى يردده فى مطلع كل سنة ميلادية ، المسيحيون ما يشير الى هذه الضرورة للطعام ، فقد جاء فى هذا الدعاء : « ابانا الذي فى السماوات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الارض .. خبزنا كفافنا ، اعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا الخ » .

والقرآن بعد هذا يتخذ الطعام احدى مميزات الانسان ، واحدى الحجج على انسانيته وبشريته، فعندما حاول بعض الناس ان يضفوا صفات الالوهية والروحانية المطلقة على بعض الانبياء : عيسى عليه السلام ، كانت الطريقة التى اثبت بها القرآن انسانية وبشرية عيسى وانكر بها الوهيته هي افتقاره وحاجيته الى تناول الطعام « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامه صديقة ، كانا ياكلان الطعام » (5) .

ولخطورة الطعام على الانسان وعلى حياته ، وفى كل مجالاته يتساءل القرآن حين يضل فريق من البشر عن الطريق السوي فيعبد من لا يستحق العبادة ويقدس من تتجافى القداسة عنهم ، يتساءل عما اذا كان اولئك المعبودون والمقدسون يقدمون لعبادهم ما يحتاجون اليه من طعام او شراب ، واذا كان لا ، فانهم لا يستحقون تلك العبادة ، ولا يستحقون ذلك التقديس فكأنه من لوازم العبادة تكفل المعبود بايجاد الرزق والطعام لعباده ، ولنتل الآيات القرآنية فى هذا الموضوع .. ورد فى سورة العنكبوت « انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه ، واشكروا له ، اليه ترجعون » (6) وفى سورة فاطر وردت هذه الآية : « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ، لا اله الا هو ، فانى توفكون » (7)

وفى سورة غافر نقرا هذه الآية التى تجبه الذين يضلون بالاشراك ، وتذكرهم بان من آيات وحدانية واهب الحياة تكفله وحده برزقهم » : «هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا» (8). ونقرا فى آية قريش هذه الآية التى توجب تخصيص العبادة بالذى يطعم الطعام ويخلقه : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (9) وفى سورة الانعام نقرا الآية : « قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السماوات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم » (10) . وفى سورة البقرة فى نفس المعنى نقرا : « الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » (11) ويتخذ القرآن من القدرة على ايجاد الطعام احدى دلائل وجود الله ووحدانيته : « وهو الذى انشأ جنات معروشات » (12) الآيات .. وكأن ــ القرآن وقد عرف احتياج الانسان وضرورة حياته للطعام ــ اراد عن طريق مجابهة هذا الانسان بالواقع الحتمي الذى يفرضه عليه الطعام ان ينبهه الى التسامي بنفسه والابتعاد عن التردي فى الحمات المسنونة التى يمثلها الخضوع لبشر مثله ، وقد نبهه الى هذا حين اخذ يهز عقله الباطني بهذه الآيات المستمدة من واقعه

---

(3) سورة الواقعة الايات من 19 الى : 24 .
(4) سورة الرعد الآية 36 .
(5) سورة المائدة الآية 77 .
(6) سورة العنكبوت الآية 16 .
(7) سورة فاطر الآية 3
(8) سورة غافر الآية 12
(9) سورة قريش الآيتان 2 ــ 3
(10) سورة البقرة الآية 21
(11) سورة الانعام الآية 15 .
(12) سورة الانعام الآية 42 1.

اليومي ومن حاجياته الملحة مذكرا اياه بأن اولئك الذين لا يضمنون له طعامه ، ولا يتكفلون برزقه لا يمكن ان يكونوا شيئا غيره او خيرا منه . او متميزا عنه، وعلى العكس من ذلك الذي يطعم ويرزق : « وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم » (13) .

والقرآن بعد هذا وذاك يجعل من مشكل الطعام وتدبير شؤونه آية من آيات النبوة والرسالة ، ففي سورة آل عمران نقرا هذه الآية . والضمير فيها يعود على عيسى ابن مريم « .. وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم (14) » كما نقرا في سورة يوسف : « قال : اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم، وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء » (15) .

وعندما يشتط الانسان ويغرق في شطحاته فيبغي ويتجنى ويتجبر ، غافلا عن حقيقته التي يجب ان لا ينساها ابدا ، لعوامل اهمها الشعور برغد العيش وبسطته وكثرته (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) (16)، لا يكون هناك درس عملي لتذكيره بحقيقته اكثر من اخذ طعامه بالنقص ، ففي سورة البقرة هذه الآية الحكيمة ، « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات (17) .

وفي سورة النحل نقرا هذه الآية « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (18) . وبعد ان قرر القرآن قيمة الطعام وتأثيره في معتقدات الانسان وتوجيه منطقة روحانيته ، الح الحاحا عظيما ودائما على ان يكون الطعام في متناول الجميع واكد ان من شروط الايمان انفاقه في وجهه وبذله لمستحقيه ، حتى انه ليقرن الانفاق للطعام بالايمان . « قد افلح المومنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » (19) واصر على ان الانفاق هو احدى مميزات البر وعلاماته « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى » (20) ، ويقول في سورة آل عمران: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (21) وان الذين لا يدفعون المستحقين ما يقيهم العوز ، ويرد عنهم غائلة الحاجة ، وشبح الجوع ، لا يمكن ان يكونوا غير مشركين ، ففي سورة فصلت « وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » (22) فعدم دفع الزكوات لمستحقيها نوع من الاشراك ثم هو وعدم الايمان بالآخرة من طينة واحدة وذو نتائج متساوية .

والقرآن يتوعد الذين لا ينفقون مما اتاهم الله — في اسلوب تحذيري من مغبة فوات الاوان — بالندم الذي لا ينفع ولا يجدي ، ففي سورة الجمعة « وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ، ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ، والله خبير بما تعملون » (23) . والقرآن يضع المانع للانفاق في نفس مرتبة المكذب بالدين: « ارايت الذي يكذ بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين الذين

---

(13) سورة البقرة الآية 56 .
(14) سورة آل عمران الآية 48 .
(15) سورة يوسف الآية 56 — 57
(16) سورة العلق الآية 6— 7
(17) سورة البقرة الآية 154 .
(18) سورة النحل الآية 112 .
(19) سورة المومنون الآية من واحد الى اربعة .
(20) سورة البقرة الآية 176 .
(21) سورة آل عمران الآية 91 .
(22) سورة فصلت الآيتان 5 — 6
(23) سورة الجمعة الآية 10 .

هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون » (24) .

وفى الحج ــ حيث تجتمع مختلف انقطاعات لممثلي الدولة الاسلامية ، يذكر القرآن الحجيج ــ وهم فى غمرة الفيوضات الالهية والسبحات الربانية ــ بان من غايات الحج تقديم الطعام للمحتاج والفقير « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام . فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » (25) وفى هذا المعنى ايضا يقول السيد المسيح « اذا صنعت ضيافة فادع المساكين : الجدع العرج، العمى فستكون لك الطوبى » (26) .

والتدليل على فظاعة اولئك الذين يمتنعون عن الانفاق يتحدث القرآن عن هؤلاء الذين سيعضون اصابع الندم يوم لات حين مناص ، حتى اذا سئلوا عن اسرار نكبتهم قالوا : ان ذلك لحبسهم الطعام ــ وهم قادرون على بذله وهم فى نفس الوقت مالكون له ــ عن مستحقيه : « ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين . . » (27) وجاء فى حديث الرسول (انما اهل عرصة اصبح فيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله) .

بل يذهب القرآن الى ابعد من هذا حين يفرد (كما سنراه مفصلا فيما بعد) ما تشير اليه هذه الآية « وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (28)

والقرآن من جهة اخرى يبشر اولئك الذين يبذلون الطعام لمحتاجيه ، بمباهج من اللذاذات . والشهوات هي أروع ما يمكن أن يخطر ببال انسان او يتمناه شخص؛ ففي سورة الانسان نقرا ــ وصفا لما وعد به الباذلون الطعام ــ هذه الآيات « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا، ويتيما، واسيرا، انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا » (29) .

ومن هذه الزاوية كان اطعام الطعام فى نظر القرآن احدى الآيات البينات على كمال الايمان واقتحام لاصعب العقبات « فلا اقتحم العقبة ؟ وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام فى يوم ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، او مسكينا ذا متربة » (30)

وكما ان القرآن الح على ضرورة الانفاق ، كضرورة الطعام فى حد ذاته لحياة الانسان ، الح من جهة اخرى على ان يخضع الطعام فى جميع انواع المضاربات التى يتعرض لها ، لنوعية من القسطاس والميزان المستقيمين ، الى الدرجة التى يتوعد معها من لا يراعي هذا الميزان القويم باشنع عقاب وأفظع عذاب : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » (31).

واحس الانسان بدوره فى طفراته وتعثراته ، عبر تطوافه مع الحياة ، بخطورة الطعام ومعضلاته فتمنى لو اعطى طريقا للخلاص منه ، او سبيلا لاستبداله بمعجزة من المعجزات فكان ان شهدنا ــ والقرآن دائما دليلنا فى الموضوع ــ اناسا يطالبون انبياءهم تحديا لهم ، ما دام هؤلاء الانبياء بحكم مركزهم يقدرون على خلق المعجزات ، ولو فى نظر هؤلاء المتحدين على الاقل ، يطالبون ان لا يخضعوا ، كمطلق البشر ، لضرورة الطعام ، ففي سورة الفرقان ما يحدثنا عن هذه الرغبة « وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام » (32) ويجيب القرآن بأن امثال هذه التحديات سخيفة، لان الطعام قوام الحياة

---

(24) سورة الماعون
(25) الحج الآيات 25 ــ 26 ــ 27 .
(26) كتاب : معا على الطريق محمد والمسيح لخالد محمد الخالد صفحة 78
(27) سورة المدثر الآيات 41 ــ 42 ــ 43 .
(28) الذاريات الآية 19
(29) سورة الانسان الآيات 8 ــ 22 .
(30) سورة البلد الآيات 11 ــ 16 .
(31) سورة المطففين الآيات 1 ــ 5 .
(32) سورة الفرقان الآية 7 .

البشرية ، فكل سؤال من هذا القبيل ينبغي ان لا يطرح واذا طرح من اناس ، فيجب ان لا يلتفت اليه الانبياء ، لانه « ماارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلوا الطعام ويمشون في الاسواق (33) .

ورغم هذه الضرورة الحتمية في حيوات الكائنات فان البشر ـ تدفعهم الرغبة في الانعتاق من عبودية الطعام ـ ما انفكوا يلحون على انبيائهم في ان يعملوا ما في وسعهم لانجائهم من هذا الطعام ، واذا كان لا مناص منه في هذه الارض فليهبهم الله مائدة سرمدية تكفيهم مؤونة البحث عن هذا الطعام ، وتنجيهم من كوارث الجوع ، والرب العظيم القادر ما كان ليعجز عن تلبية هذه الرغبة ، او عن انزال مثل هذه المائدة: « قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله ان كنتم مومنين ، قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » (34) .

ثم اعترافا بضرورية الطعام واهمية توفره للجميع ، نرى القرآن يجعله من بين ابرز الكفارات عن بعض المخالفات التي قد يرتكبها الانسان اما عن عمد وسابق اصرار ، او عن اخطاء ودون تصميم فهو كفارة عن اليمين : « لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة» (35) ، وهو كفارة لما قد يرتكبه الحاج من مخالفات غير خطيرة كقتل الصيد ، « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين » 36) ، وكعدم تمكن الحاج من اتمام النسك بالحج او العمرة ، « واتموا الحج والعمرة لله ، فان احصرتم فما استيسر من الهدي، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ، فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك ، فاذا امنتم فمن تمتع بالحج الى العمرة فما استيسر من الهدي » (37). والطعام كفارة عن مخالفات الصائم في رمضان «وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مساكين » (36) ، ولو وضعت الموازين الحقيقية لمشكل الطعام ، او لو روعي في توزيعه واعداده الفلسفة الاسلامية لامكن للانسانية ان تتجنب الكثير من الثروات ، فمن المحقق ان وراء كل ثورة رغيفا كما يقولون ، وكما قال (كارل ماركس) « ان الضرورة الاقتصادية هي التي تدفع هذا التاريخ دائما في نهاية الامر ... وان الاقتصاد الذي يشمل مجموع الجهود الانسانية في سبيل امتلاك المادة ، واستخدامها انما يشكل اللبنة الاساسية للعلاقات الانسانية » .

ونحن نعلم ان الثورة الفرنسية التي اودت بمملكة فرنسا لم تكن المظالم الاجتماعية وما واكبها من فوارق طبقية هي وحدها التي هيجتها وانما كان من ابرز اسبابها انعدام الطعام . فيقال ان الملك والاشراف ـ بعد ان حطم الثوار سجن الباستيل الذي كان المظهر المجسم للمظالم السياسية، وفوارق الطبقات في فرنسا يومئذ ـ استجابوا لرغبات الثوار، وتنازل الامراء عن كثير من امتيازاتهم ، ولكن حدث ذات يوم ان افقرت مخابز باريس وافرانها من الخبز، فما كان من الثوار الا ان انطلقوا في الشوارع ينادون صارخين : نريد الخبز ، نريد الخبز . ولو قدم لهؤلاء المتمردين الخبز الكافي لوضع حد لتمردهم (ولكن ابى الله الا ان يواصلوا هيجانهم فيرغموا به الملك وزوجته وابنهما على الالتجاء الى قصر «التويليري» لتمضي الثورة الى نهاية ابعادها ولتسجل باحرف من دماء ونار نهاية عهد وبزوغ عهد جديد) (40) .

وحتى اذا كانت سنة 1794 رسمت الحكومة الفرنسية ـ وهي تضع دستورا لدينها الجديد بعد

---

(33) سورة الفرقان الآية 20 .
(34) المائدة الآية 114 ـ 115 .
(35) المائدة الآية 91 .
(36) سورة المائدة الآية 98 .
(37) سورة البقرة الآية 196 .
(38) سورة البقورة الآية 183 .
(39) كتاب : (هذه هي الدياليكتيكية ص 83 ـ 85 .
(40) كتاب : لله والحرية . لخالد محمد خالد ص 21 .

ان عمها الالحاد اثر الثورة مباشرة ـ اوضاع الدين الجديد الذي اطلقت عليه « عبادة الكائن الاعظم » ، وذكرت فيه ان من بين واجبات المواطن تجاه اخيه الانسان : (عون البائس ، واحترام الضعيف ، والذود عن المظلوم) (41) .

وهروبا من هذه الرجات العنيفة التى كانت تصحب دائما قلة الطعام وانعدامه كان الفراعنة من ملوك مصر ـ وهم فى نظر رعاياهم آلهة او ابناء الالهة ـ يعملون على توفير الطعام لهؤلاء الرعايا حتى لقد قيل ان الملك « امنحمب » كان يباهي ويقول : (لا جائع تحت حكمي ولا ظمآن فى ايامي)(42)

والحركات الاصلاحية التى شهدتها الانسانية على الدوام ، كانت تهدف اولا وقبل كل شيء الى ضمان الكفاف من الطعام . وديمقراطية اثينا .. التى ولدت فى عهد الفيلسوف « بركليس » والتى وصفها فى الخطبة التى نسبها اليه « توسيديد » اكدت (انها لا تهدف الى مصلحة اقلية ، بل الى مصلحة اكبر عدد ممكن ، والى ان جميع المواطنين يتمتعون بجميع الحقوق ...) واضافت بالخصوص: بانها تضع مشكل الطعام فى مقدمة مهامها . بل ونص واضعوا هذه الديمقراطية على وجوب القيام باصلاحات اقتصادية ومشروعات كبيرة ، ووعدوا « بالخبز بثمن زهيد » (43)

من كل ما تقدم نعتقد بانه من الحق التأكيد بان المشكل الآني والراهن للانسان فى كل ادوارها التاريخية ، ومنذ ان وطئت قدماها الارض ، كان ولا يزال هو الطعام ، او بتعبير اعم واشمل هو الاقتصاد بجميع فروعه وانواعه ، لان هذه الفروع وتلك الانواع لا تستهدف بدورها الا توفير الخبز والطعام لهذا الانسان .

ثم من المسلم به ان اول فكرة قرت فى ذهن الانسان وهو يفتح عينيه على هذه الدنيا كانت هي فكرة البحث عن ايسر طريق يحمي بها نفسه من مختلف العناصر الكونية والظواهر الطبيعية التى بدت له اول الامر مناوئة له ومعادية .

، وكان من الطبيعي ان ينحصر الفكر الانساني وقبل كل شيء فى البحث عما يقيم أوده ويحفظ فيه خلية الحياة . وذلك هو الطعام .

ومن الانصاف ان نقول ان البحث عن الخبز سبق البحث عن الله لدى الانسان ، ذلك ان الطعام يحفظ لهذا الانسان وجوده ككائن حي وذاتيته كانسان ، ثم هو الذي يعطيه امكانية التفكير فى اجوائه المحيطة به ويدفعه الى اعادة النظر فى ابجدية خلقه ليتوصل منها الى التفكير فى خالقه رب العالمين ، فكان اذن اول مشكل كان على الانسان ان يواجهه وهو يضع رجله على عتبة الحياة ويتحسس طريقه على هذه الارض المباركة ـ هو مشكل الطعام .

وتحدثنا الآثار القديمة ان آدم وحواء عندما اقترفا زلتهما فى الفردوس ، تلك الزلة التى كانت السبب فى طردهما من هناك ، كان المشكل الاكثر صعوبة الذى واجهه منذ اللحظة الاولى هو مشكل ايجاد الطعام ، حفاظا على خلية الحياة فيهما . وتحدثنا تلك الآثار ايضا كيف ان ملاكا كان مكلفا فى بداية وجودهما على الارض بتقديم ما كانا يحتاجان اليه من هذه المادة السحرية التى تهب الفكر نوعا من الاتزان ، ومزيدا من التعمق فى التفكير .

ثم يمضي الانسان فى طريقه نحو اكتشاف المجهول ، وتظل العقبة الكأداء فى طريقه ابدا هي مشكل الطعام . وقصة الحضارة تحدثنا كيف ان الانسان الاول كان يقتات كل ما كانت تقع عليه يده ، او تبصره عينه او يجده قريبا من متناوله، حتى ولو لم يكن صالحا لتغذيته ولا نافعا لحياته . لقد كان مدفوعا بغريزة حب البقاء ، للبحث عن اشباع غريزة الجوع المحطم لخلايا الحياة ، وباية وسيلة ، فلم يكن من الغرابة ان يقتات اوراق الاشجار او براعيم الزهور او زنابق الوادي .

وغريزة البقاء لدى الانسان كانت دائما هي التى تدفعه الى تحسين وسائل الاقتصاد والمعاش حتى لا يتعرض للانهيارات العصبية التى هي اخطر من كل انهيار ، فالانسان حين يطارده الجوع وشبحه لا يمكن ان يفكر الا فى وسيلة القضاء عليه قبل

(41) كتاب المدينة الفاضلة : لكارل بيكر ، ترجمة شفيق غربال ص 248 ـ 249 .
(42) كتاب جهاد الامم فى سبيل الدستور ، لمحمد شوكت التوني ص 33 ج الاول .
(43) تاريخ اعلان حقوق الانسان ، لالبير بايه ، ترجمة الدكتور مندور

التفكير في اي شيء آخر مهما يكن من الخطورة بمكان .

ودفعت هذه الغريزة الانسان الى القيام باجراء عدة اكتشافات تنبهه الى ما فى الحيوانات المحيطة به ، وحتى تلك التى تفتك به من مادة حيوية ودسمة تستطيع ان تعطيه الكثير مما يبحث عنه ، فهي افضل زاد واحسن غذاء والذ طعام ، فكان ان اهتدى الى اكتشاف اللحوم . « والانعام خلقها لكم، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ».. وهو الذى سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا » .. (44)

وبمرور الزمان تتجمع رغبات الانسان وتتركز فى هذا الثالوث الذى ما يزال شغله الشاغل حتى الآن : المأكل ، والملبس ، والمسكن ، ولكن كانت مشكلة الطعام من بين اقانيم ذلك الثالوث وبالدرجة الاولى هي محور كفاح الانسان واساس نظرته للحياة .

ويتقدم الانسان ويعمل على تنظيم مكاسبه الاولى ، فتهديه غريزة الاستئناس الى التجمع، فتتكون الاسر والجماعات ، فالقبائل ، فالامم والشعوب . وتتكشف للانسان الحياة النظامية التى اوجدها تكتله وتجمعه عن مشاكل اعقد واعوص ، تبلورت مع مرور الزمان والمكان فى المشكل الابدي: الطعام والعيش . وقد يتضخم هذا المشكل ، فى فترات ، وخاصة عندما يعم الجفاف او ينتشر القحط ، وتدفع امثال هذه الظروف الحرجة بالانسان الى اعادة النظر ، والى البحث عن اسباب وظواهر هذا الجفاف وذلك القحط ، ويبحث عن احسن الوسائل واضمنها لدرئها ان امكن ، وبالتالي للعمل على تحسين وسائل الانتاج وتنظيم التوزيع وحسن الخزن والتدبير .

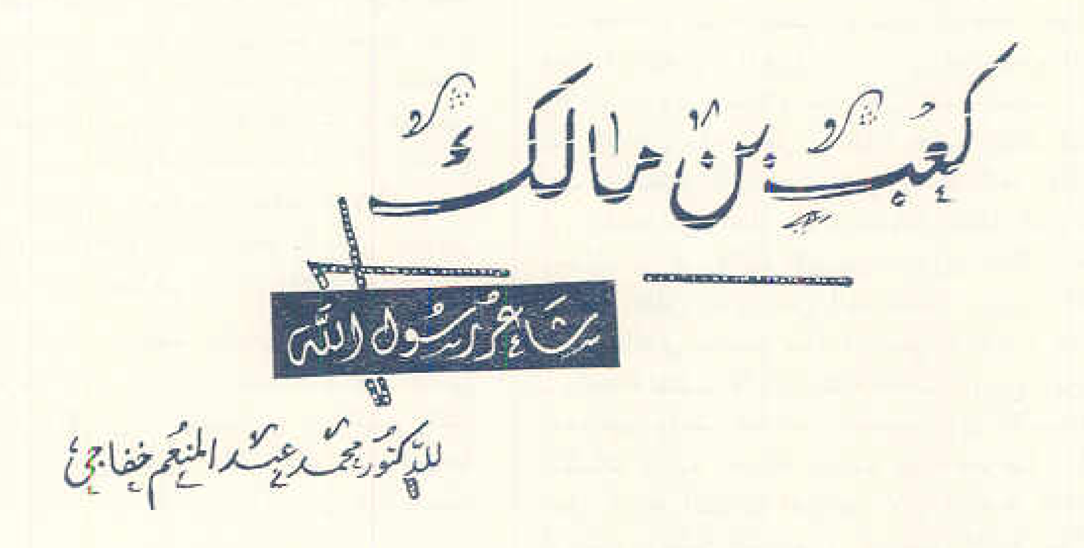
وتتجمع المعلومات الاولية لهذا الانسان فيعرف بالتجربة والمحسوس ، الكوارث الطبيعية والاخطار اللا منظورة ، فتهديه حاسته التى ارهفتها الكوارث السابقة الى معرفة بعض الوسائل الناجعة للقضاء على عدوه التقليدي : الجوع ... وفى كفاحه مع الاحداث والايام ، وفى نضاله من اجل لقمة العيش يعطي لمعلوماته فى هذه الاطر ، اطارا خاصا اتخذ فيما بعد اسم (النظام الاقتصادي) والانسان كلما اعاد النظر فى وضعه من العالم برزت مشكلة الطعام امام عينيه، وحالت ـ فى غالب الاحيان ـ دون انطلاقه نحو الكمال المطلق الذى تحن اليه نفسه ، ودون التقدم العظيم الذى ينشده عقله الواسع الافاق . فلا غرابة ـ والحالة تلك ـ اذا راينا قادة العالم اليوم يوجهون أكبر اهتمامهم واعظم عنايتهم لتجميع قوى الانسان فى منظمات دولية مختلفة تهدف فى مجموعها ، لمواجهة خطر تزايد السكان المستمر امام الاغذية الناقصة ، او الغير منظمة التوزيع ، او الغير كافية لهذا العدد من الموارد الآخذة فى الازدياد على الدوام والاستمرار .

ولهذا فان مشكل الطعام او الاقتصاد ، ظل وسيظل محط اهتمام الانسانية عبر زحفها نحو العالم الافضل والعيش الارغد ، وكلما حققت الانسانية تقدما فى ميادين التقنولوجية ، والتقنية والعلوم ، كلما اخذ مشكل الطعام ضراوة أكثر حدة واشد من ذي قبل . وهكذا تصبح القضايا الاقتصادية محور النشاط الانساني كله، وفى جميع مجالاته ومرافق حياته ويصبح الاقتصاد (ووحده فحسب) هو المتحكم فى مصائر الافراد والجماعات والامم والشعوب وفى علاقاتها مع بعضها .

فاس : عبد الكريم التواتي

---

(44) سورة النحل الآيتان 5 و 14



- 1 -

اكتب هنا عن كعب بن مالك شاعر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما احب ان اطلق عليه ، او « الصحابي الاديب » كما اطلق عليه الاديب الكبير عبد العزيز الرفاعي ، وان كنت لا اوثر على لقب شاعر رسول الله شيئا آخر ، لان ذلك هو اكبر فخر لكعب ، وهو الحقيقة الكبرى فى حياته ، وهو التعريف الاتم والاهم له ، ولان اي وصف سواه قد لا يمنحنا ما يمنحنا اياه العنوان من التصوير الكامل والتصور الدقيق لشخصيته .

ام اكتب هنا عن كعب بن مالك هذا الكتاب الجديد الرائع ، الذى الفه الاستاذ الرفاعي ، وهو كتاب جدير حقا بالكتابة عنه ، والدراسة له ، والعناية به ؟

ام اكتب عن الامرين جميعا : شخصية كعب ، وشخصية الكتاب الذي هو اليوم بين ايدينا عن كعب ؟

لقد يكون من الانسب ان أترك ذلك كله :

لان دراسة كعب فى حياته وشخصيته الفنية وشعره ونقائضه ونثره قد ارتفع بها الرفاعي الى مكان الصدارة ، مما تصبح معه كل كتابة عن كعب حديثا معادا مكرورا .

ولان الكتاب لا أرى احدا يختلف ، او يصح له ان يختلف معي فى أهميته ، فهو ممتع حقا بعرضه واسلوبه وبساطته ، وصدقه ووضوحه ، وهو كذلك يحتوي على جديد من الحديث ، فان الكتابة عن كعب تعد جديدة ، اذ لم يكتب احد عنه فى ادبنا المعاصر ترجمة منهجية مثل هذه الترجمة ، والترجمة الاخرى التي كتبها محقق ديوان كعب وصدر بها الديوان ، وان كانت هذه الدراسة الجديدة التي اخرجها الرفاعي تمتاز بمنهجية اصيلة التزمها المؤلف وهو يؤرخ لعلم من اعلام الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وباهتمامه بدراسة كعب اديبا « يجيد صوغ العبارة ، ويحسن سرد القصة ، قبل ان يفكر فى امره كشاعر جهير» ، وبانه « طرق مواطن من البحث جديدة لم تطرق من قبل ، ولو انها من القلة بمكان كبير » كما يقول الرفاعي فى مقدمته لكتابه . على ان دعوة الرفاعي فى صدر كتابه الى اخراج معجم مفصل دقيق شامل لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي دعوة جليلة نبيلة كم نحب ان يوفق الله المسلمين وعلماءهم الى القيام بها ..

ولقد اثار الكتاب بأسلوبه وشخصيته واتزان البحث فيه ودقته وشموله فى نفسي كثيرا من الاعجاب والتقدير والعرفان بالفضل للمؤلف الفاضل عبد العزيز الرفاعي ، جزاه الله عنا خير الجزاء .

على ان حديث المؤلف فى الكتاب عن نثر كعب ونقائضه ، وعن اسرته وسيرته ، وعن شعره المشهور ،

هو حديث جميل دقيق مفيد ، وفيه تركيز شديد .

انه لاولى بي هنا ان ادرس ما بعثه الكتاب في نفسي من مشاعر مختلفة ، وما اثاره امامي من مشكلات فنية طارئة ، فقد يكون ذلك اكبر فائدة للقراء، واكثر صرفا للوقت فيما لا تكرار فيه ولا املال . ولسوف احاول ذلك هنا في ايجاز شديد .

— 2 —

واولى هذه المشكلات هي ما ذكره ابو عمار في كتابه (ص 54) نقلا عن ابي الفرج في كتابه « الاغاني » من ان احد الصحابة جاء الى رسول الله، فقال له : ان ابا سفيان بن حرب يهجوك يا رسول الله ، فقام ابن رواحة فقال : يا رسول الله ائذن لي فيه ، ووثب كعب بن مالك ، فقال : يا رسول الله ائذن لي فيه .

واغلب الظن عندي ان هذه القصة هي في ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله ، لا في ابي سفيان بن حرب ، وكان ابن الحارث قبل اسلامه شديد العداوة لرسول الله والهجاء للمسلمين ، وكان يشترك مع شعراء مكة من المشركين في معركة الهجاء التي احتدمت بينهم وبين شعراء رسول الله في المدينة وهجاؤه لرسول الله هو الذي يلفت اذهان الناس لمكان قرابته من رسول الله ، ولاصالته في الشعر ، أما صنيع أبي سفيان بن حرب فلم يكن له هذه الاهمية عند احد .. وقد يصح لنا ان نذهب الى أن كلمة « حرب » محرفة عن كلمة «الحارث» .

وثانية هذه المشكلات هي هذه الرواية التي رواها ابو عمار مؤلف «كعب بن مالك» عن صاحب الاغاني ايضا ، فقد ذكر في كتابه (ص 55) أنه لما انهزم المشركون يوم الاحزاب قال رسول الله لاصحابه : ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم اذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي اعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله ابن رواحة فقال : انا ، وقام كعب بن مالك فقال : انا .

فهذا التمهيد للحديث ، الذي وقت به ابو الفرج لزمن الحديث نفسه ، يدل على ان معركة الهجاء بين شعراء المشركين وشعراء الرسول انما قامت بعد غزوة الاحزاب ، اي بعد شوال من السنة الخامسة للهجرة .

وهذا يقف بنا الى حد التساؤل : الم يكن لمعركة الهجاء هذه اثر بعد بدر واحد ، بل منذ هاجر رسول الله الى المدينة حتى اواخر السنة الخامسة للهجرة ؟

ان الحديث نفسه قد يمكن تاويل لفظة « ويهجونكم » فيه الى المغالاة في الهجاء ، اما الهجاء نفسه فقد كان موجودا منذ هجرة رسول الله واشتد بعد بدر ، وبعد احد ، وغيرهما من الاحداث الكبرى في حياة الاسلام في المدينة .

لقد كان هناك عدة رهط من قريش في مكة يهجون رسول الله والانصار ، من مثل عبد الله بن الزبعري ، وابي سفيان بن الحارث وابي سفيان بن حرب وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب ، وابي عزة الجمحي ، وهبيرة بن ابي وهب المخزومي القرشي ، وامية بن ابي الصلت وسواهم . وقد استنصر رسول الله شعراء الانصار ، وندبهم للرد عليهم ، فأجابه منهم ثلاثة : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وحسان أشعرهم ، ويذكر اسلام في كتابه « طبقات الشعراء » (ص 88) ان رسول الله بعث لابن رواحة فقال له : عليك بالمشركين ، واثنى على كعب ونوه بشعره في الدفاع عن الاسلام .

وقد اخذ حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم في الوقائع والايام والمآثر والمثالب ، وكان كعب يخوفهم الحرب ، وحسان يقبل على الانساب ، وابن رواحة يعيرهم بالكفر ، فكان اشد القول عليهم قبل ان يسلموا هو شعر حسان وكعب واهون القول عليهم شعر ابن رواحة ، فلما اسلموا وفقهوا في الدين كان اشد القول عليهم هو شعر ابن رواحة .

ان توقيت ابي الفرج لهذه المعركة الادبية هو الذي يلفت النظر ، ويثير الفكر ، وانا ارى ان هذا التوقيت زيادة من ابي الفرج لا تدل على حقيقة ، وهي بكونها مبالغة في التقدير اولى من كونها حقيقة واقعة ، لظاهرة ادبية كبيرة حدثت بعد الهجرة .

اما المشكلة الثالثة فهي هذا الشعر التاريخي الذي قاله كعب ، وعرض له صديقنا ابو عمار في كتابه ، من مثل شعر كعب في بيعة العقبة الكبرى

واسماء النقباء الاثني عشر ، ومن مثل شعره في الغزوات ، وفي مقتل عثمان ، وفيما سوى ذلك كنقائص كعب وبعض فخره وهجائه ورثائه مما ذكره المؤلف في جوانب كثيرة منه .

وانا ارجع ان تعد ذلك كله فرعا لشعره الاسلامي الذي هو اهم ميزة كعب وشاعريته ، والذي هو اجل جوانب كعب واكبرها واولاها بالاهتمام من النقاد والدارسين .

اما ما عرض له المؤلف الجليل من حديث عن القصة في ادب كعب فهو ناحية تستحق الاهتمام حقا : ويذكر المؤلف ان ابن حجر يسمى حديث كعب في تخلفه عن تبوك قصة ، وانا شديد الاعجاب بذلك ، بصنيع ابن حجر وصنيع الرفاعي في تسمية هذا الحديث الذي ورد في البخاري قصة ، فهو يحتوي كل عناصر القصة الفنية واصولها .

واما الخلاف حول سن كعب ، اضافة او حذفا لبعض سنين من ميلاده او وفاته ، مما ذكره الاستاذ الرفاعي ، فهو كذلك مع الخلاف فيه في التحديد شيء مثير ، وان كان اقل من ان يسمى مشكلة .

فوفاة كعب هي في عام خمسين من الهجرة ، اي عام 670 م وقد ذكر ذلك مؤلفنا ، ولكن اصحاب الموسوعة الميسرة يجعلونها عام 673 م اي عام 53 هـ ، وهذا التاريخ لم يذهب اليه مترجمو كعب .

اما ميلاد كعب فهو نحو عام 25 ق هـ عند المؤلف ، وذلك يعادل عام 597 م والموسوعة الميسرة تقدره عام 596 م ، وهو لا يتفق مع المعادلة التاريخية بين التاريخين الهجري والميلادي ، ويقدره محقق الديوان بعام 27 ق هـ ، وذلك هو الذي يوافق عام 596 م ، والاختلاف في ذلك كله امره سهل ويسير .

اما المشكلة الاخيرة فهي ان الاستاذ الكبير الرفاعي يذكر في كتابه (ص 27) ان كعبا كان وحيد ابويه ، وان اباه لم يكن له ولد غير كعب (ص 17) .

ثم يذكر في مقام آخر (ص 19) انه كان من اخوته سهل وسراقة .

— 3 —

وبعد فشعر كعب قد جلاه في صورة جليلة الرفاعي المؤلف ، وهو شعر قريب الى العقل والفكر والى الشعور ايضا .. ومما قاله كعب بعد غزوة الاحزاب قوله :

وسائلة تسائل ما لقينا
ولو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلا
على ما نابنا متوكلينا

وكان لنا النبي وزير صدق
به نعلو البرية اجمعينا

لنتصر احمدا والله حتى
تكون عباد صدق مخلصينا

ويعلم اهل مكة حين ساروا
واحزاب اتوا متحزبينا

بأن الله ليس له شريك
وان الله مولى المؤمنينا

وبعد فكتاب « كعب بن مالك » بدراسته الجميلة ، ومنهجه الاصيل ، وذوقه الجليل ، حسنة من الحسنات ، وله عند كل مقدر للبحث واعبائه محل رفيع من التقدير .. ومقدمته بأناقتها البيانية، وافكارها الجياشة ، وبمحاولتها الربط بين ماضينا وحاضرنا — عمل جليل .

شكرا لعبد العزيز الرفاعي .

وتقديرا لكتابه « كعب بن مالك » الصحابي الاديب .

محمد عبد المنعم خفاجي

من أصنام العصر...

للأستاذ محمد بنحاش

قد يستغرب أو يستنكر من يطلع على مقالتي هذه، ولربما قد يصفني أو يصمني بالتزمت في التفكير والتهور في التقدير مع المجازفة في التبرير والمبادرة الى تحليلات أو تعليقات غريبة.

ولكن ماذا يصيبني أو ينقص مني ان قيل في ما قيل وانا اقوم بواجبي في التنبيه على أصنام مبتكرة في القرن العشرين، أصنام عجيبة في شكل جديد، والاقبال عليها هو الغريب بل التفاني في حبها هو بيت القصيد!

انها في الظاهر للناس والواضح لهم ليست بأصنام لكونها لا تعبد أو لا يسجد لها فهي ليست في نظرهم من نوع الاصنام المعروفة في تاريخ البشرية، فكيف تعتبر من الاصنام؟ ولكن ماذا نعرف عن حقيقة تاريخ الاصنام؟

يقول التاريخ الحق بأنها كانت حقيقة في الاصل لشخصيات محترمة محبوبة حظيت بالتقدير والتبجيل عند اهاليها وبعد موتها قرر محبوها اتخاذ تماثيل لها اعترافا بالجميل لها، وتذكيرا بها على الدوام حتى يستمر ويتأكد عمليا الاسترشاد والاقتداء بها، الا ان هذا الاعتراف تحول الى انحراف وهذا التذكير تبدل الى تقديس.

وعلى ضوء ما حدث من الافراط في الحب لهؤلاء والذين نجمت منه صنوف الانحراف عن صحة العقيدة يحق لنا ان ندين هذا التصرف من المحبين ونصفه بانه دليل قاطع على المغالاة في الحب أدى الى تقديس ناس، تضخم بالجهل والسذاجة الى عبادة احجار تصور شخصيات خلت لا تدفع ضرا ولا تجلب نفعا! وعلى هذا الاساس نقول بان حب شيء من الاشياء الى حد ان يعمي ويصم (1) يؤدي حتما الى تقديس هذا الشيء ويعتبر فورا عبادة له خصوصا اذا الهى الى حد اللا معقول، وشغل صاحبه عن الواجب المفروض، والمسؤولية اللازمة، وجعله في دوامة الضياع من الغفلة والتغافل عن الواقع الفاسد للحيلولة دون تصحيح واصلاح (2) هذا الواقع.

بعد هذه المقدمة نصل الى الكلام عن بعض أصنام العصر المقصودة في هذا المقال والتي تعد كثيرة ومتنوعة وموجودة في عصر الحضارة الغربية، هذه التي دوخت وخدعت، وزوقت وزورت، وصنعت وفتنت، وضيعت ومسخت.

ان هذه الاصنام العصرية مع الاسف رياضية بمعنى انها ظهرت في عالم الرياضة، وباسمها وفي ميدانها بحجة الجمال الجسمي والكمال البدني واللهو البريء والتنافس الشريف والتباري النظيف للترفيه عن النفس بما هو رياضي حتى يعيش الانسان في حياة رياضية وبذلك ينمو جسميا ويزكو عقليا، الا ان الرياضيين انحرفوا ومحبيهم انجرفوا، وقد كان هذا الافساد الذي طرا على عالم الرياضة متوقعا بل كان مقصودا والبرهان هو التناحر والتقاتل والتنافر

---

(1) في الحديث (حبك الشيء يعمي ويصم) رواه احمد.

(2) عن كتاب (الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون)، صفحة: 118 لمحمد خليفة التونسي، طبعة دار الكتاب العربي 1951.

والتعارض والضحايا فى سبيل الرياضة فى ميادين رياضية بين الانصار والمعارضين من هواة لاعبي الرياضات وبالاخص كرة القدم : هذه اللعبة المحظوظة التي صارت ملكة أنواع الرياضة .

كنت اسائل نفسي قائلا وباحثا : الم ينحرف الناس من عشاق كرة القدم عن اهدافها التي تبدو معروفة ومعقولة ؟ الم يتشغلوا بها الى ابعد الحدود ؟ الم يلهوا بها الى حد المبالغة التي أدت الى اضاعة حقوق وازهاق ارواح ؟ فاين الروح الرياضية والتغني بها واين سمو المقاصد منها ؟!

ولم يطل التساؤل ولا البحث ، ولم اتهم نفسي بعدم التوفيق فى وضع النقط على الحروف فقد وجدت الجواب المقنع او بالاحرى الحجة الدالة على وجود الاصنام العصرية بالاشكال الرياضية من بروتوكولات حكماء صهيون : (... انما توافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطا سياسيا اذا أعطيناها ملاهي جديدة ، اي التجارة التي نحاول فنجعلها تعتقد أنها أيضا مسالة سياسية . ونحن انفسنا اغرينا الجماهير بالمشاركة فى السياسات ، كي نضمن تأييدها فى معركتنا ضد الحكومات الاممية (غير اليهودية) . ولكي نبعدها عن ان تكشف بانفسها اي خط عمل جديد سنلهيها ايضا بانواع شتى من **الملاهي والالعاب** ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا . وسرعان ما سنبدأ الاعلان فى الصحف داعين الناس الى الدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات : **كالفن والرياضة** وما اليهما . هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتما عن المسائل التي سنختلف فيها معه (2))

هذه الكلمات من البروتوكولات برهنت بها على وجود الانحرافات المرادة فى عالم الرياضة عند المحترفين والهواة على صعيد اي لعبة رياضية ، ففي بداية شهرة الرياضات كان المقصود منها شريفا وظاهرا للعيان ولكن بالتدريج تحققت لليهود الفوائد المرجوة منها كمشروعات من بنات أفكارهم تستهدف القضاء على غير اليهود بالاضعاف والاستعباد بالوسائل الرياضية ، هذا الاستبعاد الذي نتج بالتنافس المريب ، والالهاء الدائم ، والتحريض اللا مشرف ، والتضييع للاوقات فيما لا يفيد او ينفع .

وحتى لا يستمر تجسيم عنصر الشر والفساد فى شتى الرياضات اصبح من الواجب تعليمها بحذر ، ومزاولتها بتوجيه ، والاقبال عليها بوعي ، وبذلك نفوت على يهود الاغراض التي يريدون منها ، ونخيب رجاء حكماء صهيون فيما خططوا له وابتكروا من وسائل وفنون رياضية تلهي وتضيع بالانشغال بها والانكباب عليها .

ولعل الملاحظ المنصف يؤيدني فى وجهة نظري المستنتجة هذه اذا تمعن فيما وضحت واستنتجت خصوصا اذا مثلت له بكرة القدم ، هذه اللعبة التي ضيعت اوقات الصغار والكبار والهتهم عن معالجة مشاكلهم وتصحيح أوضاعهم وتحسين واقعهم والتخطيط لمستقبلهم بالافيد الاهم والاصلح الاعم .

ولكن اين نحن من هذه التحسينات الضرورية والتصحيحات الاصلاحية ما دام الناس — واقصد ناس الاسلام — فى غفلتهم المعهودة ، كل تجمعاتهم عن الرياضة وكل مشاهداتهم لكرة القدم حتى صاروا اسارها وكيف لا يكونون ضحاياها وقد سلبت عقولهم وقضت على ارادتهم وضيعت طاقاتهم بالاهتمام والافتتان بها ، يحضرون تجمعاتها ويقبلون على مبارياتها ، ويفرحون للانتصار ويحزنون للاندحار ؟! وقد بلغ بهم الحب الاعمى والتعلق بها الى حضور حفلاتها والتفرغ لها الى حدود الممكن الذي لا يعرف المستحيل ، اما حفلات الدين وتجمعات الدين فالاضراب عن حضورها هو المنشود وعدم التفرغ لها هو المقصود .

وما الدين لا اليس فى نظرهم حياة على الهوامش حافلة بالمحرمات ، مانعة للشهوات ، مضيعة للفرص مع الرغبات ، مضيقة على النفوس ، معطلة للطاقات !!!

والعجيب الغريب فى أمر كرة القدم أن غير المسلمين الذين يحترفونها لم يفقدوا شعورهم الديني بل اعتقادهم الديني ، ويحضرني بهذه المناسبة مشهد من مشاهد كرة القدم شاهدته صدفة فى التلفزة خلال الالعاب الاولمبية بمكسيكو لسنة 1968 وهو لاحد اللاعبين المشهورين اذ لم تطأ قدماه الميدان حتى بادر بالقيام بحركة الصلاة المسيحية ، ولم يوجد من يصفر او يستنكر عمله لانهم ناس يؤمنون بالعيش فى حياة رياضية أساسها تعاليم دينية .

فالحياة الرياضية مع كامل التأسف لا ينعم بها لا هواة ولا محترفو الرياضة من المسلمين وقصدي المغاربة ، ويجدر بي ان اذكر فى هذا الشأن بالموقف الحرج الذي عاشه لاعب مغربي من فرقة (مالقة) باسبانيا بسبب الدرس الذي لقنه اياه رئيس الفرقة

استحق به الطرد لانه شرب الخمر الذى لايليق بالرياضي الملتزم . ولو كان هذا اللاعب المطرود المنسوب الى الرياضة حقيقة من الملتزمين لما احتاج الى نصيحة المسيحي لان الاسلام العظيم يمنع الخمر ولكن قومي يجهلون ليضطروا الى اخذ دروس الاخرين ، وهي من صميم دينهم .

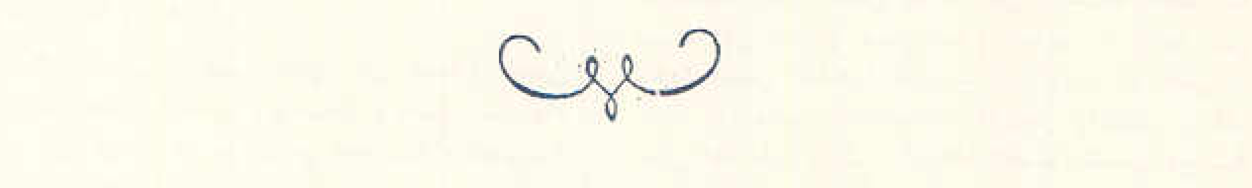
هذا عن الكبار المزاولين لكرة القدم من المسلمين اما عن الصغار المحبين لها بجنون فلا تكاد تجد احدهم يحادثك عن شيء غير كرة القدم ، فهو يهمل ما عداها ويقبل عليها لعبا ومشاهدة ، ويلم بتاريخها ويعرف مشاهير لاعبيها وفرقها المحلية والعالمية ، وان كلمته بالتدريج عن دينه ظهرت سلبيته فيه وتجلت ايجابيته فى غيره ، فهو مسوق ، وهو مقلد ، وهو مسحور بكرة القدم ، وهو مقدس لها ، وذلك ما استهدفته بروتوكولات صهيون ، وهكذا فهم لهم العلم بانواع الرياضات وفرقها وابطالها مع معرفة اسمائها واسماء اعضائها المشهورين الذين يحفظون اسماءهم عن ظهر قلب .. ولكن لا يحفظون فاتحة الكتاب ولا كلمات التشهد (3) .. ؟

ان كرة القدم ومثيلاتها من بنات الرياضة وبنات الفكرة الجاهلية ، وبنات الطريقة الجاهلية ، وبنات النظرة الجاهلية ، وبنات الوجهة الجاهلية ، اصنام عصرية تجسم ضياع الانسان العصري كما جسمت اللات او العزى ، ضياع الانسان العربي فيما مضى فى جاهلية ما قبل الاسلام .

أليست اللات القديمة واخواتها أضلت كل انسان وكذلك اللات الحديثة تفعل ؟ وللتوضيح أشير الى طواغيت الكفر ، الى انظمة الكفر ، الى حلول الكفر ، وبصراحة اقول : انها مناهج وانظمة الجاهلية العصرية ومباهج واتاجات الحضارة العصرية .

محمد ابراهيم بخات

(3) كنت قد قمت بتجربة فى هذا الصدد مع جماعة من الشبان فلم احظ الا بواحد فقط يحفظ بتذبذب سورة الفاتحة .





تمهيـــــد :

قد يكون من خصائص الاسلام التى لا يقع التفطن لها ان الباحث لا يحتاج للتاكـد من وجـود مظاهر حضارية فى هذا الدين الى دراسة محتواه، وانما يكفيه فقط ان يقف عند لفظ **الاســلام** بشيء قليل من النظر والتمعن ، وهو اذ فعل ذلك سيجد ان هذا اللفظ يحمل الشيء الكثير من مفاهيم التمدن ان لم يكن عنوان التمدن الحق كله .

فالاسلام ماخوذ من السلام والمسالمة بمعنى الطاعة والانقياد ولين الجانب . جاء فى القـــرآن الكريم : « وانيبوا الى ربكم واسلموا » .. « فقل اسلمت وجهي لله » « وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها » .

والسلام بهذا المعنى ادعى الى السلام بمعنى آخر ،وهو هدوء النفس وتواضعها وحسن سلوكها، وبعدها عن كل ما هو مؤذن من عصبيـة وعنصريـة وخصام وسفه وخشونه فى القـول ونحو ذلـك . ويقابله بهذا المعنى الجهل . قال تعالى : « وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » (الفرقان) اذ معنى الآية : ان عباد الرحمن يمشون على الارض مشيا هينـا لا تكلف فيه ولا تصنع ، ولا يمشون عليه مشي بطر او اشر ، او مشي كبر وخيـلاء ، واذا خاطبهم غيـر المتادبين تركوا مقابلتهم بالمثل وقالوا سدادا من القول ، وهذا يدل على حلمهم ومروءتهم . وقال تعالى : « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم **لا نبتغي الجاهلين** » وقال سبحانه خطابا لنوح الذى ساله نجاة ابنه من الغرق : « انى اعظك ان تكون من الجاهلين » أي من الذين يسالون ما لا يليق ، اذ انك مرشد قائم مقام الدعوة الي لا ينبغي ان تسالني ما لا تتيقن بانه صواب موافق للحكمة .

وهذا التباين فى الاخلاق بين ما جاء به الاسلام وبين ما كان متعارفا عند العرب هو السبب فى تسمية عصر ما قبل مجيء رسالة محمد صلى الله عليه وسلم « جاهلية » وما بعد مجيئها «اسلاما» فالجاهلية التى تسمى بها ما قبل البعثة المحمدية ليست من الجهل بمعنى عدم العلم ، وانما من الجهل بمعنى المفاخرة بالنسب او اللون ، او الغنى او الجاه ، والمنابزة بالالقاب ، والتغامز والتلامز . قال صلى الله عليه وسلم : ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء ، الناس رجلان : مومن تقي ، وفاجر شقي (1) وسمع صلى الله عليه وسلم ابا ذر الغفاري يعير بلالا ، ويقول له يا ابن السوداء ! فظهر الغضب على وجهه ، وقال : طف الصاع ، طف الصاع . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لاسود على ابيض ، ولا لابيض على اسود الا بالتقوى كلكم من آدم وآدم من تـراب ،

(1) اخرجه ابو داود والترمذي .

وانك يا ابا ذر لامرؤ فيك جاهلية ! اي فيك شيء من خلق الجاهلية حيث تتفاخر بلون امك (2) .

وقد ورد في الصحيح ما يشير بوضوح الى ان الاسلام من السلام بالمعنى الاخير . قال صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .. (3)

ولقد اختار الاسلام ان تكون تحيته كلمة : « السلام » يفاتح بها المسلم صاحبه فيزيل بها عنه ما قد يكون استشعره من خوف او ما يكون قد اصابه من استيحاش فيطمئن قلبه وتهدأ نفسه . قال تعالى : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » اي فابدأوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة كما قال الامام النسفي في تفسيره (4) وقال عبد الله بن سلام : كان اول شيء سمعته من كلام رسول الله (ص) حين هاجر الى المدينة : افشوا السلام ، وصلوا الارحام، واطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام (5) .

وكان رسول الله (ص) يجد في الاكثار من كلمة السلام حلاوة ويجد لترديدها لذة ، فكان يقول في اعقاب صلواته : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، وادخلنا الجنة دار السلام (6) .

ومما يزيد المسلمين تعلقا وهياما بهذه الكلمة الطيبة انها تحيتهم في الدنيا وتحيتهم في الآخرة « تحيتهم يوم يلقونه سلام، واعد لهم اجرا كريما » (سورة الاحزاب) « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » (سورة يونس) . « خالدين فيها باذن ربهم ، تحيتهم فيها سلام » (سورة ابراهيم) لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما ، الا قيلا سلاما سلاما » سورة الواقعة) .

كما انها هي النشيد الحلو والنغم العذب الذي ستتلقاهم به الملائكة يوم يردون على دار الخلد حيث يجزون احسن ما كانوا يعملون . « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » (سورة الرعد) .

« يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (سورة النحل). « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (الزمر)

وهكذا يبدو ان الاسلام شعاره السلام ، وانه مشتق من السلام الذي هو روح المدنية الحقة . اذ لا تمدن بدون امن وطمأنينة ، ولا تحضر مع ما كان يتصف به العرب قبل الاسلام من عصبية وعنصرية وغلظة وجفاء وسفه وطيش .

وعندما نترك الشعار الى ما وراءه من معتقدات وعبادات واخلاق واحكام نجد ان الامر على خلاف ما هو معهود في المذاهب الوضعية من زيف الشعارات ، وخدعة العناوين ، وبريق الواجهات . فما من عقيدة، وما من عبادة ، وما من خلق ، وما من حكم وتشريع دعا اليه الاسلام الا وفيه اكثر من مظهر حضري .

ولننظر مثلا الى الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ، فهذه الافعال التي تعتبر ركائز الاسلام ودعائمه الاولى بعد الشهادتين طبعا ، والتي يعتقد الكثير ممن لا يعرف الاسلام معرفة درس وتمحيص انها مجرد طقوس دينية خالية من اي معنى آخر ، هذه الافعال هي مظاهر تمدنية عظيمة ، اكتست صبغة دينية ، فاصبحت الزامية ومحبوبة في نفس الوقت ، يقوم بها المومن في أوقات معينة ، وعلى كيفيات مخصوصة ، ولاغراض محددة ، فيتعلم اول ما يتعلم الاهتمام بالوقت ، والتنبه الى فوائده والتمرن على الضبط في الامور ، والابتعاد عن الخلط والفوضى ، كما يتعلم ان تكون أعماله هادفة وذات اغراض نبيلة ، وان يكون ذا ارادة قوية تحد من نزواته الحيوانية ، وتتحكم في ميولاته البهيمية ، تسمو به عن سفاسف الامور ومبتذلاتها ، وترفعه الى حيث يصبح عالي الهمة ، طاهر القلب ، شريف القصد ، ثابت الجنان ، مرهف الحس ، عميق النظر بعيده .

---

(2) اصحاب السنن .
(3) البخاري وغيره .
(4) ج 3 ص 119 .
(5) ابن عبد البر : الاستيعاب ج 3 ص 922 .
(6) مسلم وغيره بالفاظ مختلفة .

هذه بصفة اجمالية فاذا ما رجعنا الى التفاصيل فاننا نجـد :

1 ـ الطهـــارة :

ان الطهارة التي تكون من غير ما ريــب نقطــة البداية فى منطلق اي تمدن وحجر الزاوية فى بناء اية حضارة دعا اليها الاسلام بغير ما طريقة وغير ما اسلوب ، دعا اليها فى المسكن والملبس والمطعــم والمشرب وكل شيء يتناوله الانسان او يتصل به ، ودعا اليه فى النفس والروح والقلب والضميـــر قال تعالى : « ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » اي يحب المتطهرين روحا وقلبا ، وجسما وبدنا ، باطنا وظاهرا ، اذ التوبة لا تعني ما علق بالروح من اوضار ، وغســل ما تدنست بــه النفس من خطايا وآثام. فالآية جمعت بين الطهارتين: المادية والمعنوية ، الروحيــة والبدنيــة ، واعلنت ان الاتصاف بهذه الصفة يستوجب محبة الله . وقال صلى الله عليه وسلم : « الطهور شطر الايمان » (6) وقال : ان الله طيب لا يقبل الا طيبــا » (7) وفــي رواية الترمذي عن سعد بن ابي وقاص : ان اللــه تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة .

ولاهمية الامر لم يكتف الاسلام بتلك الدعوات الترغيبية بل انه جعل الطهارة شرطا اساسيا لصحة الصلاة ، ومن ثم اصبح الطهر والنقاء من الزم صفات المؤمن ، وطهارة الاسلام المادية طهارة حقيقية تشمل الجسم والثوب والمكان ، وتقضــي على الخبــث والقاذورات فى كل موطن وليس فقط فيما تقع عليه العين ، ويعطي لصاحبه مظهرا مزيفا مخادعا لا ينطبق على الحقيقة فى شيء .

والشيء الذي يجهله الكثير عن طهارة الاسلام انها دعت منذ اربعة عشر قرنا الى المحافظــة علــى طيب النكهــة وسلامــة الاســنــان ورونقها ، وذلــك بتنظيفها وغسلها بما يزيل عنها رواسب الطعام ولما تكون فيه اذاية ، اذ المطلوب من المسلم ان يغســل فمه فى كل وضوء ، ويستاك بما يطهر اسنانه ، لا يعفيه من ذلك حتى الصيام ، والمقصود من الخلوف الذي يقول فيه النبي (ص) :

« لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريــح المسك » (8) ليس هو رائحة الفم المنبعثة من بقايــا الطعام المترسبة على الاسنان قطعا ، فهذه كريهة تضر الناس وتضر الملائكة ، وانما المقصود تلك الرائحــة التي تنبعث من المعدة أي خلوها من الطعام .

وقد ورد في السواك ما يزيد على مائة حديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم :

« لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك فى كل صلاة ، وفى رواية : عند كل وضوء» (9) وظاهر رواية فى كل صلاة مطلوبية غسل الاسنان ولو كان الانسان متوضئا ، وبه قال بعض الائمــة : قــال الحافظ الصنعاني : ولو قيل : انه يلاحظ المعنى الذي لاجله جاء السواك ، فان كان قد مضى وقت طويل يتغير فيه الفم بأحد المغيرات ... لشرع السواك وان لم يتوضا ، والا فلا اكان وجها .. (10) فهل يعلم شباب الاسلام ان ما يفعلونه كل صباح من تطهيــر لثاتهم بمعجون الاسنان هو من صميم حضارة دينهم بل من طقوسه وتعاليمه ؟ .

ومن اسرار ودقائق تعاليم الاسلام انه حتى فى حالة الاعذار التى اعتبرها مقبولة لعــدم الاتيـــان بالطهارة المادية بمعناها الكامل ، وهي الطهارة بالماء ، لم يرد ان يتنازل عن هذه المكرمة بالمرة كشـــيء واجب ، وانما عدل الى شيء آخر هو رمزي اكثر منه حقيقي . ذلك هو الطهارة الترابية .

ومن بين ما يرمي اليه الاســلام وراء ذلــك ان يصبح الشعور بالطهارة خلقا من خلق المرء لا يزايله لحظة ، فهو دائما فى حاجة الى الطهارة لا يسقطها عنه شي حتى ولو كان ذلك الشيء هو المــرض او الخوف من حدوثه اوفقدان الماء .

والغريب فى الامر ان اديانا اخرى غير الاسلام كانت تنظر الى نظافة الجسم وطهارة البدن على انها

---

(6) مسلم ، واحمد فى مسنده والترمذي .

(7) مسلــم .

(8) البخـاري وغيـره .

(9) مالك واحمد والنسائي وابن خزيمة ، وذكره البخاري تعليقا .

(10) سبل السلام ج 1 ص 52 .

شيء بغيض ، يجب اجتنابه وتركه ؛ لانه مناف لنقاء الروح وصفاء السريرة !

يحكى عن بلاش ملك الفرس (484 — 488 م) انه لما امر بانشاء الحمامات للناس في مملكته جلب على نفسه سخط الكهنة ، لانهم رأوا في ذلك انتهاكا لحرمة الدين .. ويذكر الطبري ان الفرس لم تكن لهم حمامات قبل الاسلام.. (11)

وكان الرهبان يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ، ويتأثمون من غسل الاعضاء ، وازهد الناس عندهم واتقاهم وابعدهم عن الطهارة ، واوغلهم في النجاسات والدنس . يقول الراهب الهيئس : ان الراهب انطوني لم يقترف اثم غسل الرجل طول عمره ، ولم يمس الراهب ابراهام وجهه ولا رجله بالماء خمسين سنة » (12)

2 — الصـــلاة :

والصلاة التي هي اس من اسس الاسلام وسيلة تربوية هامة تعود الفرد تقييم الوقت والاستفادة منه بالاعمال النافعة بحيث لا يضيع سدى بما تستوجبه من اوقات مضبوطة ينبغي الاهتمام والتنبه لها بحيث لا يصلي قبلها ، فتكون صلاته لاغية ، ولا بعدها ، فتفوته فضيلة الاداء ، وتعوده دقة الملاحظة واتباع سبل النظام في الاعمال بل وحتى في الافكار بما تفرضه من اقوال وافعال مرتبة ترتيبا دقيقا يجب الالتزام به ، ومكيفة تكيفا خاصا تحرم مخالفته ، واخيرا تعوده الاعتداد بالنفس ونبذ كل نوع من انواع المخاوف والشكوك وكل اتكال او استعانة او خضوع الا للخالق الاعظم .

ذلك ان المؤمن يفتتح صلاته بكلمة **الله اكبر** فيستشعر ان العظمة والكبرياء الحقيقيين هما لله وحده لا يشاركه فيهما غيره ، فتذهب عنه هواجس القلق والاضطراب والخوف من غير الله مهما سما مقامه ، وعلت منزلته ، اذ الله اعلى منه — ان كان ممن لا سلطة له ولا نفوذ . وترايله وساوس الطغيان والتجبر ان كان من اصحاب النفوذ والكلمة المطاعة. لان الله اقدر عليه من قدرته هو على غيره. ويقرأ ويكرر **« اياك نعبد واياك نستعين »** فيبدو له جليا ان الذي ينبغي التوكل عليه ، والاستعانة به على الوجه الحقيقي ، والخضوع له في السر والعلن ، والرجوع اليه في الشدة والرخاء هو الله وحده ، اذ هو رب العالمين الذي يملك الرحمة والعذاب ، ويملك الهداية والضلال ، والغنى والفقر .

والصلاة من جهة اخرى نظام اجتماعي محكم تحمل على التحلي بما لمزايا المجتمعية ، والتخلي عن صفات الانانية الفردية ، ففيها يقف الناس في مكان واحد صفا واحدا ، احتكت فيه الاجسام ، والتصقت المناكب ، فقير اغبر ذو طمرين بجانب غني ذي ملايين ، وحاكم قوي ذو شوكة بجانب محكوم غير مهاب ، يتجهون جميعا وجهة واحدة ، ويتحركون بتحركات امام واحد . يسجدون فتعفر وجوههم بالتراب ، وتلتصق جباههم بالارض ، وقد تلتقي بها اقدام المصلين امامهم فلا يجدون في ذلك غضاضة مهما علت منازلهم ، لان الله لا يقبل ممن لم يكن مخلصا لجنابه في ذلة وتواضع جم ، كاسرا من حدة هواه وجبروت طغيانه ، معتبرا نفسه انه عبد الله كالآخرين لا يفضلهم بشيء ، ولا تميزه عنهم ميزة . يقول الله تعالى في الحديث القدسي : ليس كل مصل يصلي ، انما اتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، ، وكف شهوته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وآوى الغريب ، كل ذلك لي وعزتي وجلالي الحديث (13) .

وهكذا تقتلع الصلاة بطريقة عملية من نفوسنا جذور الصلف والكبرياء ، والذلة والتخاذل والهلع والجزع لتغرس محلها روح التواضع والمساواة ، والكرامة والاباء ، والاطمئنان والرضى . ان كان هناك كبير من مال وولد وزوجة ومتعة وشهوة فالله اكبر ، وما عنده خير وادوم ، فلا يليق ان يشغلنا الولد والمال عما عند الله حتى نصبح جزعين هلعين ، وبالتالي قلقين مهمومين . وان كان هناك جاه وسلطة وقدرة فقدرة الله وجاهه اعظم من كل ذلك ، فلا ينبغي ان نغتر ان كنا اقوياء لنا وجاهة واعتبار ، وسلطة واقتدار . وصدق الله اذ يقول : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (سورة العنكبوت) ويقول: « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين .. » (سورة المعارج)

---

(11) متز : الحضارة العربية ج 2 ص 217 .
(12) السيد قطب : الاسلام ومشكلات الحضارة ص 57 .
(13) السيوطي : الاتهامات السنية .

ولكن الصلاة لكل تشريعات الاسلام وطقوسه لا تعطي نتائجها الا اذا استحضرت فيها ذات المعبود متحلية بأكمل صفاتها ، وكانت خالصة لوجهه خالية من شوائب النفس واوضارها ، فلا نصلي ليقال عنا ذلك ، او ليعتقد فيها الخير والصلاح ، فتكون صلاتنا مجرد وسيلة من وسائل الدعاية والنفع الدنيوي رفضها الله سبحانه الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، ويأبى ان يشاركه في الامر غيره . « انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو كله للذي اشرك » (14) .

كما يجب أن تكون صلاتنا على نحو ما كان يفعله (ص) الذى يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (15)لان تلك هي الاقامة التى امرنا الله بها ، فقال « واقيموا الصلاة » احفظوها وصونوها من ان يكون فيها فساد فى صورتها ، بأن لا تكون على الهيئة المطلوبة ، او فى حقيقتها بان تخلو من الاخلاص لله . وما الطف قول ابن عطاء الله في الحكم : « لتكن همتك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم » .

والجمع المطلوب بين القصد الحسن والكيفية المتقنة فى العمل هو المقصود فى القرآن والاحاديث من كلمة الاحسان . قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى : « ليبلوكم ايكم احسن عملا » : اخلصه واصوبه . قالوا ــ يا ابا علي ــ : ما اخلصه واصوبه ؟ قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا ، والخالص ان يكون لله ، والصواب ان يكون على السنة . وذلك تحقيق قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (16)

ويدل لهذا المراد من الاحسان ما جاء فى حديث جبريل : « الاحسان أن تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » فلا شك ان من يعبد الله كانه يرى الله فان لم يكن يرى الله فهو مؤمن بأن الله يراه يتقن صورة العبادة ، ويجعلها خالصة لله . وكان امير المومنين عمر (ض) يقول فى دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لاحد فيه شيئا » (17) .

3 ــ الزكــــاة :

والزكاة هي الاخرى نظام مالي اجتماعي له اهميته . وهي ماخوذة من زكا يزكو اذا نما . والنمو الذى يحققه ذلك العطاء المالي الذى جعله الاسلام احد اركانه هي نمو المجتمع فى تلاحم وتناسق ، نحو الأمة فى وئام وترابط ، اذ مما لا شك فيه ان المجتمع الذي يتنازل فيه الاغنياء عن قدر هام من اموالهم عن طواعية وطيب خاطر لصالح اخوانهم المعوزين والفقراء ، أو لصالح الدفاع عن المصالح الوطنية كالجهاد فى سبيل الله هو مجتمع تام مبارك ، زالت بين اهله الفوارق ، وانعدمت لديهم اسباب النكد والتخاذل والضعف ، فلا مجاعة ولا عري ، ولا لصوصية ولا تسول ، ولا تحاسد ولا تباغض ، ولا اضطرابات ولا فوضى .

ولو ظل المسلمون متمسكين بهذا الركن الاسلامي حق التمسك وطبقوه كما اراد الله كما كانت بلدانهم ميادين خصبة لصراع عنيف بين نظريات ومذاهب لم تحقق شيئا ، ولن تحقق شيئا ، فى جهات اخرى من العالم ، لانها فى الحقيقة ليست شيئا ، ان هي الا افكار وآراء ونظريات فجة غير مكتملة الجوانب (18) صدرت عن اشخاص:

1) اما منبوذون موتورون ، فجاءت تعبيرا صادقا عما كانوا يحسون به من حقد وعداء ، وما كانوا يعاملون به من عنصرية قاسية كافكار اليهودي المنبوذ كارل ماركس الذى لم تكن له قومية معترف بها ، ومن ثم كان شخصا غير مرغوب فيه ، تزدريه العين ، وتتأذى القلوب برؤيته ، فما كان منه ــ كرد فعل ــ الا ان دعا ــ ولسان حاله يقول : اذا

---

(14) ابن تيمية : قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ص 138 .
(15) حديث مشهور ثابت صحيح .
(16) ابن تيمية : قاعدة فى التوسل والوسيلة ص 138 ــ 139
(17) المرجع السابق ص 139 .
(18) فهذه الاشتراكية التى تزعم انها نظرية كاملةلنظام اجتماعي جديد تنكشف لنا ــ ونحن نتفحصها ــ عن شيء لا يتجاوز نظرية جزئية . جورج ولز:معالم تاريخ الانسانية ج 4 ص 1046 .

مت ظمآنا فلا نزل القطر – الى اعتماد العنف في اكمل مظاهره ، واطراح الحرية في كل مجال ، ومنابذة القومية على اختلاف اشكالها ، واعتبر ان الفقراء في جميع عصور التاريخ كانوا نهبا للاغنياء ، اما الآن فقد جاء دورهم للسلب والنهب » (19) .

وهكذا تعمل الماركسية على بذر عناصر الكراهية الشديدة ، والحقد الواضح والعداء الشرس بين المجتمعات ، وبالتالي على اضرام نار حرب ضروس بين الطبقات ، وتجعل المجموعات البشرية كقطاع حيوانات كاسرة تتنازع المال والسلطة وتتجاذبهما لا تتورع كل مجموعة عن استعمال ابشع الوسائل واخبثها من اجل التغلب والسيطرة والاستبداد . وماذا في الماركسية غير انتزاع المال من ايد كثيرة متنوعة قد لا يخلو اصحابها من استغلال وخبث وقسوة ، ووضعه في ايد قليلة اغتصب اصحابها السلطة ثم اغتصبوا المال والحرية. يقول الاستاذ هربرت جورج ولز : «وما دام المغامرون الخصوصيون يهيمنون على حياة الدولة السياسية فان من المضحك ان يفكر الناس في ان تضطلع الدولة بالمصالح الاقتصادية الجماعية » (20) .

2 – واما انانيون فرديون ، واستقلاليون جشعون ، اتخذوا من نظرية دروين الانجليزي المبنية على ان « البقاء للاصلح » ذريعة للاعتقاد بان من الضروري ان يسودوا بحكم تنازع البقاع الذى يتغلب فيه القوي الماكر على الضعيف المخدوع ، كما راوا ان من الواجب المحافظة على السلالة القومية وتشجيعها : بارهاب الاصغرين الاضعفين وتسخيرهم لخدمتها دوما ، وبذلك يثبطون فلا ينهضون ، وبالتالي ينادون ، وذلك ما تقتضيه الطبيعة من ابادة غير الصالح !! (21)

والزكاة في الاسلام ليست كل ما يجب على الناس لصالح الطبقة المحتاجة ، او لغرض من الاغراض العامة ، فلقد اوجب على الاغنياء ان يبذلوا المال بسخاء – زيادة على الزكاة – كلما حزب امر ، او دعا داع ، او طرا طارىء . من جهاد تعين او كارثة حلت ، او مجاعة نزلت . قال تعالى : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس ، اولئك الذين صدقوا ، واولئك هم المتقون » (البقرة) فذكر سبحانه ايتاء المال بلفظ الاطلاق اولا ، ثم عطف عليه ايتاء الزكاة ، وذلك يدل على التغاير وان الايتاء الاول المطلق هو غير الايتاء الثاني المقيد ، كما ان ذكر ذلك الايتاء ما يجب قبل وبعد يقتضي وجوبه ، وبهذا فسر النبي (ص) الآية، عن فاطمة بنت قيس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في المال حق واجب سوى الزكاة ، ثم قرا الآية » (22) ويدل له حديث: ليس المومن الذى يشبع وجاره جائع » (23) « وقد انعقد الاجماع على انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوا بقدر دفع الضرورة وان لم تكن الزكاة واجبة عليهم ، ولو امتنعوا عن الاداء جاز الاخذ منهم » الالوسي ! روح المعاني ج 2 ص 41 ولم يحدد الله سبحانه الايتاء المطلق بقدر معين لكي يمكننا ان نحدده حسب الحاجة وما تتطلبه ظروفها وملابساتها من انفاق وعطاء .

4) الصوم :

والصوم ان هو الا وسيلة لتكوين الفرد الصالح في المجتمع الصالح ، وذلك بواسطة تربية النفس والحد من نهمها البهيمي ، ورياضتها على احتمال المشاق ، وتعويدها على الصبر ، واعدادها لعظام الامور ، اذ لا يقصد من الصوم في الاسلام تعذيب النفس البشرية واذلالها ولكن على العكس من ذلك يقصد عزتها واثبات سموها بتحملها المشاق ، وتحررها من اسر الشهوات ، وعبودية الماديات .

ومن حكم شهر رمضان الخفية والعظيمة ايضا انه لا ياتي في فصل واحد من فصول السنة او

---

(19) هربرت فشر : تاريخ اوربا في العصر الحديث ص 332 .
(20) معالم تاريخ الانسانية ج 4 ص 1048 .
(21) بشر : تالريخ اوربا في العصر الحديث ص 325 .
(22) اخرجه الترمذي والدارقطني والبيهقي وجماعة .
(23) البخاري في كتاب الادب ، والطبراني ، والحاكم وابو يعلى .

فصلين معينين ولكن يعتور الفصول جميعا . ويتنقل بين جزائها حتى يألف الانسان التحمل وحبس النفس في كل الفصول والمنازل . فالانسان الذي يتمرن لمدة شهر كامل في اي طقس وفي اي جو وفي اي فصل على ان يترك ما هو في ملكه وتحت تصرف يده ، له كامل الحق في ان يتناوله متى شاء – من طيب الطعام ، والمديد الشراب ، ومتعة الجنس مع شديد رغبته فيه . وعظيم حاجته اليه من غير أن يكون هنالك سلطة تمنعه من ذلك سوى سلطة ربه وخالقه . ومن غير ان يكون عليه في ذلك رقيب سوى رقابة الضمير والوازع الديني ، ويتمرن مع ذلك على تحري الصدق ، والابتعاد عن سقط القول والمهاترات ، وعلى اجتناب كل ما هو مؤذ من قول او فعل . لان الصوم في الاسلام ليس هو الكف عن الطعام والشراب وشهوة الجنس فحسب – كما يفهمه عوام الناس – ولكن هو الكف مع ذلك عن كل ما لا يليق من الاخلاق ، ولا ينبغي من الصفات . يقول النبي (ص) : من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » (24) ويقول : « الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم مرتين » (25) .

اقول الانسان الذي يتمرن على ذلك كله يصير خليقا بالا يتناول ملك غيره مما لا يحل له ، فلا يتلصص أو يرتشي او يظلم ، ولا يغش او يطفف او يخون الامانة او .. او .. وكيف يفعل وقد امتنع عن تناول ما هو له امتثالا لاوامر ربه ؟ وصدق الله اذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (سورة البقرة) . فالصوم يقهر في نفوسنا نزوات الظالم والطغيان والاستعلاء ، ويعمل على اقتلاع جذور شهوات الاثم والمعاصي والاعتداء ، فهو بحق اعظم وسيلة للتقوى والاستقامة ، وهو بالتالي اعظم مهذب للنفوس ، ومكون للعزائم ، ومولد للارادات .

ولقد كان المجتمع الاسلامي ، يوم كان اهله يصومون رمضان ايمانا واحتسابا ، لا رياء واتباعا ، ويملأون ايامه بما كان للسلف الصالح سنة لا بما صار مبتكرا وابتداعا – كان هذا المجتمع انظف المجتمعات واطهرها . وكان شبابه يخرج من مدرسة رمضان وهو ابعد ما يكون عن الانحراف والاجرام والضياع .

ولو ان المسلمين عادوا بناشئتهم الى مدرسة الصوم لوجدوا خير حل لا يشكون منه من تمردات الشباب وانحرافه وضلاله .

والمؤلم حقا ان كثيرا من المسلمين يتيهون في بيداء من الضلالة ، فينسبون عن خطا منشاه التقليد، او الحاجة في النفس ظاهرة انحراف الشباب الى أشياء هامشية كالبطالة والفقر وعدم توفر النوادي و .. الخ .. ولكن لا يتفضل هؤلاء فيجيبونا عن اسباب ذلك لدى شباب اغنياء الغرب ومترفيه ؟ هؤلاء الذين تراهم قد سئموا الغنى والترف ، وهاموا على وجوههم حيارى لا يدرون ما يفعلون . لقد آن الاوان بعد ان عرفنا الداء وصرنا نشكو منه جميعا ان نضع يدنا على الدواء . وذلك بان نتعاون جميعا بنيات صادقة وعزائم قوية على تكوين شبابنا تكوينا اسلاميا صحيحا بعيدا عن الجمود الذى اضر بالاسلام كثيرا، فنخرج جيلا يجمع بين فضائل العلم ومبتكراته وتطوراته ، وبين فضائل الاخلاق الانسانية ومزاياها التي جاء بها الاسلام .

والصيام فوق هذا يطبق فكرة المساواة والعدالة والوحدة بين افراد المجموعات الصائمة ، وهي صفات مثالية لا تتوفر عليها الا المجتمعات التامة النضج السالمة البناء .

لقد فرض الله الصوم على كل مستطيع ، فلم يعف منه غنيا او أميرا ، وجعل وقته واحدا : هو شهر رمضان ، فلم يجعل لاهل المشرق وقتا ، ولاهل المغرب آخر ، ثم جعل بدايته ونهايته واحدة: من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فلم يجعل الغني نصف يوم والفقير يوما كاملا . وانه لمنظر رائع ان يقف الملوك والرؤساء مع رعاياهم وخدامهم ينتظرون حلول وقت الافطار . اية مساواة ، واية عدالة اكبر معنى مما نجده في صوم شهر رمضان ؟

وبالاضافة الى هذه الفوائد الاجتماعية الهامة توجد في الصوم فوائد صحية اقرها الطب الحديث وتحدث عنها باكبار .

---

(24) رواه البخاري وأبو داود واللفظ له .
(25) رواه البخاري .

« كل واحد منا يعلم ان جسم الانسان يقوم بوظائف حيوية ، ويحتاج بعد مدة من القيام بمهمته الى فترة من الراحة تهدأ فيها اجهزته وانسجته وخلاياه ، ولن يتم ذلك الا اذا امسك صاحبه عن الطعام والشراب فترة من الوقت يريح فيها جهازه الهضمي ويعطي لذاته الفرصة للتخلص مما تراكم فيها من سموم واملاح ، وما اصابها من احتقان ، وما حل بخلاياها من انهاك . والصوم هو تلك الفترة من الراحة التي تزيد في نشاط اجهزة الجسم وخلاياه، وتنظم افراز غدده ، فيزداد بذلك ذكاء الانسان حدة، وجسمه نشاطا ، وتصبح مقاومته لاي مرض طارىء اقوى واتم .

والصيام قانون من اكبر قوانين الطبيعة يخضع لسلطانه الكثير من المخلوقات ، فالاشجار والكثير من النباتات يقل غذاؤها مدة فصل الشتاء ولا تستمد من الارض الا الشيء القليل لقوتها ، ثم نراها بعد هذا الصوم تترعرع وتزدهر في فصل الربيع وفصل الصيف . وكذلك نرى اصنافا كثيرة من الحيوانات تكف عن الاكل في فصل الشتاء فلا تتاول اي غذاء . . ومما لا شك فيه ان التغييرات التي تحدث في الجسم نتيجة الافراط في الطعام والشراب واختلاف مواعد الاكل على مدار السنة يخف تأثيرها ثم ينعدم تماما في شهر رمضان . . والاطباء باجمعهم يشهدون بأن الحمية هي العلاج الوحيد لكثير من الامراض ؛ وتوجد اليوم عدة مستشفيات في امريكا وسويسرا وانجلترا لا تعالج الامراض الا بالصيام ، والصوم قد يغني بعض المرضى عن اخذ حقن : الانسولين . . اما مرضى البدانة ومرضى المفاصل فعلاجهم بالحمية والصيام انفع بكثير من علاجهم بأي دواء . . والصوم لا يكون بحرمان الجسم من الغذاء طول النهار ، ثم الانكباب على الطعام في المساء ، فهذا يتنافى والحكمة الصحية المقصودة منه ، وانما الصوم هو الامتناع عن الاكل نهارا والاعتدال فيه مساء » (26)

5 ـ الحج :

والحج الذي هو هجرة العبد الى الله الخالق الفرد ، وفريضة العمر لمن رزقه الله القدرة والحول ـ يعطي للمسلمين فرصة ثمينة للاجتماع والتعارف والتعرف على احوالهم المختلفة في كل الاقطار ، وعلى مدار كل سنة فيستفيد جاهلهم من عالمهم ، وعالمهم من اعلمهم ، ويساعد قويهم ضعيفهم وغنيهم فقيرهم ، ويتبادلون التشاور والتناصح .

وهو درس عملي اكبر في المساواة والاخاء ، فالحاج يجد نفسه في موسم الحج في حشد حاشد من اناس تباينت طباعهم وعاداتهم واختلفت الوانهم واشكالهم ، وتباعدت أوطانهم ومنازلهم ، اختلط هذا المشهد الرائع اصبحوا سواسية ، زيهم واحد ؛ غنيهم بفقيرهم ، وحاكمهم بمحكومهم ، ولكنهم في وجهتهم واحدة ، ويرددون بصوت واحد : لبيك اللهم لبيك . . ذلك النشيد الاسلامي الخالد الذي يرمز الى وحدة المسلمين وقوتهم امام اي مخلوق .

وبهذا يكون لاسلام قد سبق المدنية الحديثة بفكرة عقد التجمعات والمؤتمرات على مستوى عال بعدة قرون ، كما سبق الامم الحديثة الى فكرة ايجاد نشيد قوي لكل امة يردده ابناؤها في المناسبات العزيزة ، فيعطيهم قوة ويزيدهم حماسا ، ويمنحهم من وسائل الترابط والتوادد والتصافي ما يجعلهم اخوة يتعاونون في السراء والضراء، ويأبون الخضوع والاستسلام الا في الحق وبالحق ومن اجل الحق.

يتجرد الناس في مشهد الحج عن ملابسهم ؛ فلم تعد هناك ملابس تبدو عليها آثار النعمة والغنى ؛ واخرى تبدو عليها آثار الحرمان والفقر ، كما لم تعد هناك اوسمة ونياشين ، وانما هي سترات متماثلة واحذية متشابهة متواضعة، انعدمت الفوارق وفقد المميزات، وصفت النفوس ، واتحدت المشاعر ، ووقف الكل بباب الله يسال المغفرة والرضوان ، والعـ والالهام ، والتوفيق والسداد ، والهداية الى الصر المستقيم : صراط الحق ؛ صراط الاسلام والم والمدنية الحق .

فاس : **عبد الرحمن العمراني الادريـ**

(26) من محاضرة القاها بطنجة الدكتور عبد اللطيف بن جلون سنة 1958 .



للأستاذ: عثمان بن خضراء

التصوف فى حقيقته مجاهدة النفس وكبح جماحها والابتعاد عن الشهوة ودفع اغراءاتها .. ثم تنقية القلب وتصفية الحس مما يرين من ادران الهوى التى تبعد المرء عن ربه وتسلك به طرقا ملتوية كلها شرور وآثام .. وهو بهذا المعنى اسلامي محض ، نشأ من حياة التقشف والزهد والتقوى التى كان يحياها المسلمون فى حياتهم الاولى والتى كانوا يتخذون فيها النبي صلى الله عليه وسلم مثلهم الاعلى الذين يحتذون به ويسيرون على هداه ..

ولكن التصوف تطور فى معناه .. واتخذ الوانا مختلفة بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم من الاجناس ، فدخلت فيه عناصر اخرى منها ما هو « هندي » ومنها ما هو « فارسي » ومنها ما هو «يوناني» .. وهكذا اخذ التصوف صورا اخرى تتفق فى مبداها مع ما كانت عليه ، وتختلف عنها فى هذه العناصر الجديدة التى دخلت فيه ، وكان لها اثر ظاهر فى الصبغة الجديدة التى اصطبغ بها التصوف والتى جعلت منه فلسفة دينية بعد ان كان مجرد مجاهدة النفس وزهد فى متاع الدنيا وابتغاء رضوان الله .

فبينما كان الزهد والتقوى والمجاهدة غاية المسلمين القصوى فى حياتهم الروحية ، اذا بذلك يصبح وسيلة لا غاية يستعان بها على الوصول الى غاية منيعة لا تدرك الا بعد الجهاد العنيف بين المرء ونفسه ... وهذه الغاية هي الوصول الى مشاهدة الجمال الازلي ومطالعة وجه الله .. ثم وجدت غاية اخرى غير مجاهدة النفس ومطالعة وجه الله هي الوصول الى درجة من السمو والعلو اذا وصلها فقد فنى عن نفسه واتحد بربه .. وهذا هو المذهب الرئيسي فى التصوف الاسلامي فى ارقى ادواره .

وهذا التطور فى نظريات التصوف والاختلاف الذى ظهر فى مراحله ، والذى فعله يبدو مرة فى شكله الاسلامي البسيط ... ومرة فى صورة الفلسفة العميقة هو الذى جعل الباحثين من القدماء والمحدثين يقفون حيارى فى تعيين المصدر الحقيقي للتصوف ،ويتساءلون هل هو اسلامي بحت ... او فارسي .. او هندي .. او يوناني .. او مزيج من هذه العناصر كلها ..

وقد صور الاستاذ ماسينيون توقف علماء الاستشراق فى هذا الامر وحيرتهم فى رده الى مصدره الاول الذى استقت منه الحياة الروحية فقال فى دائرة المعارف الاسلامية : « .. اما دراسة مصادر التصوف فان الامد بيننا وبين استكمالها ما يزال بعيدا .. وقد صار علماء الاسلاميات الاولون فى تعليل ذلك الخلاف الكبير فى العقيدة بين مذهب دخيل فى الاسلام مستمد اما فى التصوف الاسلامي فى ارقى ادواره .. وبين مذهب اهل السنة الصحيح : فذهبوا الى ان التصوف مذهب دخيل فى الاسلام مستمد :

ـ اما من رهبانية الشام (وهذا راي ماركس)

ـ واما من افلاطونية اليونان الجديدة .

ـ واما من زرادشتية الفرس .

ـ واما من قبدا الهنود (وهذا راي جونس)

وقد بين نيكلسون بان اطلاق الحكم بان التصوف دخيل فى اسلام غير مقبول ، فالحق اننا نلاحظ منذ ظهور الاسلام ان الانظار التى اختص بها متصوفة الاسلام نشأت فى قلب الجماعة الاسلامية نفسها ابان عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث ... وتاثرت بما اصاب هذه الجماعة من احداث ونزلت بالافراد من نوازل .»

فالاستاذ ماسينيون بين لنا مبلغ اختلاف علماء الاسلاميات فى مصدر التصوف ولكنه استظهر انه اسلامي بحت ... وانه ظهر فى قلب الجماعة الاسلامية فى بدء الاسلام وعند عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث ـ وهذا مذهب الصوفية انفسهم ومذهب مؤيديهم الذين يرون ان الكتاب والسنة وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام هما المصدران الحقيقيان لجميع نظريات التصوف المختلفة فى الاذواق وانارة القلوب والتي هي الاساس المتين لبناء الشخصية الخلقية فى الاسلام.

واود ان اورد فى هذا البحث الآيات الكريمة والاحاديث القدسية والنبوية التى يؤيد بها الصوفية مذاهبهم ويجعلونها مصدرا لكل ما ذهبوا اليه ... فمن آيات القرآن التى أيدوا بها مذهبا من مذاهبهم ما خاطب الله تعالى رسوله الكريم فى قوله جل شانه فى سورة الانفال :

« وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » فهذه الآية الكريمة وان كانت لا تدل فى ظاهرها على اكثر من ان الله تعالى قد نصر المسلمين واعز جندهم فى حربهم على الكفار فى غزوة بدر الا ان الصوفية قد تاولوها تاويلا حملوها فيه ما تحتمل وما لا تحتمل من المعاني التى ينطوي عليها مذهبهم .

ومنها قوله تعالى : « الله نور السماوات والارض » وقوله تعالى : « فاينما تولوا فثم وجه الله» فالصوفية يتخذون من هاتين الآيتين دعامة يقيمون عليها مذاهبهم فى وحدة الوجود ووحدة الشهود وتجلى الله تعالى فى مخلوقاته .. ومنها قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

فهذه آية كريمة بنى الصوفية عليها مذهبهم فى الحب الالهي بنوعيه : حب الله للانسان وحب الانسان لله .

ومنها قوله تعالى : « اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فهذه آية كريمة ايد بها الصوفية مذهبهم فى الحقيقة المحمدية التي هى عندهم التعين الاول الجامع لكل التعينات العلوية والسفلية والتى اجملت فيها الموجودات منذ الازل ، ثم فصلت بعد ذلك ، فكان من تفصيلها السماوات والارض .

ومن الآيات التى يستدلون بها لتاييد مذاهبهم فى التوبة والصبر والتوكل والتامل فى صنع الله ومداومة الذكر والعبادة والزهد فى الدنيا قوله تعالى من كتابه الكريم :

« وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون »

« استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » .

« يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا » .

«يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا»

« انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب »

« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور »

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » .

« وتوكل على الحي الذي لا يموت » .

« وعلى الله فليتوكل المومنون » .

« فاذا عزمت فتوكل على الله » .

« ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض »

« واذكر ربك وتبتل اليه تبتيلا » .

« واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم »

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا » .

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

ومن الاحاديث القدسية التي يوردها الصوفية ويردون اليها بعض مذهبهم الاثر الذي اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان الله تعالى فقال :

« كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف ، فخلقت الخلق فبي عرفوني »

فالصوفية يتخذون من هذا الحديث القدسي مصدرا لمذهبهم في الحب الالهي الذي هو عندهم المبدأ الاول في خلق العالم .. اذ هم يرون ان الله كان ولا شيء معه ، واحب ان يرى ذاته في شيء غير ذاته فخلق الخلق ، كان العالم منه بمثابة المرآة المجلوة التي يرى فيها ذاته .. وانهم ليفرعون على ذلك تفريعات نجدها مثبتة في تضاعيف مذهبهم في وحدة الوجود .

ومن الاحاديث القدسية ايضا ما ورد على لسان الله عز وجل وهو قوله تعالى : « ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها، فبي يسمع وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش وربما يمشي » .

فهذا الحديث القدسي وجد فيه أصحاب الاذواق والمواجيد من الصوفية مجالا خصبا ومنبعا فياضا بمعاني الاتحاد الذي يقوم عندهم على فناء العبد في الرب ، او لحب في المحبوب او الخلق في الخالق بحيث يصبح الانسان في حالة روحية يشعر فيها ان ذاته من حيث و بحق قد غلبت عليها ذات محبوبه وهو الله ، فاذا بالذاتين تتحدان وتصبحان ذاتا واحدة هي التي يصدر عنها كل ما يحسه الانسان بجوارحه وكل ما يشعر به في جوانحه .

ومن الاحاديث غير القدسية التي وردت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعدها الصوفية اساسا لكثير من رياضاتهم وأذواقهم قوله عليه السلام :

« من عرف نفسه فقد عرف ربه »

فهم يدعمون بهذا الحديث مذهبهم في ان الانسان اذ عرف نفسه على انها عدم فقد تهيأ له ان يعرف ربه على انه وجود .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :

« اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك »

فهذا الحديث يعد عندهم قواما لما ينبغي ان يأخذ به الانسان نفسه من مجاهدة وكبح على وجه تتخلى معه عن صفاتها المذمومة وتتحلى بالصفات المحمودة .

فهذه الآيات الكريمة والاحاديث القدسية وغير القدسية تدل على ان المورد الذي استقى منه الصوفية مورد اسلامي محض ، لحمته وسداه الكتاب والسنة خلافا لما يزعمه البعض من كونه هندي او نصراني او فارسي . وللصوفية في حياة الرسول وحياة صحابته منبع فياض اخذوا منه زهدهم الذي اشتهروا به واحتقارهم للدنيا الذي امتلأت به كتبهم ودلت عليه حياتهم ومعاملاتهم .

فلقد كان الرسول يؤثر التقشف في ملبسه ومأكله ويعكف على العبادة والتجهد ويأخذ نفسه بالتقوى والصبر والشكر والخوف .. ويأمر الناس ان يتبعوه في كل هذه الفضائل الخلقية كي تصفو نفوسهم وينقى حسهم ويعمر قلوبهم بالايمان واليقين ..

روت سيدتنا عائشة رضي الله عنها : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا اكون عبدا شكورا » .

وروت ايضا : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده » .

وكان الصحابة يتبعون الرسول فى حياته واحواله فكانوا هم ايضا يتقشفون فى ماكلهم وملبسهم ويعرضون عن الدنيا .. فكان ابو بكر الصديق ياخذ بطرف لسانه ويقول : « هذا الذى اوردني المهالك » وكان يقول : « اذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة » وقال : « من ذاق من خالص المعرفة شيئا شغله ذلك عما سوى الله واستوحش من جميع البشر » .

اما عمر بن الخطاب فقد بلغ فى الزهد والتقشف مبلغا عظيما .. فكان يخطب وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة وقميص فيه اربع رقاع دون ان يكون له غيرهما ، وكان يغسل ثوبه بيده .. وكتب الى ابي موسى الاشعري : « اما بعد فان الخير كله فى الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر » .

وكان علي بن ابي طالب ورعا زاهدا يرقع قميصه بيديه فقيل له يا امير المومنين لم هذا ؟ فقال : « ليخشع القلب ويقتدي به المومن » .

وكان ابو ذر الغفاري من اتقى الناس واورعهم وازهدهم فى الدنيا يقضي سحابة يومه يفكر فيما هو صائر اليه .. فكان من الشخصيات المحبوبة التي اثرت فى الصوفية .

ويحدثنا الطبري ان ابا ذر قام بالشام وجعل يقول : « يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء .. بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

فهذه النصوص كلها تدل دلالة واضحة ايها القراء الاعزاء على استمداد التصوف من الاسلام من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة صحابته المصطبغة بصبغة الزهد فى متاع الدنيا والاقبال على الله .. ثم من الآيات الكريمة والاحاديث القدسية وغير القدسية التى اوردناها آنفا والتى كانت المصدر الاول لمقامات الصوفية واحوالهم ومجاهداتهم وآدابهم وأذواقهم .

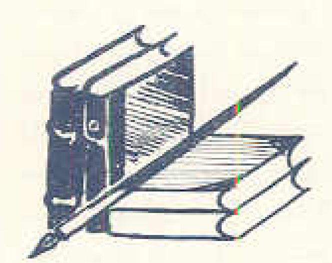
سلا ــ عثمان بن خضراء



ابحاث ودراسات











للمرحوم الدكتور جعفر الكتاني

وهي وظيفة تتجدد قيمها من بيئة لاخرى ومن جيل لآخر ، ومن ثقافة الى ثقافة ، وذلك وفق مطامح وآلام الامة في انهاض الهمم وشحذ القريحة وتسليط الرغبة . وتتغير وظيفة الادب كذلك وفق تقاليده واعراف ثقافته وحضارة امته الاصيلة والمستجدة .

وتبدو ثمة رغبة جامحة من شباننا الدارسين الى ان يجدوا في الشعر العربي القديم صورة لنفسية المجتمع العربي كيف تتأقلم بعد نزوحها ، وصورة لعاطفة المجتمع الاسلامي كيف يتم انسجامها بعد مصاهرتها الى بعضها ، وصورة لآمال الناس الاساس للهرم الاجتماعي .

ويعز على هؤلاء الشباب ان يقضوا سنوات زاهرة من عمرهم بغية الثقافة العربية يدرسون من بينها شعر فئة كان همها البحث عن رغائبها الخاصة ، وكان سعيها الى تحقيق مطامحها الفردية في غزل او مدح او فخر او هجاء بينما قضايا الناس الاساس من المجتمع ، يتخطاها شعرنا العربي القديم ، ويتجاهلها شعراؤه . فأين الدماء التي أراقها جند المعتصم في سبيل الفوز بعمورية في شعر ابي تمام ؟ وأين جمهور المتوكل من شعر البحتري ؟ بل لماذا لا نستطيع ان نعرف من شعر ابي نواس ولا من شعر ابي العتاهية كذلك آمال المجتمع في عهد هارون الرشيد ؟ فان تخطي الشعر العربي القديم للناس الاساس من المجتمع يجعله قد تخطى العنصر الحي الذي به تخلد الاداب بين الطبقات المتلاحقة في الحياة .

وشباننا الدارسون يقفون ايضا امام هذه الصناعة اللفظية التي حفلت بها صياغة اللفظ في الشعر العربي وقفة ناكر ساخر يرونها نسجا عقيم المضمون **بدائي** الشكل، جعجعة ولا ارى طحنا . وهم لا يكتفون بتسفيه الصياغة والمضمون ولكن هذا القيد من أوزان الشعر هو ايضا انعكاس لضيق الافق وسطحية الحاسة الموسيقية لدى الشعراء الاقدمين .

ويصفو من هذه الاحكام لدى شباننا الدارسين ان ادب امتهم – أو شعرها بدقيق القصد الان – ادب مفطوم عن الانطلاقة المجدية الى القوقعة العقيمة في الصياغة والموسيقى ، وفي المضمون ، وهذا نتف من كلام كثير يسمع بعضه أو يقرا منه . واكثره يجري في منتديات عامة .

وهو بلا شك مفهوم صادق الا انه متولد عن استنتاج خاطىء يقوم على **قياس مع وجود الفارق** كما يقولون . ومصدر صدق مفهوم اللاحين على الشعر القديم ان معطياته لا تتناسب مع المعطيات الاجتماعية والفكرية التي قرا عنها شباننا او سمعوا بها عن معطيات الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر او معطيات الادب الروسي في القرن التاسع عشر ، وكذلك عن معطيات الادب الحديث والمعاصر في بعض اداب الشعوب العربية . اما اصل الاستنتاج الذي نهض على قياس خاطىء في صدور مثل هذه الاحكام النقدية من اللاحين على الشعر القديم اليوم ، فهو اختلاف وظيفة الادب بين الامس واليوم .

وان اي حكم للادب او عليه انما ينهض اساسا على قياس وظيفة بمتطلبات بيئته منه . وينطبق **ذلك** على مضمونه ، كما ينطبق على طريقة صياغته وموسيقاه .

فهل كانت وظيفة الشعر والادب بعامة فى بيئة الاقدمين منا نفس الوظيفة المرجوة حديثا ومعاصرا من الادب والشعر بخاصة ؟

ان الفروق فيما بين العصرين من حيث التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي وما لحق بتطورهما اجتماعيا ومذهبيا يضبط البون بين وظيفة الادب فى يومنا هذا وبينه فى ذلك العصر .

لقد كان الادب – كما لا يحتاج الى تذكير – مقتصرا على طائفة خاصة من الناس .

لم يكن فى متناول كل الناس ، فان بلوغـه الى الكافة يتوقع له الناس يقرأون ، ويتوقـع له وسيلـة للنشر ، وكلاهما – كما لا يحتاج الى تذكير ايضا – كان منعدما او شبه منعدم . وكان الادب ترفا ان لم يكـن ترفا اقتصاديا فهو ترف ذهني ، انما يتبعه طبقة خاصة من الناس لا تهم فى شيء طبقة الناس الاساس من هرم المجتمع . ولم يكن يتوقع منه تخليص من ضيق ، ولا هداية الى سواء السبيل ، وانما هذان بالذات انمـا يتوقعهما المجتمع القديم ، مجتمع الدولة الاسلامية من الكتاب والسنة ، وتفاسير رجالهما . اما غيرهما من الدراسات فان الغاية منه انما كانت خدمة اللغـة ، وخدمة الرسالة . ولم يكن الادباء يومئذ يتوقعون من الناس ان ينتهو بنهيهم هم ، كما لم يكن الناس ينتظرون من الادباء ان يفتحوا لهم اعينا على الخير والشـر فى مجالي السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وتصوير آلام وآمال المجموع .

ولقد كان الاديب العربي الى وقت قريب غيـر منجذب الى ما بعد ذاته ، وكان الاديب العربي ينساق فى ذلك الى ما يفرضه عليه مجتمعه ولم يكن المجتمع العربي قبيل نهاية القرن الماضي يفرض على الاديـب شيئا مما تفترضه اليوم ولا شك فى ان للامية دورا فى هذه السلبية التي هي مما يسال عنه المجتمع العربي القديم قبل ان يسال عنها الاديب العربي .

ولا ريب فى ان مجموعة من الحقائق الثابتة كانت مسؤولة عن التطور الجديد الذي لحـق بمفهومنـا الحديث لوظيفة الادب فى المجتمع ويمكن تلخيصها :

— فى ابتداع وسائل الطباعة والنشر وذيوعهما .

— وفى توسيع نطاق التعليم والثقافة ، مما غير من طبيعة التركيب المجتمعي ، وهيأ بالتالي عـن ذلك تطلعا للمجتمع طامحا ، ومفهوما جديـدا لوظيفة الادب فى هذا المجتمع العربي الحديث .

والمثال فقط على حقيقة التغيير الحادث فى مفاهيمنا ، هل كان احد ينكر على الشعر العربي أوزانه لو لم يحصل هذا التطور الحثيث الرتيب .. الدؤوب فى حاستنا الموسيقية منذ ما قبل الف سنة حتـى نهاية الخلافة الاسلامية والى ما بعيد الاتصال بالفنون الاوربية والامريكية والاجنبية بعامة ؟

فأي عيب فى موسيقى الشعر العربي او نقص لو لم يكن ثمة ارتباط حتمي لطبيعة الحـواس بتطـور المجتمعات واحتكاك الثقافات ؟

وبعد فان هذا الحديث ليس فقط محاولة لتأكيد الحديث السابق عن الالتزام او الشعور القديم ، ولكنه رغبة اخرى ملحة الى اللاحين على الشعـر القديـم والتراث بعامة تشير الى حقيقة ارتباط وظيفة الادب بطبيعة مجتمعه وبروح نهضته ، وقديما قيل بان الادب يعكس بيئته ، ونحن نرجو ان نذكر بأنه ليس ضروريا ان لا يصدق هذا القول الا اذا كان ما عكسه الادب هو الموجود . فان الادب يصدق ايضا وان لم يعكس بعض مرائي بيئته فذلك يتم بالفعل لان البيئة فى عصـور ادبنا القديم لم تحمل ذلك الاديب مسؤولية التعبيـر عنهـا .

الرباط : د. جعفر الكتانـي

رسالة مفتوحة إلى مفكر

للأستاذ محمد محمد النوريسي

— 1 —

نشر « المفكر » ! مصطفى النهيري — وهو اللقب الذي اعطاه هذا الشخص لنفسه ! كتدعيم للدعاية المشبوهة ، التي لا يشاطره فيها احد غيره — رسالة مفتوحة ، موجهة الي ، في كتابه الاخير « محنة العقل المبدع » ، والتي عنونها بعنوان خطاب مفتوح الى استاذ امي » !.. وهي كتابة ، لم تشملني وحدي — حسب راي هذا «المفكر» — بل شملت العرب جميعا بدون استثناء .. وبالتحديد منذ ظهور الاسلام حتى القرن العشرين !!..

فلقد بلغ اوج عناده درجة ، انه تجرا على ان يحتقر هذه الاجيال العديدة ، على مدى اربعة عشر قرنا ، واصفا كل مثقفيها .. ومؤرخيها .. وزعمائها .. بما اسماه « بالاميين » !! ، منتهزا فرصة انحطاطهم في العصور المتاخرة .. ومتخذا من ذلك وسيلة لدحض حقائقهم ، وتمويه وقائعهم ، وتسفيه افكارهم ، وتشويه سمعتهم ، السياسية والفكرية ، والعلمية .. في مجالي التقدم العلمي والحضاري !.. ضاربا عرض الحائط جميع الاعتبارات الموضوعية ، والمنطقية ، والتاريخية .. وكانه يريد بذلك ، ان يثبت في اذهان الناس — استخفافا بالحقائق الكبرى — ان العرب عاشوا «فاقدي الوعي » حسب ادعائه ، في حالة غيبوبة كاهل الكهف ، منذ اليوم الاول الذي اعتنقوا فيه الاسلام الى وقتنا هذا .. مركزا حديثه — الذي لا يعرف الحجة والبرهان معنى ! — على انهم لم يستيقظوا من هذا « السبات » المزعوم ! الا على صيحات « نبوة » هذا المتنبي الجديد !!

— 2 —

اما عن رسالته الموجهة الي .. فقد نشرها ضمن كتابه الجديد ، ليرد فيها على مقالي المنشور في العدد الرابع — يوليوز 1972 بمجلة « دعوة الحق » الذي يحمل عنوان « مهزلة التفكير الالحادي في كتاب ازمة الفكر العربي » ، والذي تناولت فيه — حينئذ — بالدرس والتحليل جل آرائه التي حشدها في كتابه الاول « ازمة الفكر العربي » او كما يسميه الاستاذ سالم يفوت « ازمة في ازمة الفكر العربي » (1) .

لكن الذي اريد ان ابرزه امام الملأ ، هو ان انتقاداتي التي شملت آراء النهيري ، لم اصدرها بدافع حب النقد لذات النقد : كما يظن هو نفسه ، لان خصالي تستهجن أصلا عملية السطو ، او المغامرة الهستيرية ، التي لا تستهوي الا ذوي العقول المريضة .. انما قمت بانتقاد آرائه ، لانها آراء تخريبية ،

(1) مجلة « اقلام » المغربية ، العدد الممتاز 2 و3 لسنة 1972 .

غوغائية ، تخديرية ، سفسطائية .. بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان ، والذى يؤكد ذلك تاكيدا ملموسا هو كونه ، استمد تلكم الآراء اصلا من مصادر الحادية مغرضة ،، لها معنا — نحن العرب — حساب طويل ، يبتدىء من انبعاث الدولة الاسلامية الاولى ، على يد الرسول القائد ، وما حققته — هذه الدولة — من مساواة ، وعدالة ، وحرية ، ورفاهية، حتى اندلاع ثورة الحركات التحريرية الخالدة ، ضد الاستعمار الغاشم فى القرن العشرين ، وما صاحبها من انتصارات باهظة ، مدهشة ، اجهضت بمفعولها القوي مكائد الخونة ذوى النعرات الاستعمارية ، الفاشستية !..

ولن اناقش فى هذه السطور ، هذا التحدي السخيف ، من انسان لا زال بعد لم يعرف حتى حقيقة نفسه .. فيكفي ما قمت به في مقالي المذكور من تحليلات لمعظم افكاره .. انما اريد فى هذه المرة — وانصافا للحق — ان استعرض امام القاريء الكريم جل آرائه .. كي اترك له — اي القاريء — فرصة الحكم على هذه الآراء .. حتى يتمكن من وضع كل طرف من الطرفين المتنازعين — فى المكان اللائق به .

وهذه هي آراؤه الدخيلة الالحادية التى يدعو الناس اليها ..

اولا مقتطفات من كتابه « ازمة الفكر العربي » :

— يقول فى الفصل الاول منه : « اننا عبر مسيرتنا التاريخية الطويلة الى اليوم ، لم نستعمل « العقل » وأداته « التفكير » فى بنائنا الذاتي ، والحضاري » !.

— وفى ص 10 يقول : « ان عنف الجانب الميثولوجي (اي الاسطوري) فى القرآن قد سطا على اكبر مساحة من فكر الانسان العربي ، ونسف بالتالي جوانبه العقلية الاحتجاجية الاصلية ، بيولوجيا فى النوع الانساني » !.

— وفى ص 12، يقول : « ان معايير المقدس واللا مقدس ، قد ارهقت ثقافيا الفكر العربي ، واجهضت نفسه الانقلابي لمدة اربعة عشر قرنا » !.

— وفى ص 14 ، يقول : « كانت مرحلة القرون الوسطى (ويقصد العهود الاسلامية) حقبة جليدية، جمدت بتراثها اللاهوتي الفكر الانساني عموما » !

— وفى ص 14 ، كذلك ، يرى ان الاسلام هو الذى يحرك « الفتن السياسية » و « المظالم الاجتماعية » ويغذي « فتواه » هذه فيقول : « .. هذه الظاهرة السيكو — سوسيولوجيا غالبا ما كان وقودها المباشر العامل الديني » !.

— وفى ص 38 ، يقول : « ان اربعة عشر قرنا من القهر الغيبي (اي من هيمنة الفكرة الاسلامية) والقمع السياسي ، اهانت الجماهير العربية بشكل بهيمي » !

— وفى ص 12 ، يزعم ان هناك صراعا طبيعيا بين الله والانسان .. هذا الانسان الذى يراه يتمتع « بروح العناد والتمرد » على القدرة الالهية ! بحجة ان التعاليم الدينية « تعطل خاصية الثورة الابدية فى عقل الانسان » ، ولقد رأى ان اليونانيين واجهوا الصراع الديناميكي بين الانسان والآلهة عن طريق « المسرح » لكنه يشهد ، ويعترف ان مثل هذا العمل لم يحدث لدى المسلمين ، الا ان ذلك كان كافيا — فى نظره — لان يصف العقلية العربية الاسلامية بما اسماه « بالبلادة الانطلوجية » !

— وفى ص 156 فما بعدها : يفرد فصلا خاصا اسماه « الاستعمار الفكري » منتحيا فى ذلك منحى خاصا لفرض التعاليم الاستعمارية ، وذلك بتهكمه على كل الذين يقولون بأن الايديولوجيات الاوربية هي ايديولوجيات استعمارية ، او انها تشكل مباديء هدامة .. فنراه يرد على هذه الفكرة بقوله ان هذه التعاليم « هدامة بالفعل للجهل » وان « الاستعمار الفكري » خدعة « يستغلها الرجعيون ، والاقطاعيون» قصد الغاء المباديء المستوردة ، التى توقظ فى الانسان روح الوعي (كذا) ..!

— وفى ص 13 : يرى ان الرسول والخلفاء الراشدين تولوا تسيير دفة الحكم بعد : « تخدير أعصاب المسلمين بقيم الاقطاع والاساطير » !

— وفى ص 12 : يرى ان الاسلام قد « بطش بالوعي الجمعي العربي » !

— وفى ص 16 ، يهاجم الفلسفة الاسلامية ويرى انها : « فلسفة تبريرية تزكي من طغيان التحالف السلطوي للقيم الاقطاعية ، والمفاهيم الايديولوجية الحيادية » !

وفى ص 31 : يسخر من كل الذين يقولون بأن حضارة اوربا اعتمدت على حضارة العرب ، وينفي

هذا الاعتماد نفيا قاطعا ، متحديا فى ذلك حتى الملحد المتعصب « نيتشه » الذى يعترف بقيمة عظمة الحضارة العربية الاسلامية ..!

— وفى ص 10 ، يرى ان العقلية العربية لم تستطع تحليل او مناقشة القرآن الكريم ، بل سلمت به من غير فهم وادراك ، وفى ذلك يقول : «ان قساوة معاني النذير والتحذير ، التى جاء بها القرآن الى الانسان الجاهلي البسيط ، كانت اكبر ، واعنف من ان يحللها او يناقشها ، فما كان عليه الا ان ينكسر امام منطق الغيب » !

— وفى ص 30 — حيث بيت القصيد — نجده يستهزيء بنشاط جميع الحركات الاسلامية، الواعية فى العالم ، التى تجاهد من اجل بعث الاسلام من جديد ، على مسرح السياسة الدولية ، فيقول مستهترا بأهدافها : « ان رواد الاصلاح الروحي (تأثر ملحوظ ، ناتج عن مدى تشبثه بمصطلحات الفكر المسيحي) ! كانوا يحلمون ويتوهمون (كذا) ان تخلف العالم الاسلامي ، يرجع فى الاساس المباشر الى كارثة تخلي الخلف عن محجة السلف .. وسر تقدم المسلمين حضاريا ، واقتصاديا ، وسياسيا ، وثقافيا .. مشروط، بادراك الشعوب الاسلامية لروح الاسلام ، وحقيقة الاسلام، واصالة الاسلام، وجوهر الاسلام الى غير ذلك من مصنفات بضاعة التبرير المسطحة ، التى يزخر بها عقل اكبر « ابله » ! على الارض » !..

— 3 —

ثانيا : مقتطفات من كتابه « محنة العقل المبدع » .

— فى ص 10 — يعلن انه كان يفكر فى بناء نظرية « فى الشخصية العربية » ! لو لم تتعرض افكاره الى عملية نسف شاملة ، من لدن بعض الشباب المثقف ، ذي الافكار الحية .

— وفى ص 19 : ينال بشكل مباشر وهادف من كلمة النبي الكريم ، مستخفا بقيمته كرسول للبشرية ، وكحامل لمشعل الحرية ، فيقول بأسلوبه الساخر ، الماكر : « .. ويتوفى النبي : الاب الرحيم، والقلب الكبير ! (طبعا يقول ذلك تهكما . واستخفافا) وتدب الروح الساذجة من جديد فى نماذج غزيرة من عرب وعجم للاب « الخاصي » ! (اشارة استهزائية الى الرسول الكريم) متبثة فى كل زاوية من زوايا الامبراطورية الاسلامية .. وهنا كان علي ان افتح ملفات مذابح كل نماذج « الاب الخاصي » !! من عرب وعجم ، الذين تعاقبوا على فرض وصاية « ثيوقراطية » ! باسم مقدسات متخشبة .. ومن ثم عمقوا الى قيعان لا شعور الشخصية العربية ، كل عقد الشعور بالنقص .. والتفاهة .. واللا جدوى .. والاتكالية واللا مبالاة .. والكسل .. والتدمير الذاتي .. نعم ان « الاب الخاصي » ! لا زال قابعا بداخل العقول ، وما زال منتصبا يبطش فى كل المجتمع العربي .. وبالحتم فلا زال الانسان العربي مقموعا ، مكبلا ، وعلى الاجيال الصاعدة ان تصنع لها شخصية جديدة » !!

— ويقول فى ص 60 : « لقد آن للوصاية الابوية (يقصد هيمنة الرسالة الاسلامية) ان ينحسر « طغيانها » الموروث، والاعلان عن ميلاد شخصية عربية جديدة » !!

— وفى ص 24 : ينادي بضرورة القيام بدعاية واسعة لافكار فلاسفة الشرك ، والالحاد ، لان هؤلاء — فى نظره — هم المبدعون الحقيقيون ! الذين يجب الاقتداء بافكارهم، وتقمص آرائهم!، وفى ذلك يقول: « وكم احب هنا ان اجمع شتات تشكيلة من المبدعين، من كل العصور ، والثقافات ، والطبقات .. هومير — سقراط — افلاطون — داروين — دوستوفيسكي — سبينوزا — شوبنهور — هيجل — كانط — اوغست كونط — تشيكوف — زولا — بروسث — فرويد — هيمينكاوي — برجسون — هنري ميلر — باسترناك — ماياكوفسكي — كوكول — كوبا — بلزاك .. الخ .. كل هؤلاء رفضوا الضعف ، وقالوا : لا لكل اشكال تعذيب انسانية الانسان فيهم » !

— وفى ص 56 ، يدلي لنا بآرائه حول مفكري العرب واني لاعرف مفكرين أميين (اشارة موجهة الى مفكري العرب) تذهب بهم شطحاتهم الشوفانية الى ان : داروين لم يبن نظريته العلمية فى اصل الانواع دون ان يطلع على اجتهادات جابر بن حيان فى موضوع تطور العضويات .. وان ماركس اطلع على مقدمة ابن خلدون ، وان فرويد لم يتمكن من التوصل الى نظريته فى النفس ، والعلاج ، الا بعد اطلاعه على رسائل اخوان الصفا ، وابن مسكويه ، وان اينشتين لم ينجز نظريته فى النسبية، الا عندما اطلع على مصنفات ابن الهيثم، والبيروني فى علوم

البصريات ..»! استغراب – من النهيري – فريد من نوعه ، ليس فى حاجة الى تعليق !..

– وفى الصفحات : 29 و 34 و 50 ، يعلن بصفة متكررة – وبزهو متبختر – انه : المفكر المبدع، الذى له القدرة الكاملة ! فى ابتكار نظرية جديدة ، لها كامل الصلاحية ، فى ان تحل محل النظرية الاسلامية !! فيقول فى ص 29 : « انني لا اكتب للفلاح ، والعامل ، والتاجر .. لسبب موضوعي ، وهو ان تسعين فى المائة من سكان المجتمع العربي ، يسبح فى امية ابجدية من مآت السنين .. ولو كان علي ان اكتب لكل « اخواني » العرب .. لكان على ابي ان يضرب موعدا مع امي ليتزوجها ، بعد انقضاء جيل على الاقل (غرور مفرط ، لا يوازيه ولا يدانيه الا غرور فرعون حين قال « انا ربكم الاعلى ») !

– ويقول كذلك فى ص 29 ، معززا غروره هذا ، بترهات شوفانية ، ليست – بأي حال – من اخلاق اي كاتب يحترم نفسه ، فيقول : « باسم «الشعب» اتبنى قضايا الوطن، والعروبة (تطفل وخداع) ككاتب مفكر ! له شرف المشاركة العلمية فى محاولة بناء شخصية عربية جديدة » !!

– وفى ص 42 ، يعمد الى تبرير «بورجوازية» فلاسفة الالحاد ، فيقول ، واضعا امامنا هذا السؤال: « على اي أساس ايديولوجي ، ترانا متعاملين مع ماركس وانجلز ؟ هل نقيس ثقلهما الفكري حسب انتمائهما الطبقي ، ثم ننفض منهما الايدي .. ونحن نقول انهما فيلسوفان بورجوازيان » ؟! « وسارتر – مثلا – كأشهر كاتب توري! وانشط مدافع عن حرية الانسان حيثما كان ، (ربما صاحبنا نسي الانسان الفلسطيني !) وكأحد أثرى مفكري العالم مالا .. على اي قاعدة ايديولوجية نقيم كل انتاجه الثقافي الضخم » ؟!!

– وفى ص 51 ، يجيب على اسئلته المطروحة هذه ، فيقول محاولا تبرير « بورجوازية » سدنة الالحاد ، وسماسرة الصهيونية العالمية (1) ومثبتا فى الوقت ذاته ما يسميه « ببورجوازية » مفكري العرب ! ، فيقول : « لما كنت استعمل مصطلح « البورجوزية » ببعدها السوسيولوجي بالنسبة للغرب المصنع ، فان هذه الصفة تأخذ دلالة اخلاقية!! وبعدا بسيكو – سياسي عندنا » ! اي (نحن العرب)!

– وفى ص 53 ، يبين ان سبب هذا التبرير ، يرجع فى الاساس المباشر الى ان « الغرب المصنع » يرفض تراثه رفضا نهائيا ، خلافا لما نحن عليه من تشبث بهذه المعتقدات التقليدية ! وفى هذا يقول : « اني لا اعتقد ان هناك امة تغوص فى التراث ، تفكيرا ، وسلوكا يوميا ، واهتماما دراسيا ، اكاديميا ، وتعليميا ، وثقافيا ، على صفحات المجلات، والصحف المختصة وغير المختصة كما نفعل «نحن» ! العرب » !

– وفى ص 50 : يكرر ثناءه ، ومدحه التملقي، لليهودي الفرنسي المعروف جان بول سارتر ، كجزاء اخوي على ما قام به هذا اليهودي الملحد عقب حرب خامس يونيو 1967 من مواقف ، ماكرة ، مبيتة ضد الشعب العربي ، وتأييده المطلق لاسرائيل ، بشكل استفزازي غادر ، اثار انتباه مثقفي العالم اذ ذاك .. خصوصا حين قام بدور فعال فى جمع ما يربو على 150 توقيعا من مختلف الكتاب الفرنسيين ، كي يتمكن من تبرير موقفه العدواني ضد الجنس العربي .. نعم ، ففي هذا اليهودي الماجن الذى يعمل لحساب الصهيونية العالمية ، يقول النهيري منوها بمواقفه « النضالية » هذه : « ان سارتر يعد كاتبا بورجوازيا كمثقف يعيش فى الغرب البورجوازي ، الا انه من خلال انتاجه الفكري البورجوازي ، يلتزم لكل قضايا الانسان المضطهد اينما وجد (لان الانسان فى نظره هو الانسان الملحد او المشرك) . وبذلك يكون اشرف المناضلين (مع الاعتذار للكاتبة الهرمة ! سيمون دي بوفوار !) واصدق الكتاب « الملتزمين » ! فى العالم » (اي اخلاص هذا ، يكنه صاحبنا لاستاذه المفضل ؟)

– وفى ص 50 ، ينوه بفيلسوف يهودي آخر – تلميذ لكارل ماركس – هو « هوبرت ماركوز » فيقول عنه : « .. كذلك ماركوز المبدع ، حينما يقدم حاولا انتروبو – سياسية ، فانه يفتح اليوم للانسانية المعذبة آفاق التفكير ، وبذلك – وبالاضافة الى ابداعيته – يكون اشرف مناضل ضد القمع ، وابدع عقل ملتزم لعبقرية انسانية الانسان » !

(1) نحن مستعدون لان نثبت – علميا – ان هؤلاء الفلاسفة ، يمثلون الجناح التوجيهي بالنسبة للحركة الصهيونية العالمية !

ـ وفي ص 55 ، ينوه بفيلسوف يهودي آخر ـ ولعل صاحبنا يعتز باليهود اكثر من اعتزازه بالجنس العربي ـ هو فرويد النمساوي فيقول عنه : « يعتبر فرويد اعظم مفكر اصيل في القرن العشرين ، يأتي بانقلابات علمية ، راديكالية ، في كل التفكير البشري منذ كان » !

ـ وفي ص 57 ـ يتنكر لكل شيء ابدعه الفكر العربي طوال مدة 14 قرنا ، كل ما هنالك : « ان اعظم ما ابدعه الانسان العربي قديما، كان هو اللغة ، وليس هناك عصر تفتقت فيه اللغة العربية عن عبقريتها الذاتية، ومكنوناتها الداخلية، كما تفجرت على ايدي كتاب ما بعد الستينات من الشباب » !

ـ وفي ص 34 ، يقدم الحل النهائي والحتمي! لكل المعضلات التي يتخبط فيها المجتمع العربي ، فيقول : « ان : خدمة الشعب ، هي توفير اسباب اشباع الحاجيات البيولوجية ، والفكرية الاساسية ، للغالبية العظمى من الجماهير المعدومة على أسس اشتراكية ، علمية ، ديمقراطية » !

وفي ص 60 ، يرى ان العمل الوحيد لتحقيق هذه الغاية ، هو القضاء على الاسلام ، قضاء لا رجعة فيه، فيقول : « لقد آن للوصاية الابوية (يقصد هيمنة الرسالة المحمدية) ان ينحسر طغيانها الموروث ، والاعلان عن ميلاد شخصية عربية جديدة، وانها لمعركة اجيال ، وانها لمأساة ان يتناحر البشر دفاعا عن قيم الحرية، والعدالة، والمحبة، والجمال، وانها لمحنة كل عقل مبدع »!!

ـ 4 ـ

تلك ، هي بعض الهفوات ، واللمزات ، والترهات ، والشطحات الالحادية ، الاستعمارية ، اللا علمية ، التي ينادي بها ـ هذا الذي وضع نفسه في منزلة « المفكر » ـ مريدا بذلك فرضها على الجماهير الساذجة ، كمحاولة فاشلة لتغيير ذهنياتها تغييرا جذريا ، واعدادها في نهاية المطاف الى تبني هذه الآراء الممسوخة !!

لقد هاجم كما ترون ـ هذا المقامر بالالفاظ ـ العرب هجوما تعسفيا جنونيا ، وبالتالي اعتبر نفسه في حالة حرب ضدهم .. وضد عقيدتهم .. متهما اياهم بالجهالة تارة !.. وتارة بالبلادة !.. واخرى بالغباوة !.. الى غيرها من الصفات الملفقة المزيفة .. من تلك التي لم نألفها حتى من السنة الصهاينة انفسهم المشهورين بالعداء الدائم للعرب..!

ولقد ظهر لنا جليا ، بعد الجولات المتشعبة التي طفنا فيها على جميع اروقة معرض افكاره ـ وبدون اي لبس او غموض ـ ان الذي يعمل على ابراز ابعاد تجاليه هو : تعمده النفاق ، والتضليل ، والخداع ، والتزوير .. بصورة مكشوفة لا غبار عليها ، مموها القراء ان آراءه التخريبية ، هي آخر ما توصل اليها « الفكر العلمي » ! من ابداع وابتكار!!

ولعل منهجه التضليلي هذا .. هو الذي يضع لنا بنفسه صيغة مشخصة ، لهذا الايحاء المنطقي ، الذي يمدنا بحقائق مذهلة .. وهو الذي يوضح لنا بجلاء حقيقة مكنوناته الباطنية ، المكبوتة .. خصوصا حين يعلن ـ وباستهزاء ماكر ـ ان جميع المجهودات الجبارة التي قام بها العرب المسلمون ـ والتي لا يستطيع ان ينكرها حتى الملاحدة كـ «نيتشه» Nitch حيال التقدم العلمي والحضاري ـ ليس لها اي اعتبار تاريخي ، او علمي ، او اجتماعي ، او سياسي ، او اقتصادي ، او تكنلوجي ، بالنسبة للتاريخ البشري عموما !!! مستهدفا بالدرجة الاولى ـ وبدون ادنى تحفظ ـ النيل من كرامة :الاسلام كايديولوجية «خرافية» ! «اسطورية» ! (قيدت» ! الفكر العربي خاصة ، والفكر الانساني عامة ! ـ حسب مزاعمه المروثة عن القديس اليهودي الملحد كارل ماركس ـ وطيلة اربعة عشر قرنا ، عن كل بحث علمي ! وعن كل معطى ايجابي في عالم السياسة، والاقتصاد ، والاجتماع ، والعلوم النظرية والتطبيقية !! .

ـ 5 ـ

ولما كانت رسالته المذكورة ، تدعو الى شيء من التوضيح .. عما هو عليه من جهل مطبق بحقائق الاشياء ، وطبائعها .. كان ملزما علي ـ والحالة هذه ـ ان اوجه له بدوري هذه الرسالة .. لا لتكون بمثابة تعقيب جديد ، على ما الفناه منه من آراء شاذة ممقوتة ، ولكن ، لتكون بمثابة ابراز « لغز » .. هو حصيلة تفكيره الطويل ، الذي لم يعرف طريقا سوى تقديسه للاشباح .. الامر الذي كان يجعله دائما يتوهم ان كل شبح يمثل « الحقيقة » في

ذاته .. تماما كالظمآن الذى يحسب السراب مـاء ..!

— 6 —

لذلك اوجه هذا الخطاب فاقول له :

لقد قرات كتابك الاخير « محنة العقل المبدع »، فوجدت عقلك — بالفعل — يعيش فى « محنة » .. لكنها محنة من نوع غريب ! ليست بطبيعتها كمحنة الكتاب الحركيين الملتزمين ، من الذين ينطلقون من الواقع ليخاطبوا هذا الواقـع .. بل هـي محنـة « نهيرية » ! تعرف بك .. ولا تعرف بسـواك !.. محنة تعلقك بالاشباح والاوهام .. محنة تماديك فى الضلال ، وقول الزور .. محنة تمردك على الحقائق الحية ، والوقائع الثابتة ..!

وانها حقا .. لمحنة قاسية جدا .. لن ينقذك منها الا طبيب اختصاصي فى الامراض الوهمية ...!

ان عقلك المريض ، سيظل اسير هذه « المحنة » .. طالما ان هذا العقل يعيش فى « أزمة فكرية » (1) .. وطالما انه يبتدع هذه المحنـة » (2) ! .. التـي تختلف بطبيعتها — كما اشرنا سابقا — عن أصنـاف المحن الاخرى ، والتي لم يسبق لكاتب ان عاشهـا — على الاقل فى المغرب — الا انت !..

— 7 —

لقد دفعتني « محنتك هذه » — والتي اشفـق عليها ، عطفا على حمى البلاهة التى اصابتك — الى تصفح مجلة «دعوة الحق»، العدد الآنف الذكر ، كي اعيد قراءة مقالي المنشور ، فى هذا العدد ، لاطمئن فيه الى جدية منهجية التعقيب .. فتاكدت — ثانية — ان ما كتبته فى ذلك المقال كاف للرد .. ليس فقط على كتابك الاول !.. بل حتى على كتابك الثاني .. و .. والعاشر ، ان كان لك عاشر ! الى ان تتحرر من هذه «المحنة»!.. والى ان تغير نظراتك، للكون ، والحياة ، والانسان ..!!

ذلك انه ليس لي وقت ، فى ان اظل اكـرر كلاما ، فقد يصرفنـي عن وظيفتـي الاساسية ، في توعية الجماهير .. ان هناك اشياء كثيرة تنتظرني.. ومواضيع متشعبة اريد طرقها ، ومعالجتها بين ايدي القراء الكرام .. فلا اريد اذن ان اضيع وقتي فى اعادة تصحيح اخطائك .. فى الوقت الذى اجدك فيه اكثر تعصبا الى هذه الاخطاء ، واكثر الناس تقديسـا لها .. نعم ، قد انبهك اليها عند الوهلة الاولى .. لان ذلك يدخل فى نطاق واجباتي.. لكن هذا الواجب يسقط التزامه ، فى حالة ما اذا تماديت — ومع سبق الاصرار — فى تقديس هذه الاخطـاء لـذات التقديس ..

— 8 —

لقد نعتني فى رسالتك « بالاستاذ الامي » ! — كعادتك فى مهاجمتك لاي كاتب عربي ! — وايمانا منك فى ان مفعول هذه الكلمة سيزعجني .. والواقع انك لم تصب الهدف ، اذ ان هذه الكلمة اعجبتني كثيرا ، لانها اظهرت اي حقيقة متناقضاتـك المتداخلـة مـع بعضها البعض ، بشتى معاييرها المتباينة فى حقل التفكير .. ذلك التفكير العتيق ، الهزيل ، الهرم .. الذى عجزت فيه حتى على شرح كلمـة « امـي »؛ فبالاحرى ان تدرك جوهر المعنى الذى تحتضنه هذه الكلمة من دلائل وايحاءات .. وهذا يعني من جهـة اخرى ، انك تكتب اشياء ، دون ان تفهم ، بل — ان تدرك — ما تكتبه ! اي انك تلوك الكلمات تلويكا ، وترسلها جزافا ، من غير ان تقيمها ، تقييما علميا ، دقيقا .. موافقا مع المعنى الذى يريده المنطق !!

ولعل هذا ، هو نفس الخطا الذى وقعت فيه، حين كنت تقرا مقالي المذكور « مهزلـة التفكيـر الالحـادي ..» اذ انـك انزعجـت — وقشلـد — وتجهمت من الصفات التى وصفتك بها ، على الرغم من انني اعتبرت تلكم الصفات .. صفات لاصقـة بسلوكك .. وملزمة بالنسبة لتقييم شخصيتك .. وضرورية بالنسبة لمعطياتك الفكرية .. الامر الذى دعاني الى ان اثبتها فى مقالي السابق ، كي تـدل القراء : من أنت ؟.. ومن هو قدوتك ؟.. وما هـو اتجاهك ؟.. فهي صفات حية نابضة ، تشخص لنا بعمق ، وبدقة علمية ملموسة ، « ورقة تعريفك » بكل مميزاتك .. وخصائصك .. ومقوماتـك .. فلا معنى اذن لان تنزعج منها !..

(1) اشارة الى كتابه الاول « ازمة الفكر العربي »

(2) اشارة الى كتابه الثاني « محنة العقل المبدع ».

— 9 —

ان آراءك ، التي جاءت وليدة « ازمتك » ! و « محنتك » ! ، هي آراء ليست — باي حال — في مستوى المناقشة ، لانها هزيلة وعتيقة ، اكل عليها الدهر وشرب ، لسبب واحد ، وهو أن : فكرة الطعن في العقيدة الاسلامية ، اي الطعن في — الله ، والرسول ، والقرآن ، والخلفاء الراشدين، والعلماء ، والمفكرين ، والمسلمين — هي فكرة مقدسة لدى طائفة معينة من الناس ! ، نذروا انفسهم لخدمتها منذ اليوم الاول الذى ظهر فيه القائد الاسلامي الاول ، رسول البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعو الناس فيه الى الاسلام ..

واذن ..

— فلا يحوم بك الغرور ، الى حد الاعتقاد ، بانك قد « ابتكرت » شيئا لم تكن نتوقعه !!

— ولا يجنح بك الافراط الى حد الاعتقاد ، بانك اصبحت — باعتناقك لهذه الافكار التخريبية — مفكرا ..!

— ولا يطوف بك الهوس ، الى حد الاعتقاد ، بأن افكارك الرجعية ، قد لقيت تجاوبا لدى الشباب المثقف !

— ولا يستأثر بك الزهو ، الى حد الاعتقاد ، بأن آراءك تستند الى اساس علمي سليم !

انما الذى ينبغي عليك ان تضعه في حسابك — وبيقين جازم وقاطع — ان هذه الطائفة المشار اليها، والمعروفة حاليا « بالصهيونية العالمية » ، قد ربحت — بموقفك « الشجاع » هذا — عضوا ، فعالا ، حركيا .. مخلصا لقادتها .. ومناضلا من اجل تحقيق تعاليمها ، واهدافها ..!

فاسلم بهذه العضوية الجديدة ! ، يا « اخ » ! العرب ، من الد عدو للعرب !!

ان الصهيونية المقوتة ، ليحسن بها — الآن — ان تفتخر بامثالك ، وان تمتز بفضلك عليها ، وعلى اهلها .. خصوصا ، وقد اعددت نفسك لهذه المهمة « العظمى » !.. من غير ان تتكلف هي بالنفقة على اعدادك او تربيتك .. ما كانت الا « منة » فكرية جمعت بينك وبينها ، في الدروب المظلمة ..!

— 10 —

انني اعرف جيدا ، ان آراءك ، لها اعتبار « كبير » لدى هؤلاء الاسياد ، فهي تعتبر عندهم بمثابة « النظريات المقدسة » كتلك التى كان البابوات يؤمنون بها ، ابان العهود المتحجرة في القرون الوسطى .. ذلك انها تتضمن مغزى هادفا يجسده لسان حالك ، وانت تخاطبهم بحماسك المالوف : ها انذا في الميدان بجانبكم !!.. نعم اعلنت لهم ذلك بشكل او بآخر ، في الوقت الذى يجد العرب فيه انفسهم ، وجها لوجه امام عدوهم رقم واحد « الصهيونية العالمية » أي، أن مشاركتك في محاربة العرب ، جاءت كطعنة غادرة من الخلف ، اثناء المعارك المستمرة بين العرب واسرائيل .. ونحن اذ نسجل هذه الطعنة الانتقامية ، لنضيف اليها طعنات جديدة ، وجهها مؤخرا رفيقك في الخيانة الملحد : صادق جلال العظم في كتابه الاخير « دراسات نقدية في فكر المقاومة الفلسطينية » ، ضد الشعب الفلسطيني المجاهد !!

— 11 —

ان آراءك المسجلة ، في كتابك الاول او الثاني على حد سواء — والتى نشرت في بلد جل أهله من المسلمين ، فضلا عن كونها لم يستسغها حتى الماركسيون الملحدون — هي آراء ميتة ، نتنة .. لفظت انفاسها قبل ولادتها ، نتيجة تبنيها لافكار باطلة ، رجعية ، أي انها ترجع بالانسان الى شريعة الغاب ، حيث الدمار الانساني المحقق !!.

ان هذه الآراء المنبوذة — التى لم تجد آذانا صاغية عندنا نحن العرب — قد حكمت على نفسها بنفسها بالافلاس ، والذى زادها افلاسا على افلاس هو : انها منشورة بلغة القرآن.. لغة العرب المسلمين .. اى لغة الامة التى لا تعترف بفضلتها ، وبمقدرتها في هذه الحياة .

لهذا كان الاجدر بك — وقد تنكرت لعروبتك واسلامك — ان تكتب بلغة اسيادك .. لغة اولئك الذين سيعظمونك .. ويرفعونك فوق رؤوسهم ، وبالتالي سيضعونك — وبصورة مؤكدة — في منزلة « المفكر » .. وهي الامنية الغالية ، التى تسعى الى تحقيقها لحساب هذا التضليل، والتى تعمل جادا

على تحريض القراء ، فى ان يلقبوك بها رغما عليهم !! .

– 12 –

ان الذى يجب عليك ادراكه ابتداء ، هو ان لغة الضاد ، هي لغة القرآن .. أي انها ملك له .. فالذى يعتز بهذه اللغة يعتز تلقائيا بهذا الدين .. وهذا يعني ان خطتك الميتة – والتى تسعى من ورائها الى اتخاذ هذه اللغة ، مطية للطعن فى هذا القرآن ، باعتبارها اللغة السامية اللاصقة به – هي خطة مائعة ، وفاشلة من اساسها .. لذلك يجب عليك الا تنسى هنا شيئا مهما .. تتعمد نسيانه ونكرانه ، وهو انه يتحتم عليك ان تأخذ بعين الاعتبار ، ان وسيلتك الخسيسة هذه ، قد باءت – منذ البداية – بالفشل الذريع .. اذ ان هذه اللغة لا يمكنك – ولا لغيرك – استعمالها مطلقا كسلاح ضد العرب ، ومعتقداتهم الاسلامية !!!.

ان هذه اللغة – او كما يسميها الاستاذ الشهيد سيد قطب اللغة الاسلامية – تبرهن مرة اخرى ، على حقيقة ضخمة ، تحتضنها الذاتية الاسلامية..

والى ان تعرف هذه الحقيقة بنفسك ، فانى انصحك بأن تطرحها لاصحابها .. حتى لا تقع فى تناقض مع مبدئك ، الذى عاهدت اسيادك على التضحية من اجله !..
والسلام على من اتبع الهدى

الرباط – محمد محمد النوري





حياة العقاد ونتاجه اثارا نقعا كبيرا فى الاوساط العلمية والادبية وكانا وراء الحوافز التى دفعت بالكثيرين الى الكتابة والتحبير . ويعتبر العقاد من ابرز رواد النهضة الفكرية فى العالم العربي بما خلفه من تراث ضخم تناول الادب والشعر كما تناول الدين والسياسة والفلسفة وعلم الحشرات !..

تقول عنه موسوعة الآداب: ولد عباس محمود العقاد سنة 1889 فى ارض مصر وتناول بالدرس والتحليل عدة مواضيع فى النقد الادبي وكذا عدة محاولات علمية وفلسفية وجمالية . ويعتبر العقاد بحق من المع الادباء المشهورين فى مصر . وقد رشحته ثقافته العربية والانجليزية لان يكون رائد المدرسة المصرية فى الفن والآداب . وقد اهتم خاصة فى اخريات ايامه بالسير الاسلامية . وتبتدي فى اعماله قصته المشهورة المدعاة « سارة » (1938) ودراساته حول الرومي الشاعر (1931) وجوته (1932) الذى يختصه المؤلف باعجاب وتقدير كبيرين . كما ان الفضل راجع للعقاد فى جلاء شخصيات بعض العباقرة المسلمين ، اذ كتب عن عبقرية محمد وعبقرية الصديق وعبقرية عمر وعبقرية خالد بن الوليد وعبقرية علي .. الخ)

ويقول الاستاذ طاهر الطناحي : كان الفقيد العزيز يحب الحياة على الرغم من متاعبها واذاها وعلى الرغم مما عاناه من امراض وشدائد ، لانه كان يحب المعرفة ويغرم بها ، ويحب ان يصل اليها وتصل اليه ولو تحت التراب ..! كنا وكان الناس يعرفون ذلك عنه فلما بلغ السبعين من عمره ، كان الكاتب الجليل يزوره ليكتب عن « وحي السبعين »، فسأله : هلا تزال تحب الحياة اليوم ، كما تحبها بالامس ؟ فاجاب الكاتب الكبير : لم يتغير حبي للحياة ولم تنقص رغبتي فى طيباتها ، ولكنني اكتسبت صبرا على ترك ما لا بد من تركه ، وعلما بما يفيد من السعي فى تحصيل المطالب وما لا يفيد، وزادت حماستي الآن لما اعتقد من الآراء ونقصت حدتي فى المخاصمة عليها ، لقلة المبالاة باقناع من لا يذعن للرأي والدليل . وارتفع عندي مقياس الجمال، فما كان يعجبني قبل عشر سنين ، لا يعجبني الآن فلست اشتهي منه اكثر مما اطيق .. كنت احب الحياة كعشيقة تخدعني بزينتها الكاذبة وزينتها الصادقة . فاصبحت احبها كزوجة احبها واعرف عيوبها وتعرف عيوبي . لا اجهل ما تبديه من زينة وما تخفيه من قبح ودمامة . انه حب مبني على تعرف وفهم ..

اما اهم جانب فى فلسفته عن الحياة فهو ما استفاده من الطبع الموروث وجاءته بعض الزيادة من التجارب والقراءة ، ويعني بذلك قلة الاكتراث للمقتنيات المادية . فأعجب شيء عنده هو تهالك الناس على اقتناء الضياع والقصور وجمع الذخائر والاموال . وهو يعتقد ان نابليون مهرج الى جانب

العالم باستور والاسكندر المقدوني بهلوان الى جانب ارشميدس .

اما عن الحب ــ وهو ذو اثر بالغ فى حياة العقاد ــ فقد كتب لمجلة الدنيا الاسبوعية سلسلة مقالات بعنوان « مواقف فى الحب » وهي التى جمعها فيما بعد فى كتاب « سارة » . واذا كنا سنعود للحديث عن الموضوع بشيء من الاسهاب ، فلا مانع فى نظري من الاشارة الى ان العقاد كان شديد الحساسية سريع البكاء . وقد اثبتت المراجع العلمية والنفسية ان اقوى الرجال اسرعهم الى التأثر والبكاء . ومن امثلة التأثر والحساسية الشديدة عنده اثناء سجنه بتهمة العيب فى الذات الملكية ، وقع نظره يوما على جلاد يهوى بسوطه على ظهر سجين ، ثم ينبثق الدم من ظهر الرجل المسكين .. فعاد الى مكانه فى السجن باكيا ، وقلبه يكاد ينفطر شفقة ورحمة ، ومكث مريضا مدة اسبوع كامل ، ولم يستطع النوم ثلاث ليال باكملها ، وظلت صورة الدم على ظهر السجين تشاغل عينيه ، واستمرت انات الرجل تدوى فى اذنيه ، ولم يرحم خياله ان ذلك الرجل قد اتى ذنبا استحق عليه العذاب .

كان الراحل العزيز يعرف الحب بانه اندفاع روح الى روح ، واندفاع جسد الى جسد . وخلاصة فلسفته فيه انه قضاء وقدر ، فهو يرى اننا لا نحب حين نختار ، ولا نختار حين نحب ، واننا مع القضاء والقدر حين نولد وحين نحب وحين نموت ، لان الحياة وفقد الحياة هي اطوار العمر التى تملك الانسان ، ولا يملكها الانسان . بيد انه ينقل عن الفيلسوف الالماني شوبنهور قوله بان النساء ابدا صغيرات وان شبت اجسامهن خلال الاعوام ، ولا تزال المراة طفلة كبيرة الجسم فى كل ادوار حياتها لانهن كالصغار صبيانيات الميول ، خفيفات الاحلام ، قصيرات النظر وانهن لا يفتأن لاهيات .

والعقاد اعزب لم يتزوج ــ ولعله انصرف عن الزواج لفشله فى حياته العاطفية فى صدر حياته ولعله اغرم بالكاتبة الشهيرة « مي زيادة » وكان بينه وبينها لهيب من العاطفة واتون من الشوق ، ولعلها هي التى رمز اليها بهند فى قصته سارة ، ويفرق العقاد بين هند وسارة فيقول ، فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية فى ساحة الطبيعة فهند قد خلقت راهبة فى دير من غير حاجة الى الدير ، تلك مشغولة بان تحطم من القيود اكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بان تصوغ حولها اكثر ما استطاعت من قيود ثم توشيها بطلاء الذهب وترصعها بفرائد الجوهر ، الحزن الرفيع والالم العزيز شفاعة عند هند مقبولة ، اذا لم تكن وحدها الشفاعة المقبولة ، اما عند سارة فالشفاعة الاولى بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور ، تلك يومها جمعة الالام ــ وهذه يومها شم النسيم .

وللعقاد آراء طريفة فى المراة سجلها فى كتاب اصدره عام 1912 واطلق عليه «الانسان الثاني» وذكر فيه اننا نعيش فى عصر خليق بان ندعوه عصر المراة ، فانك لا ترى الا آثرا من آثارها حيث ذهبت، وقليلا ما تجد عقلا لا يشتغل بامرها ، او قلبا لا يشتغل بها حتى لقد بلغ بهذا العصر الظريف ان يرغب الناس فى صورها ورسومها فى اوراق التبغ وعلب الثقاب وحاوى الاطفال واعلانات المتاجر والسلع حتى لقد اصبحوا يضعونها احبولة يتصيدون بها الناس فى حفلات البر ومجالس الاحسان .

وللعقاد بوصفه انسانا يتفاعل مع بيئته ويهتم بمصير بلاده مواقف بطولية لم يتلكأ فيها عن الاعلان بما يلزم من الحرية والصراحة عن رايه الشخصي مهما استبطر الحاكمون واولوا الامور . وفى هذا المضمار ، كتب مقامات كان لها دوي عظيم واثر خطير فى الاوساط الادبية والسياسية نختص منها بالذكر تلك المقامة التى اطلق عليها « نادي العجول » وكاد العقاد يذهب من جرائها الى جزيرة مالطا منفيا من البلاد ، وجاء فيها : ايها السادة : ان العجل مدني بطبعه ، ونحن العجول قد ميزنا الله على بني آدم بضخامة الاجسام وصلابة القرون ، وقد غبر بهؤلاء الناس زمان كانوا يعرفون فيه باسنا ويتمسحون باذيالنا ، حتى ايقنوا ان لن يقوى على حمل هذه الدنيا احد سوانا ، فعبدونا من فرط الاجلال ، وسبحوا لنا بالعشي والآصال . وكانوا يحسدوننا على قروننا ، فدعوا اكبر ابطالهم واشدهم باسا وارفعهم ذكرا ، اعني الاسكندر المقدوني بذي القرنين ، وما اسكندرهم هذا وما قرناه ؟ ان اصغر عجل بيننا ليهشم راسه اذا ناطحه ، ويجندله اذا واثبه او صارعه ، فالعجب لك ايتها العجول ، لا تذكرين ذلك المجد الخالد ، فتقام لك الصوامع والمعابد ، بدل النوادي والمعاهد » .

ذلك احد المواقف التي وقفها العقاد دون غطرسة ولا خيلاء ، فهو يقول عن نفسه :

« فعباس العقاد هو في راي بعض الناس مع اختلاف التعبير وحسن النية ، هو رجل مفرط الكبرياء ورجل مفرط القسوة والجفاء ... ورجل يعيش بين الكتب ولا يباشر الحياة كما يباشرها سائر الناس ورجل يملكه سلطان المنطق والتفكير ولا سلطان القلب ولا للعاطفة عليه ورجل يصبح ويمسي في الجد الصارم فلا تفتر شفتاه بضحكة واحدة الا بعد استغفار واغتصاب . واقسم بكل ما يقسم به الرجل الشريف ان عباس العقاد هذا رجل لا اعرفه ولا رايته ، ولا عشت معه لحظة واحدة ولا التقيت به في طريق .. ونقيض ذلك هو الاقرب الى الصواب.

نقيض ذلك هو رجل مفرط في التواضع ورجل مفرط في الرحمة واللين ورجل لا يعيش بين الكتب الا لانه يباشر الحياة ، رجل لا يفلت لحظة واحدة في ليله ونهاره من سلطان القلب والعاطفة ورجل وسع شدقاه من الضحك ما يملأ مسرحا من مسارح الفكاهة في روايات شارلي شابلن جميعا .

والمعروف عن العقاد انه ميال بطبعه الى العزلة . وفي ذلك يقول في اعترافاته : واول ما اعترف به انني مطبوع على الانطواء ، وانني مع هذا خال بحمد الله من العقد النفسية الشائعة بين الاكثرين من اندادي في السن ونظرائي في العمل وشركائي في العصر الذي نعيش فيه ، وقد ورثت طبيعة الانطواء من ابي وامي فلا امل من الوحدة وان طالت بغير قراءة ولا تسلية ، ولا ازال اقضي الايام على حدة حيث يتعذر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات . وقد يمر عليه اسبوع وهو قابع في داره لا يبرحها ، وقد سئل ذات يوم : لماذا كنت قليل التنقل نادر الاسفار ؟ فاجاب : لاني كثير السياحة بين الكتب .

وعزلة العقاد لم يكن يدعو اليها البعد عن الناس والاعتصام بالابراج العاجية . زاره الاستاذ عدنان الداعوق في بيته بعد طول تردد لهيبته من هذا الرجل الذي يهابه ويخاف من لسانه الجميع . وامام باب منزله وقف ولا يدري كم طالت وقفته .. لكنه تذكر الكثير الكثير وتساءل بينه وبين نفسه :

ـ اهذه هي صومعة العقاد .. ومأوى تلك العبقرية الفذة ؟

وكانت اول زيارة يقوم بها الى منزله. وارتسمت على شفتي الرجل العملاق ابتسامة بسيطة بلا تكلف ولا تزييف .. ورحب به :

ـ اهلا وسهلا . تشرفت بمعرفتك ..

ويشهد الداعوق انه اروع ترحيب لقيه في حياته .

وامتدت به الجلسة وهو ماخوذ بعلم الرجل وعبقريته وسعة صدره واعتداده وقوة حجته وثقافته ، وواسع اطلاعه وبعد افقه ، ورصانة حديثه وبالغ اسلوبه ، وحسن وفادته وترحيبه وتقديره .

وخرج من عنده وهو اشد ثقة به من قبل ، وكان على وفرة ما قرا له من آثار لم يلتق بالصورة الرائعة للعبقري الفذ والعالم والفيلسوف ... والانسان الكامل .

وللاطفال في دنيا العقاد مكانة يحسدهم عليها الكهول والشيوخ ، لان معلمينا الصغار لا يكتمون شيئا وكل ما كتموه ابرزوه وضاعفوا ابرازه ، فمن لم يتعلم حقائق الضمير الانساني من الطفل فما هو بمستفيد شيئا من علوم الكبار ، ولو كانوا من كبار العلماء .

والفقيد الكبير يرى ان الصغير الذي يرفع العصا ليدرك بها القمر يعود بك كما كنت يوم ملات عينيك من القمر اول مرة ، فزعم لك خيالك الطريف انه على مد الذراع القصيرة ، وانه اذا احتاج منك الى جهد فغاية هذا الجهد ان تصعد الى سقف وترفع العصا اليه ، فتنزل به اليك !

ان التليفون لا يدهشك اذا نظرته واستمعت اليه ، ولكنه يملأك بالدهشة كلما حدثت طفلا من وراء المسافات البعيدة فسمعته يهال ويصيح على من حوله ان ينظروا اليك مختبئا في جوف السماعة المسحورة واكبر عجبه ان تحتويك تلك السماعة وهي تضيق عن كفيه الصغيرتين .

ومن المستملحات التي رواها قريبه عامر العقاد ان احد الاطفال من جيرانه كان يعترض سبيله وهو يتسلق الدرجات الى صومعته ليقول له : يا سيد عقاد ، السيدة ماما تكلفني بتنظيف السيارة وقضاء الحاجات خارج البيت .. انهم على خطأ لاني لست وحدي في هذا البيت . وهنا تدوي ضحكة العقاد، ويجيبه طبعا، هم على خطأ. سأرفع القضية الى السيد

الو لد مساء هذا اليـوم . فلا تغضب نفسـك وأنا اعلم أنهم لا يعرفون فضلك ومكانتك !

والطفل كما نعلم جميعا ، متعة غالية جدا لا نملك ثمنها ، لانه قاصـم للظهـور في كثيـر من الاحوال .

فنظرة الى طفل مريض تنسيك متاع الدنيـا باسرها وصيحة الم من ذلك الصغير تزلزل عزائم الابطال .

ويضيف العقاد : واذا كان الخطب اجسم من ذلك فلا حول ولا قوة فيه الا من حول الله وقوته . وكلاهما ليس في اليدين .

متعة نفيسة وثمن غال ، ومما زهدني في اقتناء المتعة النفسية علمي بغلو الثمن .. ولا اخالني مـع هذا نجوت مما ابتليت به في طائفة من هؤلاء الاصدقاء الاعزاء .

اما الموت فقد كان العقاد يكرهه ولا يخشاه . ولم يكن يطمع ان تدوم حياته الى سن المائة . فقد توفيت والدته في سن الثمانين ووالده دون هـذه السن ، وقد تنبأ بالموت في حديث بينه وبين الاستاذ طاهر الطناحي فقال : ان الابن يأخذ متوسط عمري ابيه وامه . وقد تنتهي حياتي قبل الثمانين ! ثم ابتسم وقال :

« اذا فاجاني الموت في وقت من الاوقات فانني اصافحه ولا اخافه ، بقدر ما اخاف المرض ، فالمرض الم مذل لا يحتمل ، لكن الموت ينهي كل شيء ... نعم ، ان الخوف من الموت غريزة حية لا عيب فيها ، وانما العيب ان يتغلب هذا الخوف علينا ، ولا نتغلب عليه كلما وجب ان نغلبه في موقف الصـراع بيـن الغريزة والضمير ، فان الخضوع له في هذه الحاله ضعف ، والضعف شر من الموت » .

استكتبه احد الناشرين صفحات حول رأيه في مواضيع شتى تشغل البال في القرن العشرين وتعد من قضايا الساعة ، فاختتم العقاد حديثه بقوله عن الموت والمسكن والساكنين :

في ذمة الغد شاعر يلقي على هذا المسكـــن (سـكنه) رايه في هذا المقيم المطيل ، أتراه يحمد منه انه ارتقى به من ابتذال التنقل الى كرامة البقاء والاستقرار ؟ ام تراه يضجر منه ويشيعه بالمذمة بعد هذا المكث الطويل ؟ ايقل ما سيقول ، ذلك الشاعر المجهول » .

تلك لمحات من صورة العقاد الانسان ، جلوناها في هذه العجالة بما تستلزمه من ايجاز واقتضاب ، يقينا منا بأن العقاد « الانسان »عالم رحب لا يستطاع حصره في هذه الصفحات القلائل . فانسانية العقاد تتطلب ، لتدوينها ، مجالا افسح تتبـدى فيه قـوة شكيمته وشدة مراسه ودامغ حجته ورقة احاسيسه ومشاعره فرحم الله العقاد الذي تباعدت مكونات شخصيته حتى ليستعصي جمعها في انسان واحد ، والتي تلاحمت كل التلاحم حتى سنعـت منـه في شخص واحد تلك العبقرية الفذة في تاريخ الفكر العربي الحديث .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

المـراجـــع :

ـــ انـا : عباس محمود العقاد ـ تقديم طاهر الطناحي
ـــ في بيتي : عباس محمود العقاد ـ اقرأ 33
ـــ آخر كلمات العقاد : عامر العقاد ـ اقرأ 267
ـــ الانسان في القرآن الكريم : عباس محمود العقاد ـ دار الهلال ـ
ـــ موسوعة الآداب الصادرة عن المطابع الجامعية الفرنسية ـ الجزء الاول .
ـــ مجلة العالم ـ العدد الثامن ـ السنة الثامنة ـ عباس محمود العقاد ـ لجمال الدين الرمادي
ـــ مجلة العالم ـ العدد العاشر ـ السنة الثالثة عشرة ـ حياة العقاد من خلال شعره
ـــ مجلة الوعي : العدد الثالث عشر ـ مارس 1970 ـ العقاد مدرسة وموسوعة .

الدّاعيون على الجيلين

من نابليون إلى تلامذته

للأستاذ : أبو عدنان عبد القادر البوشيخي

1 — الوجه الثاني لحملة نابليون على مصر :

ترى المدرسة الوطنية ـ لتفسير التاريخ ـ ان نابليون كان مستعمرا . وان حملته على مصر كانت فاتحة الهجوم الامبريالي على العالم الاسلامي ، وبداية لحملة التغريب التي ينعم الغرب الان بقطف ثمارها . وترى المدرسة الاستعمارية ان احتلال نابليون لمصر كان عامل خير ونهضة وبركة ، لانه نقل الى الشرق مبادىء الثورة الفرنسية ، وفك أغلال الجهل والتخلف التي كانت تطوقه ، وفتح له نافذة على العصر الحديث. وترى هذه المدرسة ان العصر السابق ـ وهو العصر التركي ـ من اسوأ العصور الاسلامية واظلمها وأشدها تاخرا وانحطاطا وجمودا على التقليد . فهو « عصر السبات الذي استمر قرونا طويلة وفيه رزح العالم الاسلامي بأسره ـ كذا ـ تحت سيوف العثمانيين منعكفا على ذاته (1) » أما عصر النور فقد ابتدا سنة 1798 « عندما جاء نابليون وحطم ذلك السور العثماني العظيم الذي حال دون اتصال مصر بأوربا ثلاثة قرون كاملة (2) » لنناقش هذه الادعاءات ونتساءل : هل كانت مهمة نابليون حضارية ؟ وما هي بذور النهضة التي زرعها في مصر أثناء احتلاله ؟

نابليون كان صنيعة صهيونية :

يحدثنا الاستاذ عبد الله التل عن قصة تسخير الصهيونية لنابليون فيقول : استمر استغلال اليهود للثورة الفرنسية بعد ان حطموا أسس الدولة من نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية ، وغدوا القوة الحقيقية التي ترهب الشعب الفرنسي تحت ستار الشعار المزيف للحرية والمساواة والاخاء وحين انتهت السلطة العليا في فرنسا الى نابليون انتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا في الاتصال به والايحاء اليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين منهم (3) « ثم قدموا له مذكرة بواسطة أحد أعضاء حكومته ، جاء فيها « الى السيد بول باراراس عضو حكومة الدير كتوار ... اعتقد ان من واجبي ان اقدم لك المشروع التالي بوصفك صديقا لبونابرت الرجل الحكيم الذي اكتشفت عبقريته ... ما من أمر من الامور التي تلفت أنظار العالم اليوم تستحق الاهتمام على ما يبدو لي كالمصير الذي ستؤول اليه مصر ، فستجد كل انسان يتلهى في اختراع المشاريع لمساعدة بونابرت وتثبيت هذه المستعمرة لفرنسا ... » وبعد ان تتحدث المذكرة عن

---

(1) فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والاسلام . 1 / 138 .
(2) ودخلت الخيل الازهر ص 17 .
(3) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ـ ص 17 .

الفوائد التي سيجنيها نابليون من استغلاله لاموال الصهاينة وخبرتهم في التجسس والتخريب تتطرق الى بيت القصيد فتقول ، « فعلى فرنسا اذن ان تمنحهم الارض التي سيقيمون عليها وطنهم وجمهوريتهم . ومصر هي لفرنسا ، ومصر على وجه التحديد هي التي اتجهت اليها آمال أنبيائهم لتكون أرض عودتهم بعد تيههم الثاني . . . »

وتقترح المذكرة على نابليون ان يستدعي اثنين او ثلاثة من زعمائهم ويقول لهم « ان مصالحنا ورغائبنا تتفق ومصالحكم ورغائبكم وانه لفي وسعنا ان نسعدكم فاتجهوا بأنظاركم الى مصر تلك الاراضي الجميلة بعد خلاصها من العثمانيين ، وبلغوا اقتراحاتنا الى اخوانكم التائهين في الارض ، وعرفوهم عن قيمة الفرصة التي نقدمها لكم . وليجمعوا الاموال فيبتاعوا ذلك الربع من مصر الذي يجاور برزخ السويس والبحر الاحمر . . . » أما الثمن الذي يقدمونه لنابليون — بعد الاموال — فهو ان يكونوا في يده اداة تخريب واضطراب : « فاذا استطاعوا عن هذا الطريق الدخول الى عقر آسيا فانهم انما يحملون معهم الصناعة والفنون والعلوم الاوروبية . . . هذا وانهم يقدمون اليك عنصرا استعماريا متينا ثابت الاركان قد يكون ضروريا كيما يقوم في آسيا مقام الامبراطورية الآخذة في الاغلال . . . امبراطورية العثمانيين ويقدم لكم اهم الضمانات لبث الفوضى واشعال الفتن واحلال الازمات للقضاء على الاتراك جملة واحدة . . . (4) » وعندما رفع باراراس المشروع الى نابليون استصوب الفكرة واستعان بعلماء اليهود وحاخاتهم على صياغة النداء ، وقد جاء فيه « ان الامة التي ينظر اعداؤها الى موطنكم الوراثي كغنيمة تتقاسم وفق اهوائهم بضربة قلم في دوائرها ستشعلها حربا لا هوادة فيها ولا مثيل لها في التاريخ للدفاع عن كيانها . . فتثأر للذل الذي لحق بكم منذ الف عام تقريبا . . . فان هذه الامة — اي الفرنسية — تقدم لكم الان على الرغم من جميع العقبات مهد اسرائيل . . . يا ورثة فلسطين الشرعيين ، ان فرنسا تناديكم الان للعمل على اعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فقد منكم . . . اسرعوا فان هذه اللحظة لن تعوض قبل آلاف السنين للمطالبة باسترجاع حقوقكم المدنية بين شعوب العالم (5) » الاهداف اذن مشتركة والخدمات متبادلة. يمنحهم نابليون قسما من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب على فلسطين ، والمقابل هو المال ، وان يكونوا في يده اداة فوضى وتخريب وتثبيت للاستعمار الفرنسي . هذه هي مهمة الامبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الانسانية ، ومذور الحضارة الى الشرق ، وموقظه من نومه الثقيل ! ولكي تنجح المهمة وينطلي الخداع فلا بد من القناع .

نابليـــون يدعـــي الاســـلام !

كان نابليون يعلم علم اليقين ان العدو اللدود والخصم العنيد الذي سيواجهه ليس جنود المماليك وانما الاسلام ذلك الطود الراسخ والجبل الاشم الشامخ الذي تكسرت عليه موجات الصليبيين وبقي الشرق شرقا . لذلك راى من الحكمة ان يتفادى مواجهة هذا الخصم الذي لا يقهر والعدو الذي يدحر ، وكانت البداية هي دراسة الاسلام والتعرف على مواطن القوة فيه ، يقول محمد جلال كشك : « عندما قرر نابليون « استعمار مصر » كنقطة انطلاقه لبناء امبراطوريته الشرقية بدأ بدراسة الاسلام ، وطلب القرآن وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية ، ويقول هيرولد انه كلما دنا من الساحل الافريقي استغرق في دراسة الاسلام (6) » ووصل به الامر الى حد ادعاء الاسلام وذلك في محاولة منه لتملق عواطف المسلمين وتنويم الشعور الديني . فقد اصدر الى المصريين منشورا جاء فيه : « لا اله الا الله ولا ولد له ولا شريك له في ملكه . . . من طرف الفرنساوية المبني على الحرية والمساواة السر عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية . . . يا ايها المصريون قد قيل لكم انني ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه . . . ايها المشايخ والقضاة والائمة واعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية ايضا مسلمون مخلصون (7) » .

نابليـــون يصطـــدم بالازهـــر :

ثبتت جيوش المماليك ساعات ثم انهزمت ، واصبح نابليون وجها لوجه امام الاسلام المتجسد في الازهر .

---

(4) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، 18 — 22 .
(5) المصدر نفسه ، 22 — 23 .
(6) ودخلت الخيل الازهر ص 126 .
(7) المصدر نفسه ، ص 146 .

فتحمل شيوخه مسؤولياتهم ، وقاموا بتنظيم الثورة التي اقضت مضاجع جيش الاحتلال طيلة السنوات الثلاث التي قضاها في مصر . يقول « ريبو » : « لقد اجتمع الى جانب تذمر الاهالي واستيائهم ، نشر الدعوة الى الثورة ، فكان في الجامع الكبير المعروف بالازهر لجنة لتدبير الثورة تعمل على اثارة الكراهية في نفوس الناقمين (8) » ، ويقول نابليون في مذكراته « ان الشعب انتخب ديوانا للثورة ... وان لجنة الثورة كانت تنعقد بالازهر (9) » . استعمل نابليون كل وسائل الترغيب والترهيب لجر شيوخ الازهر واستعمالهم اداة لكبح جماح الجماهير . ولما لم تفلح محاولاته « ثار غضبه فامر مدفعية القلعة المعززة بمدافع الهاوبتز والمورتار بأن تسدد المدافع الى الجامع الازهر وما حوله من احياء هي مركز الثورة (10) » « وبدا ضرب الازهر بالقنابل حوالي الظهر واستمر الى المساء واصدر بونابرت أمرا الى الجنرال بون بان « يبيد كل من في الجامع (11) » . واخيرا حقق نابليون حلمه ودخلت خيله الازهر مركز القيادة المصرية ورمز سيادتها ، « دخلوا وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالاروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع ، والاواني والقصاع ، والودائع والمخبآت ، بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الارض طرحوها ، وبارجلهم ونعالهم داسوها - كما فعل الصهاينة تماما عندما دخلوا المسجد الاقصى - واحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب ، وكسروا اوانيه ، والقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به عروه ، ومن ثيابه اخرجوه (12) » . هذه هي بذور الحضارة والا فلا .

من مخازي جيش الحضارة :

لا يسمح الموضوع باستعراض جرائم الجيش النابليوني في مصر وفلسطين ، ولذلك احيل القارىء الكريم على كتاب « ودخلت الخيل الازهر » وايضا على كتاب « الاستعمار احقاد واطماع (13) » فسيجد هناك ما لا يستطيع تصديقه بسهولة وخاصة اذا كان ممن بهرتهم الدعاية الاستعمارية الصهيونية عن الثورة الفرنسية وآثارها الحضارية في الشرق والغرب . نرى الجيش الذي فتح لنا نافذة على العصر الحديث كيف عامل النساء وكيف استخدم الوسائل الدنيئة في اغتصاب الاموال وابتزازها ، وانتهاك الحرمات ، والاعدام بالجملة وبدون محاكمات . وكيف ان نابليون كان يصدر الاوامر بالاقتصاد في الرصاص ، واستعمال السكاكين واسنة البنادق ، والاغراق في النيل . الى غير ذلك مما يندى له الجبين ويعتبر وصمة عار في تاريخ الاستعمار . وهذه بعض النماذج : يقول صاحب الكتاب : « وانطلقت قوات نابليون تنهب وتذبح العرب على طول الطريق من العريش الى عكا » .

« وحالما استولى هؤلاء الجنود البواسل على المدينة - يافا - ودخلوها اعملوا السيف في نحو 2000 جندي من الحامية ، كانوا يحاولون التسليم . وراح الفرنسيون يقتلون اعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله والليل كله ، وفي صباح الغد ، والرجال والنساء والاطفال والمسيحيون والمسلمون ، وكل من له وجه انسان سقط صريع جنونهم كما قال « مالو » الذي ما زالت الصفحات التي كتبها في وصف هذا المشهد البشع تتجاوب بشعور الفزع والخزي ... وفي يافا كان النهب والسلب وشق البطون وهتك اعراض البنات وهن ما زلن في احضان امهاتهن المائتات (14) » وتقدم قائدان من قواد نابليون الى القلعة واعطوا الامان الى الحامية التركية التي كانت بها، فخرج الجنود وسلموا اسلحتهم ، ولما رآهم نابليون اصفر وجهه وقال ساخطا : « ماذا يريد انني ان افعل بهم ؟ ما هذا الذي صنعاه (15) »ثم امر بذبح كل الحامية المستسلمة التي كانت تبلغ 3000 جندي ، ضاربا عرض الحائط بالامان الذي منح لهم باسم الشرف الفرنسي ، كانت الحامية متركبة من الاتراك والمغاربة والمصريين ، ويبدو ان نابليون كان اشد حقدا على

(8 و 9) نفسه ص 223 (وهذا ما حدث هنا في جامعة القرويين) .

(10 و 11) نفسه ص 231 .

(12) نفسه ص 234 (نفس ما فعله التتر عندما اقتحموا مساجد بغداد) .

(13) نفسه ص 153 - 169 .

(14) ودخلت الخيل الازهر ، ص 241 .

(15) نفس المصدر ، ص 242 .

المغاربة بوجه خاص : « وفي اليوم التالي اخذ المغاربة جميعهم الى شاطىء البحر (المغاربة دائما موجودون في معارك الشرق ، حاربوا الصليبيين فأبلوا البلاء الحسن ، وقاوموا جيش نابليون ، وهاهم اليوم يتجهون الى مرتفعات الجولان) وبدأ كتيبتان في رميهم بالرصاص ، وكان املهم الوحيد في النجاة هو ان يلقوا بأنفسهم في البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة ، فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ... اما وقد تم اعدام هؤلاء الجنود فقد رجونا صادقين ـ هذه رسالة ارسلها جندي نابليوني الى امه ـ الا تتكرر هذه الجريمة وان يعفى الاسرى الباقون من القتل ... ولكن سرعان ما خاب رجاؤنا حين اقتيد 1200 مدفعي تركي في اليوم التالي ليعدموا ، وكانوا قد جوعوا يومين أمام خيمة الجنرال بونابرت ، وصدرت التعليمات المشددة للجنود بالا يسرفوا في الذخيرة ، فبلغت بهم الوحشية ان عملوا فيهم الطعن بالسنكي .. وقد وجدنا بين الضحايا اطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بآبائهم ... وسيقع دم هؤلاء ، الآلاف الثلاثة الضحايا على رؤوسنا ان عاجلا أو آجلا (16) » وفعلا وقعت دماء الضحايا على رؤوسهم عاجلا « وفي اليوم الثاني من ايام المذبحة ارسل الله ـ الذي تاتي من عنده جميع الطيبات ـ الطاعون على الجيش الفرنسي وصبه على رؤوسهم بسخاء (17) » .

... الى سطالين ولينين :

ارى من المناسب هنا الاشارة الى مقارنة تاريخية بين اسلوبين في الخداع والتمويه ، على غرار منشور نابليون الى مصر اصدر آخر للفلسطينيين جاء فيه : « الزموا الهدوء في بيوتكم .. وأنا اضمن سلامة الجميع وحمايتهم ، وسيكون الدين على الاخص موضع الحماية والاحترام ، لان جميع الطيبات من عند الله والنصر من عند الله (18) » وبعد حوالي 120 سنة اصدر سطالين ولينين منشورا يطمئنان فيه الشعوب الاسلامية على دينهم وعاداتهم ، جاء فيه : « ايها المسلمون اديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومساجدكم العلمية والقومية مصونة من كل اعتداء ... اعتقدوا ان البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التي تعيش في روسيا كلها . اعملوا على الانقلاب وحبذوا الثورة ، وساعدوا حكومة البلاشفة ايها الرفاق ، اننا برفع علمنا هذا انما نعلن للشعوب المستعبدة في روسيا شعار الحرية والاستقلال . ايها المسلمون نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والادبية . 15 دجنبر 1917 لينين ـ سطالين (19) » .

واذا كنا قد رأينا في السطور السابقة كيف وفى حامل لواء الثورة الفرنسية بوعده وكيف عامل المصريين والفلسطينيين بشرف وامانة ، فان الرفيقين الثوريين التقدميين لم يكونا اقل منه غدرا وخسة ودناءة : « ففي ابريل 1918 اصدر لينين امرا بزحف الجيوش الروسية على البلدان الاسلامية دون سابق انذار ، فاخذت الدبابات تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الاعزل الآمن دون تمييز بين العسكريين والمدنيين ولم تنته سنة 1918 الا وجمهوريات ايدل اورال والقوقاز والتركستان قد غدت تحت حكم البولشفيك المباشر ، وفي سنة 1920 اتمت موسكو احتلال شبه جزيرة القرم ، وفي سنة 1921 هجم الروس على جمهورية بخارى ... وشرعوا في تطبيق انظمتهم الشيوعية . فالغوا الملكيات وصادروا الاموال والثروات . والغوا التعليم الديني .. واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة ، وحولوا المساجد الى دور للهو ومكاتب للمندوبين عن الحزب الشيوعي (20) .. » هكذا يقتدي الزعيمان بنابليون ، ومن شبه استاذه في المكر والغدر فما ظلم !

عام الفيل :

من يتصفح كتب التاريخ والادب التي يؤلفها انصار المدرسة الاستعمارية ، وبعض المخدوعين بتفسيراتها التاريخية ـ يلاحظ التركيز على سنة 1798 وكأنها بداية للتاريخ الاسلامي الحديث ، حتى لكأنها عام الفيل الذي كان العرب يؤرخون به قبل اتخاذ الهجرة النبوية مبدأ للتاريخ الاسلامي . ونحن من جانبنا نرى ان هذه السنة تشبه حقا عام الفيل وذلك من عدة وجوه :

(16 و 17 و 18) ودخلت الخيل الازهر ، ص 244 .
(19) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ص 111 .
(20) نفس المصدر ، ص 113 .

(أ) في هاتين السنتين هوجم – ولاول مرة – رمز السيادة . مركز القيادة الدينية والدنيوية : البيت الحرام والجامع الازهر .

(ب) في كلتا الهجومين كان الهدف هدم البيت – فقد امر نابليون بهدم الجامع (21) – كوسيلة للقضاء على القوة الروحية التي يستمد منها الشعب قوته .

(ج) في كلتا الحالتين اصبح المحتل المنتصر أمام هذه القوة الروحية وجها لوجه . فقد تفوقت قريش في شعاب (22) مكة وتركت ابرهة مع رب البيت ، وانهزمت جيوش المماليك ، وتركت نابليون يواجه الازهر مجردا من القوة المادية .

(د) في كلتا النتيجتين كان مصير الطاغية وجيشه متشابها ، والقوة الباطشة واحدة ، فاذا كانت جنود الله التي ارسلها الى ابرهة وجنوده طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، والجدري الذي انتشر في جيشه وكان هو نفسه ضحيته(23) فان جيش الله الذي ارسله الى نابليون كان هو الطاعون الذي فتك بجيشه فتكا ذريعا ، وأرغمه على الانسحاب ، والرضى من الغنيمة بالاياب .. فما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة !

2 – الشيخ المعمم مصطفى كمال :

عندما عاد نابليون الى فرنسا وانكشفت له خطط اليهود الماكرة قال : « لقد عزمت على تحسين احوال اليهود . غير اني لا اريد زيادة منهم في مملكتي ، لقد عملت بالفعل كل ما يثبت ازدرائي لاحقر شعب على وجه الارض (24) » وقال مرة أخرى : « ان الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز لنا ان نكتم هذه الحقيقة ونغش انفسنا (25) » لقد صدق نابليون ، فقد كانت في بلاده جمعية سرية تسوس البلاد من خلف الستار ، ولما تحققت من فشله تخلت عنه وتركته يلقى مصيره المحتوم بعد معركة « واترلو » التي لعب فيها المال اليهودي لعبته المزدوجة . اما الجمعية المشار اليها فهي الماسونية . وقد اكد الجنرال لودندروف ذلك عندما قال : « ان الماسونية هي التي قضت على نابليون (26) »

والماسونية التي حطمت شبح نابليون هي التي نحتت تمثال مصطفى كمال بعدما انتقل راس الافعى من باريس الى استانبول . لقد فشل نابليون ، وكان الاسلام هو العامل الاساسي في فشله . يقول مؤرخ غربي : « لم يفق مستعمر اوروبي نابليون في محاولاته لكسب الاهالي لصفه . . . فاذا كانت جهوده قد فشلت فشلا ذريعا ، فليس العيب في سياسته التي كانت تستحق النجاح ، بل هو أولا وقبل كل شيء عيب استحالة المهمة التي كان عليه اداؤها ، كل الاسلام بالطبع هو الحائل الاكبر دون هذا الجو المنشود في الثقة المتبادلة (27) » لقد وقع ما كان محذورا وتحطمت الحملة الاستعمارية على جدران الازهر ، ولم يكن الازهر اذذاك الا قلعة من قلاع الاسلام الحصينة . اما قلبه النابض فكان يتمركز باستانبول عاصمة الخلافة الاسلامية ومقر عزها وسادتها . وهكذا ادركوا ان ان الطريق الى فلسطين لا ينفتح الا بهدم اسوار الخلافة والقضاء على الصبغة الدينية للدولة العثمانية . استمرت مؤامراتهم ودسائسهم ضد الخلافة الاسلامية عقودا عديدة . وبلغت ذروتها في ايام الخليفة الشهم عبد الحميد . حاولو في البداية استعمال سلاح المال ، فعرضوا عليه مبالغ مغرية لقاء سماحه لهم بالهجرة الى فلسطين . لكنه رفض . وكان ثمن رفضه هو تنحيته عن الخلافة – كما اعترف بذلك هو نفسه في وثيقة اكتشفت حديثا (28) – وذلك بعد الثورة التي نظمتها الصهيونية بواسطة الجمعيات الماسونية وقام بتنفيذها مصطفى كمال . لقد اختلفت الروايات في اصل هذا الرجل ، فمن قائل انه من يهود الدونمة ، الى زاعم انه تركي موبوء بافكار « تحررية » وكيفما كانت حقيقته فان الاعمال التي قام بها تدل على انه اعدى عدو للاسلام وانه لو قدر لهرتسل وحل مكانه لما عمل افظع واشنع مما عمله هو . ويكفيه خزيا انه هدم الخلافة

---

(21) ودخلت الخيل الازهر ، ص 235 .
(22 و 23) حياة محمد لهيكل ، ص 102 .
(24 و 25) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، ص 26 .
(26) نفس المصدر ، ص 27 .
(27) . . . ودخلت الخيل الازهر ، ص 183 .
(28) مجلة العربي – دجنبر 72 .

الاسلامية التي وقفت في وجه الاطماع الصهيونية والاوربية وحافظت على وحدة وعزة الشعوب الاسلامية وحريتها واستقلالها . وان العالم الاسلامي لم تفترسه الذئاب المتوحشة الا بعد طي راية الخلافة العثمانية . ولذلك نرى الماسونية تمتدح اتاتورك وتثني عليه . فقد جاء في دائرة المعارف الماسونية :
« ان الانقلاب التركي عام 1918 الذي قام به الاخ العظيم مصطفى كمال اتاتورك ، افاد الامة ، فقد ابطل السلطنة والغى الخلافة وابطل المحاكم الشرعية والغى دين الدولة الاسلام ، والغى وزارة الاوقاف ... اليس هذا الاصلاح ــ كذا ــ هو ما تبتغيه الماسونية في كل امة ناهضة ... ؟ فمن يماثل اتاتورك في رجالات الماسون سابقا ولاحقا (29) ؟ »

والذي اريد ان اشير اليه هنا هو الدور المزدوج الذي قام به هذا العميل الماسوني . في كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام صورة «للشيخ » مصطفى كمال بعمامته ولباس الشيوخ ، وقد احاطت به جماعة منهم ، وتحت الصورة تعليق يقول : « من مظاهر المكر والخداع قبل تسلم اتاتورك حكم تركيا » ، ويذكر صاحب الكتاب انه كان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلي في مقدمة الجنود البسطاء . وكان يتملق العلماء ويعطف عليهم ... هذا هو كمال قبل ان يقبض على السلطة بيد من حديد . فقد كان « شيخا تقيا ورعا » يصلي في مقدمة الجنود ويحترم العلماء ويحشد القوى الشعبية باسم الاسلام . ان كمال الثاني أو الوجه الحقيقي له فقد ظهر في « الاصلاحات » التي قام بها والتي ذكرتها دائرة المعارف الصهيونية ، ونضيف اليها ما ياتي :

« اعلن العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

اضطهد علماء الاسلام وقتل العشرات منهم ، وعلق جثثهم على أعواد الشجر .

أغلق كثيرا من المساجد وحرم الاذان والصلاة بالعربية .

اجبر الشعب التركي على تغيير زيه الوطني ولبس الزي الاوربي .

فرض القوانين السويسرية بدل الاحكام الشرعية

فرض العطلة الاسبوعية يوم الاحد بدلا عن يوم الجمعة .

الغى استعمال التقويم الهجري واستبدله بالتقويم الغربي الميلادي .

قضى على التعليم الديني في الجامعة والمدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية .

استبدل الحروف العربية بالاتينية ليقطع صلات الشعب التركي بأخيه العربي .

الغى قوانين الميراث والزواج والاحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الاسلامية .

شجع المرأة التركية والفتاة والشاب على الدعارة والفجور . واباح المنكرات ، وضرب بنفسه المثل الاعلى على انحطاط الخلق والادمان على الخمور والفساد والانحلال (30) » .

الى غير ذلك من « الاصلاحات العظيمة » التي قام بها اب تركيا الحديثة . فادى دوره احسن اداء ، وكانت ثورته وأعماله وسيرته قدوة ومثالا لباقي الانظمة الاسلامية . فعمت حمى الانقلابات والثورات والاضطرابات والتحلل من القيم الاسلامية . وبذلك فتحت طريق الصهيونية الى فلسطين ، وتجح كمال حيث فشل نابليون .

3 ــ بريطانيا ذات الوجهين :

ادى الشيخ المعمم مصطفى كمال اهم ادواره ، ففصل الدولة عن الدين ، وقضى على الخلافة الاسلامية وفصم عرى الوحدة التي كانت تربط بين الشعب التركي وغيره من الشعوب العربية ، وبذلك مهد الطريق لتحقيق الاطماع الصهيونية ، ونجح حيث فشل سلفه نابليون . غير انه قضى نحبه ــ بعدما تعفن جسده من الخمر ــ قبل ان يحقق حلم الصهيونية ويمكنها من فلسطين . فكان عليها ان تبحث عن اداة اخرى ، وكانت بريطانيا هي المرشحة . لم يكن اتصالهم بها حديثا ، فقد بدا استغلالهم لبريطانيا منذ سنة 1066 عندما دخلوها اول مرة تحت راية الملك الفاتح وليم .

(29) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، ص 96 .
(30) نفس المصدر ، ص 95 .

وعندما اكتشف الشعب البريطاني طرق اليهود في ابتزاز الاموال واختلاسها ، وتعاملهم بالربا الفاحش ، وخطف الاطفال وذبحهم واستعمال دمائهم في اعيادهم ومناسباتهم ـ ثار وغضب ، واستجاب الملك ادوارد الاول لغضب شعبه فاصدر مرسوما يقضي بطرد جميع اليهود وتحريم عودتهم الى البلاد . الا انه تنفيذا لاحد نصوص توارة عزرا الذي يقول : « كل ارض تدوسها بطون اقدامكم لكم اعطيتها » ـ عادوا الى بريطانيا مرة ثانية في ركاب « كرومويل » بعدما مولوا ثورته ضد الملك شارل الاول (31) . وبعد هزيمة نابليون في معركة « واترلو » نقلوا ثقلهم وزعامتهم الى لندن واتخذوها مركزا لتدبير مؤامراتهم ودسائسهم ضد بريطانيا وكل الشعوب الاخرى من اجل تحقيق حلمهم الكبير . ومع ان راس الافعى انتقل بعد ذلك الى مركز الخلافة فان بريطانيا ظلت قاعدتهم الاساسية وموقع منطلقهم . ولكي يقنعوا الانجليز بوجهة نظرهم ، ويسخروهم في قضاء اغراضهم ، فانهم كانوا يلوحون لهم بنفس مالوحوا به لنابليون ، وهو امكانية استخدامهم لهم كأداة لحراسة طريقهم الى الشرق الاقصى وتثبيت استغلالهم للبلاد العربية . ففي 25 يناير 1853 ادلى جورج هولد الحاكم العام البريطاني لجنوب استراليا في مجلس العموم بتصريح جاء فيه : « ان العناية الالهية قد وضعت مصر وسوريا في طريق بريطانيا الى اهم مناطق تجارتها الخارجية الاستعمارية كالهند والصين والمحيط الهندي واستراليا ، ان مشيئة الله تفرض على بريطانيا العمل بحماس على خلق الظروف المناسبة في هذين البلدين . ولا بد لبريطانيا ان تمديدها الى الشعب الوحيد الجدير بهذه الرسالة .. ذلك الشعب الذي يمكن استغلال طاقته الدائمة والفعالة عن طريق الابناء الحقيقيين لهذه الارض .. ابناء اسرائيل (32) » وفي عام 1277 نشر القس البريطاني جيمس نيل في كتابه « الهجرة الى فلسطين او جمع شتات اليهود » ما ياتي : « اغلب الظن ان بريطانيا لن تستطيع استعمار فلسطين بنفس السهولة التي استعمرت بها امريكا الشمالية . نظرا للمتاعب التي سيثيرها العرب .. ولعدم وجود دفاع فعال .. ولعوامل اخرى كبيرة .. ولهذا ارى تحقيق ذلك بواسطة اليهود (33) » وقد اكد هذه الفكرة اب الصهيونية الحديثة هرتزل عندما صرح : « ان عودتنا الى وطن الآباء التي تنبأ بها الكتاب المقدس تشكل مصلحة سياسية ملائمة تماما لتلك الدول التي تبحث عن شيء ما في آسيا (34) » وكانت بريطانيا هي ما يعنيه هرتزل ، ولذلك نراه عندما التقى بعبد الحميد وعرض عليه اموالا طائلة لقاء سماحه بهجرة اليهود الى فلسطين ، ورفض الخليفة الشهم عرضه ـ صرح في تقرير رفعه الى لجنة الاعمال الصهيونية بتاريخ 1902: « اقرر على ضوء حديثي مع السلطان انه لا يمكن الاستفادة من تركيا الا اذا تغيرت حالتها السياسية بدخولها في حرب او وقوعها في مشاكل دولية . واعتقد انه لا بد من كسب عطف الحكومة الانجليزية على المسالة الصهيونية (35) .. » وسيقوم مصطفى كمال بتنفيذ الشوط الاول من هذا المخطط فيغير الحالة السياسية بتركيا وسيكون على بريطانيا ان تنفذ الشوط الثاني .

ففي نفس السنة التي رفع فيها هرتزل تقريره « دخلت المنظمة الصهيونية في مباحثات جدية مع الحكومة الانجليزية بقصد اقناع انجلترا بمنح الحركة جزءا من شبه جزيرة سيناء ، يقيمون فيها وطنهم القومي كجزء من الامبراطورية البريطانية (36) » وبعد موافقة الحكومة الانجليزية كان عليهم ان يهيئوا الظروف المناسبة ، وذلك بادخال تركيا في مشاكل دولية وجعلها طرفا في الحرب العالمية الاولى ، على امل انتصار الحلفاء واستيلاء بريطانيا على فلسطين ثم تسليمها لهم ، ففي نومبر 1914 كتب « حايم وايزمان » الى صديقه رئيس تحرير المانشستر جارديان شارحا الخط الصهيوني : « من الممكن الان ان نقول انه اذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني ، واذا شجعت بريطانيا بعد ذلك توطين اليهود هناك ، كمستعمرة بريطانية فاننا نستطيع ان نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالي مليون يهودي في تلك

(31) الفكر الصهيوني ، ص 113 .
(32) نفس المصدر ، ص 177 .
(33) الفكر الصهيوني ، ص 178 .
(34) نفس المصدر ، ص 208 .
(35) الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، ص 89 .
(36) اسرائيليات ، ص 13 .

البلاد : فيطورونها وينقلون الحضارة اليها ، ويكونون بمثابة حرس فعال لقناة سويس (37) » وكانت خطتهم اثناء الحرب العالمية هي :

(ا) ان ينتصر الحلفاء وعلى راسهم بريطانيا .

(ب) ان تكون فلسطين من نصيب بريطانيا .

(ج) ان تسهل انجلترا استيطان اليهود فى فلسطين .

(د) ان ينتهي الامر بسيطرة اليهود عليها (38) .

والثمن الذي قدموه لبريطانيا اثناء الحرب هو مناصرة وتأييد اليهودية العالمية للحلفاء .

« ففي مارس 1915 ارسل سير ادوارة جراي وزير خارجية انجلترا الى سير ادوارد بوكانان سفير انجلترا فى سان بطرسبورج عاصمة روسيا القيصرية فى ذلك الوقت .. ارسل اليه مذكرة يشرح فيها راي الحكومة البريطانية فى العلاقة بين فلسطين والصهيونية العالمية ، كانت المذكرة تقول : ان فلسطين هي الثمن الذي يمكن بواسطته كسب تأيد اليهودية العالمية كلها الى جانب الحلفاء (39) » .

وفى سنة 1916 قدم الصهيونيون الى الحكومة الانجليزية مذكرة بعنوان « برنامج لانشاء ادارة جديدة فى فلسطين من وجهة نظر الحكومة الصهيونية » ، وكانت المذكرة تقترح انشاء شركة يهودية شبه حكومية تحت رعاية حكومتي انجلترا وفرنسا ، مهمتها تشجيع اليهود على التوطن فى فلسطين واستثمارها (40) » .

وفى هذه السنة عين الصهيوني بلفور وزيرا للخارجية البريطانية ، وفى السنة التي بعدها اصدر وعده المشؤوم باقامة الوطن اليهودي فى فلسطين ...

والذي يهمنا من سرد هذه الاحداث المتعاقبة هو الاشارة الى الدور المزدوج الذي كانت تلعبه بريطانيا .

ففي الوقت الذي كانت فيه جيوشها تتقدم نحو فلسطين ، لتسلمها بعد احتلالها للصهيونية ، كانت تعلن انها جاءت لتحرر العرب من الاستعمار التركي ، وتطلب منهم ان يساعدوها فى مهمتها ، « وعلى اساس الخديعة والخداع والضلال والتضليل رسمت السياسة البريطانية فى الشرق العربي يشرف على تنفيذها اساطين العملاء والجواسيس امثال كامبل مع محمد علي ، ولورنس الذي ضلل الهاشميين وعبث بهم واقنعهم بدخول الحرب ضد تركيا الى جانب انجلترا فى الوقت الذي كان سايكس يفاوض بيكو الفرنسي لاقتسام العالم العربي (41) .. » .

وهكذا نجد فى احدى وثائق الحرب العالمية وثيقة تقول : « قال مدير المخابرات العسكرية انه تلقى برقية من السير ريجنالد وينجت تقول ان الجنرال كلايتون « مدير المخابرات الانجليزية فى مصر » اوصى بضرورة ارسال الفيلق العربي وعدده حوالي الف رجل من مصر الى العقبة **لمساعدة فيصل فى** اعماله (42) » .

وهناك اخرى تقول : « اتخذت الترتيبات لتعاون العرب فى تدمير اجزاء من سكة حديد الحجاز شرقي نهر الاردن وبين حلب ودمشق ، وجميع قبائل العرب تقريبا متعاونة معنا فى هذا العمل (43) ... »

وهكذا ساعد العرب بريطانيا فى حربها ضد الاتراك ، وتكلل العمل بالنصر ودخلت الدبابات الانجليزية القدس — كما دخلت خيل نابليون الازهر — فمن سيهنىء بريطانيا بانتصارها العرب أم الصهاينة ؟ فى وثائق الحرب العالمية خبران يقول احدهما : « استقبلت وزارة الحرب وفدا برئاسة اللورد روتشيلد لتهنئة الحكومة بالاستيلاء على القدس نيابة عن ممثلي الحركة الصهيونية (44) » ، ويقول الثاني « استقبلت وزارة الحرب وفدا عربيا برئاسة الكونت زغيب يمثل الفلسطينيين والسوريين العرب مسلمين ومسيحيين وقد تلا الكونت زغيب رسالة تهنئة الى حكومة صاحب

(37 و 38) نفس المصدر ، ص 17 .
(39) نفس المصدر ، ص 19 .
(40) اسرائيليات ، ص 21 .
(41) الفكر الصهيوني ، ص 179 .
(42) اسرائيليات ، ص 46 .
(43) نفس المصدر ، ص 47 .
(44 و 45) نفس المصدر ، ص 48 .

الجلالة والقوات البريطانية بمناسبة الاستيلاء على القدس (45) ، انها قمة الانتصار للسياسة ذات الوجهين . العرب واليهود يباركون عملا ما . وكان العرب هم المخدعون . لقد دخلت بريطانيا الى القدس وسقطت الراية العثمانية ، فأي راية سترفع ؟ « قدم رئيس هيئة اركان حرب الامبراطورية تقريرا الى وزارة الحرب عن برقية تلقاها من الجنرال اللنبي يسأل فيها عن الاعلام التي ترفع فى حالة احتلال الحلفاء مدينة القدس (46) » وردت بريطانيا الرد الجدير بسياسة الدهاء والغموض : « انه (47) نظرا للطابع الفريد للمدينة ، وللمشاكل الدبلوماسية والسياسة المعقدة التي تثيرها فانه يجب ابلاغ الجنرال اللنبي بوجوب عدم رفع اي علم فى حالة احتلال قوات الحلفاء مدينة القدس » ، واذا كان الجنرال اللنبي لم يرفع راية بريطانية او فرنسية او امريكية او اسرائيلية فانه رفع راية اخرى معنوية تجمع هذه الاطراف كلها عندما قال وهو يدخل القدس : « اليوم انتهت الحروب الصليبية» هذا هو منتهى المكر والخداع من جهة والغفلة والسذاجة من جهة ثانية . عدة دول غربية تشن حربا تراها امتدادا للحروب الصليبية ، والمسلمون لا يكتفون بعدم مقاومتها بل يساعدونها بالرجال والعتاد ! ويكون جزاء مساعدتهم هو تسليم فلسطين للصهاينة .

4 — من موسيليني الى ايزنهاور :

لقد حاول نابليون احتلال الشرق العربي واستغلال خيراته وتسليم فلسطين لليهود باسم الحضارة والاسلام ، وهدم مصطفى كمال الخلافة الاسلامية باسم الاسلام ، وجاءت بريطانيا الى الشرق لتسلم فلسطين للصهيونية باسم تحرير العرب من الاستعمار التركي . « وكان موسيليني يقول ابام

(46 و 47) نفس المصدر ، ص 48 .

(48) الاستعمار احقاد واطماع ، ص 364 .

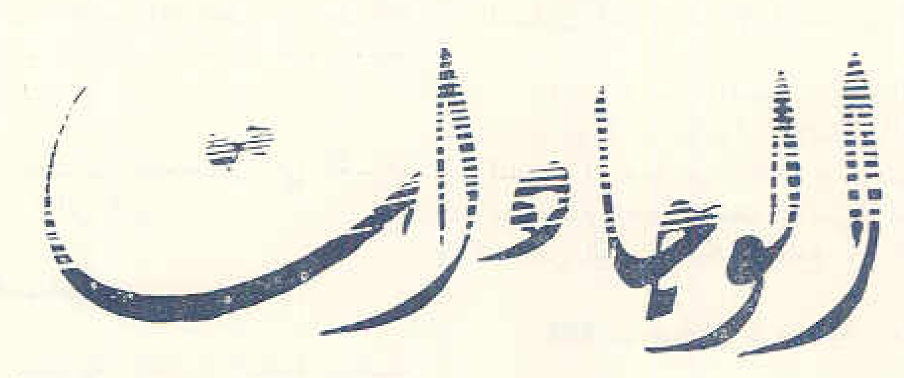
(49) نفسه ، ص 354 (يقصد الشيوعية) .

(50) نفس المصدر ، ص 365 .

العلمين انه يزحف الى الاسكندرية ليحمي حمى الاسلام وان الغزو الايطالي ليس عدوانا ، بل هو فى الحقيقة نوع من الحج (48) . . » وعندما تفتق ذهن الرئيس الراحل ايزنهاور عن نظرية ملء الفراغ فى الشرق الاوسط عقب تاميم القناة وانسحاب بريطانيا من المنطقة لم يجد ما يبرر به تدخله غير حماية الاديان . . فقد قال : « ان الشرق الاوسط مهد ثلاث ديانات كبرى هي الاسلام والمسيحية واليهودية . فمكة والقدس اكبر من مجرد مكانين على الخريطة . . . وانه من الامور التي لا تحتمل ان تقع هذه الاماكن المقدسة فى الشرق الاوسط تحت حكم يمجد المادية الوثنية (49) » ، ينقل صاحب الكتاب تعليقا لاحد الكتاب على اهتمام الغربيين بالاديان فيقول : « ما السر فى هذا الحرص الغريب من الدول الاستعمارية الكبرى على اديانا ؟ انها اديانا نحن فى النهاية ، وانبياؤنا الذين عاشوا لنا وماتوا لنا ، تركوا ارثهم الروحي بين اجدادنا . . . لم ينزل القرآن فى نيويورك ولا الانجيل فى هوليود ، ولا التوراة فى كابري فلم هذا القلق كله فى الانجليز والامريكان على تراثنا الديني ؟ . . . ان الله الذي يدافع عنه ايزنهاور ليس هو اله الاسلام ولا اله المسيحية ، وانما هو عضو فى شركة الزيت العراقية (50) » ويمكن ان نضيف الى هذا ان الاله الذي يدافع عنه ايزنهاور انما هو صهيون الذي دبح ابناءه بالمدافع والطائرات ليفتكوا بالمسلمين .

ذلك هو خط المكر والخداع الممتد من نابليون الى ايزنهاور ، مرورا بكمال وبلفور وسطالين ولينين وموسيليني . . لقد انطلت علينا بعض حيل هؤلاء وأدينا ثمن غفلتنا وسذاجتنا ، وعدم ادراكنا لحقيقة السياسة الماكرة ذات الوجهين .

مكناس : أبو عدنان عبد القادر البوشيخي



للاستاذ : عبد القادر زمامه

501 ـ توحيدية لابن العربي المعافري

وجدت في العواصم من القواصم ج 1 ص 93. ط الجزائر :

كن لــلاه كما كــان لــك
ولا تهتبل بمــدار الفلــك

فان الهــك قـــد احكمت
معاليه. من عال. او من ملك

ومن ذل او عــز في موطــن
ومن عاش في نعمة او هــلك

فلا ترج ذاك من غيـــره
ودع عنك من شك، او خذلك

وخل المضلين فــي غيهــم
وقل للكواكب : من اصلــك

وانت تغور وانــت تمــور
فمن غاض منك ، ومن بدلك

ولو فلــك دار فــي ذاتــه
اقام اذا شــاءه او سلــك

فليس المدبــر الا الــذي
تغايــر عنــك وما شاكلــك

فيا ايها النــدب ما اعقلــك
ويا ايهــا الغــدم ما اغفلــك

امن كان عن صونه عاجــزا
اترجوه للغيــر ، ما اجهلــك

تنبه فقد بان وجه الدليــل
وقد آن تعرف من دل ، لك

502 ـ رشدت . ورشدت ..!

وجدت في مخطوطة فهرسة ابي زكرياء السراج نقلا عن ابن رشيد الرحالة السبتي .

« انه سمع الخطيب بتلمسان يوم الجمعة يقول في خطبته : من يطع الله ورسوله فقد رشد بكسر الشين . فأراد الاجتماع بالخطيب وسؤاله عن ذلك فلم يقدر له . وسافر ثم عاد بعد مدة . فسمعه يعيدها كذلك . فعزم على سؤاله عن ذلك فلم يتفق ذلك . ثم انه سافر الى سبتة فدخل على الاستاذ ابي الربيع عائدا له في مرض موته ، ومجمعا على سؤاله عن لفظة رشد قال : فلما دخلت عليه وهو يعالج المــوت قال لي ابتداء :

ـ ابن رشيد ..! رشــدت ، ورشــدت ... لغتان ذكرهما سيبويه ..!!

503 ـ الخــــلاص

وجدت في مخطوطة كتاب : التكملة والصلــة والذيل للقاموس لمؤلفه اللغوي الشيــخ مرتضــى الزبيدي في مادة : خ ل . ص

« الخلاص مصدر خلص ، وما يخــرج مــن النفساء عقب الولادة .. ! »

والمستغرب ان الخلاص بهذا المعنى لم يشر اليه صاحب القاموس ...! ولم يستدركه عليه الشيخ مرتضى فى تاج العروس ..!

والكلمة من الفصيــح المستعـمل فى المغــرب حاضرة ، وبادية ..!! الى الآن ...!

504 ـ الرقـــاص

ووجدت فى مخطوطة كتاب « التكملة والصلة والذيل للقاموس : فى مادة : ر. ق. ص

« والرقاص ككتان : البريد بلغة المغرب »

اما فى تاج العروس فقد اقتصر الشيخ مرتضى فى مستدركاته على قوله :

« والرقاص : البريد ..! »

505 ـ بلا تمر نراه ..!

وجدت فى نوازل ابي عبد الله محمد بن احمد ابن المسناوي الدلائي ص 184 هذين البيتين انشدهما حين كلامه على دجاجلة العصر ...

« عذرنا النخل فــي ابـداء شـوك
يـذود به الانامــل عن جنـــاه

فما للعوســج الملعــون ابــدى
لنــا شوكـا بلا تمــر نـــراه »

506 ـ مرور الغرانيق على سبتة ..!

وجدت فى نوازل ابي عبد الله محمد بن احمد المسناوي الدلائي مطبعة حجرية سنة 1345 هـ ص 259 :

« .. ان بعض الناس يرى المخصوص من غير ان يلازمه او تطول اقامته معه . بل يمر عليه مرور الغرانيق على سبتة .. !! »

507 ـ عن المقامـات ..!

وجدت فى نــوازل ابي عبد الله بن احمد بن المسـناوي الدلائي ص 117 نقلا عن المعيار ..

« .. واجاز الشيوخ قراءة الحساب بالمسجد اذا لم يلوث .. واعراب الاشعار الستـة، بخـلاف المقامات لما فيها من الكذب والفحش ..! وكان ابن البراء امام الجامع الاعظم بتونس لا يقربها الا بالدويرة اذ ليس للدويرة حكم الجامع .. »

508 ـ ضحيكة ، ورمكية ..!

وجدت فى مخطوطة نزهة البصائر والابصــار لابي الحسن النباهي رقم 198 ق بالخزانة العامة :

« امر احد الاندلسيين صديقــا له من اهــل المغرب ان يرسل اليه رمكة فماطله فكتب اليه .

يا جـــوادا بضحيـكـــة
وبخيـــلا برميكـــــة

او ملكـت البحـــر مـــا
جـدت لخـل بسميكـــة

509 ـ هل يمسح على وركلة ..؟

وجدت فى (الاجوبة الكبرى) لابي السعود الفاسي ج 1 ص 88 مطبعة حجرية من غير ذكر تاريخ

« هل يمسح على **وركلة ..؟** وجوابه انه يمسح عليه لان قفله بتلك الخيوط ينزل منزلـة الخـرز . وقد قال ابو عبد الله المـواق فى **السبـاط** الـذى بالقفل : نقل البرزلي عن ابن قداح انه يجوز المسح عليه ..! »

510 ـ الصامت ..! والرب ..!

وجدت فى الاجوبة الكبـــرى لابــي السعـــود الفاسي ص 115 ج 1

« اما الصامت اذا طبخ وخرج خمرا ..! ثـم اعيد بالطبخ حتى ذهب منه وصـف الاسكـار فهـو طاهر ..!

وفي هامش الصفحة المذكورة :

« الصامت الذى يقال له الرب ..!»

511 ـ عن الدجن ...

وجدت في توازل المعيار ج 10 ص 80 .

« .. لا يجوز قبول خطاب خط الدجن وقضاتهم لانهم رضوا ان يكونوا تحت ايالة النصارى ..!! »

512 ـ فى الامين والمعتصم ..!

وجدت في منظومة رقم الحلل للسان الدين ابن الخطيب قوله فى الامين بن هرون الرشيد :

باع العلا بشادن وكاس
وصحبة الشيخ ابي نواس

وفي اخيه المعتصم :

وهو الذى تالف الاتراكا
فنصبوا لقومه الاشراكا

513 ـ المضربة ...!

وجدت في كتاب (التلخيص) لابي هلال العسكري ج 1 ص 235 . ط . دمشق .

« المضربة . والجمع المضربات .

سميت بذلك لانها تضرب بالخيوط .. وتسمى حشية لما فيها من الحشو والجمع حشايا ... »

514 ـ السيالة ..!

وجدت في الاجوبة الكبرى لابي السعود الفاسي ص 4 ج 1 م 5 مطبعة حجرية .

« واما السيالة التى فى ذقن المراة فهي من الوشم المحرم الملعون فاعله ..!! »

515 ـ الغفارة ..!

وجدت في مخطوطة ايراد اللآل من انشاد الضوال لابن خاتمة .

« الغفارة : لفظة اعجمية .. ! يطلقونها على نوع من الثياب وهو عند العرب البرنس ..! ابن سيدة .. البرنس كل ثوب رأسه منه ..! ملتزق به ..! دراعة كان او سمطرا ..!! او جبة .. »

516 ـ سلاهم ..!

وجدت في كتاب شفاء الغليل ص 102
« سلاهم برنس ابيض عند مولدي المغرب ..! قال :

وبدر لاح من تحت السلاهم
يقول لكل قلب سلا . هم

لئن حسنت ملابسه عليه
فقد حسنت على الورد الكمائم

517 ـ ناظور ..!

وجدت في شفاء الغليل للشهاب الخفاجي ص 200

« ناظور : الحارس عن الاصمعي . والبربر والنبط يجعلون الطاء ظاء ! فيقولون فى ناطور . ناظور ...!! »

518 ـ قبل الثريد حريرة ..!!

وجدت في ديوان ابن الخطيب المسمى (الصليب والجهام والماضي والكهام) :

ورب صلاة قدم النفل قبلها
وتشرب من قبل الثريد حريرة

فاس ـ عبد القادر زمامه

ديوان المجلة

- باقــة اقحــوان
- الشــوارد
- علــى لســان ربــاط تــازا
- ميــلاد مجــد

يا أقحوان...

للشاعر محمد بن علي العلوي

روضة الحب جئنا ... خير ازهار المعاني
وأرتنا بسمات ... من ثغور الاقحوان
فقطفنا من جناها ... لنشيد الكروان
واستمعنا فى رباها ... حلو انثار البيان
حركت بين ضلوعي ... لحن اوتار الكمان
فاذا الصداح يشدو ... بين اغصان الجنان
واذا المهجة نشوى ... فى ظلال الخيزران
سرها فوز المفدى ... فهي تشدو بالاغاني
تتغنى بأمير ... حبه ملء الجنان
حقق الرحمان فيه ... ما يريد الابوان
قسما نحو المعالي ... بين عطف وحنان
وارانا اليوم فوزا ... اشرقت منه المغاني
اثلج الصدر وقرت ... بهاه المقلتان
يا ولي العهد انا ... ترفع اليوم التهاني
سرنا ان كنت ممن ... نجحوا يوم امتحان
فحمدنا الله شكرا ... وسجدنا للديان
هكذا تقطف دوما ... اسرة العرش المجاني
اسرة تنشي وتبني ... للحمى اعلى المباني

عودتنا الفوز والمجد وسناء الحسنان

جدك المنقذ اعطى ارضنا أبهى الكيان

واعاد المجد للنا س كثير اللمعان

حرر الاوطان ممن نهبوا ارض الامان

علم الاحرار في حب الحمى معنى التفاني

وابوك الشهم اضحى خير أبطال الزمان

كم ارانا معجزات رفعتنا للعنان

اكسبتنا كل مجد وحبتنا خير شان

همة تبني وعزم ليس يدري ما التواني

هكذا شاء المفدى فارانا خير بان

يا ولي العهد جئنا نرفع اليوم التهاني

بلغ العاهل عنا اننا طوع البنان

ما جرى في الكون نجم واضاء القمران

واليك اليوم نهدي باقة من اقحوان

فاس ـ محمد بن علي العلوي



الشوارد...

للشاعر محمد الحلوي

يا سيوف الاسلام قد صديء الغمد، وكدنا ننسى صليل السلاح!
هل ترى العرب خالدا او صلاحا ؟ ام مضى عهد خالد وصلاح ؟

— ◆ —

اين مني رؤاك يا مهبط الوحي ومهد الاسراء يا فلسطين
كيف يحلو من بعد فقدك عيش ملؤه العار والاسى والانين ؟

— ◆ —

كيف يخشى الحمام من يتوفى كل ليل يعانق الاحلاما ؟
ليس يدري ايستعيد حياه بعد ما اغتاله الكرى من ناما

— ◆ —

شقي الناس بالحياة واغناهم شقاء من يبتلي بالناس
كلما جرعوك كاسا دهاقا جرعتك الحياة فضلة كاس !

— ◆ —

اعطني في الحياة خيرا من الام واصفى نفسا واكبر قلبا
واهم ذلك اليتيم الذي يامل عطفا من كافليه وحبا !

— ◆ —

مخطىء من يشد قصرا من الشمع ويشكو اذا رآه يذوب
وغبي من يحجب الشمس بالغربال عني وعقله المحجوب

واذا الشعب قال اف فما اخطر رفضا يؤمي اليه بأف
احمق من يريد ان يوقف السيل اذا انساح فى البطاح بكف

— ◆ —

رفع الله أمة رفعت للعلم صرحا مدعم الاركان
والشعوب العمياء ترفل فى الجهل وتختال فى برود الهوان

— ◆ —

ما بكائي ؟ وقد تعودت ان ابكي على ما مضى من الامجاد
ذقت كل الخطوب لكن اقساها تحكم تحكم الاوغاد !

— ◆ —

انت من انت ! لست الا هباء صيغ من طينة وآسن ماء
ليس ادنى الى السخافة من عبد وضيع يختال فى كبرياء

— ◆ —

لست ادري والارض نزوعها حبا لماذا لم نجعل الحب حبا
افحتم لكي نعيش ونحيا ان نعادي شعبا ونعلن حربا ؟

— ◆ —

سعد الناس ام شقوا كلهم يمشي على رغم انفه كالقطيع
لا هنات حملاته مجهدات لا يبالي ضليعها بالظليع

— ◆ —

لو تمنى شيئا يراه خليع جامح الحب مغرم بالكاس
لتمنى بأن يرى ما يلاقي من حماقاته ابو نواس

— ◆ —

يا مغاني الفردوس والعرب فى أرضك عرب ! على ربناك السلام
يا تراثا مضيعا ما تبقى منه الا الاوتار والانغام

— ◆ —

اعجبت بي ولست ادري لماذا ذات حسن فجاذبتني الحوارا
ثم صدت عني لاني فى الحب (جميل) ولست فيه نزارا !

تطوان : محمد الحلوي

على لسان رباط تازا..

للشاعر أبي بكر البوخصيبي

رباط تازا فى التاريخ يزدان … وقلب أبنائي بالآمال ملآن
تهفو وترقب من يحيي مآثرنا … منكم كما يرقب الولهان ولهان
هذي الاكف اليكم مدها ادبي … شعر ، ونثر ، واسجاع والحان
ومعجزات لها الآثار شاهدة … وما سوى معجزات العلم بهتان
فاسأل بربك تازا عن مآثرها … فانها لذوي الآثار خزان
من حولها انبثق التاريخ واحتضنت … ادريس فى ساحتي دار واخوان
وزغردت له قبل الناس اوربة (1) … والدمع من كثرة الترحيب هتان
وفى بلاط ابي يعقوب ما اكتملت … الا بعيسى (2) تغاريد والحان
قاضي القضاة ابو الابناء اربعة (4) … وكلهم لابي يعقوب أعوان
حيث ابن رشد له الحمراء شاخصة … حيرى، وفكر بني الانسان حيران
وحيث للشعر رواد ، واصغرهم … اقل ما له فى الميدان ديوان
عصر لحكمته تهتاج قرطبة … وتشرئب لها مصر وبغدان

---

(1) اوربة قبيلة بالبرانس بضواحي تازا وهي التي استقبل بها المولى ادريس الاول ومولاه راشد استقبالا لا يتناقش فى فضله اثنان .

(2) هو ابو موسى عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي التسولي دفين تازا والمتوفى سنة 578 هـ .

(3) وابناؤه الاربعة هم : موسى وطلحة وعلي ويوسف وما من احد منهم الا تولى القضاء على حد تعبير صاحب المعجب ص 914 وابوهم كما قال ابن الابار فى التكملة (كان من الراسخين فى العلم قائما على الاصول والفروع اديبا شاعرا خطيبا مفهوما من رجال الكمال) وصاحب المعجب يصفه بقوله (كان عيسى هذا من فضلاء اهل المغرب ونبهائهم ، وكان خطيبا مصقعا ، وبليغا لسنا وشاعرا مشاركا فى كثير من العلوم)

وابن الطفيل (4) ابو بكر له سمة   ترنو اليها بملء العين يونان

❋ ◆ ❋

قولوا لتونس ردي ما اخذت فلي   فى قعر بحرك ابطال وفرسان (5)

غرقى هناك ، ولكني احن لهم   وكيف لا وهم للعلم اركان

كم فاخرت بهم فاس واخوتها   وهم بفاس يواقيت ومرجان

كانت بهم حلقات الدرس من قدم   تسمو وكان لها من ذكرهم شان

ابن الطبيب شعيب (6) ضاع وا اسفي   ان ضاع من شعره الرقراق الوان؟

والعالم الماجد ، السطي (7) بجانبه   كأنه وهو فى المحراب ايمان

شيخ ابن خلدون يكفينا ونحن لنا   مع ابن خلدون آثار وبنيان

وان تازة مذ كانت مساجدها   وهي للعلم والآداب ميدان

صان الرشيد واسماعيل حرمتها   وهز اعطافها المولى سليمان

وتوج الحسن الثاني حضارتها   وفى الحضارات اشكال والوان

به تيمنت الاوطان وانطلقت   تبني ، شعارها تشييد وعمران

فاستشهد الصنع فى تازا ومساحتها   يجبك عن حسنها المكنون (حسان)

قصورها الشامخات الشم من قدم   كأنها لمعاني الفن اعلان

وراس مائها جار فى جوانبه   طوفان شلاله الفياض هيمان

فاخضر مربعه الفينان ، وانتظمت   فيه الى جانب الجنات افنان

كأنما الحسن فى (ادمام (8) مكتمل   وفى (الرشيدة) و (الجوزات) فتان

ملوية كم تملى من نفائسه   في سفح (بركين) (9) عباد رهبان

الى المضاجع ما اشتاقت جنوبهم   ولا استراحت لهم بالليل اجفان

كأن من مائه الفضي قد نسجت   للنسك اردية بيض وقمصان

وفى مصبه هام الناس وانتعشت   من شدة الوجد ارواح وابدان

---

(4) ابن رشد وابو بكر بن الطفيل فيلسوفان شهيران .

(5) اشارة الى اربعمائة عالم ذهبوا مع السلطان ابي الحسن المريني وغرقوا بشاطىء تدلس انظر نفح الطيب ج 8 ص 320 .

(6) الجزنائي الطبيب الشاعر الكاتب

(7) ابو عبد الله محمد السطي

(8) ادمام والرشيدة والجوزات ثلاثة امكنة تمتاز بالجمال الطبيعي الخلاب .

(9) بركين قرية جبلية بضواحي تازة ، ذكر فى ناحيتها من الاقطاب ورجال التصوف الشيء الكثير وذلك مثل ابي العباس احمد اليوبعقوبي الملوي ، والشيخ ابي القاسم المعلاوي الشهير بأزروال والشيخ مبارك بن وحشي نزيل مال والشيخ ابي العباس احمد بن بختي وغيرهم .

فكان يحيى (10) اذا يدعو لمأثره ... اباه مفخرة الدنيا ابركان (11)
والعالم الصوفي التازي (12) بجانبه ... وهو من نصرة التوحيد نشوان
من (التسول) رعاها الله فهي به ... سكرى ، ووهران حتى الآن سكران
اعطيت وهران ابراهيم وهو بها ... كما بي اليوم ما اعطت تلمسان
سلوا تلمسان عن من منهم عرفت ... وضم من صلحاء القوم بستان (13)
من مثل زروق ، فيما يستدل به ... وهو للبحث والتاليف عنوان
والتصوف فرد ، لا يضارعه ... فيما يفوه به ، انس ولا جان ؟
او كابن يجبش فى الهيجاء وهو له ... مع الصليبية الهوجاء اشجان
مع السواحل حيث البرتقال له ... على الضفاف مع الاسبان سلطان
تازا بها انتعش الاسلام وانطلقت ... منها لفردوسنا المفقود نيران
غرناطة المغرب الاقصى ومسجدها ... من عهد غرناطة حي ويقظان
سما بها منذ كان المسلمون بها ... اعز ما من عليه اليوم اسبان
ومن دخائره العظمى خزانته ... ومن رجالاته (قس) و (سحبان)
كالاسد كانوا لعمري فى عرينهم ... وما تقدر ان يبقوا كما كانوا
وكالشياطين اهل الفن من قدم ... والكل يشهد ان الكل فنان
وما الذين مضوا الا اقلهم ... وفى القليل لقلب المرء سلوان
والمغرب العربي الحر من قدم ... آخته ادمغة كثر وازهان
فتمموا صنع من فاتوكم فهم ... من فرط حبكم صم وعميان
وابنوا الهياكل للآداب وانطلقوا ... وكلكم يا عباد الله اخوان
هذا تراث حماة الضاد يرقبكم ... وانتم له بعد الله أعوان

ابو بكر البوخصيبي

---

(10) ضريحه شهير بوجدة والخلاف حوله كثير وبعض الآراء حوله تقول انه من الحواريين .
(11) ابو الحسن علي الشهير بابركان احد اساتذة الامام السنوسي والمتوفى سنة 895 هـ .
(12) الشيخ ابراهيم التازي الصوفي دفين وهران .
(13) اشارة الى كتاب البستان فى صلحاء تلمسان.

عيد مجيد ..



اللازمة

يا موكب الميلاد
يا عيد مولانا
يا بهجة الاعياد
والدنيا نشوانة
باليمن ، والاسعاد
فاضت حنايانا
يا رائد الاحرار
اقبل تحايانا
المغرب الجبار ، يفديك بالاكباد
يا صانع الامجاد
يا فخر دنيانا ..

اللازمة

– 1 –

يا منجد الاسلام
عند الملمات
يا واصل الارحام
آسي الجراحات
بالعزم ، والاقدام
والمشرقيات
لا برؤى الاحلام
لا بالشعارات ...
الجيش عبر الشام
ينصب في (جولان) !
يهوى على الاصنام

في ساحة الميدان
يزجي سرايانا

اللازمة

– 2 –

يا جامع الاوصال
والاكبد الحرى
ترعى لك الافضال
افريقيا السمرا !
يا مضرب الامثال
في محفل الذكرى !
يا منعش الآمال
في الوحدة الكبرى !

يا غنوة البشرى
في موكب الدهر
يا خير من اسرى
في ليلة القدر !

تجلو ثنايانا ...

اللازمـــــة

ـ 3 ـ

يــا منقــذ الاوطــان
يا صــادق الوعــد
يــا غــارس الــود
يــا ملهــم الانســان
انشــودة المجــد
يا رافــع البنيــان
فى رفــرف الخلــد !

سبط النبــي المختــار
يــا دفقــة المــد
نفديــك بالاعــمــار
يا حــافــظ العهــد

يــا ســر نجوانــا

اللازمـــــة

ـ 4 ـ

يــا فاتــح الابــواب
في جيلنــا الصاعــد
يا قائــد الطــلاب
بالفكــر والساعــد
يــا راعــي الآداب
في شعرهــا الخالــد
يا حــادي الانجــاب
فى منهــج الوالــد !

تسعد بك الاوطــان
والمغــرب الاكبــر
ولتخفــق الاكــوان
(للاحمــر الاخضــر)
في ظــل مولانــا ....

اللازمـــــة

كلمات ـ مفدي زكريــاء

دراسات مغربية



حضارة وادي درعة

من خلال النصوص والآثار

للأستاذ محمد المنوني

كان كاتب هذا الموضوع اوفدته الوزارة الى خزانة تمكروت لاحصاء محتوياتها ، وبهذه المناسبة انجزدراسة عن نشاط الثقافة بوادي درعة عبر العصور الاسلامية حتى فترة تاسيس الخزانة المعنية بالامر ، بعد التمهيد للموضوع بلمحات عن حاضر درعة ، وعن غابرها : مع المآثر المعمارية ، والمؤسسات الاسلامية ، والاقتصاد ، وهكذا سيتسلسل الموضوع كالتالي :

حاضر وادي درعة ـ المآثر المعمارية عبر العصور ـ المؤسسات الاسلامية القديمة . ـ الاقتصاد القديم .

ـ النشاط الثقافي خلال القرنين 5 ـ 6 هـ .
ـ النشاط الثقافي عبر ثلاثة قرون : 7 ـ 9 هـ
ـ النشاط الثقافي فى المائة الهجرية العاشرة.
ـ النشاط الثقافي فى المائة الهجرية الحادية عشـــر .

ـ دار الكتب الناصرية (*) بتمكروت

— * —

حاضر وادي درعـــة :

يشمل اسم وادي درعة سلسلة من ســـت واحات متصلة ، تمتد ـ وراء الاطلس الكبير ـ مـا بين اكدز والمحاميد فى مسافة شاسعة ، وبهذا فان نهر درعة يروي نواحي مختلفة ، اهمها : مزكيطة ، وتيزولين ، وتاكونيت ، ولكتاوة ، والمحاميد .

ويسير الوادي فى جريته بدرعة من الشمال الى الجنوب الشرقي ، لينعرج ـ بعد هـذا ـ الى الجنوب الغربي ، حتى يصب فى المحيط الاطلسي قرب راس نون ، او يذوب ـ من قبل ـ فى رمال الصحراء .

اما المنطقة كلها فتجاور ـ من الشمال ـ دائرة ورزازات ، ومن الشرق اقليم قصر السوق ، ومن الجنوب جبل باني والصحراء والاطلس الصغير ، وغربا اقليم اكادير .

وتعتبر ناحية وادي درعة بمثابة الدائرة الثالثة لاقليم ورزازات ، حيث تتألف من 11 جماعة قروية يبلغ مجموع سكانها ـ على وجه التقريب ـ حوالي ثلاثين الف نسمة ، بين بربر صنهاجة والعرب ، وسواهم من السمر الذين يبدو ان اصلهم القديم من السودان .

واغلبية السكان يتخاطبون باللهجة الشلحيـــة المنتشرة مع اختلاف فى بعض التعابيـــر ، وهـم متمسكون بتعاليم الاسلام ، ويحافظـون ـ فـي جملتهم ـ على الاخلاق الفاضلة .

(*) سنتبين ان هذا هو الاسم الذى كان يطلق قديما على هذه الخزانة .

وتضم هذه الناحية عددا كبيرا من القصور الصحراوية ، وهي مبنية بالحجر والطين الاحمر ، ومحاطة بأسوار مزينة بالابراج والشرفات المتعرجة ، مع نقوش بسيطة محفورة على بعض الواجهات .

وتتوفر كل من هذه القصور على مجموعات من الديار التي تتعدد طبقاتها في بعض الحالات .

ولا تزال الفلاحة ضعيفة في اراضي درعة على العموم ، ويزرع في بعض مناطقها القمح والشعير ، وغراسات اخرى مثل النخيل والحناء والاعشاب الطبية وقليل من الفواكه .

ومع هذا فان مناظر واحات درعة من اجمل المشاهد المغربية : نهر مستطيل ازرق ، ونخيل باسق ، ورمال ذهبية ، وجبال جرداء ، وسماء صافية ، وهواء صحيح ، وتتصاعد مناظر الواحة الى قمتها عند الفوطات التي يتعانق فيها النخيل ، ليظلل الوادي الذي تتجاوب زرقته مع لون السماء الصافية .

— * —

المآثر المعمارية عبر العصور :

وقد شهدت هذه المنطقة حضارة معمارية ترتقي الى العصور القديمة ، ثم تمتد مسيرتها — متقطعة — عبر العصور الاسلامية .

ومن ملامح ذلك الاطلال العتيقة الباقية على جنبات الوادي ، حيث تتناثر في منطقة لكتاوة وتمتوكالت ونواحي زاكورة وغيرها ، وعن الآثار الرومانية — بالخصوص — يقول في طليعة الدعة (1) :

« وآثار الروم بهذا الوادي كثيرة جدا ، ومن اعظمها واشهرها وابقاها على ممر الاعصار، مدينتهم التي بين جبلي زاكورة ، فان اسوارها وابراجها باقية الى هذا التاريخ ، وهو سنة 1143 (هـ) » .

وبعد عصر هذا المصدر لا تزال — لحد الآن — بقايا من اطلال هذه المدينة ماثلة فوق الربى القريبة من شرق مدينة زاكورة الحالية في اتجاه طريق تمكروت . وعن مدينة درعة الاسلامية يقول البكري (2) :

« مدينة درعة يقال لها (تيومتين) ، وهي قاعدة درعة ، وهذه المدينة آهلة عامرة ، بها جامع واسواق جامعة ، وهي في شرف من الارض، والنهر منها بقبلبها » .

ويعلق مؤلف « طليعة الدعة (3) » على مدينة تيومتين الوارده في هذا النص ويقول : « لا اظنها — في عرتنا و الله اعلم — الا بلد تمنيح (4) ، ويدل على ذلك آثار مدينة خالية بها في شرف من الارض، لم يبق الا اساس سورها وابراجها وهما في نهاية من الكبر ، وقد بنى في عصرنا هذا — في جانب منها — قصبة بعض اشراف سجلماسة ، ونزلوها وملكوا بها البساتين الكثيرة » .

وهذه القصبة الواردة آخر النص لا تزال عامرة، حيث تقع على ميمنة الطريق الذاهبة من زاكورة في اتجاه تمكروت .

ومن الجدير بالملاحظة ان حديث البكري عن (تيومتين) وقع خلال القرن الهجري الخامس ، والغالب أن هذه المدينة تراجعت بعد عصر البكري ، حيث لم يرد اسمها عند الادريسي (5) ولا عند مؤلف الاستبصار (6) ، وهما — معا — من المائة الهجرية السادسة .

وقد صارت قاعدة درعة — في نفس المائة — تحمل اسم (حصن تازاكورت) حسب ابن القطان (7) او (بلد تازاكورت) حسب ابن الزيات (8) .

وسيختفي الاسمان — من بعد — من المصادر المتداولة ، ليخلفهما — في القرن الهجري الثامن —

(1) اسمها الكامل: « طليعة الدعة ، في تاريخ وادي درعة » تاليف محمد المكي بن موسى الناصري ح ، ع ، د 3786 — اول مجموع ص 6 .

(2) « كتاب المغرب » ط الجزائر سنة 1857 — ص 155 .

(3) ص 3 .

(4) ينطق بها — الآن — بالكاف الساكنة اخيرا مع كسر التاءين وسكون الميم .

(5) القطعة المنشورة من « نزهة المشتاق » ، بعنوان: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، الجزائر — ص 38 .

(6) مطبعة جامعة الاسكندرية — ص 206 — 207.

(7) جزء من كتاب « نظم الجمان » ، ط تطوان — ص 195 .

(8) « التشوف الى رجال التصوف » ، نشر معهد الابحاث العليا المغربية بالرباط — ص 137 .

اسم « تيديسي » حسب ابن خلدون (9)، ومن المعروف ان « تيديسي » استمر يطالق على القرية المعروفة في تاكمادارت شرق مدينة زاكورة الحالية . وفي نفس الناحية التى تحتضن اطلال الآثار الرومانية التى سبق الالماع لها ، مع العلم بان « تيديسي » هذه موطن السعديين قبل انتتصير لهم الدولة (10).

ومع بزوغ عصر الشرفاء صار مركز ولاة المنطقة هي قصبة اغلان بمقربة من زاكورة ، كما يبدو ان قصبة تمنوكالت كان لها شان في نفس الفترة ، وفق ما تشير له الاطلال الباقية في هذه القرية التى تقع بمزجيطة في مقاطعة اكدز .

وقصبة اغلان ــ بدورها ــ لا تزال تجاورهـا اطلال لا شك انها من بقايا قصـر الامير العلـوي : الشريف بن اسماعيل ، والي درعة في بعض الدولة الاسماعيلية ، وقد جاء في ترجمته (11) انه انشا ــ باغلان برسم سكناه ــ دارا شامخة البناء ، واسعة الفناء ، مزخرفة الجدران والابـواب ، بالـوان الاصبغة الجميلة وبديع النقوش على الجبس ، فكأنها الروضة في ازهارها ، والعـروس في مطورهـا ، يعلوها متنزه صاعد في الجو ، بهي المنظر ، مشرف على البسائط والآكام ، وقد اثارت مباهج هذه الدار، اعجاب شاعر معاصر فقال فيها في مطلع قصيدة :

على بديع الحسن أشـرق في داري
واخجل من اشراقه بوحا والازهرا

ولي منزه كالمشتري في سعوده
ومنظره الاسنى وطلعتـه الغـرا

لدي فـرح طرف طـرفك رائـدا
نسخت بديعا كان في البلدة الحمرا

فلم ابق ذكـرا للقصـور بأسرهـا
وفقت نسيم النسر والورد والشقرا

وبعد هذه الاطلال الباقية في قصبتي اغـلان وتمنوكالت ، ننتقل الى منطقة لكتاوة في مقاطعـة تـونيت ، وكانت ــ هي الاخرى ــ تتوفر على مركز اداري خلال هذه الفترة ، وبالضبط عند أواسـط العصر السعدي ، وستنادى لنا هذه الحقيقة عـن طريق نقد مغربي سكه الثائر ابن ابي محلي في هذه المنطقة بالذات ، وقد كتب عليه : « ضرب بلكتاوة حرسها الله ، عام احدى وعشرين والف » (12) .

وبعد هذا في عام 1040 هـ ، سيزور درعـة ــ في طريقه الى الحج ــ رحالة من مدينة مراكش : محمد بن احمد القيسي الشهير بالسـراج ، والمعروف بابن مليح ، وقد دون عن هذه الوجهة الحجازية رحلة باسم : « انس السـاري والسـارب .. (13) » ؛ وفيها يسجل ارتساماته عن هذه الواحة ، ويذكر بعض معمارياتها وسكانها حسب الفقرة التالية :

« ثم نزلنا بلاد درعة ، محل سكون ودعـة ، جعله الله محفوف الجناب ، مأمونا من المخـاوف في المال والرقاب ، يا له من واد ما احسنه ، ومنزل خصب، ما أطيبه ، وسكانه رقاق القلوب ، وغيـوث الجدوب ، محبون لمن ينتسب لعلام الغيوب ، كرام السجايا ، رحاب العطايا ، ضاعف الله عليه نعماءه ، ووالي عليه آلاءه.

فاول منزلة منه مزجيطة بازاء قصبة الشيـخ محمد بن ناصر ، فقام صانه الله بضيافـة الركب ، وانزلهم منه منزلا رحب ، فاقام لديه الركب يوما ، فاكرمهم بانعم عما ، ثم لتابرنوست حل الركب بهـا يوم سوقهـا ، ثم ازاويـة سيـدي موسـى ، ثـم لقصبة السلطان : تينزوليـن ، ثـم لتـن اردن : زاوية المرابط الخير الدين البركة ، الميمون السكون والحركة ، سيدي احمد بن محمد ، فتلقاهم بالبشر المبذول ، وحمد الله على الالمام به والنزول ، وقدم من ضيافته ما جل ، وارضى به الكل ، فيا له مـن

---

(9) « العبـر » ، نشر دار الكتاب اللبناني ــ مج 6 ص 134 ، وقد وردت هذه المدينة في النص المطبوع باسم «تادنست» ، وتصحيحها باسم «تيدسي» من المخطوطة الباريسية .

(10) انظر التعليق رقم 41 .

(11) «الدرر المرصعة» لمحمد المكي بن موسي ، خ، ع، ك 265 ، ص 167 ــ 169 .

(12) J.D. Bretkes : Contribution à l'Histoire du Maroc..., page 211

(13) مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس ــ ص 26 ــ 28

سيد ارتدى من السيادة رداء جميلا ، ومن فاضل ما احسن شمائله جملة وتفصيلا ، ثم لموضع يعرف باستور ، على الوادي المذكور ، ثم لموضع يعرف بتجمدارت ، وقاه الله الآفات ، ثم لزاوية المرابطين الانجاد، اولي الفضل والرشاد ذرية السيد الصالح، القدوة الناصح ، سيدي محمد بن ابراهيم التمجروتي (14) ، فخيم الركب بفنائهم يومين ، في كرامة وقرة عين ، ثم لبني علي بازاء زاوية المرابط القدوة ، الشهير البركة والحرمة ، سيدي عبد العالي (15) ، صانه الله فاكرم مثواه ، واحسن مرعاه ، فركب ــ صانه الله ــ بغلته ، وشد حزامه وعصابته ، مع نفر من اهل تامجروت ، فسلكوا بالركب في وعر بين جبلين ، يقال له ، خنك الكتاوة ، حرصا عليه واتقاء ان يصيبه مكروه من طائفة من اللصوص تجتمع فيه غالبا الى ان قطعوا الوعر ، فحلوا ببني حيون بلكتاوة ، فاقام هنالك الركب ثمانية ايام ، في نعمة هنية، وعيشة مرضية، لانتظار رسول الملك ، ثم لبني مسنان ، فمن ثم تاهب الركب للمسير، وشدوا الازر لقطع الصحاري وركوب البعير ، وفيه يقال ، (شعر) :

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما
حتى لقال الصحب انك فان

والله ان سمح الزمان بقربنا
لكففت من ذكر النوى وكفان

ثم لموضع يعرف بالمنكوب شعب كثير الآبار ، ومحل اقامة وقرار ، ذي مياه عذبة ، ومراع خصبة، ثم منه لموضع بعل ، لا ماء فيه ولا نخل ، ثم لمورد يقال له زكد ، غدير تحت عصف في ارض مرتفعة عذب ماؤه ، حلو مذاقه ، ثم بعده مرحلتين صحرا ، وزيزاء قفرا ، ثم مورد يقال له الحمير ، ويعرف بالدورة ، يتحدر اليه ماء وادي تافيلات كثير الرعي والكلإ ، ثم لبئر يعرف بأبي العظام بازاء شعبة عمقها في الارض بعيد المرام ، هناك التقينا بالقائد جوهر مملوك السلطان ، ثم مرحلتان صحرا ، لا ماء بها يرى » .

والى هنا تنتهي فقرة « انس الساري والسارب » ، ونذكر ــ بعدها ــ ان ولاية درعة قبل التقسيم الاداري الحديث ، كانت تخضع الى تجزئة قديمة توزع المنطقة الى ستة اخماس ، كل خمس يمثل مقاطعة ، وتبتدي العملية من مقاطعة اكدز ، حيث كانت تحمل اسم :

ــ « خمس مزكيطة » الى راس الحجر .
ــ ثم « خمس تينزولين » الى ازلاك .
ــ ثم « خمس ترناتة » الى زاكورة .
ــ ثم « خمس فزواطة » الى الخنك .
ــ ثم « خمس لكتاوة » الى ابن سلمان .
ــ واخيرا : « خمس المحاميد » (16) .

المؤسسات الاسلامية القديمة :

وهنا سنعود ــ للمرة الثالثة ، الى فقرة البكري عن درعة ، وقد ورد فيها ذكر جامع مدينة تيومتين، ومن المتوقع ان يكون ــ بدوره ــ عريقا في القدم ، حيث يبدو انه المسجد الذي حضر بنيانه عقبة بن نافع، حينما وصل بفتوحاته الى هذه النواحي (17).

وسوى هذا فانجهات درعة الاخرى ، عرفت ــ خلال القرون الاسلامية الاولى ــ منشآت من طراز آخر برسم نشر الاسلام ، وسنتعرف على هذه المؤسسات القديمة عن طريق اسمائها ، حيث استمرت تحمل اسم الرباط في دائرة زاكورة بالذات، وهكذا لا تزال هذه الناحية تعرف اسماء رباط الحجر على مقربة من شمال نفس المدينة ، ثم رباط

(14) الغالب انه من ذرية الشيخ ابراهيم الحاج الانصاري مؤسس « زاوية سيد الناس » بتمكروت ، وهي التي يشير لها النص ، وانظر عن ترجمة ابي اسحاق الانصاري : « الدرر المرصعة » ــ ص 125 ــ 126 .

(15) الظاهر انه هو المترجم في « الدرر المرصعة» ــ ص 223 ــ 224 .

(16) ورد ذكر هذه التجزئة بخط البعض على هامش المخطوطة السالفة الذكر من طليعة الدعة ــ ص 2 ، وورد ذكر بعض هذه الاخماس ــ بمفرده ــ في « الدرر المرصعة » ص 20و154و217 ، وفي « طلعة المشتري » لاحمد بن خالد الناصري ، ط ، ف ــ ج 1 ص 160و166و171 مع ج 2 ص 10 ، وانظر « الرياحين الوردية » لمحمد المكي بن موسى الناصري ، خ ، ع ، ج 88 ، ضمن مجموع ــ ص 82 .

(17) « البيان المغرب » لابن عذارى ، نشر دار الثقافة ببيروت ،ج 1 ص 27 .

نيترولين ، وثالثا : رباط دجينة الملحقة بقيادة زاكورة .

ومن المعروف ان تسمية مثل هذه المؤسسات باسم الرباط ، كانت معروفة بشمال افريقيا الى حوالي القرن الهجري السادس (18) ، ومن هنا نستطيع ان نستنتج ان هذه الاسماء الباقية بوادي درعة ، تختفي وراءها مؤسسات اسلامية عتيقة اندثرت مع مر الزمن .

— * —

الاقتصاد القديم :

ونذكر — الآن — ان درعة الاسلامية صارت — مع مر الزمن — محطة تجارية مهمة ، وبالخصوص فى واردات الذهب والفضة من السودان .

وعلى خلاف حاضر هذا القطاع، نجده فى ماضيه ينتج بعض الغلات التى تنعدم — منه — الآن — بالمرة، وهكذا يقول مؤلف (19) من القرن الهجري السادس عن وادي درعة : « وعليه الجنات الكبيرة ، فيها جميع الفواكه : من النخل والزيتون وغيرها » .

وقد اشتهرت هذه الناحية بغلة الحناء اكثر، وكان الادريسي (20) ممن سجل هذه الظاهرة هكذا : « ونبات الحناء يكبر بها حتى يكون فى قوام الشجر يصعدون اليه ، ومنها يوخذ بذره ، ويتجهز به الى كل الجهات » .

وقال فى الاستبصار (21) فى هذا الصدد : « والحناء بدرعة كثيرة ، ومنها تجلب الى جميع البلاد لطيبها » .

وعبارة ابن سعيد (22) بمناسبة ذكر نهر درعة: « واكثر ما ينبت عليه الحنا المفضلة التى تحمل الى اقطار المغرب » . وبعد هذه الغلة الذكية تأتي مغروسات النيلج : « النيلة » ، حيث يؤكد ابن خلدون (23) ان درعة مخصوصة بهذا النبات ، وبصناعة استخراجه من شجره ، يقصدها التجار لابتياع هذه المادة قبل تحضيرها ، وينتظرون ابان اعدادها بالصنعة .

— * —

النشاط الثقافي خلال القرنين 5 — 6 هـ

وهذا وجه آخر لحضارة درعة فى ظل الاسلام، وسيتأدى لنا — هذه المرة — من خلال ظاهرة انتشار الثقافة الاسلامية بهذه الربوع ، وبالضبط اثناء القرن الهجري الخامس ، وهذا ما نستنتجه من فقرة حافظ عليها كل من ابن ابي زرع (24) وابن الخطيب (25) ، بمناسبة الحديث عن موقف سكان درعة من قيام المرابطين ، وهكذا تؤكد نفس الفقرة ان فقهاء درعة مع فقهاء سجلماسة ، رفعوا المخاطبات الى عبد الله بن ياسين ، ليطلبوا منه المسير بالجيوش المرابطية الى جهاتهم ، حتى تضطلع الدولة الجديدة بنشر العدالة وازاحة المظالم .

فهؤلاء جماعة من الفقهاء كانوا بدرعة فى هذه الحقبة ، ومن المتوقع انهم قاموا بأداء مهمتهم فى نشر المعارف الاسلامية بين اوساط طلاب العلم فى جهاتهم .

والى جانب هؤلاء العلماء ظهرت طبقة اخرى اتجهت وجهة روحية ، وحافظ ابن الزيات (26)

---

(18) من نماذج هذا — فى المغرب بالخصوص — الرباطات الواردة عند ابن الزيات فى «كتاب التشوف»

(19) « الاستبصار » — ص 206 .

(20) القطعة السالفة الذكر من « نزهة المشتاق » — ص 38 .

(21) ص 206 .

(22) « كتاب بسط الارض فى الطول والعرض » ،نشر معهد مولاي الحسن بتطوان — ص 58 .

(23) مج 6 ص 202 .

(24) روض القرطاس ، ط ، ف عام 1305 هـ — ص 87 .

(25) القسم الثالث من كتاب « اعمال الاعلام » للسان الدين ابن الخطيب ، نشر دار الكتاب ، الدار البيضاء — ص 299 .

(26) التشوف الى رجال التصوف ارقام : 42و229و321و233 .

على بضعة اسماء ، ممن عاشوا منهم بدرعة خلال القرن السادس واول السابع من الهجرة ، وكان من بين هؤلاء ابو الحسن علي بن عمر الدرعي ، ويقول عنه في الدرر المرصعة (27) : « وقبره شهير بالزيارة بقرية اغرغر من مزجيطة ، ويعرف ــ الآن ــ عند العامة بل وبعض الخاصة بسيدي الحسن وعلي»

وسينضاف الى اعلام هذا الوادي في نحو الفترة اسمان اوردهما ياقوت (28) بمناسبة ذكرى درعة هكذا : « ينسب اليها ابو زيد نصر بن علي بن محمد الدرعي ، سمع سعد بن علي بن محمد الزنجاني بمكة ، ومنها ــ ايضا ــ ابو الحسن » .

النشاط الثقافي عبر ثلاثة قرون : 7 ــ 9 هـ

والى هنا ستواجه مسيرة الثقافة بالمنطقة خلال القرن الهجري السابع والقرنين بعده ، وهي فترة لا تزال غامضة في تاريخ وادي درعة ، حيث ان المصادر المتداولة لم تحتفظ الا بثلاثة اسماء في هذا الصدد.

ويرجع اولها الى اواسط المائة الهجرية السابعة على وجه التقريب ، حيث يتحدث ابن عبد الملك المراكشي (29) عن طالب بدرعة كان يمتلك نسخة تامة من تفسير القرآن الكريم ، تحمل اسم « ري الظمآن في تفسير القرآن » من تاليف ابي الحسن ابن النعمة المري ثم البلنسي ، ويقول نفس المصدر في هذا : « وقد وقفت على بعض هذا الكتاب ، وكان كاملا عند بعض الطلبة بدرعة في سبعة وخمسين مجلدا متوسطة بعضها » .

وبعد هذا سيخيم غموض على سير الثقافة بالوادي ، ويمتد الى اواخر المائة الثامنة ، غير أن المائة الموالية ستشهد اسمين لامعين .

ويمثل اولهما : عبد الله بن احمد بن يوسف العشاب الاندلسي نزيل درعة ، والمتوفى عام اثنين وخمسين وثمانمائة هـ ، وقد كان يضيف الى ثقافته الواسعة عناية بجمع الكتب ، وقيد بخطه الحسن علما كثيرا ، هذا الى أجازات احرز عليها في وجهته الى الحج ، وكتبها له اعلام من الجزائر وتونس والقاهرة؛ وفيهم سعيد العقباني ، وابن عرفة وابن خلدون والعز ابن جماعة وابن حجر العسقلاني .

ومن مخلفاته في حقل التاليف : « تحفة الناسك ، في علم المناسك » ، وموضوع آخر يحمل اسم « المتع ، في مناسك المتمع (30) ، وثالثا : تعاليق على المختصر الفقهي لابن الحاجب (31) .

ومن المؤكد ان اقامة المترجم استمرت بدرعة حتى توفي ودفن بها ، قال في الدرر المرصعة (32): « وقبره شهير بازاء القصر الجديد من درعة ، ويعرف ــ الآن ــ عند العامة بسيدي الحاج عبد الله » .

وقد استمر عقب العشاب بدرعة حتى القرن الهجري العاشر ، حيث جاء عند ابن القاضي (33) ــ ضمن احداث عام 930 هـ ذكر ولادة محمد بن محمد العشاب الاندلسي الدرعي ، من الآخذين عن ابن القاسم التفنوتي ، وعبارة نفس المؤلف في « درة الحجال » (34) : « محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن الحاج عبد الله بن محمد بن يوسف العشاب ،

---

(27) المخطوطة المتكررة الذكر ــ ص 244 ، وموقع « اغرغر » معدود من مقاطعة اكدز .
(28) « معجم البلدان » ، مطبعة السعادة بمصر ــ مج 4 ص 53 .
(29) « الذيل والتكملة » ، دار الثقافة ، بيروت ــ السفر الخامس ــ ص 229 .
(30) « نيل الابتهاج » المنشور بهامش الديباج ، ط القاهرة عام 1351 هـ ص 156 ــ 157 ، وقد خلا هذا المصدر من تاريخ وفاة المترجم ، ووردت عند ابن القاضي في « لقط الفرائد » : مخطوطة خاصة ، حيث يسمى والده بمحمد بدل احمد الوارد ــ غلطا ــ في نيل الابتهاج .
(31) انظر محمد المنوني الوراقة المغربية : القسم الثاني ، مجلة البحث العلمي ، عدد 18 ، السنة 8 ــ ص 38 ــ 39 .
(32) ص 188 .
(33) « لقط الفرائد » .
(34) المطبعة الجديدة بالرباط ــ رقم 493 ،ووردت الاشارة لهذا ــ ايضا ــ عند الحضيكي في « الطبقات » ، ضمن الآخذين عن ابي القاسم التفنوتي ــ ج 1 ص 152 .

الانصاري الاندلسي ثم الدرعي ، اخذ عن ابي القاسم الشيخ التفنوتي الفقه والنحو والفرائض والحساب، ولد بعد 930 » .

والآن نذكر الاسم الثاني من اعلام درعة في المائة الهجرية التاسعة ، وسيكون هو عبد الله بن محمد العنابي ، نزيل هذه الجهة عند قرية تمزرورت بتمكروت ، وكان بقيد الحياة عام اثنين وتسعين وثمانمائة (35) هـ .

ويقول عنه السوداني (36) : «من اعلام العلماء، شارك في علوم كثيرة ، مع براعة في الادب وقرض الشعر » . ولم يوضح هذا المصدر فروع العلوم التي كان المترجم يشارك فيها ، ولكن هذا الاخير يضطلع — شخصيا — بتفصيل هذه المواد ، ويذكر منها — الى جانب المعارف الدينية واللسانية — علوم المنطق ، والجدل ، والموسيقى ، والطب ، والتشريح ، والفلك ، والارصاد ، والحساب ، والهندسة ، فضلا عن علوم الكيمياء والمعارف النفسانية ، وهذا ما يعدده المترجم نفسه اثناء القصيدة المطولة التي خاطب بها عصريه ابراهيم بن هلال (37) ، وقد رد عليه عالم سجلماسة بقصيدة يحليه في مطالعها هكذا :

يا نخبة العلماء والفضلاء
وبقية الاعلام والنبلاء

صدر الصدور امامهم ووحيدهم
ذوقا وادراكا وفرط ذكاء

وبراعة وفصاحة وبلاغة
اعيت جميع اللسن والفصحاء

داتوا اقروا اذعنوا لزعيمهم
فاسحب ذيول العزة القعساء

سحبانهم لكم يقر بانكم
قطب البيان وفارس البلغاء

لا والذي اولاك كل فضيلة
وحباك بالتنويه والاحظاء

ما ان رايت ولا سمعت بمن حوى
كل العلوم سواك بالاحصاء (38)

ومن الجدير بالملاحظة في حياة العنابي ان يكون يعيش مع احداث عصره ، ويجسم في سلوكه غيرة اسلامية ، وحمية قومية ، وقد عاصر سقوط الفردوس المفقود ، حيث تبنى الدعوة الى فداء الاسرى المسلمين باسبانيا ، ولهذه الغاية انتقل الى مدينة فاس ، وفاوض العاهل الوطاسي في المشروع الاندلسي ، فصادف منه استجابة وتشجيعا ، وساهم الحريم الملكي — بدوره — بتقديم العون من الثياب والحلي والذهب والاحجار الثمينة ، وبعد هذا سافر المترجم الى اسبانيا بمبالغ مالية جسيمة، غير ان المركب الذى حمله عطب وغرق في البحر ، فضاعت الاموال ، ومات العالم الدرعي شهيد الحمية الاسلامية ، والغيرة الانسانية (39) .

وقد اشتهر من عقب المترجم اسم حفيده ابي زيد عبد الرحمن احد كتاب ديوان المنصور السعدي، ويحليه المقري (40) هكذا : « الفقيه الاجل ، سلالة الصالحين ، ونجل العلماء العاملين ، احد كتاب ديوان الخلافة ، ومن له في السكون والوقار المزية

---

(35) ترجمة السوداني في نيل الابتهاج ص 161 ، وعنه نقلها في الدرر المرصعة ص 187 — 188 ، ثم اعاد هذا المصدر الاخير ترجمته ص 295 — 299 نقلا عن دوحة الناشر لابن عسكر، غير ان هذا يسمى المترجم بمحمد ، وهو سبق قلم عن عبد الله : الاسم الذى يطاقه المعنى بالامر على نفسه، ويخاطبه به معاصره ابراهيم بن هلال ، حسب المراسلتين التى سننشر لهما وشيكا .

(36) نيل الابتهاج ص 161 .

(37) القصيدة يسميها ناظمها : « نظم جواهر الجلال . في استجلاب مودة ابراهيم بن هلال » وهي واردة في بعض مخطوطات الدرر المرصعة » على بياض في بعض ابياتها .

(38) القصيدة الهلالية واردة في « درة الحجال » رقم 271 ، وفي المخطوطة المشار لها من « الدرر المرصعة » ، والغالب ان هناك مراسلات اخرى بين المترجم وابن هلال لم نطلع عليها ، وهي التى يقول عنها ابن عسكر : « وكانت بينهما مكاتبات ومخاطبات ينبغي ان تكتب بماء الذهب ، لحسن توقيع كل منهما وبلاغته » ، « دوحة الناشر » ص 68 .

(39) دوحة الناشر ص 69 .

(40) « روضة الاس » : المطبعة الملكية بالرباط — ص 176 .

والاناقة، ابو زيد عبد الرحمن بن الامام، علم الاعلام، سيدي ابي محمد عبد الله العتابي » .

النشاط الثقافي في المائة العاشرة هـ :

يصل بنا المطاف الى عصر الازدهار في وادي درعة مع القرنين : العاشر والحادي عشر ، وقد شهدت هذه الفترة ظهور السعديين على المسرح السياسي ، ومن المعروف ان هؤلاء معددون من صميم هذه الناحية ، حيث كان قرارهم وسكنى اسلافهم في تاكمادارت ، وبالضبط عند قرية تيدسي الدرعية (41) ، حيث لا تزال بها اطلال سعدية شاخصة شرق مدينة زاكورة ، ومن الطبيعي ان هذه الصلة سيكون لها ابعاد في بعث المنطقة تحت ظل الحكم السعدي .

ومن جهة اخرى : فان توحيد المغرب السعدي مع السودان ، جعل طريقه — التي كانت عبر درعة — تشهد ازدهارا أكثر : في الحقل الاقتصادي ، وفي وفرة المارة والسكان بالوادي بالخصوص ، وفي ارتفاع اعداد النازحين للاكتساب عن طريق التعليم .

وهكذا لمع في درعة السعدية ثلة من الاعلام ، حيث عكفوا على نشر العلم بين ابناء الواحة والراحلين من سجلماسة وسوس وما اليهما .

وبالنسبة الى القرن العاشر صارت هذه الناحية تتوفر على مجموعة من المراكز التثقيفية التي قامت على ضفتي الوادي ، وسنقدم اربعة من شيوخ هذه المراكز حسب التسلسل التاريخي .

وسيكون اولهم عبد الله بن عمر والمضغري نقيه درعة وحافظها ، وبها اخذ عنه جماعة فيهم محمد المهدي والذابي العباس المنصور السعدي ، وكانت وفاته بتاكمادارت من نفس المنطقة — عام سبعة وعشرين وتسعمائة (42) هـ ، حيث لا يزال مشهده مشيدا امام قرية سرت في تكمادارت .

وننتقل — الآن — الى ابي القاسم بن عمر التغنوتي ثم الدرعي ، المتوفى بها عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة هـ ، وقد تعلم في فاس ، وبرع في المواد الدينية والعربية وبعض الرياضيات ، وفي كثير من الصناعات اليدوية ، ثم استوطن درعة برسم الاقراء بها (43) ، وكان مركز تدريسه هو « زاوية سيد الناس » ، بتمكروت على مقربة من الزاوية الناصرية، قال مؤلف «الدرر المرصعة» (44) : « وموضع درسه باق الى الآن، بضريح ولي الله سيدي الحاج ابراهيم — المتقدم الذكر — بزاوية سيد الناس ، زرته مرات » .

وبجبانة نفس الزاوية صار مدفن المترجم شماليها ، حيث لا يزال مشهده معروفا قريبا من كل الزاوية الناصرية وقرية تازروت .

واوفرة الآخذين عنه صار — في درعة — يحمل لقب الشيخ ، كمعادل لوصف شيخ الجماعة في الحواضر ، وفي طبقات الحضيكي (45) وردت لائحة ببعض اسماء الذين درجوا بين يدي المترجم : بين درعيين وراحلين .

وكان يحض طلبته على الاحتراف بما يكون به معاشهم ، ويقول عنه تلميذه سعيد الهوزالي : « وكانت مساكن دراستنا قرب مسكنه ونحن بجد غاية الجد ، فكان يقول لنا ما كنتم تصنعون شيئا ،

---

(41) جاء في تاريخ الدولة السعدية لمؤرخ مجهول الاسم عند ذكر بداية السعديين : « وقرارهم تاكمادرت من بلاد درعة ، وبها مولدهم ونشاتهم ، وسكنى آبائهم واجدادهم » ، المطبعة الجديدة بالرباط — ص 3 .

(42) ترجمته في جذوة الاقتباس ص 249 ، ودرة الحجال رقم 948 ، ونيل الابتهاج ص 161، والدرر المرصعة ص 188 ، وطبقات الحضيكي ج 2 ص 212 — 213، وخمستها تجعل وفاة المترجم في درعة ، مع تحديد المكان عند ابي القاضي بتاكمادرت ، وفي الدرر بتمجروت ، اما ابن عسكر فيذكر مدفنه ، بمضغرة من عمل سجلماسة ، الدوحة عند ترجمته ص 65 — 66 ، وعن هذا المصدر الاخير وردت ترجمته الاولى عند الحضيكي ج 2 ص 169 .

(43) ترجمته في « صفوة من انتشر » : ط . ف . ص 39 — 40 ، « والدرر المرصعة » ص 135 — 136 ، و « طبقات الحضيكي » ج 1 ص 151 153 .

(44) ص 137 ، وانظر ايضا ص 125 .

(45) ج 2 ص 152 .

ما هكذا عرفت جزولة ، وكان لا يدع احدنا يجنس على حجر حرصا على الصحة (46) » .

وسنستفيد من اول هذه الفقرة ان مركز تدريس المترجم كان قد الحقت به مدرسة لسكنى الطلبة .

وقد كان يعاصر ابا القاسم التفنوتي امام هذا الوادي : محمد بن علي بن محمد اجزولي البكري ، ثم الدرعي التمجروتي بلدا ووفاة حدود عام ستين وتسعمائة هـ ، ويقول عنه ابن عسكر (47) : « كان من العلماء العاملين .. لقي العلماء واخذ عن المشايخ وله مناقب ومآثر مستفاضة عند اهل بلده وغيرهم ، فانتفع الناس بعلمه ، وشأنه كبير ، وقدره جليل».

ون مركز المترجم هو الذي جذب اليه انتباه عبد الرحمن بن محمد التاجوري ، شيخ العلوم الفلكية بالديار المصرية ، وقد بعث هذا الاخير الى محمد بن علي برسالته في صدد الدعوة الى تعديل انحراف القبلات المغربية (48) ، ويقول التاجوري في خطاب المترجم عند مطالع الرسالة : « .. والسلام عليكم وعلى ولدكم اخي سيدي عبد الله ، وعلى سادتنا الفقراء والفقهاء ومن يلوذ بكم .. » .

وقد تفيد خاتمة هذه الفقرة ان المترجم كان يشرف على مركز منتظم برسم التعليم والتهذيب ، وبالتأكيد سيكون موقعه بتمكروت على مقربة من قرية تازروت ، حيث المركز المعروف باسم « زاوية سيدي علي بن محمد البكري » ، نسبة الى علي والد صاحب الترجمة، وقد كان هذا الوالد يحلى بشيخ الاسلام ، وقدوة الانام (49) ، ومن المتوقع ان يخلفه – في زاويته بعد وفاته – ولده المترجم ، حيث كان من الدارسين بين يديه كل من محمد بن مهدي الدرعي (50) آتي الذكر وشيكا ، ثم احمد ادفال (51) وسترد ترجمته ضمن اعلام درعة في القرن الحادي عشر .

ومن الجدير بالملاحظة ان صاحب الترجمة هو والد السفيرين : محمد مبعوث السلطان الغالب السعدي الى الاستانة (52) ، والثاني ابو الحسن علي سفير المنصور السعدي الى نفس العاصمة ، والف بهذه المناسبة الرحلة المعنونة باسم « النفحة المسكية ، في السفارة التركية (53) » ، وقد كان السفيران يعودان بعد قضاء سفارتهما الى السكنى في بلديهما بتمكروت (54) ، غير ان مستواهما الثقافي لفت اليهما الانظار ، فصار الاول استاذا للامراء السعديين ، واسندت له وظيفة الامامة بجامع المشور من القصر الملكي بفاس حيث كانت وفاته بها عام 988 هـ (55) .

كما ان الثاني – وهو ابو الحسن – انتقل الى مدينة مراكش ، وصار مشهد القاضي عياض مرقدا اخيرا له عام 1003 هـ (56) . وقد جاءت

---

(46) « طبقات الحضيكي » ج 1 ص 151 – 152 .
(47) « دوحة الناشر » ص 69 عند ترجمته الواردة ايضا في « الدرر المرصعة » ص 294 – 295 ، وعند الحضيكي ج 2 ص 16 – 17 اخذا من « دوحة الناشر » .
(48) منها نسخة بالمكتبة الملكية رقم 6.999 ، واخرى خ. ع، ك. 1.119 ، وفي خزانة تمكروت توجد الورقة الاولى منها اواخر مجموع يحمل رقم 2.088 .
(49) وردت هذه التحلية في افتتاحية « النفحة المسكية » : المصورة الآتية الذكر وشيكا – ص 1 .
(50) دوحة الناشر – ص 70 .
(51) انظر مراجع ترجمته عند التعليق رقم 81.
(52) دوحة الناشر – ص 69 .
(53) ترجمته في « صفوة من انتشر » – ص 106، مع « الدرر المرصعة » ص 246 – 253 ، « ونشر المثاني» ج 1 ص 32 .
(54) بالنسبةالى محمد : « دوحة الناشر » – ص 70 ، وعن اخيه علي : « النفحة المسكية » ص 175 .
(55) « مناهل الصفا » للفشتالي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 274 – ص 219 ، مع « روضة الاس » للمقري ص 35 .
(56) الدرر المرصعة ص 253 ، ونشر المثاني ج 1 ص 32 .

ترجمة اخيه محمد عند ابن القاضي (57) هكذا : « محمد بن محمد بن علي الجزولي ، ثم الدرعي التمركروتي ، له سند ورواية ، وكان يستعمل في السفارة ، واخذ عن جماعة ، ورحل الى المشرق وادى الفريضة ، و خذ عن جماعة من اهل مصر ومكة المشرفة وغيرهما : اخذ عن نجم الدين الغيطي ، وابي عبد الله محمد بن ابي بكر العلقمي ، وعن ابن فهد ، وغيرهم » .

ومن تتمة صاحب هذه الترجمة ، ان فهرسة عبد الواحد الحسني (58) تحتفظ بالنص لكامل لاجازتين برسمه ، كتبهما له كل من محمد العلقمي الشافعي، ثم محمد بن محمد احمد لفيشي المالكي المصريين ، وقد اشركا معه في الاجازتين مجموعة من اهل درعة وما اليها، وفيهم ابراهيم بن المجاز الرئيسي .

وبهذ سنكون امام خمسة اسماء علمية تسلسلت في درعة : من علي بن محمد جد الاسرة ، الى ابنه محمد المترجم الرئيسي ، الى ابني هذا الاخير: محمد وعلي، الى حفيده ابراهيم بن محمد بن محمد بن علي، وهذا سادس من نفس البيت ويحمل اسم عبد الله ، وهو اخ لمحمد بن علي المترجم الرئيسي ، وقد قرا بمصر ، وبرع في الفلكيات دراسة على استاذه عبد الرحمن التاجوري سابق الذكر (59) ، واستوطن – اخيرا – بتونس ، حيث توفي واقبر بها (60) .

وهكذا نتبين ان بيت المترجم يمثل اسرة علمية صار لها وزن في درعة السعدية .

وبعد محمد بن علي الجزولي ياتي دور رابع الحلبة : محمد بن مهدي الجراري الاصل ، الدرعي المولد والوفاة عام تسع وسبعين وتسعمائة هـ .

نشا بهذا الوادي ، وبه قرا حتى نبغ في المعارف المتنوعة ، ثم تصدى للتدريس ببلده ، وبالضبط عند القرية التى صارت تعرف بزاوية الحنا ، بمقربة من مدينة زاكورة في شرقيها ، وكان يعلم تفسير القرآن الكريم ، والحديث والفقه واصوله والفرائض والتوحيد والتصوف والنحو والعروض وسوى ذلك .

وتقوم طريقته في التعليم على تصحيح الكتاب المدروس، وحل مشكله ، وايضاح مقفله (61) ، وبهذا وذاك صار الاقبال على دروسه كبيرا ، وبهذا يصفه مؤرخ معاصر (62) ويقول : « عم النفع به في قطر درعة ، وله تلامذة كثيرة ، وانتفع به خلق كثير » .

وهذه لائحة ببعض مقروءات المترجم ، نعرضها كنموذج للكتب الدراسية خلال القرن العاشر ، وهكذا يذكر عبد الواحد الحسني (63) انه قرا على استاذه محمد بن مهدي كلا او بعضا :

صحيح البخاري .
والاربعين النووية .
والتهذيب للبراذعي .

والارجوزتين التلمسانية والونشريسية كلاهما في المواريث .

والقصيدة الخزرجية في العروض .
وتفسير القرآن لكريم لابن عطية وغيره .
والمغني ، لابن هشام .
والقوانين النحوية لابن ابي الربيع .
والتنقيح ، القرافي .
وشرحه لنفس المؤلف .
وشرح السنوسي للعقيدة الصغرى .
وكتاب التشوف ، للتادلي .

---

(57) « جذوة لاقتباس » ط . ف – ص 207 ، « درة الحجال » رقم 655 .
(58) مخطوطة الاستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتاني .
(59) هذا يؤخذ من رسالة التاجوري الى محمد بن علي سابقة الذكر ، ولعل عبد الله المعني بهذا التعليق كان يصغر اخاه المذكور كثيرا ، مما حذا بالرسالة التاجورية ان تذكر عبد الله والدا لاحمد بن علي .
(60) « النفحة المسكية » – ص 30 .
(61) « نيل الابتهاج » عند ترجمته ص 339 ، وانظر عن ترجمته ايضا دوحة الناشر ص 70 ، ودرة الحجال رقم 646 والدرر المرصعة ص 291 294 ، « وطبقات الحضيكي » ج 2 ص 15 – 16 .
(62) درة الحجال رقم 646 .
(63) في «فهرسته» المخطوطة الآنفة الذكر ، ونقله – ببعض تصرف في « نيل الابتهاج » ص 339 .

وكتاب كنز الاسرار ولواقح الافكار ، للزموري .
والحكم العطائية .
وشرحها لابن عباد .
وكتاب المدخل ، لابن الحاج .
والمختصرين : الحاجبي والخليلي .
والالفية ولامية الافعال ، كلاهما لابن مالك .
والرسالة القيروانية .
وقد كان من بين الآخذين عن ابن مهدي : عبد الله بن محمد بن مسعود الدرعي ، التفجروتي النسب ، التمجروتي البلد ، المتوفي بعد الثمانين وتسعمائة .

ويحليه الحضيكي (64) باستاذ العلماء، ورئيس الفقهاء والفضلاء ، وهو احد ساتذة ابي العباس احمد ادفال (65) آتي الذكر ، وكان يضيف الى اشتغاله بالتدريس الاضطلاع بالتاليف ، حيث خلف شرح المختصر الخليلي فى سفرين ، وشروحا على كل من الخلاصة ولامية الافعال و لمقدمة الاجرومية ، وهو مؤلف كتاب « الروض اليانع فى احكام التزويج وآداب المجامع (66) » . ولا يزال مشهد المترجم قائما بتمكروت ، عند الموضع المعروف بزاوية آيت خدو ـ بالخاء ـ خلف قصر اغلا ودرار .

ومن العلماء النازلين بدرعة خلال نفس الفترة : ابو الحسن علي بن احمد الحمياني التمنرتي مرتب نوازل ابي اسحاق ابراهيم بن هلال .

وكان فقيها مطالعا ، وعكف على التدريس بدرعة حتى توفي حدود عام ثمانين وتسعمائة (67) .

والآن سنلتقي مع الاديب الدرعي : حسين بن ابي القاسم المولي السنيقي ، وهو من مواليد درعة ، ودرس بفاس ثم ارتحل الى الشرق نحو عام 1005 هـ، وتوفي ـ غريقا فى بحر جدة ـ عام عشر بعد الالف.

وقد كان فقيها عارفا بالعلوم العربية ، اديبا مبرزا ، شاعرا مفلقا ، وبقي من شعره قطع قليلة تقاسم نشرها كل من ابن القاضي (68) بالمغرب ، والمحبي (69) فى الشرق .

والآن نذيل هذا العرض بتقديم لائحة لعلماء درعة وطلبتها ومن اليهم خلال القرن الهجري العاشر (70)، وقد وردت ضمن اجازة شرقية صادرة الى محمد بن محمد بن علي الدرعي سابق الذكر ، من جهة كل من محمد بن عبد الرحمن بن علي العلقمي الشافعي (71) ، ثم محمد بن محمد بن احمد الفيشي المالكي (72) حيث اشركا مع المجاز الرئيسي الاسماء التالية :

الشيخ محمد بن محمد الدرعي سابق الذكر .

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر (المضغري)(73) واخويه .

عبد الله بن محمد بن مسعود سابق الذكر .

---

(64) « الطبقات » ج 2 ص 213 ، وانظر عن ترجمته ـ ايضا ـ « نيل الابتهاج » ص 161 ، وعنه نقل ترجمته فى « الدرر المرصعة » ص 188 .
(65) انظر مراجع ترجمته عند التعليق رقم 81 .
(66) يعرف من هذه المؤلفات : شرح المختصر الخليلي والروض اليانع ، فى نسخ بخزائن المخطوطات، كما يوجد شرح لامية الافعال لابن مالك فى خزانة تمكروت، رابع مجموع يحمل رقم 435 . ونسخة اخرى رقم 2662 ، وشرح الاجرومية عاشر مجموع رقم 2746 .
ومن الجدير بالذكر ان هناك اخا للمترجم يحمل اسم احمد ، وهو مؤلف كتاب « تنبيه الغافل عما يظنه غافل » ، وقد فرغ من تاليفه اواسط ذي القعدة من عام 976 هـ ، ولا يزال ـ بدوره ـ مخطوطا : خ . ع ، ق 918 ، ونسخة اخرى بتمكروت ، آخر مجموع يحمل رقم 2066 .
(67) الدرر المرصعة ـ ص 245 .
(68) درة الحجال رقم 377 .
(69) خلاصة الاثر ـ ج 2 ص 102 ـ 104 .
(70) فهرسة عبد الواحد الحسني .
(71) ترجمته عند الزركلي فى الاعلام ج 7 ص 68 ـ 69 .
(72) ترجمته فى نيل الابتهاج ص 340 .
(73) ترجمته فى دوحة الناشر ـ ص 67 ، وقبلها ترجم لاخيه محمد ص 66 ـ 67 ، وترجم ـ ايضا ـ لعبد الرحمن فى جذوة الاقتباس ص 266 .

عبد الواحد بن احمد الحسني (74) .

ابني عمته : احمد ومحمد الرادسيين (75).

اخويه : عبد الله وعلي .

ابراهيم ولد صاحب الاجازة .

ابن عمته : عبد الرحمن بن ابي القاسم ، واخوته : محمد وعبد الله وعلي وعبد العزيز .

اولاد محمد بن مهدي المقدم ذكره : محمد بن مهدي ، واخاه عبد الله واولاده .

عبد الله بن محمد بن الحسين البومحمدي (76) واخاه ابا القاسم .

اولاد الفقيه محمد بن محمد بن ابي القاسم المعتصمي : ابا عبد الله محمد وابا العباس احمد ، وابا الحسن علي واولادهم .

محمد بن ابي القاسم البياعتي واخاه للاب عبد الله .

اولاد الشيخ محمد الدفالي (77) : محمد واحمد وعبد الله .

الفقيه احمد بن عبد الرحمن الحندقي .

المرابط حمزة بن الحسين واولاده ، عبد الله وعلي .

اولاد المرابط الحاج ناصر التومتجي (78) : محمد وابراهيم واولادهما .

الحسين بن علي الجزولي واولاده .

محمد بن عبد الله بن احمد الجزولي .

محمد بن علي بن الناصر (79) .

احمد بن محمد بن مسعود (80)

— * —

النشاط الثقافي في المائة الحادية عشرة هـ

والى هنا سينتهي عرض الملامح الرئيسية لنشاط الثقافة بوادي درعة خلال القرن الهجري العاشر .

وفي المائة بعده وقبيلها سنلتقي — اولا — مع منطقة لكتاوة في مقاطعة تاكونيت ، حيث تالق اسم ابي العباس احمد ابن محمد الحسني الدرعي المعروف بادفال ، والمتوفي عام ثلاثة وعشرين بعد الالف ، ولا يزال مشهده قائما عند المركز المعروف بادواقيل ، على بعد 3 كلم. من قيادة تاكونيت .

وقد تثقف ببلدته درعة وفي فاس ، ثم رحل الى الشرق العربي فاخذ عن مشايخ القاهرة والحرمين الشريفين ، وصارت له مكاتبات كثيرة مع استاذه ابي المكارم البكري ، وكذلك مع ابنه زين العابدين ، والشيخ عبد الوهاب الهندي .

وبعد هذه الجولات استطاع المترجم ان يجمع اسانيد المشرق الى اسانيد المغرب ، كما صار علما

(74) ترجمته في جذوة الاقتباس ص 270 — 271، وفي صفوة من انتشر ص 41 — 42 .

(75) في فهرسة عبد الواحد الحسني جاء ذكر محمد بن علي الدادسي ، بمناسبة استجازته لصاحب الفهرسة من عالمين شرقيين ، وله ترجمة في درة الحجال رقم 610 .

(76) له ترجمة في درة الحجال رقم 950 .

(77) هو والد احمد اذفال آتي الترجمة ، ومحمد المذكور ولدا له يبدو انه كان معدودا من العلماء النابهين ، وهناك رسالة من عالم فاس ابي العباس المنجور ، موجهة الى محمد بن محمد اذفال ، حول الخلاف الذى نشب بين الهبطي واليستني في مدلول كلمة التوحيد ، حسب مخطوطة الرسالة ضمن مجموع بخزانة تمكروت رقم 2085 .

(78) درة الحجال رقم 901 .

(79) لم اقف على ترجمته ويحتمل انه المذكور عند السراج في « انس الساري والسارب » ص 26 باسم الشيخ محمد بن ناصر .

(80) هو المذكور عند التعليق رقم 66 اخا لعبد الله بن محمد بن مسعود التفجروتي .

لاسيما يؤمه الطلاب الى بلد لكتاوة لتلقي العلــوم والمعارف الروحية (81) .

ومما يجسم اتجاهاته في الحياة هذه الفقرات الواردة في وصيته لاولاده لما حضرته الوفاة (82) .

« ... واوصيهم ان لا يخالطوا المخزن ، ولا ابناء الدنيا ، ولا علماء الدنيا ، ولا مبتدعة الفقراء ، بل لا يخالطوا الا العلماء العاملين ، والفقـــراء الصادقين ، واوصيهم بتعلم دينهم .

يا اولادي : الله الله في كتبكم ، امسكوهم ولا تبيعوهم ... ولا تعدلوا عن طريقتنا » .

وقد كان في مقدمة الآخذين عن ادفال : محمد ابن ابي بكر العياشي ، والد الامام ابي سالم العياشي (83) ، ومن اهل لكتاوة بالذات درس عليه ابو اسحاق ابراهيم بن عبد المومن الدرعي ، وله منه اجازة ، وكان هذا : المجاز ـ بدوره ـ صاحب فقه وحديث وتدريس (84) .

ومن جهة اخرى تفرع عن هذا الاخير اســرة علمية مجيدة عاشت بنفس الناحية ، واشتهر من افرادها :

اولا : اسم ولده الشيخ صالح بن ابراهيــم الاكتاوي ، العالم المقريء المشارك ، المتوفي عام ستة وتسعين بعد الالف (85) .

وهو صاحب المشهد بمقبرة بني صبيح عند منطقة لكتــاوة .

على ان المع شخصية في هذه الاسرة هو ابو العباس احمد بن صالح بن ابراهيم الاكتاوي ، المتوفي ـ بها ـ عام تسعة واربعين ومائة والف هـ ، وكان علامة اديبا طبيبا ماهرا واسع المعرفة ، ورحل الى الصحراء الكبرى وغيرها ، واخذ الطب عن جماعة .

ومن موضوعاته الطبية : ارجوزة « الهديــة المقبولة .. » في العلاجات والادويــة ، ثم اضطلــع بشرحها باسم «الدرر المحمولةعلى الهدية المقبولة ..» في مجلد ضخم ، وبعض النسـخ في سفريـــن متوسطين .

ومن مؤلفاته الاخرى : ديوان شعره الــذى وسمه بشفاء المريض ، في بســاط القريض » ، وتاليف لطيف فيه فوائد غريبة سماه : « تنبيــه السائل ، ببعض ما هو عنه سائل » ، ودون الرحلة الحجازية التى حج فيها اخوه محمــد بن صالــح ، وعنونها « بالرحلة الشافية ، في الزيارة الكافية » ، وفي ترجمة والده الشيخ صالح : دون « تجديــد المراسم البالية ، في السيرة الحسنة العالية » .

ولا يعرف ـ الآن ـ من هذه المؤلفـات ســوى منظومة الهدية المقبولة وشرحها (86) .

وبعد هذه الاسرة الصالحية الاكتاوية ، نذكر انه ولد في نفس الجهة ونشأ بها : ابو الحسن علــي بن يوسف بن احمد الدرعي ، غير ان تدريسه صار في قرية تسرجيت ، وحينا بزاوية سيد النــاس بتمكروت ، وداب على التعليم حتى صار شيــخ

---

(81) ترجمته في درة الحجال رقم 194 ، واقتفاء الاثر لابي سالم العياشي مخطوط ، وصفوة مــن انتشر ص 20 ـ 21 ، والدرر المرصعة ص 6 ـ 8 ، وطبقات الحضيكي ج 1 ص 41 ـ 43 ، وعن مكاتباته مع ابي المكارم البكري يقول العياشي : « وكانت بينهما مكاتبات دلت على كمال فضله ، رايت كثيرا منها » ، وتحتفظ مكتبة الزاوية الحمزاوية باربع رسائل شرقية برسم المترجم : اثنان من ابي المكارم البكري ، وواحدة من ابنه زين العابدين ، ورابعة من الشيخ عبد الوهــاب الهندي ، وتقع اربعتها ـ مع غيرها ـ ضمــن مجموع بنفس المكتبة رقم 259 . وهناك وصيــة للمترجم آخر مجموع رقم 2085 بتمكروت

(82) انظر محمد المنوني: مكتبة الزاوية الحمزاوية،بمجلة تطوان : العدد 8 ـ ص 171 ـ 172 .

(83) اقتفاء الاثر لابي سالم العياشي .

(84) ترجمته في الدرر المرصعة ص 128 ـ 129.

(85) ترجمته في المصدر الاخير ص 181 ـ 187، وورد ذكره في اواخر صفوة من انتشر ص 204 .

(86) ترجمته في مقدمة شرحه على الهدية المقبولة ، وعند الناصري في الدرر المرصعة ص 109 ـ 124 .

الجماعة ومربي المتعلمين ، وكان متفننا في جملة من المعارف العقلية والنقلية ، وعليه كان جل استفادة ابي عبد الله ابن ناصر في هذه العلوم (87) .

وفي ناحية اخرى من درعة كان يعاصر المترجم الاخير : محمد المعروف بالكبير بن احمد الصنهاجي الدادسي ثم الدرعي الدار ، المتوفي عام تسع وعشرين والف ، وكان – حسب الحضيكي – شيخ المشايخ وعلم الاعلام ، وهو – بدوره – من اساتذة ابي عبد الله ابن ناصر (88) .

ومن اعلام هذا الوادي الذين اتجهوا الى تأسيس خزانة علمية في نفس الفترة ، نذكر اسم محمد بن ابراهيم الجزولي ثم الدرعي الدار والنشأة ، اخذ عن جماعة من الاعلام ، وصار علامة مشاركا ، وكان يذكر عنه انه مغرم باقتناء الكتب حتى جمع منها شيئا كثيرا ، ولما حج – عام 1035 هـ – انفق في ابتياع الدواوين العلمية مبلغ عشرة قناطير من الذهب (89) .

— * —

والآن سيصل بنا المطاف الى منطقة تمكروت خلال القرن الحادي عشر ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الناحية زارها في صدر نفس المائة احمد بابا التنبكتي العالم السوداني المعروف ، ومن المتوقع ان هذه الزيارة كانت في طريق عودته من المغرب الى موطنه بالسودان، وهو يسجل المامه بهذه الجهة عند اخريات فتوى كتبها في عين المكان ، وجاء في خاتمتها : « فرغ منه اذان ظهر الخميس 29 جمادى الثانية ، عام 1016 بتمكروت من بلاد درعة (90) » .

وبعد هذا فان تمكروت طارت شهرتها مع « الزاوية الناصرية » ، وكانت هذه المؤسسة وأشباهها تختط – في نحو هذه الفترة – بالارياف المغربية برسم السكنى نظير الواقع في سائر القرى ، غير ان هذه تحتضن مركزا خصيصا لاحياء السنة ، ونشر العلم ، وبذل الطعام .

وقد ادت الزاوية الناصرية خدمة كبرى في الحفاظ على الثقافة الاسلامية ، وبالخصوص في الجنوب المغربي خلال هذه الفترة التي نعرضها ؛ وهذا ما تسجله القولة المشهورة : « لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه ، وهم : سيدي محمد بن ناصر في درعة ، وسيدي محمد بن ابي بكر الدلائي في الدلاء، وسيدي عبد القادر الفاسي (91) .

وهكذا يتبين وزن الزاوية الناصرية ، ودور امامها محمد بن ناصر في نشر المعرفة ، وقد بدا نشاطه العلمي بهذه المؤسسة من عام 1040 هـ (92) الى ان توفي عام 1085 ويقول ابو علي اليوسي عن معارف استاذه ومجهوده في اشاعة العلم : « وكان – رحمه الله – مشاركا في فنون العلم ، كالفقه ، والعربية ، والكلام ، والتفسير ، والحديث ، والتصوف .. وكان – مع اكبابه على علوم القوم ، والتهاجه منهج الطريقة – لا يخل بالعلم الظاهر : تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا ، فنفع الله به الفريقين ، وصحبه الناس غربا وشرقا ..» (93) .

اما منهجه في التدريس فيقوم على تصحيح المتن المدروس وحل مشكله ، وهو يقول في هذا الصدد : « الاقتصار على صورة المسألة انفع للمبتدئين ، واكثار من الانقال اضر بالمتعلمين » (94) .

وهذه نماذج المؤلفات والمواد التي كان المترجم يدرسها ، ونقدم – اولا – قولة ابي سالم العياشي : « حضرت مجالسه في كثير من العلوم : فقها

(87) ترجمته عند المصدر الاخير ص 253 – 272 ، وانظر من نفس المصدر ص 315 ، مع طلعة المشتري ج 1 ص 127 .
(88) ترجمته في «الدرر المرصعة» ص 300 – 302 ، و«طبقات الحضيكي» ج 1 ص 87 .
(89) ترجمته في « الدرر المرصعة » ص 299 – 300 .
(90) تقع هذه الفتوى سادسة مجموع بخزانة تمكروت رقم 3999 .
(91) « نشر المثاني » المخطوط ، ونقله في « طلعة المشتري » ج 1 ص 133 .
(92) « فهرسة » ابي علي الحسين ابن ناصر ، مخطوطة عند البعض .
(93) «فهرسة» ابي علي اليوسي ، مخطوطة .
(94) « الدرر المرصعة » ص 326 .

العربية ، يحفظ التسهيل عن ظهر قلب (95) » .

وورد في ترجمته عند اليوسي : « قرات عليه التسهيل ، وجملة من مختصر خليل ، والتفسير ، والمدخل لابن الحاج ، والاحياء للغزالي ، وجزءا من البخاري ، والشفا ، وطبقات الشعراني » (96) .

وفي خصوص تدريس المادة الحديثية يقول ابن عبد السلام الناصري : « وكان الشيخ الامام ابو عبد الله بن ناصر ، يعمر ما بين الظهرين — دائما في ايام السنة — بقراءة الكتب الستة دراية ، فكلما ختم واحدا ابتدا آخر ، وفي رمضان يعود لسرد البخاري على عادة ابن غازي بفاس (97) » .

اما ابو علي الحسين شقيق المترجم فانه قرا على اخيه بالزاوية الناصرية ، وايضا بزاوية اغلان ، واثناء طريقهما الى الحج ، ودرس مجموعة مهمة من المتون والمؤلفات حسب اللائحة التالية :

« ختمت على الشيخ الشقيق شمس المعارف سيد محمد ابن ناصر : مختصر خليل بن اسحاق ست مرات : ثلاثا باغلان عام ثلاثة وخمسين واربعة وخمسين « يعني بعد الالف هـ » وختمة فيما بين مصر وطرابلس الغرب وبسكرة النخل عام سبعين ، وختمتين فيما بين ذلك — ايضا — عام ستة وسبعين وسبعة وسبعين ، والرسالة مرة ، والتسهيل لابن مالك خمس مرات ، وشرحه لابن عقيل مرتين ، والاول من المرادي عليه مرة ، وكافية ابن الحاجب وشرح الرضي الشريف مرة ، واليدوني (98) مرة ، وابن ...

وعلى الشيخ — ايضا — الصغرى للسنوسي وشرحه عليها ثلاث مرات ، والجزائري وشرح السنوسي عليه مرتين ، والحوضي وشرح السنوسي عليه مرتين ، والكافي في علم القوافي مرة ، والمقدمة وشرح المؤلف عليها ثلاث مرات ، والالفية لابن مالك ثلاث مرات ، والجرومية والمكودي عليها ثلاث مرات ، وابن عباد على الحكم مرتين ، وبعض الاحياء للغزالي اخذته عنه ، وسلاح المومن ، وبعض الترغيب والترهيب لابي عمر ابن عبد البر (100) ، وختمت عليه البخاري زهاء ست مرات ، ومسلما مرة .

وسمعت منه مواضع من ايضاح ابي علي الفارسي ، ومن الجمل للزجاج ، ومن كتاب سيبويه، وتذكرة الصيمري ، ومفصل الزمخشري .

وقرات عليه جل جمع الجوامع للسيوطي ، وبعض الجامع الصغير وبعض الجامع الكبير له ، ونصف ختمة من كهيعص الى من الجنة والناس برواية ورش وقالون : اداء وتفسيرا واعرابا ، وكفاية المتحفظ نحو خمس مرات ، والفصيح وموطاة مالك ابن المرحل ، وتهذيب البرادعي ، الى النكاح في غالب ظني ، وبانت سعاد ، ولامية العرب (101) » .

وستكون هذه اللائحة ثالثة النماذج للمؤلفات والمواد التى تدرس بالزاوية الناصرية وما اليها خلال هذه الفترة وقد كان بعض الكتب الدراسية يحفظها اعداد من الطلاب عن ظهر قلب ، وهذه محفوظات

---

(95) اقتفاء الاثر .. لابي سالم العياشي .

(96) « فهرسة » ابي علي اليوسي .

(97) كتاب « المزايا » مخطوط .

(98) تصحيف عن الودوني بالواو ، نسبة الى بيت بني الودون من قدماء بيوتات فاس، وهو البيت 26 من كتاب « ذكر بعض مشاهير اعيان فاس في القديم » ، وبالواو ورد ذكره عند القدومي في تعليقه على شرح المرادي لالفية ابن مالك اوائل باب البدل ، حسب مجلد مخطوط منه . والمعني بالامر هنا : ارجوزة محاذية لمغني ابن هشام ، نظمها محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الله الودوني، وصارت في عداد المواد الدراسية، ولهذا فان خزانة تمكروت تحتفظ بنسختين منها ضمن مجموعتين : الاولى : تحت رقم 1500 وهي مبتورة ، والثانية : تامة تحت رقم 1.722 .

(99) صارت في العرف الدراسي بالمغرب تستعمل في الاراجيز التى تتناول الرسم القرآني الكريم وضبطه واداءه ، حسب مراءة المحاسن ص 148 .

(100) سقط هنا اسم كتاب لابن عبد البر .

(101) هذه اللائحة المطولة وردت في « فهرسة » ابي علي الحسين ابن ناصر .

ابي علي الحسين ابن ناصر آنف الذكر ، حيث صار يستظهر في مرحلة تعلمه بتوجيه شقيقه الشيخ محمد ابن ناصر : الكراريس ، والالفية لابن مالك ، والرسالة القيروانية ، والمختصر الخليلي ، وتسهيل الفوائد لابن مالك ، ومنظومة اليدون التي حاذى بها مغني ابن هشام ، والعقيدة الصغرى للسنوسي ، والمقدمة الاجرومية ، ومنظومة الحوضي في العقائد، وارجوزة الونشريسي في المواريث ، والقصيدة الخزرجية ، وتهذيب المدونة للبرادعي ، وهذا لطوله المتناهي استغرق في حفظه ست سنين (102) .

وهكذا نتبين ان الزاوية الناصرية صارت مركزا علميا مرموقا خلال القرن الهجري الحادي عشر ، وفوق هذا تبنت العمل بالسنة ، والدعوة الى اقامتها ، ومنابذة البدع ، وذلك ما يشهد به ابو سالم ازاء سيرة استاذه ابن ناصر امام نفس المؤسسة : « كان شديد الاتباع للسنة في سائر احواله، حتى في لباسه واكله وفي انواع العبادات والعادات، سالكا في ذلك مسلك الشيخ المرجاني وابن ابي جمرة وابن الحاج واضرابهم (103) » .

وهذه شهادة احمد بن يعقوب الولالي في نفس الاتجاه :

« ... وكان شديد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرى واقفا بباب ملك من الملوك، ويتولى صلاة الجمعة بمسجده ، ولم يخطب لملك قط (104) » .

وقد درس على المترجم مجموعات كثيرة من الطلاب، وفيهم ايمة واعلام من مختلف جهات المغرب، ومن نماذجهم خارج درعة :

من سوس :

محمد بن ابراهيم الهشتوكي ، وابراهيم بن محمد الهشتوكي ، ومحمد بن احمد بن ابي بكر الهلالي (105) ، ومحمد بن محمد بن سليمان الروداني (106) .

ومن سجلماسة :

مبارك بن عبد العزيز العنبري الفرفي ، وعبد الملك بن محمد التجموعتي ، واخواه : احمد ومحمد، واحمد بن عبد العزيز ابن ابي محلي (107 ، ومحمد بن عبد اللطيف الفيلالي الوتجاني (108) .

ومن الاطلس المتوسط :

ابو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي (109) ، وابو علي الحسن بن مسعود اليوسي (110) .

ومن جهات اخرى :

محمد المدعو البهلول بن عبد الرحمن البوعصامي ثم المكناسي (111)، وابو الحسن علي المراكشي (112) وابو العباس احمد ابن عبد القادر التستوتي (113). وعبد الرحمن بن عبد القادر السويدي المكناسي نزيل تمكروت (113 ب)

— * —

وبعد وفاة المترجم خلفه في رئاسة الزاوية الناصرية ابنه الامام ابو العباس احمد ، المتوفى عام تسعة وعشرين ومائة والف هـ .

---

(102) المصدر الاخير .
(103) « اقتفاء الاثر » ..
(104) نقله في « نشر المثاني » ج 2 ص 20 .
105 « الدرر المرصعة » ص 311 .
(106) طبقات الحضيكي ج 2 ص 62 .
(107) « الدرر المرصعة » ص 311 .
(108) المصدر الاخير ص 333 .
(109) « اقتفاء الاثر » .
(110) « فهرسة » ابي علي اليوسي .
(111) « الدرر المرصعة » ص 311 .
(112) المصدر الاخير ص 333 .
(113) انظر ترجمته من « اتحاف اعلام الناس » ج 1 ص 329 — 334 .
(113 — ب) كتاب المزايا .

الدين ، عاكفا على تدريس المؤلفات المتنوعة (114) ، وهذه لائحة بما درسه عليه واحد من الآخذين عنه ، وهو ابن اخيه موسى بن محمد الكبير بن الشيخ محمد ابن ناصر ، وهي التي يقدمها مؤلف الدرر المرصعة (115) عند ترجمة والده ابي عمران :

« واخذ عن عمه العلامة الشيخ ابي العباس المذكور ، ولازمه ، وقرا عليه كتبا كثيرة ، منها الموطا ومسلم مرة ، وابن ماجه مرة ، والترمذي وابو داود مرة ، وارشاد الساري في شرح البخاري من اوله الى آخره والبيضاوي ورسالة القشيري مرة ، والعهود الصغرى مرتين ، وقوت القلوب مرة ، والسهروردي مرة ، وابن عباد مرة ، ولطائف المنن لابن عطاء الله مرة ، والهدي النبوي والمواهب اللدنية للقسطلاني مرة ، وسيرة الكلاعي مرة ، والحلية لابي نعيم مرتين ، والمدخل لابن الحاج مرتين ، وابن ابي جمرة مرتين ، ومرائيه ومرائي ابن الحاج ، وغيرها من الكتب الاسلامية ، وصحيح البخاري غير ما مرة » .

وبالنسبة الى المادة الحديثية داب المترجم على عقد مجلس حافل لقراءة صحيح البخاري وغيره من كتب الصحاح ، حيث يحضره الجم الغفير من العلماء الاعلام ، حسب تعبير المصدر المعني بالامر ، الذي يبرز من بين هؤلاء الاسماء التالية :

محمد الملقب بالصغير الورزازي ثم الدرعي ، وعبد الكريم آسكي السوسي ، وابا العباس احمد الهشتوكي ، وابا اسحاق اراهيم الاستاذ ، وابا علي حسين بن محمد بن شرحبيل البوسعيدي الدرعي ، واخ المترجم محمد الكبير ، وولد هذا الاخير ابا عمران موسى (116) .

وهذا ما يسجله الافراني (117) عن سيرة ابي العباس ابن ناصر :

« كان ــ رحمه الله ــ امام وقته علما وعملا ، قوالا بالحق ، شديد الشكيمة على اهل البدع ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، متصاونا ، مقبلا على ما يعنيه ، متابعا للسنة في اقواله وافعاله ، حريصا على احياء السنن واماتة البدع ، فهدى الله به اقواما ، ونفع به اناسا كثيرا ، ولقد كان بعض اشياخ العلم بفاس يقول في الحديث الشهير : لا تزال طائفة من امتي بالغرب ظاهرين على امر الله ، لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله : انه ان لم تكن هذه الطائفة الآن بتمكروت فلست ادري من هم (118) ، لاقامة السنن فيها على وصفها المالوف » .

ويقول الحضيكي (119) عن نشاط الزاوية ايام المترجم : « ولقد اقام الزاوية لاقامة دين الله ، واطعام الطعام ، تزدحم عليه وفود العرب والعجم ، وياوي اليه ــ من المساكين والفقراء ، وطلبة العلم ، والمجاورين المقيمين : من الفقهاء والمدرسين والعباد باهاليهم واولادهم ياكلون ويشربون بفضل الله تعالى ــ من لا يحصون عددا » .

ومن جهة اخرى شهدت نفس الزاوية ايام ابي العباس ابن ناصر ، بنايات مدرسية طبعتها بشارات تعليمية جديدة ، فقد اسس ــ بجانب جامع الخلوة في قبلته ــ ايوانا لطيفا ليكون مركزا للتدريس ، ومن خلفه ابتنى حماما برسم استحمام الطلبة وسواهم من الوافدين ، وزوده بالماء الساخن في سائر الاوقات ، وبمقربة منه شيد مدرسة لسكنى طلاب العلم المجاورين (120) .

---

(114) « صفوة من انتشر » ص 221 ، طبقات الحضيكي ج 1 ص 79 ــ 80 .
(115) « الدرر المرصعة » ص 430 ــ 431 .
(116) « طلعة المشتري » ج 2 ص 100 .
(117) « صفوة من انتشر » ص 221 .
(118) صاحب هذه القولة هو الامام ابو السعود عبد القادر الفاسي ، انظر « طلعة المشتري » ج 1 ص 151 .
(119) « الطبقات » ج 1 ص 79 .
(120) « الدرر المرصعة » ص 55 .

دار الكتب الناصرية :

ابتدا تاسيسها من ايام ابي عبد الله بن ناصر، وبذل مؤسسها مجهودا مهما في جمع كتبها الاولى، والى جانب المؤلفات التى اقتناها بالشراء ، نسخ بنفسه واستنسخ العديد من الدواوين العلمية .

ومن منتسخاته ـبخطه ـ يذكر «القاموس» للفيروزابادي ، و«الامالي» لابي علي القالي ، وبعض كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، ورابعا « المنصف من الكلام ، على مغني ابن هشام » للشمني ، وهذا الاخير لا يزال محفوظا ضمن المجموعة الباقية بتمكروت تحت رقم 637 .

وسوى هذا اعتنى نفس المؤسس بتصحيح الكتب ومقابلتها ، وتقييس الفوائد بهوامشها ، وقد عاين ابو العباس الهشتوكي كثيرا من كتبه عليها خطه معارضة وتهميشا ، خصوصا نسخ الصحيحين البخاري ومسلم (121) .

ومن الهدايا لنفس المؤسسة في فترة تاسيسها، ما يذكره ابن عبد السلام الناصري (122) في صدد اعتناء الشيخ ابن ناصر بروايات صحيح البخاري :

« ... ثم ان الامام ابا زيد عبد الرحمن المكناسي (123) ، اهدى لشيخه ابن ناصر المذكور : نسخة عتيقة رباعية من ثمانية عشر جزءا رواية ابي ذر الهروي .. ثم تنافس تلامذته : اليوسي والتجموعتي والعياشي وابو الحسن علي المراكشي في ذلك ، فجاء كل للشيخ بنسخة جيدة مقروءة » .

ويبدو ان الخزانة ـ في عهدها الاول ـ لم تكن تتوفر على مركز منتظم ، ويدل لهذا ان الكتب ـ في هذه الفترة ـ كانت موضوعة على الارض مباشرة ، حتى اهدي لمؤسسها حصير ليفترشه لنومه ، فآثر به وضعه تحت الكتب وقاية لها ، واستمر ينام هو واسرته على التراب (124) ، وهو نموذج نادر التضحية في سبيل العناية بالكتب .

وبعد هذا : فان الصبغة الوقفية للخزانة الناصرية ، بدات في وقت مبكر من حياة الامام ابي عبد الله ابن ناصر ، وقد ذكرنا ـ سلفا ـ من منتسخاته بخطه ، كتاب « المنصف من الكلام على مغني ابن هشام » الذي يحمل ـ بنفس الخزانة ـ رقم 637، ونسجل الآن ان ناسخه ذيله ـ في آخره ـ بالتصريح بتحبيسه وسائر كتبه على زاوية سيدي عبد الله بن الحسين : (الزاوية الناصرية من بعد) بسفالة تمجروت بدرعة عام 1048 هـ .

— ✻ —

وقد شيدت بناية الخزانة بعد ما صارت الى نظر ابي العباس ابن ناصر ، وهو الذي اشترى لها الكتب بالاحمال من المغرب والشرق ، وضرب ـ في هذا الصدد ـ رقما قياسيا لم يلحق شاوه فيه احد من شيوخ الزاوية الناصرية ، ومن هذا انه ـ في دعوته الاخيرة ـ استساف بمصر آلافا من المثاقيل واشتراها كلها كتبا (125) ، ولا شك ان هذه الاعداد زائدة على المبالغ التى سيكون المعني بالامر استصحبها معه ـ من المغرب ـ لنفس الغاية .

ومن المعروف انه هو الذي جلب الى المغرب ـ لاول مرة ـ النسخة اليونينية من صحيح البخاري ، وهي موزعة بين عشرة اجزاء بخط شرقي ، وعلى اول الجزء الاول منها بخطه : « ملك لله تعالى ، بيد احمد بن ناصر كان الله له ، بمكة المشرفة ، بثمانين دينارا ذهبا (126) » .

وبعد عهد ابي العباس ابن ناصر اضيف الى دار الكتب هذه مؤلفات كثيرة ، بالشراء والاستنساخ من جهة مشايخ الزاوية ، او عن طريق الاهداء ، فضلا عن خزانات بعض الاعلام ، ومنها خزانة ابي

---

(121) المصدر الاخير ص 311 .
(122) كتاب « المزايا » .
(123) يقصد به عبد الرحمن بن عبد القادر السويدي نزيل درعة بتمكروت ، والمترجم في « الدرر المرصعة » ص 225 ـ 227 .
(124) المصدر الاخير ص 311 .
(125) « كتاب المزايا » .
(126) لا تزال هذه النسخة بقيد الوجود : خ ، ع ، ق 481 .

العباس احمد بن ابراهيم السباعي (127) ، وخزانة ابي العباس احوزي الهشتوكي (128) ، واخيرا : خزانة ابي الحسن علي الدمناتي ، حيث لا تزال خزانة الزاوية تحتفظ باوضاعه المتنوعة ، واكثرها بخط مؤلفها .

وفوق هذا فان بعض شيوخ الزاوية عملوا على حيازة المؤلفات الموقوفة على الزوايا الفرعية ، لنقلها الى الخزانة المركزية بتمكروت ، ولهذا لا تزال هذه الخزانة تحتفظ بمخطوطات موقوفة على زوايا الرباط وفاس وتطوان ، حسب ارقام 214 ، 284 ، 1478، 1866 ، 1047 ، هذا فضلا عن الكتب التى كانت موقوفة على زاوية الفضل وجامع الخطبة بتمكروت، حسب رقمي : 541 ، 1323 .

وعن موضوعات كتب الخزانة ايام ازدهارها يقول ابن عبد السلام الناصري (129) :

« .. اذ كثرة كتبها – اي الزاوية – ما علق على كتاب الله من تفسير وحاشية مما بعد الثعالبي والواحدي ، وقطعة منهما ، وليس بها من قبلهما الا جزء من تفسير ابن جرير الطبري ..

وعلى الحديث ، وليس بها من قبل الكتب الستة (130) .

ثم ما علق على الرسالة وابن الحاجب وخليل .

وتآليف ابن مالك وما علق عليها .

وتآليف الصوفية قديمة وحديثة .

والكتب الستة .

وجمع من تواريخ المؤرخين .

وامهات اللغة والنحو ككتاب سيبويه .

والفقه : كتهذيب البرادعي ، ونهاية المتيطي ، واختصاره لابن هارون ، واما ابن يونس ، والمازري واللخمي، والنوادر على المدونة : فاجزاء لم تكمل ، كاجزاء قديمة من البيان لابن رشد .

وما انعم بنسخة جيدة منه من ثمانية عشر جزءا الا امير المومنين : ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، حضرت استنساخه له اواخر السبعين ، فبعثه محبسا له هنا تقبل الله منه (131)

كشرح ابي علي بن رحال فى اربعة عشر جزءا، بعث رحمه الله ورضي عنه – نسخة منه ومالا: نحو اربعمائة مثقال حتى استنسخه هنا ، فحبسه واسترجع الاصل ، شكر الله سعيه » .

— * —

وقد اخذت هذه المؤسسة تتراجع من صدر المائة الهجرية الثالثة عشر، حيث يسجل نفس المصدر (132) ضياع الكتب من الخزانة ، وجهل المعنيين بالامر وجود الباقي منها ، وهو يقول عن المؤلفات الضائعة : « وكم رددنا منها لمحله بالفداء وبغيره .. »

— * —

وكانت الخزانة فى فترة ازدهارها تخضع إلى انظمة وتقاليد متبعة .

فقد ثبت عن ابي العباس ابن ناصر انه رتب محتوياتها حسب العلوم ، وجعل لكل نوع علامة تميزه عن غيره (133) .

ولم يكن يمنع اعارة الكتب لمستحقيها (134).

---

(127) كتاب « المزايا » .
(128) المصدر الاخير .
(129) نفس المصدر .
(130) سبق قلم ، وكان بالخزانة ولا يزال نسخ من كتاب الموطا المؤلف قبل الكتب الستة .
(131) لا تزال هذه النسخة بقيد الوجود : خ. ع.ق 439 ، وفى آخر المجلد 18 ان هذا الديوان الفقهي كتب بامر السلطان العلوي محمد الثالث بمدينة فاس ، فى صفر الخير عام 1.178 هـ .
(132) كتاب « المزايا » .
(133) « الدرر المرصعة » ص 55 .
(134) سيرد مصدر هذه الفقرة ضمن الملحق الاول لهذه الدراسة .

وثبت عنه انه قال لاهاليه فى توصيته بالكتب : « ان انتم حفظتموها وتعاطيتموها كما هو المألوف حفظها الله لكم ، وجلب لكم غيرها ، والعكس بالعكس (135) » .

وعن نظام الاعارة والمحافظة على الخزانة يقول محمد بن عبد السلام الناصري (136) : « والذي ادركنا عليه من هو اهل للولاية بالزاوية ينظر الاصلح الاقوى الاعلم ، فيفوض له الامرفى الكتب ، يدخل للخزانة حتى ياخذ ما فيه كفاية الطلبة ، ويعطي كلا من المتعلمين بالزمام ما يحتاج اليه ، وعلى راس كل سنة آخر رمضان يحضر الزمام ، ويعاهدون كل من بيده كتاب من المعلمين والمتعلمين » . ولم يعرف للخزانة دفتر قديم يستوعب محتوياتها ، واول لائحة معروفة هي التي وضعت لها ــ بعد تراجعها ــ بمبادرة شيخ الزاوية ، ابي العباس احمد بن ابي بكر الناصري ، وتحمل تاريخ 20 جمادى الثانية عام 1336 هـ ، وهي تشتمل على حوالي الفي مخطوط دون اعتبار محتويات المجاميع ، وجاء ترتيب ابواب اللائحة هكذا :

ــ كتب خزانة الروضة الناصرية .

ــ كتب خزانة الاشياخ .

ــ كتب الطارمة العلوية (137) .

ولا تزال هذه اللائحة مخطوطة فى نسختين من حجم صغير مستطيل : احداهما بالخزانة العامة رقم ج 975 فى 74 ص ، والثانية بالمكتبة الملكية رقم 5657 فى 82 ص .

— ✻ —

اما المقر القديم للخزانة فالظاهر انه لم ينتظم الا مع ولاية ابي العباس ابن ناصر ، حيث وضعت محتوياتها فى دار على حدة صارت تعرف « بدار الكتب » .

وقد جاء عن ابن العباس ابن ناصر انه ابتنى خزانة جيدة لهذا الفرض (138) ، كما انه اعتنى ــ اكثر ــ ببيت للكتب شاده عام 1123 هـ واتقنه ببدائع الصنعة ، واستجلب له الصناع من فاس ، وجمله بطاقات مغطاة بالزجاج الملون ، فاذا اشرقت الشمس انعكس شعاعها الى الداخل ، ليزيد منظر بيت الكتب حسنا وبهجة ، وقد وصف مباهجه شاعر معاصر فى قصيدة مطولة ، على هلهلة فى بعض اساليبها ووزنها واوصافها ، وهكذا يقول ابو عمران موسى بن محمد الكبير بن ابي عبد الله بن ناصر :

علم المحاسن قد اناخ بروضة
ذات السنا ومقر دين محمد

راقت فابرق نورها افق العلا
فتبلغ الاصباح اسنى مقصد

بيت حوى كل المحاسن فازدهى
عجبا وفاق على كل مشهد

بهر العيون بهاؤه وسناؤه
وسبا العقول بحسنه المتجدد

ان قلت فيه انه شمس الضحى
او فيه من لؤلؤ لم تفند

هبت معالي السعد فى عرصاته
والزهر لاح فى اعاليها النـد

لم يبق بيت للمعالي مهذب
الا تاخر عن معالي السؤدد

حازت مفاخره سناء المجد من
برد الليالي وحسن صدق تهجد

بيت حوى من كل علم زهرة
واعز كل ماجد وممجد

اضحت تلاحظه البدور تادبا
ومن الحياء يروم اعلى مقصد (139)

---

(135) كتاب « المزايا » .
(136) المصدر الاخير .
(137) كلمة الطارمة تعبير مغربي عن مخبا مستور عن الانظار .
(138) « الدرر المرصعة » ص 55 .
(139) المصدر الاخير ص 448 ــ 449 .

يبلغ مجموعها 33 بيتا مزدوجا .

وقد استمرت هذه الخزانة « بدار الكتب » – الآنفة الذكر – حتى العقود الاخيرة ، وكان موقعها من ملحقات سكنى شيخ الزاوية ، فى بناية مرتفعة تشتمل على بيتين : احدهما : «بيت الكتب الكبير»، وهو الذى تصفه القصيدة فيما يظهر ، والثاني : يعرف « ببيت الكتب الصغير » ، مع مخبأ عال يعرف « بالطارمة العلوية » ، وثلاثتها مستودعات للكتب فى خزانات خشبية موزعة حسب العلوم ، ومرقمة من واحد فاعلى .

وقد اخرجت من هذه الدار – فى تاريخ غير محدد – مجموعة من المؤلفات الحديثية وبعض كتب التفسير واللغة والتصوف ، ووضعت – على حدة – داخل المشهد الناصري ، فى خزانات حائطية صار مجموعها يعرف بخزانة الروضة .

واخيرا : نقلت المخطوطات من دار الكتب وخزانات الروضة ، ووضعت – جميعها – بالمدرسة القديمة .

والآن : صارت الكتب الباقية فى بناية جديدة شيدت – خصيصا – برسم هذه الخزانة ، وجاء موقعها بمقربة من خارج باب الرزق فى الجنوب الغربي للزاوية ، والبناية المكتبية عبارة عن قاعة فسيحة فى طولها وعرضها ، تتخللها نوافذ الضوء والتهوية ، وهي مجهزة تجهيزا مناسبا برفوف خشبية مغطاة بواجهات زجاجية لحفظ المخطوطات وصيانتها ، فضلا عن مقاعد وطاولتين للقراء .

وهذه المجموعة الباقية هي التى انتدبت لاحصائها من جهة معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ، حيث قمت بهذه المهمة حسب امكانيات المراجع التى كانت محدودة – جدا – فى عين المكان ، وتكرم بمساعدتي فى نفس العملية زمرة كريمة من نبلاء الزاوية الناصرية وعلى راسهم قيم الخزانة ، ومن خارج الزاوية : ناظر اوقاف زاكورة ونائبه وصديق من الخزانة العامة وناظر اوقاف زاكورة ونائبه وصديق من الخزانة العامة وناظر اوقاف ورزازات ، واولا واخيرا سيادة عميد الزاوية، المشروع .

وقد استغرقت عمليات الاحصاء فترتين اثنتين: امتدت اولاهما تسعة ايام : من عشية الاربعاء 21 الى مساء الخميس 29 ربيع الاول النبوي عام 1393 هـ. الموافق 25 – 4 . 3 – 5 – 1973 م ، بينما امتدت الفترة الثانية عشرين يوما : انطلاقا من صباح الخميس 14 ربيع الثاني ، الى مساء الثلاثاء 3 جمادى الاولى عام 1393 هـ . الموافق 17 – 5 . 5 – 6 – 1973 م ، وبهذا صار مجموع ايام العمل 29 يوما ، علاوة عن ايام الانتقال فى الذهاب والإياب .

وقد اسفرت هذه الاحصائيات عن الفهرس الذى سيستوعب قرابة 4200 ، بين مخطوطات مستقلة مهما تعددت اجزاؤها ، ومؤلفات اخرى ضمن المجاميع ، والله – سبحانه – ولي العون والتوفيق .

— * —

والآن سنذيل عرض دار الكتب الناصرية بملاحق موضوعية ، ويتضمن اولها نصا فريدا عن ماضي نفس الخزانة ، كتبه السيد ابو الاسعاد الكتاني (140) ، ونقتطف منه ما يلي :

« واما المكتبة الناصرية فمنسوبة الى الشيخ ابي عبد الله محمد بن ناصر ، وولده الامام أبي العباس احمد ، صاحب الرحلة الحجازية المطبوعة فى فاس فى مجلد ضخم ، وهي مكتبة شهيرة لم يتيسر لي دخولها ... وانما المسموع ان فيها عجائب الغرائب ، ونفائس المخطوطات ، خصوصا فى فن الحديث والسير .

ومما وقفت عليه من كتبها : علوم الحديث للحاكم ، ونسخةمن فهرس ابن غازي وروض الهتون بخطه .

وكان الشيخ ابو عبد الله ابن ناصر رحمه الله ، شديد الكلف بالكتب شراء واستنساخا حتى بيده ، فقد وقفت من كتب الزاوية على نسخة من العقد الفريد لابن عبد ربه بخط يمينه ، مؤرخا ختمه بالعربي والعجمي ..

---

140) قطعة من رسالة عن المكتبات الاسلامية ، مبيضة المؤلف ، خ . ع، ك 3002 .

وفي الروض الزاهر ــ لما ترجم لولد الشيخ : ابي العباس احمد الخليفة ــ كان معتنيا بشــراء الكتب واقتنائها ، قيل انه اشترى نسخة من صحيح البخاري بمكة بثلاث وسبعين مثقالا ذهبا هـ .

وكان كل من يتولى امر الزاوية المذكورة يسعى في زيادة كتبها ، وغالب من يموت من اعلام الزاوية واولادها تضاف كتبــه الى المكتبة العامة ، وهـي زاوية كانت محجوجة من العلماء من جميع الآفاق ، وكان ولاتها وشيوخها يرغبون العلماء الافاقيين في سكنى زاويتهم لبث العلـم ، حتى بتزويجهم مـن اخواتهم وبناتهم ، وبذلك عظم امرها ، ونمي اثرها ، وذكي طيبها ، كان يفعل ذلك ــ قديما ــ الشيخ ابو العباس احمد بن محمد ابن ناصر ، وفعله ــ اخيرا ــ خاتمة اعلامها : سيدي ابو بكر بن علي بن يوسـف ، زوج الحاج علي بن سليمان الدمنتي ببنته ، وهناك ــ عندهم ــ اختصر حواشي السيوطي على الكتب الستة ــ وطبع الاختصار وغيره ، رحمـه الله ، واعقب المذكور ولده ابا عبـد الله محمـدا ، الـذى اوصى بكتبه حين الموت لخزانة الزاوية ايضا على العادة .

وقد ظفـرت بمكتوب كتبــه ــ من الزاويــة الناصرية ــ ابن عبد الســلام الناصـري بخطــه ، لشيخه فخر فاس ابي العلاء العراقي بتاريـخ 25 محرم عام 1182 ، يقول فيه :

« واما ما أكد به سيدي علي من مقابلة ما لدينا من كتب الاثر بما لديك منها، فقد وجدت اكثرهــا مكررا ، وها انا اخبر سيدي بما ظفـرت بــه دون ما لم اطلع عليه لكثرة الكتب :

السيرة الشامية ، النهاية لابن الاثير ، الفائق للزمخشري في الغريب، الاول من نهج النهاية (141)، الكفاية في مختصر النهاية (142) ، زيادة الجامـع الصغير في سفرين ، زيادة الكبير في سفرين ، اعراب مشكل الحديث للسيوطي سماه عقـود الزبرجـد ، الجمع بين الصحيحين للفرغاني ، المصابيح للبغـوي ومشكاتها ، وشراح الجميع ، شرح السنــة له في خمسة اجزاء ضخام ، المقاصد الحسنة للسخاوي ، التذكرة القرطبي ، الدلائل لثابت السرقطي ، الجمع بين الصحيحين لعبد الحق الازدي ، عمل اليــوم والليلة النسائي ، المختار . الجامع بيـن المنتقـي والاستذكار للتلمسـاني ، المبهمات للعراقـي ، شرح العمدة لابن الاثير ، علوم الحديـث لابـن الصـلاح ، المطالع لابن قرقول في ثلاثة اسفار ، الدر المنظم ، في مولد النبي المعظم مجلد ، الماعون في فضل الطاعون، كنز العمال في اسـفار ستة ، اسنـى المطـالب فـي صلة الاقارب ، المعجزات للاسفراينـي ، الرابع من مسند الفردوس ، نوادر الاصول للحكيم الترمذي ، غريب الحديث لابن الجوزي ، الدر النقي ، في الرد على البيهقي ، الحدائق في سيـرة سيـد الخلائـق للمستغانمي بخطه ، انس المنقطعين ، شرح اربعيـن البيهقي لابن حجر ، جزء من شرح ابن ماجه للحافظ الدميري ، الثالث من جامع الاسانيـد للذهبـي ، الكنوز المختومة والسعادة المقبولة لهذه الامة المرحومة ــ من اربعة اجزاء ــ للحلبي ، العيني علـى عمـل اليوم والليلة بخطه ، مناهل الصفا بخط السيوطي، موضوعات ابن عراق (143) ، تخريـج احاديـث الكشاف لابن حجر ، تلخيص المستدرك بخط الحافظ ابن حجر ، الاخير من ميزان الذهبي بخطه ، الاول من مسـند الفردوس للديلمي ، الترغيب والترهيب لابي القاسم بن اسماعيل (144)

واما التواريخ فكثيرة : ابن عساكر : جــزء ضخم قال فيه : من تجزئة عشريـن ، والبدايــة والنهاية لابن كثير ، في سبعة اسفار ، وابن فورك ، وغير ذلك مما لم يتيسر لي استقصاؤه .

واما التفاسير فكثيرة ، منها بضع واربعون هنا من غير تكرار .

واما تآليف الامام السيوطي فلا تكاد تنحصر هنا كثرة ، اكثرها بخطه .

واما المسانيد فغالب ظني انها قليلة .

(141) كان الاصل بهجة النهايـة : اشارة الى « بهجـة النفـوس » لابن ابي جمـرة الذي شرح به مختصره اصحيح البخاري المسمى : « نهاية في بدء الخير وغاية » .

(142) « الكفاية مختصر الهداية » لبرهان الدين المرغيناني ــ تآليف علاء الديـن ابن التركمانـي ، « كشـف الظنون » ، مطبعة دار السعادة ج 2 ص 650 .

(143) انظر « كشـف الظنون » ج 1 ص 337 .

(144) ابو القاسماسما عيل ، وابن زائدة .

واما شرح البخاري ومسلم وحواشي الستة وغير ذلك مما هو متداول من كتب الحديث فلا يحصر كثرة .

هو من خط ابن عبد السلام الناصري ، وتاريخ المكتوب المذكور يعطي ان الحافظ العراقي لم يقراه ، لانه وجده توفي، وانا ظفرت به اثناء بعض مجموعات اولاده رحمهم الله .

وتكلم ابن عبد السلام المذكور في شرح الاربعين الجوهرية على كتاب فردوس الاخبار لابن منصور الديلمي ، ومسنده لابي شجاع ، قال : وهما لدينا ؛ ونقل في الشرح المذكور عن تلخيص المستدرك للذهبي فقال : هكذا في نسخة عتيقة منه عندنا ، وعليها خط الحافظ ابن حجر هـ ..

وتكلم على المكتبة المذكورة ابن عبد السلام المذكور، في كتابه : « المزايا فيما حدث من البدع بام الزوايا » ، الذى الفه عام 1230 بعد مكتوبه السابق باربعين سنة (145) ، وهي البدعة 45 ، قال: ومما احدث بها تضييع خزانة الكتب بها ، بتركهم معاهدتها كل سنة مرة ، بجمع ما بيد الطلبة منها بالزمام ، اذ كانوا اخذوه بذلك ، فترد اليهم بذلك ، ومن استغنى عن شيء منها رده وضرب على زمامها ، ومن رغب في كتب اخرى من يد من ردها ، او اخرجت له من الخزانة ، فنشا عن ذلك تمرين الطلبة ، ومعرفتهم ما حوته الخزانة مما لم تحوه ، فتسبب عن ذلك مزيد علم وانتشاره .

هذا الذى ادركنا عليه القوم في سيرتهم في كتب الاحباس ، والآن اهمل ذلك ، فنشا عنه ضياع الكتب وجهلها ، حتى ان طلب منهم ــ الآن ــ كتب لا يعرفون اهو في خزانتهم ام لا .. وسير بها الى الآفاق، وكم رددنا منها لمحله بالفداء وبغيره »هـ.

ولما تكلم ابن عبد السلام المذكور في رحلته الكبرى على شرح ابن المرابط (146) الدلائي على التسهيل قال : اخبرنا انه بالخزانة الناصرية في اوراق ، الا انا لم نظفر به بعد البحث التام ، ولعله من الكتب التى سال بها الوادي هـ ..»

والى هنا تنتهي مقتبسات الملحق الاول عن سالف دار الكتب الناصرية ، وعن نفس الفترة نقدم بقية الملاحق ، في ثلاث رسائل علوية في موضوع كتب نفس الخزانة :

الرسالة الاولى :

صادرة عن السلطان محمد بن عبد الله ، الى كبير الزاوية : الشيخ يوسف الناصري ، جوابا عن كتاب هذا الاخير ، في غرض انتساخ البيان والتحصيل لابن رشد برسم هذه الخزانة ، ونص المراد من الرسالة الملكية :

« .. محبنا في الله ، السيد يوسف الناصري، وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال ، وبلغنا واياكم المقصود والآمال ، سلام عليكم ورحمة الله واتم البركات ، والتوفيق المصاحب لكم في الحركات والسكنات .

وبعد : فقد وافانا كتابكم ، وسرنا العذب خطابكم ، واستروحنا كانكم تستنجزون ما واعدناكم به من (البيان والتحصيل) . اعلم ان ذلك منا على بال، ووعدنا ــ والحمد لله ــ كالاخذ باليد لا تطرق ساحته اغفال ولا اهمال ، وها نحن امرنا علماء فاس وقاضيها ، بنسخه من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين ، ليس بها تصحيف ، ولا مسخ ولا تحريف ، فكونوا على تشوف اليه عن قريب ان شاء الله .

ونحن واياكم على المحبة التى لا يتزلزل مرصوصها ، ولا يتاول منصوصها ، وزودونا بصالح دعواتكم ، ونجيح رغباتكم ، فانا لا غنى لنا عن بركاتكم ، والله يعيننا واياكم على القيام بامور الدين ، بمنه وكرمه آمين ، والسلام ، وفى ثامن عشرين من ذي الحجة عام 1177 .. » .

الرسالة الثانية :

من السلطان المولى سليمان ، الى رئيس نفس الزاوية : الشيخ علي بن يوسف الناصري ، في غرض

---

(145) بل بثمانية واربعين سنة .
(146) كلمة ابن زائدة .

استعارة كتابي التفسير والنزهة لابن كثير من الخزانة الناصرية ، ونصها بعد الافتتاح :

« محبنا في الله تعالى ، الفقيه ، الخير ، الدين ، السيد علي بن يوسف ، حفظه الله ، بعد السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، واسأله - سبحانه - لنا ولكم سلامة الدارين ، والتوفيق لما يحبه ويرضاه .

وفيه نؤكد عليكم ان توجهوا الينا التفسير لابن كثير ، مع النزهة له ، ولابد من غير تطويل .

ثم ، اننا نتشوف ونتشوق الى ورودكم على حضرتنا العلية بالله ، كما كانت عادة الاسلاف رحمهم الله ، ولو امكنا القدوم عليكم بانفسنا لفعلنا ، فالآن نؤكد عليكم مهما امكنكم ان تقدموا علينا فاعزموا به ، فاننا نحبكم ، مع ملاحظة محبة سلفكم . والله - تعالى - يديم توفيقكم بمنه ، والسلام ، في ثامن وعشري جمادى الثانية ، من عام 1211 .

ومن تمامه ، ان مرادنا الكتب المذكورة ان ننسخها ونردها اليكم ان شاء الله ، والسلام ، في تاريخه » .

الرسالة الثالثة :

من السلطان عبد الرحمن بن هشام ، الى عميد الزاوية : السيد ابي بكر بن علي الناصري ، في موضوع حاشية الطيبي على الكشاف للزمخشري ، وقد كانت الجهة السلطانية استعارتها من هذه الخزانة ، وكتب شيخ الزاوية في شأن استعادتها ، ونص المراد من الرسالة الملكية :

« ... وحاشية الطيبي لا زالت عند الناسخ ، لان خطها مشرقي مغلق ، والذي يفهمه يلقي على الناسخ شيئا فشيئا ، فلذلك أبطأ ، وحين يكمل عمله تصلك ان شاء الله ، والله يجازيك خيرا على اهتمامك بشأن الكتب ، ومحافظتك عليها ، فهاكذا ينبغي ، والسلام ، في 2 صفر الخير ، عام 1251 (147) » .

الرباط - محمد المنوني

(147) الرسائل الثلاث من كتاب « النهضة العلمية ، على عهد الدولة العلوية » لابن زيدان ، حسب مقتبسات من المخطوطة الاصلية .



لقد كان لتأسيس مدينة فاس اكثر من مغزى . فهو تركيز لدولة ، وارساء لنظام ، وتمكين لسلطة ، وتتويج لجهد . وهو نشر لرسالة ، واعلاء لراية ، وتدشين لحضارة. انها فاس، ذوق المغرب الجميل ، وفكره الحي ، وواحته الخضراء الظليلة ، وديوان شعره الرائع . على ارضها انعقدت المحاسن ، وبين خمائلها تجلت المفاتن . وان لمدينة فاس مكانة خاصة في تاريخ المغرب ، شبيهة بمكانة قرطبة من الاندلس ، والقاهرة من مصر ، ودمشق من سوريا ، وبغداد من العراق ، وذلك راجع الى الدور الحضاري الكبير ، الذي قامت به منذ تأسيسها ، ولما كان لها من صدى بعيد في الشمال الافريقي . فهي مصدر اشعاع روحي قوي ، عم نوره اكثر أجزاء القارة الافريقية ، وامتد الى شبه جزيرة ايبرية ، والى الشرق العربي . وقد اسست عدة مدن في المغرب بعد تأسيس فاس ، ولكنها لم تستطع ان تتفوق عليها او تماثلها في اداء رسالتها الحضارية ، ولا أن تحول الانظار عنها بالرغم من ان لبعضها شأنا كبيرا في تاريخ المغرب السياسي والثقافي . وهنا نقف لنتساءل : ما هي اسباب هذه المكانة العالية التي احتلتها فاس ؟ ومن اين لها أن تكون هي مصدر الاشعاع الفكري والروحي بالنسبة الى جميع تراب المغرب ، وبالنسبة الى اقطار افريقية وغربية بعيدة ؟ ولماذا كان لها صدى بعيد المدى في الثقافة المغربية والاندلسية ؟ اعتقد ان كل ذلك راجع الى الاسباب التالية :

1) ان السبب الاول فيما اعتقد، هو ان فاس ملأت بعد تأسيسها فراغا حضاريا . نعم لقد كانت قبلها مدن مغربية قديمة مثل طنجة ، ولكنها لم تستطع ان تنجح فيما نجحت فيه فاس في هذا المضمار ، مع عدم الاستهانة بدورها التاريخي الذي لا يخلو من خطورة . ولا أبعد عن الحقيقة التاريخية اذا انا قلت ان بعض مدن الشمال كانت آثارها مقصورة على الساحل الشمالي وبعض مناطق جبال الريف ، حيث كانت تتلقى المؤثرات اللاتينية وتقوم بايصالها الى سكان تلك المناطق ، على حين بقيت جل اجزاء التراب المغربي بعيدة عن التأثر بها ، وانما تعيش على مقومات الشعب البربري ، وعلى بعض الآثار التي خلفها كل من الفينيقيين والرومان . أي ان جل انحاء الوطن المغربي كانت في حالة فراغ حضاري كبير ، كتب لفاس ان تملأه او تملأ جانبا واسعا منه بعد تأسيسها . ولو أن الدول السابقة على الادارسة في حكم المغرب ، استطاعت ان تحقق له وحدته السياسية لما كان هذا الفراغ الكبير ، ذلك ان التوحيد وتعميم السلطة السياسية من شأنه ان يسهل انتقال الافكار والثقافات والقوانين والصناعات وما اليها . ولكن بما أن سواحل المغرب وبعض سهوله هي التي تركزت فيها سلطة تلك الدول ، في حين أن النواحي الاخرى الداخلية والجبلية ظلت منيعة على سلطة الدولة ، فان الاشعاعات الحضارية ما كان لها أن تصل الى هذه الاخيرة ، ولو وصلت خيوط منها لكان ذلك من اضيق المنافذ وأشدها مناعة . وصعوبة. وهذا الذي اخفق فيه من سبقوا الادارسة الى حكم هذه

البلاد ، هو الذي نجح فيه هؤلاء ، اذ تمكنوا بعد جهود كبيرة من توحيد جل اجزاء المغرب تحت سلطتهم المتمركزة في عاصمة حكمهم فاس . وبذلك تهيأ لفاس أن تلعب دورها الحضاري على الصعيد الوطني ، وان تبعث بأنوارها ، أنوار علمها وحضارتها الى جميع انحاء المغرب ، بل الى خارج المغرب بعد ذلك .

2) واما السبب الثاني ، فهو ذلك الحدث العظيم الذي ينوه به كل مؤرخي مدينة فاس ، واعني به انشاء جامع القرويين . فكيف لم يتكرر انشاء جامعة في بعض مدن المغرب القديمة على غرار جامعة القرويين ؟ ما علة هذه الظاهرة ؟ علة ذلك عندي ان الحكم الذي عرفته تلك المدن كان حكما اجنبيا ، باستثناء عصر الولاة ، وهو عصر كله قلاقل واضطرابات ، هذا علاوة على كونه عصر الفتح الاسلامي للمغرب الذي لا يمكن التفكير خلاله في الاعمال الثقافية القارة الثابتة مثل انشاء المدارس والجامعات . اما في ظلال الحكم الاجنبي ، فلم يكن في الامكان ان يتسع فكر الاجانب لمثل هذه المشاريع . وهذا لا يفهم جيدا الا بتصور العقلية الاستعمارية التي كانت توجه حكام المغرب يومئذ من قرطاجنيين ورومان ووندال . وهي عقلية لا تفهم المستعمرات الا على انها مجال للاستغلال الاقتصادي واستخدام رقيق الارض ، وعلى انها من مفاخر الامبراطورية أو الدولة الحاكمة ، تزيد من وزنها الدولي امام اصدقائها واعدائها على السواء . واما الادارسة فبالرغم من انهم ليسوا من سكان هذه البلاد الاصليين ، فهم ليسوا غرباء عنها ، وانما تربطهم بها رابطة تعتبر فوق جميع الروابط ، هي رابطة الاسلام . لذلك لم تكن العقلية التي توجههم هي العقلية الاستعمارية الاستغلالية ، وانما كانت عقلية الانسان المسلم الذي ينشيء الحضارة ، ويعمل بوحي من الاخوة في العقيدة . فالادارسة ينتمون الى دار الاسلام التي كانت لا تعرف من الجنسيات الا الجنسية الاسلامية ، حيث كان المسلم يتنقل بين اقطارها وممالكها الشاسعة دون احتياج الى جواز مرور ، ودون ان يسأله احد عن عرقه واصله . فاذا جاء الادارسة الى المغرب ، او ذهب المغاربة الى الشرق ، او الى الغرب الاسلامي ، فلا احد يرى ان في ذلك حلول اجانب ببلد غير بلدهم ، لان دار الاسلام واحدة ، ولو تعددت اقطارها وممالكها .. ونفس الشيء يمكن ان نقوله عن هذه السيدة القيروانية الفاضلة التي قدمت الى فاس الواقعة في اقصى المغرب الكبير ، واستقرت بها هي وجماعة من قومها ، وانشأت بها جامعا بعد تملكها للارض . هذا علاوة على كون عصر ما قبل الادارسة لم يكن عصر التفكير في انشاء الجامعات ، فلا يمكن لمن سبقوا الادارسة الى حكم المغرب، ان يبتكروا شيئا لا يدخل في نطاق عصرهم ، خصوصا وان العقلية التي كانت توجه الاجانب منهم لم تكن تسمح بالتفكير في انشاء حضارة بالبلاد التي يخضعونها لحكمهم .

وجامع القرويين هذا الذي تحول الى جامعة ، يطول الحديث عنه ، لو اننا حاولنا شرح رسالته الاجتماعية على الصعيد الوطني كله ، والتعرض الى الروائد التي امدته بالثقافات والعلوم والآداب والفلسفات ، واصداره للعلماء الى كل اجزاء المغرب والى اكثر اجزاء القارة الافريقية ، بل والى البلاد الشرقية والغربية ، واثره في نشر المذهب المالكي العظيم ، بعد أن تبناه وآوى فقهاءه وجعل منهم اعلاما للثقافة الفقهية المالكية ، يملأون سمع الدنيا وبصرها بعلمهم الغزير ، وما الى ذلك من المواضيع المتصلة بهذه الجامعة الشهيرة . ويمنعني من استقصاء البحث في هذه القضية كوني لا اقصد الحديث عن القرويين اساسا ، وانما تحدثت عنها باعتبارها احدى الدعامات الاساسية التي قامت عليها حضارة مدينة فاس . أما كونها اقدم جامعة في العالم ، فكم كان بودي أن اعتنق هذه الفكرة التي ترضي غروري القومي وتدفع بدم الفخر والاعتزاز حارا في راسي ، لولا ان هناك ما يزعجني عن الايمان بهذه الفكرة ، ويجعلني اتقبلها بشيء غير قليل من التحفظ . ذلك ان نواة هذه الجامعة هي الجامع، الجامع الذي تقام فيه الصلوات ويتلى القرآن الكريم، واغلب الظن انه استمر يؤدي وظيفة الجامع دون غيرها حقبة ليست بالقصيرة ، قبل ان يتحول الى جامعة . وهو لم يتحول الى جامعة دفعة واحدة ، وانما على مراحل استغرقت عهودا متطاولة . فكل الذين يذهبون في كثير من الجزم والقطع الى أن القرويين أقدم جامعة في العالم ، يبدأون احتسابها كذلك منذ يوم تأسيسها . ومعلوم ان هذا المسجد لم يؤسس في ذلك التاريخ ليكون جامعة ، بل لم يخطر ببال السيدة التي أسسته ان تجعل منه جامعة ، بل انها ما كان لها ان تتصور فكرة الجامعة على الاطلاق ، بالنظر الى تكوينها العقلي وظروف عصرها ، وانما اسسته بوحي من الفكرة التي تؤسس بها المساجد ، وهي ان تكون بيتا للعبادة وتلاوة القرآن الكريم . وقد بنيت عدة مساجد في المغرب قبل بناء مسجد القرويين ، فكانت تؤدي نفس الوظيفة الدينية التي يؤديها . وعليه فيجب قبل الجزم والقطع بان القرويين اقدم جامعة في العالم ، ان نعرف المدة التي استغرقها البناء على وجه الدقة ، ثم نعرف بالدقة نفسها متى تحولت الى جامعة ، وما

هي المدة الزمنية التي استغرقها هذا التحول . واغلب الظن انه استغرق عددا غير قليل من السنين . ومن المعلوم ان البدء في القاء بعض الدروس بالقرويين غير كاف لعدها جامعة ، اذ ان للجامعة رسالة ثقافية اعلى من ذلك وارفع . واخص ما يتميز به النظام الجامعي في العصور الوسطى انه يحتوي على عناصر لابد منها ، كهيئة الاساتذة وهيئة الطلبة ، والكتب المقررة ، والبرامج الموضوعة ، ثم النظام الاداري المهيمن على ذلك كله ، بقطع النظر عن شكل هذا النظام ، وكيفما كانت البساطة التي كان يتصف بها ، واخيرا لابد من الاجازات العلمية في اي شكل كانت ، سواء كانت شهادات ، أو اعترافا خطيا من الاستاذ بكفاءة الطالب ، أو السماح له بالتصدي للتدريس او ما الى ذلك . والقرويين لاشك انها لم تحقق كل هذه الخصائص الا بعد انشائها بزمن غير قصير ، وبناء على ذلك فالمدة التي كانت خلالها مجرد مسجد ، وكذلك المدة التي استغرقها البناء ، لا ينبغي ان تحسب لها باعتبارها جامعة .

وبعد ، فهل الادارسة هم الذين انشاوا القرويين؟ الثابت تاريخيا انهم ليسوا هم الذين انشأوها ، وانما انشأتها امراة قادمة من القيروان هي السيدة فاطمة القيروانية من مالها الخاص . واذن فكيف نوفق بين هذه الحقيقة ، وبين ما يذهب اليه الكثيرون من مؤرخي مدينة فاس خاصة والمغرب عامة ، من الاشادة بدولة الادارسة ونسبة الفضل اليها في انشاء القرويين؟ ان الفضل في ذلك راجع الى الادارسة أولا ، والى تلك السيدة القيروانية ثانيا . فان اختيار السيدة القيروانية مدينة فاس للاقامة فيها أولا ، وانشاء مسجدها فيها ثانيا ، ما كان ليكون لولا ان دولة الادارسة كانت موئلا للعرب القادمين من كل مكان ، ولولا ان الدولة ذات رحابة في الصدر وسعة في الافق ، وبعد عن اي تعصب . واذن فتشجيعها هو الذي أوحى لتلك السيدة الفاضلة بتأسيس مسجدها المتيد . ولا غرابة في ذلك ، فدولة الادارسة كانت تحس بموقفها الحرج ، لكونها قامت في بلاد بربرية لا يوجد بها من العرب الا عدد قليل ، وكل عربي قدم اليها كان لها مصدر انس ، وهي لذلك تبذل لهم من ضروب التشجيع ما يغريهم بالهجرة الى فاس ، والاستيطان بها . كما تهدف من وراء ذلك الى عرض آخر ، وهو ما نعبر عنه بلغة عصرنا بهجرة رؤوس الاموال وتوظيفها واستثمارها في المغرب وفي مدينة فاس بصفة خاصة . ويدخل في هذا الاطار ما صادفته فاطمة الفهرية من تشجيع على انفاق جزء هام من مالها في تأسيس مسجدها العظيم بعد امتلاكها للارض .

وهنا يواجهنا سؤال يفرض نفسه بالحاح : لماذا تحول مسجد القرويين الى جامعة ؟ لماذا لم تتحول مساجد مغربية اخرى قبلها وبعدها الى جامعات ؟ او بعبارة أصح لماذا لم يتحول أي مسجد مغربي آخر الى جامعة بينما انفردت القرويين بهذا الامتياز ؟ هل كان لهذا المسجد من الخصائص والمميزات ما يميزه عن غيره من مساجد المغرب ؟ اعتقد ان هذه الاسئلة وما اليها جديرة بالتأمل والتفكير . والراجح عندي ان مسجد القرويين كتب له ان يتحول الى جامعة لعدة أسباب . منها انه اكبر مسجد يقع في مدينة كتب لها أن تكون عاصمة لدول مغربية ترعى العلم وتشجع العلماء ، والعواصم دائما تحظى باهتمام وعناية اكبر ، من طرف الدولة القائمة . ومنها تقاطر العلماء عليه وتوجه جل طلبة العلم اليه ، نظرا لشهرته التي طارت في الآفاق ، فهو ينتسب الى امراة في مرحلة تاريخية لم تعهد ان تأسيس المساجد من عمل النساء . ومنها ان فاس كانت هي وارثة علم القيروان ، ووارثة علم الاندلس وفقهها وأدبها بعد محنتها المريرة ، الامر الذي جعلها حامية تراث عظيم ، يتهافت كل عشاق المعرفة من المغاربة وغيرهم على تحصيله والتزود منه . ومنها انه سبق كثيرا من مساجد المغرب الى القاء دروس العلم ، فاشتهر بها ، ومن ثم اتجهت اليه الانظار ، وصار كعبة طلاب العلم ، واستقطب جلة العلماء ، وبذلك انعقدت له الزعامة العلمية وانجذبت اليه الحركة الفكرية ، وآل امره الى ان يكون منار العلم الذي تضاءلت أمامه كل مصابيح العلم الاخرى ، ومنها ان العلماء الذين تصدروا للتدريس به ، كانوا يجاهدون ويعملون في صوفية منقطعة النظير ، كي يباهوا به بيئات العلم في البلاد العربية الشرقية التي كان للعلم فيها شأن عظيم ، مدفوعين بمركب النقص الذي خلفه في نفوسهم شعورهم بأنهم دون علماء الشرق الافذاذ في المكانة وذيوع الذكر . ومنها انه استفاد من نضج العلم الذي انتقل اليه اما عن طريق القيروان أو طريق الاندلس ، ذلك ان مسجد القرويين بدا يسلك طريقه العلمي في وقت كانت فيه العلوم الاسلامية قد حققت تقدما كبيرا في البلاد الاندلسية والبلاد الشرقية ، فجل مسائلها مبوبة مدروسة ، وكذلك الشأن فيما يتصل بعلوم اللغة والنحو والمنطق ، اي ان مسجد القرويين اتيح له ان يتلقى علوما ناهضة اسرعت بنموه العلمي ، ومنها ان اوقافه كانت أكبر واضخم من اوقاف اي مسجد آخر في فاس او غيرها من مدن المغرب ، فقد

اوقفت عليه الاجيال جيلا اثر جيل ، مما سهل تجهيزه ودفع جميع نفقاته ، وتزويده بمكتبة اخذت تنمو على مر الايام ، وتهيئة احسن الظروف للطلبة الذين يقصدون اليه ، الامر الذي جعلهم يؤمونه من داخل المغرب وخارجه ، باضافة المساعدات المادية الكبيرة التي تدمتها كل الدول المغربية المتعاقبة لهذا المسجد ، تلك عندي هي الاسباب التي حولت مسجد القرويين الى جامعة كبيرة لها شهرتها الواسعة ، ومكانتها المحترمة فى العالم كله .

3) واما السبب الثالث فى تبوا مدينة فاس مكانتها الحضارية الممتازة ، فهو انها اصبحت **معقل المالكية بالمغرب** ، فاشهر فقهاء المالكية ببلادنا تخرجوا من جامعة القرويين ، باضافة بعض العواصم المغربية الاخرى التي كان للمالكية فيها تدم راسخة وعلى راسها مدينة مراكش ، واذا كانت بعض العواصم والمدن المغربية تستقبل فقهاء المالكية بترحاب كبير ، وتبوئهم مقاما عاليا ، فان مدينة فاس لم يكن دورها مقصورا على استقبالهم على هذا النحو ، وانما كانت علاوة على ذلك تعد هم لنشر رسالتهم فى جميع ربوع المغرب . وللمالكية فى المغرب شان خاص ولها عند المغاربة تدر عظيم . وقد اثبت الدكتور حسن احمد محمود فى كتابه عن قيام دولة المرابطين ، ان مذهب مالك وفد الى القيروان ، شانه شان غيره من المذاهب، اذ رحل اليها اكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالكا ، كما وفد عليها على بن زياد التونسي وابن اشرس ، والبهلول بن راشد ، ولم يكن لهم القضاء والفتيا ، حتى جاء اسد بن الفرات ، امام العراقيين بالقيروان كافة » ثم يزيد المؤلف قائلا : « ولكن المغاربة وان اعجبوا بالاسدية وكلفوا بمذهب مالك ، الا انهم لم يقتنعوا بما رواه اسد ، بل طلبوا المزيد ، حتى قيض الله لهم ابا سعيد سحنون بن سعيد الذي قدم القيروان سنة 191 هـ ذلك الرجل الذي جمع فضل الدين والورع والعفاف والانقباض ، فمالت اليه الوجوه ، واحبته القلوب ، وصار زمانه كانه مبتدا . وقد رحل الى مصر ، ولقي ابا القاسم ، وسمع منه فقه مالك ، وقابل الاسدية عليه ، وجمع ذلك كله فى كتاب سماه (المدونة) طار ذكرها فى الآفاق ، وتناقلها الناس وحملت الى الاندلس ، وكان لها فضل توطيد دعائم مذهب مالك فى المغرب والاندلس ، بل اصبحت فى قوتها تضارع موطأ مالك » انتهى كلام المؤلف . وبعد ذلك تبنت القرويين مذهب مالك ، واصبحت لها القدرة على تخريج فقهاء المالكية الذين صادفوا عند المغاربة حبا لا مزيد عليه ، حتى ان المالكية عندهم كانت عقيدة وطنية على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس . واستقرار المالكية بفاس ، وبجامعتها العتيدة القرويين جعلها قبلة الانظار ، وكعبة طلاب العلم والفقه المالكي فى جميع افريقيا ، فكتب لها ان تحمل نور العلم الى اقطار بعيدة ، حتى اصبح مذهب المالكية علما على القرويين واصبحت علما عليه . وهذا جانب من المكانة العالية التي احتلتها مدينة فاس فى تاريخ المغرب .

4) لقد كان لفاس اثر جميل فى الادب المغربي القديم . فقد اعجب الشعراء والمترسلون برياضها الفيحاء ، ومياهها الجارية ، وهوائها المنعش ، وخمائلها العطرة ، فقالوا فى التغني بمحاسنها شعرا غير قليل ، وكتبوا اجمل الفصول . كما اعجبوا برقة اهلها ، ولطف شمائلهم ، ودماثة اخلاقهم ، ووفرة ذكائهم ، فذكروا ذلك فى شعرهم ونثرهم . وقد ارتبطت مدينة فاس بشخصيات ادبية وعلمية لها شهرة كبيرة فى المشرق والمغرب والغرب الاسلامي يومئذ . وهذه الشخصيات كانت بينها لقاءات ومطارحات ، ونذكر منها بصفة خاصة لسان الدين بن الخطيب الكاتب الشاعر الوزير السفير ، والعلامة ابن خلدون قرين ابن الخطيب وصنوه فى رفعة الشان وعلو المقام . والكل يعرف ما كان لابن الخطيب من جولات فى ربوع المغرب، وماله من علاقة بفاس بصفة خاصة وما اصابه فيها من مكروه ، وما صادفه فيها من خير . وكل ذلك داخل فى سجل الادب المغربي راسخ فى ذاكرة التاريخ . واذا نحن تذكرنا ان الناس والمتادبين منهم خاصة كانوا ولا زالوا مولعين باحداث الادب واعلامه البارزين ، عرفنا السر فى هذه المكانة الممتازة التي كانت لفاس فى المجتمع المغربي القديم . فاذا اضفت هذا الى الاسباب المتقدمة، تكونت عندك فكرة عن اسس المكانة الحضارية الفائقة التي تمتعت بها مدينة فاس عبر تاريخها الطويل.

هذا ، ولقد كان لما اشتهرت به مدينة فاس من كونها ضمت الفنون الاندلسية اثر كبير فى شهرتها الحضارية . هذه الفنون التي اوت اليها مع التجاء عرب الاندلس الى المغرب اثناء وبعد محنتهم القاسية. وعندما كان المغرب يحكم البلاد الاندلسية على عهد المرابطين والموحدين ، ويتبادل معها التاثير ، اتيح لفنون الحضارة الاندلسية أن تنتقل الى المغرب نظرا لوحدة الحكم بين البلدين . والثابت ان المغرب اخذ من الاندلس اكثر مما اعطاها . او قل انه اعطاها الطاقة البشرية التي كانت مادة الفتح ، اذ ان المغرب وحده هو الذي تحمل عبء فتح الاندلس ، بكل ما يحتاج اليه من رجال ومال وعتاد . وزودها بقادة الجيوش الاكفاء ، والحكام

الممتازين ، واعطاها القدرة على الصمود في وجه عدوها زمنا طويلا ، واخذ عنها اصنافا من الفنون والعلوم والآداب . وكانت هذه تستقر بفاس اكثر من استقرارها بغيرها من مدن المغرب . لكونها كانت تمتاز بشخصيتها الحضارية الرائعة ، ولكون الكثيرين من عرب الاندلس الوافدين على المغرب، كان اختيارهم يقع على مدينة فاس ، لانها من حيث مناخها وطبيعتها اقرب الى بعض مدنهم الاندلسية التي هاجروا منها .

ولقد كان لنبوغ سكان مدينة فاس في العلوم والفنون والصناعات أثر في شهرتها وبعد صيتها . ولم اعثر على احد من الذين أرخوا لفاس — في حدود علمي — حاول التماس العلة الاساسية في هذا النبوغ فلا يكفي أن يعلل ذلك بالموقع الجغرافي وخصوبة الارض ، وجمال الطبيعة ، مع الاعتراف بما للبيئة الطبيعية من أثر في ترقيق الذوق وارهاف الحس وتفتح الملكات ، والرأي عندي ان لكثرة العناصر المختلفة التي تساكنت في فاس اثرا في ذلك النبوغ . فالمجتمع الفاسي عرف من قديم اخلاطا من أبناء الشعوب . فقد تساكن في فاس العرب والبربر ، واليهود والزنوج . والعرب فيهم العراقي والشامي والبيروتي والحجازي واليمني والبغدادي وغيرهم كثير . ولاشك ان هؤلاء من العرب القادمين من الشرق العربي مباشرة أو عن طريق الاندلس . والشرق العربي اختلطت فيه السلالات الفارسية والرومية والعبرية والحبشية وغيرها . واذن فهؤلاء العرب الوافدون على مدينة فاس تجري في عروقهم دماء مختلطة ويكاد يكون من الامور المتفق عليها بين المؤرخين والباحثين في قضايا الحضارة ان اختلاط الاجناس وتلاقحها يفجر المواهب والملكات ، ويساعد على النهضة الحضارية .

وان لمدينة فاس ثلاثة جوانب حضارية رئيسية :
جانبا حضاريا ماديا قوامه المباني الاندلسية الشكل بكل ما تحتوي عليه من زخرفة ونقش ونافورات وفسيفساء وغيرها ، وما تزدان به من حدائق وبساتين خاصة وعامة ، ويدخل في الجانب المادي مختلف الازياء والاطعمة والاثاث والحرف والصناعات المتنوعة . ولعل هذا الجانب المادي هو اول ما يتبادر الى الذهن ، عند ما يطلق لفظ حضارة فاس . اذ كان الطابع المادي الماثل للعيان ، هو أول ما يطالع الزائر لهذه المدينة ، قبل ان يحاول التعرف على جوانبها الحضارية الاخرى ، يعتمد هذا الجانب المادي لحضارة فاس على مجموعة من الحرف والصناعات التي تمتاز بدقتها وجمالها ونفاستها . مثل صناعات الزليج ، والنقش على الخشب والجبس والاواني النحاسية ودباغة الجلود وتجفيفها وصناعة الاحذية الفاسية منها وكذلك الاخفاف ، ومثل صناعات سروج الخيل وصباغة الحرير وصياغة الذهب — وهذه كان اليهود الفاسيون امهر الناس فيها — وتجليد الكتب ونسخها بخطوط فاسية جميلة مموهة بماء الذهب ، هذا باضافة الاواني الخزفية وموائد الطعام المخروطة القوائم والمحاريث وسائر مشتقات صناعة الجلد وغيرها من الحرف والصناعات . ولشدة ولع اهل فاس بالعمارة الاندلسية فان الصناعات المتصلة بها استقرت في مدينة فاس ، وصارت لها فيها سوق نافقة . والكثير منها كان يصدر الى المدن المغربية الاخرى . وهناك اسر فاسية توارثت هذه الصناعات وتخصصت فيها ، ينقلها السلف الى الخلف كما هو مشاهد حتى ايامنا هذه . ومن اجمل واروع صناعات فاس التطريز الذي اشتهرت المراة الفاسية من قديم والى اليوم باتقانه والبراعة فيه .

ولا يمكن ان تعرف هذه الحضارة المادية لفاس الا بالرجوع الى أصولها الاندلسية التي ربما تكون قد امتزجت بأصول شرقية . ومن غير المعقول ان ينتقل فن العمارة الاندلسية وكذا الفنون الحرفية الاخرى الى موطن غير موطنها الأصلي دون ان تتأثر بالبيئة المحلية للموطن الذي انتقلت اليه ، ولكل بيئة ذوقها ومزاجها الفني يلتقيان مع اذواق وامزجة البيئات الاخرى في امور ، ويختلفان عنها في امور اخرى . وانا لحد الآن لم اقرا بحثا عن حضارة فاس المادية مطروقا على حسب المنهج الذي أشرت اليه ، اي المنهج الذي يميز بين ما هو من اصل اندلسي ، وما هو من اصل شرقي ، وما هو من ايحاء الذوق المغربي الاصيل في حضارة فاس المادية . وما قرأته في هذا الصدد لا يخرج عن بعض المقالات والبحوث القصيرة الفقيرة الى العمق والاستقصاء .

هل مدينة فاس ذات طابع اندلسي صرف من حيث حضارتها المادية ؟ ان الجواب عن هذا السؤال ربما لا أكون انا بحكم استعدادي قادرا على الاجابة عليه بالدقة اللازمة . ولكن مع ذلك لا يفوتني ان اقرر ان هذه المدينة ليست نسخة طبق الاصل من أية مدينة اندلسية كغرناطة وقرطبة واشبيلية ففي فاس ملامح اصيلة من الفنون العملية الاندلسية ، ولكن فيها الى جانب ذلك لمسات وملامح اخرى من الذوق المغربي الاصيل . وهذا يبعد فاس عن أن تكون مجرد تكرار واعادة لمدينة أو أخرى من المدن الاندلسية .

وفى فاس الى جانب ذلك حضارة عقلية راسخة عريقة ، تحتاج الى استعداد خاص لادراكها . ولذلك كانت خارجة عن مجال اهتمام الفرد العادي ، بينما تدخل فى نطاق اهتمامات المثقفين من شعراء كتاب وعلماء ومؤرخين ورجال فكر . وتمثل هذه الحضارة العقلية طبقة خاصة انتهى اليها علم المشرق والاندلس ، ومنها تكونت القاعدة الاساسية للمزاج العقلي لفاس عبر مراحل تاريخها القديم والحديث . ولقد كانت الحضارة العقلية لفاس متأخرة من حيث الزمن عن حضارتها المادية . ذلك أن تلك تحتاج فى ازدهارها وتفتح براعمها الى زمن غير قصير ، تتم خلاله عملية التخمر والتلقي والهضم والاستيعاب ، فى حين ان الحضارة المادية المتمثلة فى الصناعات العملية والمنشآت العمرانية يمكن الاستعانة فيها بأيد مواهر مجلوبة من الخارج ، وهي بطبيعتها لا تمر بالعمليات الشديدة التعقيد التى تمر منها الحركات العقلية .

وحضارة فاس العقلية مردودة فى العناصر المكونة لها الى اصول شرقية ، وأخرى اندلسية ، وثالثة مغربية . وهذه الاصول تفاعلت فيما بينها وتكون منها مزاج عام . ولئن كان من الميسور ان تميز بعضها عن بعض ، فيما يتصل بنصوص الادب والشعر ، لان هذه اوثق صلة بالاذواق المحلية ، فان ذلك التمييز يكون على شيء من الصعوبة بالنسبة الى قضايا العلم ، وذلك لما يتسم به العلم من تشابه كبير فى المسائل التي يتكون منها . لذلك فانت واجد من وسائل البحث ما يمكنك من العثور على الملامح الاصلة والطوابع المستوردة فى نصوص الادب المغربي ، على حين ان هذه الوسائل يعوزك اكثرها عند التصدي للحركة العلمية أو الفقهية فى المغرب بصفة عامة وفى فاس بصفة خاصة .

والجدير بالذكر ان الحضارة المادية لمدينة فاس ادركها الذبول والتخشب منذ زمن غير قصير ، حيث توقفت عن النمو ، لتحل محلها حضارة اخرى نافستها أولا ثم ظهرت عليها وجلبت اليها أذواق الفاسيين ، وهي الحضارة ذات الطابع الاوروبي ، بينما حضارة فاس العقلية تتعايش فيها الآن صورتان: صورة قديمة تقليدية ، وصورة حديثة متأثرة بطابع العصر . وقل ان تجد التقاء بين الصورتين ، اذ كل واحدة منهما لها انصارها وجمهورها . احداهما تدعي الاصالة او قل هي اصيلة ، والاخرى تدعي الحداثة او هي حديثة ولعل الصورة الاصلية فى أمس الحاجة الى التطور والتجديد الذي لا ينافي الاصالة وانما يزيدها اشراقا وقوة ويفجر طاقتها الكبيرة . ولعل الصورة الحديثة فى امس الحاجة الى الربط بين جديد حققته وقديم اهملته ، حتى تعطي الجديد عراقة القديم ، وتعطي القديم طرافة الجديد ، وبذلك تتكامل حياة عقلية خصبة ذات اصول وفروع ، وتكون كشجرة اصلها ثابت وفرعها فى السماء . اما اين توجد هاتان الصورتان ، فيمكن الرجوع فى ذلك الى نصوص الادب والوان الكتابات العلمية التي نشرت أو بقيت ضمن الدفاتر الخاصة ببعض العلماء والمثقفين ، يقرأونها على اصدقائهم وينتظرون فرصة نشرها واذاعتها فى الناس .

والحضارة العقلية التقليدية لمدينة فاس لها آثار عميقة فى عقول اصحاب هذه المدينة ونفوسهم . وانك لتجد الكثيرين من مثقفيها يوثرون ان يسكنوا فى احياء اوروبية الطابع ، وفى دور حديثة الشكل ، الا انهم ينتمون فى تكوينهم الفكري الى حضارة فاس العقلية العريقة . ولا تظنن ان هذا خاص بأولئك الذين اتسمت ثقافتهم بالطابع المحلي المحض ، فانه ينطبق حتى على الكثيرين الذين تجاوزوا فى تكوينهم الثقافي البيئة المحلية ، ليطلوا على آفاق ثقافية خارجية .

الحضارة العقلية تكون مكتسبة فى اول الامر بالنسبة الى جميع الشعوب الآخذة بحظ منها ، تحصل بالدرس والاعتكاف على الكتب ، ولكنها بمرور الزمن تصبح ذات أثر بعيد المدى فى عقلية الحاملين لها ، تكيف تفكيرهم ، وتلون مشاعرهم ، وتصوغ أذواقهم ، وتوجه سلوكهم ، فاذا بها — أي الحضارة العقلية — تصير ملكا للبيئة الاجتماعية كلها تقريبا ، تشمل من يأخذ بها بطريق مباشر ، ويعيش فى صميم احداثها وماجرياتها ، ومن ينفعل بها بطريق غير مباشر ، اذ هو يتأثر بجوها العام الذي يصوغ أسلوب التربية ويحدد اهدافها . وهكذا يمكننا القول بأن حضارة فاس العقلية كانت تعم المجتمع الفاسي كله تقريبا ، من حيث ان أنوارها الساطعة اضاءت كل من أنصهر فى بوتقته ، واستجاب لتقاليده ، وخضع لايحائه من قريب او بعيد ، وهنا يجدر بنا ان ننبه الى ان الحضارة العقلية ليست مجرد علوم وفنون وآداب وفلسفات ، وانما هى ايضا مزاج نفسي وعقلي مركب من ايحاءات الثقافة وأصدائها النفسية القوية الأثر فى الأفراد والجماعات . وهذا هو السر فى كونك تجالس احيانا انسانا ليس له من الثقافة نصيب يذكر ، ومع ذلك فانت تشعر انه ذو ذوق مهذب وشعور رقيق ، وشمائل محبوبة ، اذ انه اخذ عن الثقافة ناحيتها

الشعورية النفسية الناشئة عن بعض التأثيرات والانطباعات ، واهمل الناحية النظرية الصرفة .

وهنا نكون قد وصلنا الى الجانب الثالث لحضارة فاس ، وهو الجانب النفسي الناشيء عن الحضارة الفاسية في جانبيها المادي والعقلي . هذا الجانب النفسي يشمل الاخلاق وقواعد السلوك الفردي والجماعي كما يشمل القيم والمثل وكثيرا من الوان العادات النفسية يصح ان نطلق عليها اسم الحضارة النفسية والخلقية . وهذه الحضارة النفسية والخلقية هي ما يترسب في نفسية الشعوب والمجتمعات ، بعد ان تتحول الحضارة المادية والمعنوية لتتخذ لها طريقا آخر او طرقا أخرى ، وحينئذ يصعب اقتلاع الرواسب الحضارية ، نظرا لكونها تكونت في عشرات السنين أو مئاتها ، وصارت ميراثا شعبيا تنقله الاجيال بعضها الى بعض . وهذا علة ما نلمسه في بلاد عديدة تغيرت أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما تغيرت وجهة ثقافتها ، دون ان يعني ذلك ان مزاجها النفسي الحضاري قد اصابه تبدل يذكر . وبناء على ذلك يمكن القول بأن المغربي الفاسي أو الرباطي أو المراكشي ما زال الى اليوم متأثرا في حياته النفسية الى حد بعيد بالقيم الحضارية المنحدرة اليه من عهود قديمة ، على الرغم من انه تطور تطورا ملحوظا في أفكاره وثقافته وحياته المادية الشاملة للملابس والمآكل والمساكن والاثاث وما الى ذلك . وهذا التراث الروحي القديم ما زال يؤثر على كثير من شعوب العالم المتحضر ويستقر في عقلها الباطن ، ويخلق شيئا من التناقض بين أمزجتها النفسية وقيمها الموروثة ، وبين ما أخذت به من أسباب الحضارة العقلية والمادية الحديثة .

وإذا رجعنا الى مدينة فاس بصفة خاصة ، يمكن ان نلاحظ ان حضارتها النفسية المتمثلة في القيم الروحية والاخلاقية والمؤثرة في أساليب السلوك ، ما زالت الى اليوم تعمل عملها في اهل هذه المدينة برغم التطور المادي الكبير الذي أصابه مجتمعهم . ويتجلى ذلك في أفراحهم وعاداتهم والقيم التي من وراء سلوكهم وما الى ذلك .

نستطيع القول — بناء على ما تقدم — ان هذه المظاهر الثلاثة لحضارة فاس : المظهر المادي ، والمظهر العقلي ، والمظهر النفسي لم تبق تسير متوازية كما كانت تتعايش في عهود سابقة . فمظهرها المادي قد توقف عن النمو منذ زمن ليس بالقريب ، وابتداء من الوقت الذي أخذ فيه الذوق الفاسي في العمارة يتبدل، متأثرا بالذوق الاوروبي الوافد ، وما تبقى من هذا المظهر آخذ في التآكل يوما بعد يوم ، رغم عمليات الترميم المتوالية ، بينما بقي المظهر العقلي الثقافي يقاوم الثقافات المستوردة ، لائذا بالشخصية المغربية يلتمس عندها الحماية والوقاية . وما زالت أطياف منه تعيش الى اليوم ولكن على شحوب وضعف ، ويظهر انه سائر نحو الاستسلام ، ليصبح مجهولا تماما ، مقصورا على افراد معدودين على رؤوس اليد الواحدة ان لم يكن قد صار الى ذلك بالفعل . واما المظهر النفسي فلعله هو الوحيد الذي قاوم الزمن بكفاءة ، وما زال يقاوم ، متمكنا من الشخصية الفاسية ومدعما لها في نفس الوقت ، ولو ذهبت عن هذه الشخصية حضارتها المادية والعقلية التقليديتان ، لبقيت لها حضارتها النفسية والخلقية ، لا تريد ان تستسلم لعوامل التلاشي التي يعرضها لها القدر التاريخي . وهذا ما جعل الشخصية الفاسية تشعر بشيء غير قليل من التعارض بين رواسبها النفسية البعيدة القرار، وبين مقتضيات الحياة العصرية المتجددة . وكثيرا ما نشاهد مظاهر الصراع القائم بين هذه وتلك . ويمكن لمن يتتبع الحياة الاجتماعية في مدينة فاس عن كثب ، ان يلاحظ اختلاط القيم القديمة بالقيم الجديدة في الملابس والبناء والعادات . فالفاسي كثيرا ما يزاوج بين لباسه التقليدي الذي مادته البرنس والجلباب والبلغة والطربوش ، وبين اللباس الحديث الذي مادته البذلة والمعطف والحذاء ورباط العنق ، وكثيرا ما ترى الفاسيين يلبسون الملابس الاوروبية الحديثة تحت الجلباب والبرنس التقليديين . ولئن كانت هذه الظاهرة ليست خاصة بفاس وانما توجد في مدن مغربية أخرى، فانها في فاس اوسع انتشارا ، فاذا نحن حضرنا حفلا فاسيا أمكننا ان نلاحظ ان البذل والمعاطف تجاور البرانس والجلابيب ، وان القفاطين المزركشة الالوان الى جوار احدث الازياء الاوروبية . وكثيرا ما تشاهد النساء الفاسيات خارجات من عند الحلاق ، وقد صففت شعورهن الجميلة وفق احدث طراز اوروبي ، وفي أيديهن النواعم حقائب تم تصميمها في أحدث المصانع الاوروبية ، والحال انهن يرفلن في قفاطينهن الفاسية متبخترات كالطواويس . وما قلناه عن الملابس يمكن ان يقال عن البناء . فالدار التي تبنى حديثا في فاس وفي الاحياء الجديدة بصفة خاصة غالبا ما تكون مزيجا من الفن القدم والفن الحديث ، وان كان الملاحظ ان هذا يطغى على الاول ويجور على شخصيته حتى ليبدو البناء وكأنه حديث بمجموعه ، كما جارت البذلة والمعطف والحذاء على البرنس والجلباب والبلغة . فانت ترى الهندسة الاوروبية ممتزجة بالزليج والنقش

والاقواس (والسواري) وغيرها من خصائص الفن المعماري المغربي الاندلسي . ولكن اين ضخامة المعمار القديم ومتانته وعلو اسواره ؟ لقد حل محله البناء الرشيق الخفيف ، الذي انخفضت قامته وتطامنت ، عوض أن تكون مرتفعة في السماء .

هل نحن الآن نتحدث عن المظهر المادي للحضارة الفاسية ؟ نعم ، ولكن باعتباره انعكاسا للمظهر النفسي . اي ان رواسب الحضارة الكامنة في نفوس سكان هذه المدينة العريقين ، هي التي بقيت متوهجة نابضة بحيث كثيرا ما تتحكم في جميع المظاهر الحضارية الفاسية الاخرى .

هل أصبحت الآن حضارة فاس أثرية فحسب ، يرجع اليها الدارسون ليجدوا فيها ما يدلهم على ما كان لهذه المدينة من ابداع وفن خلال عصور مضت ، ثم لا شيء بعد هذا ؟ هل حضارة فاس العريقة متصورة اليوم على آثارها المعمارية القديمة المتداعية ، وعلى خزائن كتبها الخاصة والعامة ؟ اعتقد ان فيما مضى بعض الاجابة عن هذا السؤال . ولكن هناك شيء آخر. وهو ان أهم ما يمسك الحضارة ويصونها من التلاشي والانهيار ، تماسك المجتمع ومحافظته على طابعه الاصيل ، في الوقت الذي يستجيب فيه لدوافع التطور. اي لابد ان يكون هناك شيء ثابت وشيء متغير . وعندما تاخذ المجتمعات في نبذ طوابعها الاصيلة تاخذ حضارتها في الضعف والتلاشي . فاذا جمد المجتمع واستعصى على التطور ، وتخشبت مفاصله واصيب بفتر الدم ، آذنت شمس حضارته بالمغيب . ذلك ان الحضارة عدوة الجمود ، فالجمود يصيبها بالبلادة ، ويضعها في تفص الاتهام أمام تحديات العصر ، ومن ثم فقد يقوم جيل من أجيالها برميها جانبا كاسلوب في رد الفعل ، ضد ما منيت به من تخشب يعوق عن التطور . وبناء على ذلك يمكن القول بأن حضارة فاس ارتبط مصيرها بمصير مجتمع فاس . ومجتمع فاس قد تغيرت صورته التي كان عليها الى عهود قريبة تغييرا محسوسا ، سواء من حيث تطور الحياة الاجتماعية عند سكانه الاصليين ، وتبدل كثير من شؤونهم الخاصة والعامة ، أو من حيث امتزاجه بعناصر بشرية كثيرة طارئة عليه ، كان لها أثرها في تغيير تلك الصورة واستبدالها بصورة أخرى ، فيها ملامح من الصورة القديمة ، وفيها ملامح صارخة من الصورة الجديدة ، وهذه الاخيرة هي الغالبة البارزة للعيان أكثر من غيرها . والذي زاد في تغير الصورة وتبدل معالمها، هو ان المجتمع الفاسي تعرض في العقود الاخيرة الى عملية نزيف بشري . ذلك ان الفاسيين أخذوا يغادرون مدينتهم الى غيرها من مدن المغرب الكبرى التجارية منها بصفة خاصة . وقد كان ذلك على مرحلتين : المرحلة الاولى هي في الغالب انتقال مقر سكناهم من الاحياء الشعبية القديمة الى الاحياء الحديثة الطراز ، الاوروبية الطابع ، في نفس مدينة فاس ، والمرحلة الثانية هي مغادرتهم للمدينة كلها الى مركز متحضر آخر ، تتعدد فيه سبل النشاط الاقتصادي ، وتتسع مجالات العمل التجاري ، وتتنوع آفاق غير ذلك من الاعمال في القطاعين العام والخاص . وغالبا ما يقلع هؤلاء عن التفكير في العودة الى مجتمع فاس ، ذلك ان ما يصيبونه من نجاح غالبا في البلد الذي تحولوا اليه بنشاطهم واتخذوه مقر اقامة لهم ، يجعل فاس تضيق عن اطار الحياة التي اصبحوا يحيونها . وفي الوقت الذي تخرج فيه العناصر الفاسية من المدينة ، تتدفق عليها عناصر طارئة تحل محلها وتأخذ في تكييف المجتمع حسب ذوقها وعاداتها . وكانت النتيجة الطبيعية هي تغيير صورة المجتمع الفاسي كما قلت منذ قليل . وغير خاف ان الصورة الاجتماعية هي وعاء الحضارة ، فيها تصب ينابيعها ، وتنصهر مكاسبها . وعليه فحضارة فاس اصبحت آخذة في الهزال بناء على ما تقدم من هذا الحديث .

في عهود مضت كان للمجتمع الفاسي قدرة كبيرة على تكييف كل الذين يطراون عليه ، فهو ما أن يحتويهم بضع سنين ، حتى يخضعهم لتاثيره ، وينال من اذواقهم ولهجاتهم وعاداتهم وانماط حياتهم ، وما يفتأ يغير فيهم ويبدل ، وبكيفية تدريجية الى أن يكاد يمحو معالم شخصيتهم الاصلية ليهبهم الشخصية الفاسية ويصوغ منهم النموذج الفاسي . وكم عائلات تعد الآن فاسية مائة بالمائة ، مع انها كانت طارئة على مجتمع فاس ، ولكنه استطاع في عقود من السنين خلقها من جديد ، حتى ليعتقد الا علاقة بين ماضيها وحاضرها . ولكن هذه الكفاءة الاجتماعية التي كان يمتاز بها مجتمع فاس ما اظن انها بقيت لحد الآن . ذلك ان المجتمع الفاسي بدا يفقد كثيرا من مميزاته التقليدية ، وأخذ يفقد طابعه الأصيل ، نتيجة للعوامل الآنفة الذكر . ولست أغالي اذا انا قلت : انه هو نفسه — اي مجتمع فاس — صار يخضع لمؤثرات خارجية ويتكيف بايحاء منها . ويلاحظ كل من يتتبع تداخل الظواهر الاجتماعية في هذا المجتمع ان فيه الآن تناقضات عديدة ، ناشئة عن قديم يصارع ليبقى ، وجديد يزاحمه ليحل محله ، وعن اصالة فاسية تحركها الرغبة في البقاء ، ومؤثرات خارجية تنازع هذه الاصالة مركزها ، وتريد النيل منها

وتغير معالمها . الا أن مجتمع فاس التقليدي سوف يجد نفسه سائرا في طريق مسدود اذا هو أصر على بقاء اصالته نقية غير مشوبة، اذ لابد من خضوعه للنواميس الاجتماعية التيتقضي بتغير الظواهر والطوابع الاجتماعية والحضارية ، نتيجة لطبيعة تحركات السكان ، وخضوعا لطابع العصر ، واستجابة لعوامل تطور المجتمع المحلي على الصعيد الوطني كله.

اما بعد ، فهل انتهى الدور الحضاري لمدينة فاس؟ هل ان فاس قد فرغت من أداء دورها على مسرح التاريخ المغربي ، بحيث لا سبيل لها الى ادائه اليوم أو غدا ؟ هل تعيش مدينة فاس حضاريا على امجاد الماضي فقط ؟ هل اعجلها تطور الزمن عن اعطاء ماضيها قوة ان يعيش في الحاضر ليؤثر في تكييفه وصياغته ؟ اسئلة ليس من السهل الاجابة عليها اذا نحن توخينا الدقة اللازمة . ذلك ان قضايا الحضارة بصفة عامة شديدة التعقيد ، متصلة بالظاهر الماثل العيان ، والباطن المتواري وراء معالم الزمان والمكان . وكثيرا ما تخدع بالظاهر ، فنعتقد اننا نستطيع بواسطته ان نفصل في قضايا الشعوب والمجتمعات ، والحال ان من وراء ذلك الظاهر عوامل فاعلة مؤثرة توجه احداث الحضارة والمجتمع وجهة ربما لم تخطر لنا على بال.

أما ان فاس قد انتهى دورها الحضاري التقليدي، فهذا ما لعله ان يكون بعيدا عن الواقع ، ولو كانت الظواهر متضافرة على التشكيك في ذلك . نستطيع القول بان دورها الحضاري قد تخلف او تضاءل او انقبض، ولكنا لا نستطيع القول بانتهائه بالمرة. ففاس تستطيع اليوم وغدا ان تواصل اداء دورها الحضاري التقليدي ولو عن طريق الامور التالية : فنها المعماري الجميل الذي يعتبر آية من آيات العبقرية العربية في الفنون والصناعات . فهذا الفن يفيد المؤرخ الذي يعنى بتسجيل مظاهر الحضارة ، ويمتع الاديب او الشاعر الموكل بجمال الفن يتتبعه بلذة وشغف ، ويلذ الفرد العادي الذي يقف عند ظواهر الجمال ولا ينفذ الى اعماقها . عقليتها الشاملة لكثير من القيم والاخلاق والعادات النفسية الراسخة في أعماق الفاسيين وفكرهم ووجدانهم وذوقهم ، والتي لم يستطع لحد الآن تطور الثقافة والمجتمع أن يقتلعها من أصولها . ثم العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة من قديم ، والتي ما زالت تعمل عملها في سكان هذه المدينة سواء مكثوا فيها أو رحلوا عنها . اذ من المعروف عنهم انهم ينقلون معهم عاداتهم وطرائق سلوكهم الاسري والاجتماعي اينما انتقلوا . وهذه العادات والتقاليد ولو أصابها غير قليل من الشحوب ، فانها ما زالت احدى العلامات المميزة لكثير من الاوساط في مجتمع فاس . ثم النموذج الفاسي الحي ، المقاوم للزمن . نعم لقد تغير هذا النموذج عما كان عليه ، ولكن دون ان تذهب معالمه الأصيلة . فان هي الا نماذج فاسية تتلاءم وتطور الزمان والمكان وترد في اصلها الى قاعدة عامة مشتركة تعتمد عليها فتوحدها رغم تعدد اصنافها الخاضعة لسنة التطور ، وربما كان هذا النموذج الفاسي الحي اقدر من غيره على التأثير من بين عناصر الحضارة الفاسية ومظاهرها الباقية ، وذلك بحكم اتصاله المباشر بمن له به علاقة ، واحتكاكه به في الجوار أو بعض المعاملات التجارية أو المصاهرة أو العمل المشترك او غير ذلك من ضروب الصلات ، وان كان اثره هذا لم تبق له الفاعلية المعهودة فيه لعدة اسباب. منها ان النموذج البشري للحضارة قد تغير في أذواق المغاربة عموما . فقبل اليوم كان ذلك النموذج الفاسي مثالا يحتذى من طرف جل سكان المغرب المتحضرين أو الآخذين باسباب الحضارة . يرون فيه اعلى خصائص الحضارة وشمائلها وان كانوا يأخذون عليه امورا لا مجال هنا لذكرها . فكانت خصاله مضرب المثل في الحذق والمهارة وحسن التصرف واللباقة وجمال التناول والكياسة في اخذ الامور وتركها وما الى ذلك . الا ان هذا النموذج لم تبق له تلك المكانة التي كانت له من قبل ، جريا مع العصر الذي لا يترك ناحية من نواحي حياة الانسان ، دون أن يغير منها أشياء كثيرة. فقد مرت عهود في بلادنا كانت فيها مدينة فاس هي باريس المغرب ، عنها تصدر الازياء ، وفيها تتلقى تقاليد الحياة الاجتماعية الرفيعة ، ولكن عامل التطور كاد ان يفقد فاس قوتها السحرية هذه ، ومن ثم انكمش النموذج الفاسي أو كاد ، وان كان يعتبر اقوى مظاهر فاس الحضارية الى اليوم ، عند مقارنته بمظاهرها الحضارية الباقية . ومن هذه الاسباب ان النموذج الفاسي نفسه بدأ يغير من ملامحه ويبدل ، ويخلع زيا ليرتدي آخر ، الأمر الذي جعله يتخلى عن بعض طابعه المعروف به في الاوساط الاجتماعية المغربية ، بالرغم من ان هذا الطابع ما زال آخذا بتلابيبه في كثير من مظاهر سلوكه أحب أم كره . يمكنك أن تلاحظ — مثلا — أن لهجة فاس قد أصابها تغير ملحوظ . فالقاف الذي ينطق في فاس همزة مفخمة بدا ينطق (قافا) حسب مخرجه الطبيعي ، والراء التي تنطق شيئا بين الغين والراء بدأت تستقيم للالسنة الفاسية شيئا فشيئا . وأحيانا تسمع من الفاسيين من ينطق الكاف كانا معجمة هكذا : كاف . فبدل ان يقول:

قلت له ، يقول : (كلت له) ويلاحظ ان هذه التغييرات في مخارج الحروف ، تصدر عن الشباب الفاسي اكثر من صدورها عن كهول فاس وشيوخها ، اذ من الصعب على هؤلاء تغيير لهجتهم التقليدية . وهنا ينبغي الاشارة الى ان المدرسة لعبت دورا كبيرا في تغيير اللهجة الفاسية ، اذ ان التلاميذ في مدارسهم يجدون تناقضا بين القاف والهمزة ، وبين الراء والغين أو يجدون اختلافا بينها على الأصح ، فيحملهم اساتذتهم او يحملون انفسهم على ان يضبطوا مخارج الحروف . أضف الى ذلك ان شروع اهل فاس في الخروج الى مدن مغربية اخرى بقصد الاقامة الدائمة ، كان له اثره في تغيير لهجتهم ، فهم لابد ان يتاثروا بالمحيط الاجتماعي الذي تحولوا اليه بطريقة تلقائية ، وربما كان هناك عامل آخر في تغير اللهجة الفاسية وهو ما يصدر عن غير الفاسيين من تندر بها ومحاكاتها عن طريق الدعابة المبطنة بشيء من النقد اللاذع ، الامر الذي حمل الفاسيين على التخفف من بعض خصائص لهجتهم التقليدية هذا باضافة ما ينال جميع اللهجات من تغير عبر عقود من السنين ، طبقا لقوانين تطور اللهجات واللغات في جميع المجتمعات الانسانية ، وليست اللهجة وحدها هي التي اخذت تتغير في النموذج الفاسي ، بل هناك امور اخرى تغيرت فيه ، منها نظام معيشته ، واسلوب حياته ، والكثير من عاداته ، وما الى ذلك . اهي الحضارة الغربية تسمل لجمل حيوات الناس متشابهة ، بحيث تذوب خصائصهم المحلية وتقاليدهم القديمة ليطبعوا كلهم بطابع حضاري واحد مشترك ؟ اظن ان لهذه الفكرة وجاهتها التي لا تنكر . ومن اسباب فقدان النموذج الفاسي لبعض اسباب فاعليته كونه — اي النموذج — لا يستطيع ان يؤثر في العمق وفي المظهر معا الا اذا تحرك داخل وسطه الاجتماعي ، ذلك ان الوسط الاجتماعي هو القادر على اعطاء النموذج المجال الواسع لتحركه ، وابراز كل طاقاته وامكاناته . ومن ثم كانت العناصر الفاسية المهاجرة من بلدها فاس الى بلاد اخرى تصبح مجردة او شبه مجردة من جل امكانيات التاثير في الآخرين ، لصياغتهم على شاكلتها او تحوير بعض اخلاقهم وخصائص سلوكهم . والمجتمع الفاسي بصورته الحالية لا يحقق للنموذج فرص الحركة الايجابية المؤثرة الفاعلة ، على النحو الذي كان يتهيأ له من قبل . واعتقد ان الحديث عن الصورة الحالية لهذا المجتمع لا داعي اليه ، بعد ما تقدم من ايضاح لهذه المسألة .

ومن اسباب ضعف النموذج الفاسي ، ظهور نماذج مغربية اخرى في مدن متعددة لعلها تنافس النموذج الفاسي او تدانيه في اكثر من مجال . ذلك ان النموذج الفاسي كان مثالقا وحده تقريبا في عهود كانت فيها الحضارة المغربية تكاد تنصرف الى حضارة فاس وحدها عند اطلاقها ، اي عندما كانت مدن المغرب الاخرى — باستثناء مدينتي الرباط وسلا — تعاني كثيرا من التخلف الحضاري بالنسبة الى مدينة فاس . ولكن الوضع الحضاري تغير اليوم . فمدن المغرب كلها تقريبا حققت نوعا من النمو الحضاري والعمراني والاجتماعي وحتى الثقافي في البعض منها ، مما زعزع مركز فاس الحضاري ، في الوقت الذي فجر فيه طاقات مجتمعات المدن المغربية الأخرى ، وهيا المجال الصالح لتفتح ملكات افرادها ونمو امكاناتهم . ونتيجة هذا ظهور نماذج بشرية مغربية غير فاسية تالقت مواهبها في التجارة والصناعة والثقافة وغيرها من الميادين .

وقد كان لهذه الظاهرة اثرها العميق في اضعاف التعصب للمدن الذي كان سائدا قبل اليوم ، ذلك ان تعدد النماذج البشرية المغربية المتكافئة حضاريا التي تتبادل التاثير ، وتجنح الى نوع من الحضارة العامة المشتركة هي حضارة العصر ، اضعف الشعور بتفوق المدن بعضها على بعض ، ذلك التفوق الذي يشعر المتفوق بأنه عنصر ممتاز ، مع ما يصحب هذا الشعور عادة من كبرياء واعتداد بالنفس ، كما يشعر المتفوق عليه بالتخلف والضمة ، مع ما يصحب ذلك عادة من عقد ومركبات . وهذا من شأنه ان يخلق الحزازات والاحقاد ، ويدعم المشاعر العدائية ، والتعصب للمنشأ والمسقط والمدينة .

هل خسرت حضارة المغرب شيئا ثمينا بسبب ضعف الدور الحضاري لمدينة فاس على النحو الذي شرحته ؟ هل كان ينبغي ان يدعم هذا الدور ليقوى على مر الايام ؟ أن المراكز الحضارية القيادية ليس من الضروري أن تبقى دائما في مكان الصدارة . فمركز الاشعاع الحضاري تختلف باختلاف العصور ، ورب مركز حضاري كانت له الزعامة في عصر ، ثم انتقلت منه الى مركز آخر في عصر تال . واذا انتقلت الكثافة الحضارية الى مركز جديد ، فالمركز القديم لا يفقد كل ما له من قيمة ، وانما يبقى مرسلا اشعته ولو على خفوت واستحياء ، دون ان يموت فيه روح الحضارة او تندثر معالمها . وعلى ذلك ففاس ولو تخلت عن مركزها الحضاري العتيد او قل اعجلت عنه ، فهي ما زالت من أهم دعامات الحضارة المغربية الكلاسيكية ، اما ماذا خسر المغرب بسبب بعد مدينة فاس في الوقت الراهن عن فاعليتها الحضارية الممتازة التي كانت تتمتع

بها قبل اليوم ، فالرأي عندي ان حضارة المغرب لم تخسر شيئا بسبب ذلك . ففاس قد ادت دورها الحضاري بكفاءة ، بحيث نشرت فنونها وصناعاتها وثقافاتها وثمار كفاءاتها العلمية والادبية في جميع ربوع المغرب ، وحتى في خارج المغرب . وقد كان لهذه المهارات والكفاءات اثرها القوي في دفع عجلة التطور الحضاري المغربي الى الامام . ولكن حضارة المغرب اليوم هي أكبر من ان تنهض مدينة فاس — او اي مدينة اخرى تماثلها — كما كانت تفعل قبل اليوم . ولو ان فاس بقيت في مركز الصدارة الحضارية وحدها لكان معنى ذلك تخلف المدن المغربية الاخرى بالنسبة اليها. واذن فتقلص دور فاس الحضاري او ضعفه فيه معنى النمو الحضاري للمراكز التي كانت الى فاس زعامتها وقيادتها حضاريا قبل اليوم . واذن لا خسارة وانما هناك الربح كل الربح . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اذا رايت مركزا حضاريا تسرب اليه الضعف ، فاعلم ان ذلك لم يحدث الا لان حدوثه كان أمرا حتميا ، اذ معناه ان ذلك المركز قد استنفذ اغراضه او كاد ، واصبح عاجزا عن الاستجابة للمتطلبات الحضارية الجديدة . وقد كان حظ مدينة فاس اوفر الحظوظ من الوجهة الحضارية ، اذ استمرت تشع علما وادبا وفنا خلال عدة دول متتابعة ، واثناء اجيال مغربية عديدة ، مما لم يكتب مثله لاية مدينة مغربية اخرى . فاذا ضعف دورها الحضاري اليوم ، فكفاها انها ادت دورها كاملا، تاركة بصمات أصابعها على الحضارة المغربية بصفة عامة ، جاعلة من نموذجها مثلا اعلى يجذب بريقه الاخاذ جل طبقات الشعب المغربي ، واقول جل طبقات الشعب لان هناك بعض الطبقات الاجتماعية المغربية التي كانت تحب حضارة فاس المادية او العقلية ، فتسعى الى نقلها او محاكاتها ، بيد انها في الوقت نفسه لا تحب ان تحاكي النموذج البشري الفاسي نفسه . فهي تتعشق كثيرا من الصناعات الفاسية ، كما تستعير كثيرا من تقاليد المطبخ الفاسي المشهور بجودة ما يقدمه من أنواع الاطعمة وتتخذ نفس الموقف من أدب فاس وعلمها وثقافتها ، ولكنها لا تحب محاكاة الشخصية الفاسية ذاتها أي النموذج الفاسي ، وربما كان ذلك راجعا الى ان محاكاة الشخصية امر صعب، اذ الشخصية مركبة من عناصر لا يمكن نقلها كما تنقل الحرف والصناعات أو العلوم والفنون ، وذلك لاتصالها الوثيق بالوراثة والبيئة واسلوب التربية المبكرة ، وهذه امور تعمل عملها عبر عقود من السنين . فالموضوعية والذاتية شأنهما ها هنا كشأنهما في مجالات اخرى . فما كان ذاتيا يصعب تقليده وتقمصه ، وما كان موضوعيا سهلت محاكاته واستعارته . وربما كان راجعا الى سبب آخر ، وهو اصرار بعض الاسر والعائلات الطارئة على مجتمع فاس ، على الاحتفاظ بشخصيتها، والضن بها على الذوبان في المجتمع الفاسي ولذلك فهي تقاوم الفناء فيه ما وسعتها المقاومة ، متشبثة بعاداتها ولهجاتها وأنماط عيشها ، بالرغم من ان هذا لا يفلتها من قبضة المجتمع الفاسي ، ولا يتركها بعيدة عن التأثر ببعض نواحيه الحضارية ، وعاداته الاجتماعية. ولعله راجع ايضا الى ان تلك الطبقات كانت تترفع عن بعض الاعمال التي كان النموذج الفاسي يشتغل بها كالتجارة او بعض الحرف مثلا ، ومعلوم ان سكان فاس العريقين اشتهروا من قديم بنشاطهم التجاري الواسع، وبتعاطيهم للصناعات اليدوية المختلفة التي بلغوا بها اقصى درجات الاتقان . واذا كان هناك قوم يعجبون بهم لهذا النشاط ، ويودون ان يشاركوهم فيه ، فان قوما آخرين اعجبوا ايضا بنشاطهم هذا ، ولكنهم في الوقت نفسه نظروا اليه على انه يجب ان يبقى مقصورا على النموذج الفاسي لا يتجاوزه اليهم . وهكذا نرى ان شعور هذا الفريق نحو النموذج الفاسي كان مزدوجا. فهو يعجب بذكائه ومهارته وشطارته ونشاطه وسعيه في مختلف وجوه الرزق ، وهو في الوقت نفسه يعمل باصرار على ان يبقى نوعا من المسافة بينه وبين النموذج المذكور .

هل استطاعت مدينة مغربية اخرى ان تحتل مكانة فاس من الوجهة الحضارية ، بحيث تقوم بنفس الدور الحضاري الذي كانت تضطلع به فاس ؟ سؤال لا مفر هنا من الاجابة عليه . ولو لم أثره لامكن ان يثيره القارىء بينه وبين نفسه على الاقل . باديء ذي بدء ينبغي أن نعيد الى الاذهان ان جميع مدن المغرب الشهيرة قد قامت بأدوار حضارية طيلة تاريخها ، وليست مدينة فاس وحدها هي التي قامت بدور حضاري . الا ان ما يميز فاس عن غيرها في هذا الصدد ، هو ان الادوار الحضارية للمدن المغربية الاخرى كانت جلها محلية ، على حين ان دور فاس كان يمتد على الصعيد الوطني كله تقريبا . بمعنى ان كل مدينة غير فاس كانت تؤثر حضاريا فيما جاورها من النواحي فقط ، فنواحي الدار البيضاء تتأثر بالدار البيضاء ، ونواحي مراكش تتأثر بمراكش ، اما فاس فكانت تؤثر لا في النواحي القريبة منها فحسب ، ولكن حتى في بقية اجزاء الوطن ، على تفاوت في درجات هذا التأثير ، تبعا للقرب والبعد ، والاتصال والانفصال وما الى ذلك من الاسباب . فهل توجد الآن مدينة مغربية لها الزعامة الحضارية التي كانت معقودة لفاس في

عهود مضت ، بعد ان اصبحت فاس عاجزة على الاحتفاظ بهذه الزعامة للاسباب المتقدمة ؟ ها هنا بيت القصيد . وفي رايي ان هذا النوع من المدن النموذجية الرائدة لا تسمح له ظروف العصر الحضارية بأن يقوم بدوره الرائع كما كان يفعل قبل اليوم . فالنماذج المثلى للمدن انما توجد اليوم في الخارج ، وفي العالم الغربي بصفة خاصة ، لا بالنسبة الى المغرب فحسب ، وانما بالنسبة الى كل العالم النامي او الذي هو في طريق النمو فكيف ذلك ؟ فيما يتعلق بالمغرب الذي هو الاطار العريض لهذا الحديث ، كانت بعض مدنه قادرة على ان تنتصب نماذج مثالية على الصعيد الوطني لبضعة اسباب . في طليعتها ان المغرب كان شبه معزول عن العالم الخارجي بحكم ظروفه التاريخية ، الامر الذي اتاح للشخصية المحلية ان تبدو واضحة مشرقة، ومن تم أتيح لبعض المدن التي توجد فيها أقصى وارفع امكانات هذه الشخصية ان تصل الى مركز الزعامة من الوجهة الحضارية الخالصة . وسبب ثان وهو ان التطور الحضاري كان يسير ببطء شديد في هذه البلاد، سواء قبل الحماية او أثناءها نتيجة للعزلة التي كان المغرب يعاني منها ، خصوصا في عهد الحماية ، وهذا البطء في التطور الحضاري مكن مراكز الاشعاع الحضاري المحلية من ان تستمر في اداء رسالتها الحضارية حقبة طويلة من الزمن دون أن يزعجها شيء عن ذلك . ولكن بعد الاستقلال اخذ المجتمع المغربي يخرج عن جموده السابق ويجد للالتحاق بركب الحضارة الحديثة . وهنا اخذ يتحرك بشيء من المرونة غير قليل، فاتحا نوافذه على العالم الخارجي نافذة بعد نافذة ، مطلعا مباشرة او بواسطة على ما يجري في هذا العالم من تطورات واحداث حضارية مذهلة ، وكان من نتائج ذلك ان لم تبق النماذج الحضارية المحلية تنتصب امامه مثلا عليا ، وانما سار بحكم ما تقدم يلتمس مثله الحضاري الاعلى في حضارة الغرب الوافدة ، وفي مصادرها الاصلية . وهكذا اخذت مراكزنا الحضارية المحلية في الانكماش على نفسها . نعم عندنا بعض المدن الكبيرة كالدار البيضاء ، كان في الامكان ان تكون هي الطراز الاوروبي الذي يحتذى ، لولا ان تلك النوافذ المفتوحة أطلعتنا على مدن اجنبية تتمثل فيها الحضارة الغربية التي صرنا نتعشقها في صورتها المثالية . وهذا هو التحدي الذي يواجه به العالم المتقدم العالم النامي أو الذي هو في طريق النمو . كما انه الخطر الذي هدد ويهدد الحضارات الكلاسيكية في جميع شعوب الارض في الازمنة الحديثة .

وما لنا لا نعترف بأمر آخر كان له اثره القوي في امتناع قيام اية مدينة مغربية في الحديث ، بمثل الدور الذي قامت به مدينة فاس في القديم ، وهو هذه الهوة السحيقة الفاصلة بين الاجيال عندنا في المغرب حاليا . اذ عندنا الآن في المغرب ثلاثة اجيال متعاصرة ، جيل الشيوخ وجيل الكهول وجيل الشباب . ولئن كان التفاهم بين هذه الاجيال ممكنا في عهود مضت ، بحيث كانت القيم والافكار والمبادىء والعادات تنتقل من السلف الى الخلف في امن من اي خطر قد يتهدد مسيرتها التاريخية ، فنشا عن ذلك الحفاظ على الحضارة وعلى طابعها التقليدي الاصيل ، فان سوء التفاهم الحاصل بين هذه الاجيال الآن في بلادنا قد ادى الى عكس تلك النتائج ، خصوصا فيما يتصل بحضارتنا الكلاسيكية الجيل الجديد في المغرب قد اصابته عدوى بعض الانحرافات التي وقع في براثنها الجيل الجديد في كثير من بقاع العالم المتحضر ، فنبذ قيم الجيل السابق واعتنق بدلها قيما اخرى مستوردة ومن تم لم يعد في الامكان الاعتماد عليه في تلقي اشعاعات حضارتنا المغربية العريقة ، لانه كافر بها ، متعشق لكل ما هو اجنبي يرضي نزوعه المضطرب المتقلب ، حتى لتبدو له واجهاتنا الحضارية العربية ممعنة في الجمود والتخلف . واستمرار الحضارة في اي شكل من اشكالها ، متوقف على شيء من حسن التفاهم بين اجيال هذه الحضارة . فاذا ساء التفاهم تعذر نقل الحضارة من جيل الى جيل واصبحت مهددة بالزوال والاندثار . وانا هنا استخدم (حسن التفاهم) و (سوء التفاهم) لغرض مقصود . فانا لا اعني وحدة الاجيال ، بحيث يكون هذا الجيل يفكر بنفس العقلية الذي يفكر بها الجيل الذي سبقه او الذي لحقه . فهذا لو حدث لجمد الحضارة وقضى عليها بالتوقف بصفة نهائية . فلا شيء يجمد الحضارات مثل العجز عن التطور ، اذ لا يتاتى للجيل الجديد أن يبتكر ويجدد ليضيف الى الحضارة لمسات وملامح طريفة ، وانما كل جيل يكرر الجيل الذي سبقه ، وهذا هو الموت الحضاري . اما حسن التفاهم فيراد به أمر آخر ، وهو تنوع عقليات الاجيال ، خضوعا لتطور الزمان والمكان، ولكن مع الابقاء على بعض الاسس المسلمة التي على اساسها يقوم شيء من حسن التفاهم بين الاجيال ، وهذا ما نفتقده في بلادنا فلا نكاد نعثر عليه ، الامر الذي يسيء كثيرا الى استمرار حضارتنا العريقة ، ويعوق مراكز الحضارة في المغرب عن اداء رسالتها على الوجه المطلوب .

ان حضارة فاس هي جزء هام من حضارة المغرب بصفة عامة ، وحضارة كل البلاد العربية والاسلامية بصفة أعم ، من حيث قيامها على اساس الدين ، مادية كانت او معنوية ، اقتصادية أو اجتماعية ، علمية او ادبية او فنية . فالدين هو لحمتها وسداها والروح الساري في أوصالها والدم المتدفق في شرايينها . ولو انتفى منها عنصر الدين لانهارت بانهيار الاساس الذي تقوم عليه . وشيوع هذا الروح الديني في جل الوان تلك الحضارة صادر عن تعاليم الاسلام الذي لم يجعل الدين مجرد علاقة بين العبد وربه ، ولا موقوفا على بعض نواحي الحياة دون غيرها ، وانما جعله ينتظم حياة المسلم كلها ثقافة وفنا نظرية وسلوكا ، اجتماعا واقتصادا وسياسة وما الى ذلك . لهذا كان اصدق وصف للحضارة الاصيلة القائمة في بلاد العرب والمسلمين منذ ظهور الاسلام والى وقت غير بعيد ، هو انها حضارة (اسلامية) وحضارة فاس بل وحضارة المغرب عامة لا تشذ عن هذا المبدا ان لم نقل انها تمثله اصدق تمثيل . هذا مع العلم بأن الدين عندما يمتزج بالحضارة ويتفاعل معها ومع العناصر الثانوية المكونة لها كثيرا ما تطغى عليه هذه العناصر وتسلبه أقوى مقوماته ، وتضيف اليه ما ليس منه ، وتباعد بينه وبين كثير من خصائصه . وهذا امر خاضع لتطور البيئة التي تعتبر وعاء للحضارة والدين معا . ومن ثم ظهرت في مجتمع فاس وفي المجتمع المغربي كله ، كثير من التقاليد المتأثرة بالدين والجائرة به في نفس الوقت عن قصده الاساسي ، ولكنها مع ذلك تحمل على الدين وتنسب اليه . وعلى اي فان الدين هو العمود الفقري لحضارة هذه البلاد مهما دخلها من اسباب التشويه والتحوير ، ما اساء الى جوهرها الحي المبدع .

الشيء الذي اريد تحقيقه بعد هذه المقدمة ، هو اثبات ان حضارة فاس وكذا حضارة المغرب بصفة عامة ، هذه الحضارة المعتمدة اساسا على الدين ، مرتبطة في بقائها او زوالها ، في قوتها أو ضعفها بمصير الدين الذي هو الاسلام ، عقيدة هذه البلاد ومنبع حضارتها المتيدة . واذن فضعف الوازع الديني يعني ضعف الظواهر الحضارية المتصلة به مباشرة بينما لا يعني ضعف الظواهر الاخرى التي لا تتصل به هذا الاتصال المباشر .

ونصل الآن الى نقطة هامة من هذا الحديث ، وهي ان حضارة فاس قد اخذت في الضعف منذ انقطعت روافدها التي كانت تمدها بدم جديد بين حين وآخر . وبيان ذلك انه بعد انقطاع هذه الروافد كانت مدينة فاس قد تكون لها مزاج حضاري وشخصية تكاد تكون مستقلة ، بواسطتها تمكنت من مواصلة اداء دورها الحضاري الرائع ، ولكن لم يكن في امكانها الاستمرار في ذلك الا ريثما اوشك رصيدها الحضاري أن ينفذ . واهم رافد كان يرفد مدينة فاس هو الاندلس . وبين الاندلس وفاس من العلاقات الثقافية والحضارية ما يفسر كل أنواع الفنون والصناعات والآداب والعلوم التي ازدهرت بهذه المدينة . فازهى عصور فاس وأروع فصول حضارتها ، تلك التي شهدت قيام العلاقات الاندلسية الفاسية على قدم وساق ، وخصوصا في عهد بني مرين ، اما بواسطة الهجرة ، واما بواسطة تبادل الزيارات بين سكان البلدين . وكان من عادة الاندلسيين المهاجرين الى المغرب ان يختاروا اقرب المدن المغربية شبها بالمدن الاندلسية التي عاشوا فيها من حيث اعتدال المناخ وخصوبة الارض وطابع الحضارة . ولاشك ان مدينة فاس كانت من اهم المراكز الحضارية التي استجابت لرغبتهم هذه ، بخصوبة أرضها ووفرة مياهها وجمال طبيعتها ورقة سكانها ولطف شمائلهم . وقد كان هؤلاء الطارئون على فاس من عرب الاندلس يحملون معهم علمهم وادبهم وفنهم وصناعاتهم وحرفهم، ويمتازون بالنشاط الوافر والعمل الدؤوب والمهارة الفائقة . ومن طبيعة المهاجر الى بلد غير بلده ولو كانت تربطه به اوثق الروابط ، ان يكون عنده شعور بالنقص ازاء السكان اصحاب البلد ، من جراء العقدة المتمكنة منه ، بسبب شعوره بانه طارىء غريب ، فتدفع به هذه العقدة الى بذل مزيد من النشاط في علم او فن أو صناعة او حرفة ، كي يثبت كفاءته ومدى نفعه للبلد الذي هاجر اليه ، حتى يقف على قدم المساواة مع السكان الاصليين ، ويقتنع بانه ليس عالة عليهم في شيء . فاذا صادف في مهجره وسطا اجتماعيا وحضارة اقل في المستوى من وسطه الاجتماعي وحضارته في بلده الذي هاجر منه ، كان نشاطه مبطنا بشيء غير قليل من الاحساس بالتفوق ، ووجد من ضعف المستوى في مهجره ما يمكنه من ابراز ملكاته وانواع خبراته . ومن ثم ما يلبث ان يرى فضله على من حوله من الناس ، وانه يقف منهم موقف الاستاذ من التلميذ . وهذا ما حصل بالنسبة الى عرب الاندلس الوافدين على المغرب عامة ، وعلى مدينة فاس بصفة خاصة . فقد كانوا من انشط عناصر السكان بعد استقرارهم بمهجرهم ، فساهموا مساهمة فعالة في نهضة حضارة فاس وتعزيز جانبها ورفدها بكثير من الوان الحضارة المادية والمعنوية . اما سكان المغرب

وخاصة اهل فاس ، فلم يكونوا يودون ان يظهروا بمظهر الضعيف امام هذا العنصر الوافد عليهم ، خصوصا وانهم — اي المغاربة — كانوا يمثلون الدول القوية ، صاحبة الفضل الكبير على عرب الاندلس . فهي التي تقدمت مرارا لنجدتهم ، وردت عنهم كيد العدو ، وهي التي فتحت ذراعيها لايوائهم بعد محنتهم المريرة . ولذلك كان اهل هذه البلاد بدافع من الشعور بالتحدي ، يبذلون من الجهد والنشاط ما يتكافأ ونشاط اولئك الطارئين عليهم . كان الاندلسيون يمثلون قمة النضج الحضاري ، وكان المغاربة يمثلون قمة القوة السياسية ، فقوة هؤلاء لا يوازيها الا تفوق اولئك . وكل فريق يندفع الى العمل والنشاط الدؤوب بدافع من شعوره بشخصيته ومحاولته اثباتها امام الطرف الآخر. والمستفيد من هذا التنافس هو حضارة فاس الزاهرة التي كانت اروع ما انتج الانسان المغربي والاندلسي في وطننا الحبيب . وكانت الاندلس خليقة ان تبقى رافدا هاما لحضارة فاس وحضارة كل المغرب ، لو ان الله هيأ لها ان تعيش عربية اسلامية اكثر مما عاشت ، ولكن ظروفها التاريخية كانت اقوى منها ، فسقطت وبعد سقوطها فقد المغرب اهم روافد حضارته العقلية والمادية . الا ان سقوطها اتاح لفاس ان تتالق حضارتها وتظهر شخصيتها الحضارية واضحة مشرقة، ذلك ان جارا متفوقا حضاريا كان لا يسمح لمراكز الحضارة في المغرب بالظهور . ولما انهار ذلك الجار — مع الاسف الشديد — وزال من ميدان المنافسة ، فسح المجال واسعا لحضارة المغرب وحضارة فاس خاصة ان تبرز بشكل واضح . وبعد سقوط الاندلس بزمن غير قصير ، بقيت فاس ترسل انوار حضارتها الزاهرة ، بالرغم من دبيب الضعف الذي بدا يسري في كيانها بعد زوال رافدها الاساسي ، مدفوعة الى ذلك بقوتها الذاتية التي اكتسبتها عبر تاريخها الطويل. الا ان ذلك الضعف الذي بدا شاحبا بسيطا اخذ يتطور ويتضخم حجمه مع مرور الايام ، وتحالفت عوامل اخرى على ابرازه وتضخيمه ، الى ان ظهر بشكل واضح خلال عقود مضت من السنين .

ما هي النتائج المترتبة على ضعف مدينة فاس من الوجهة الحضارية الكلاسيكية ؟ لقد ترتبت على ذلك عدة نتائج . وقبل الحديث عنها لابد من شرح المراد بالضعف الحضاري الذي تكرر خلال هذا الحديث . يراد بهذا الضعف عدة امور ، يراد به اولا فتور القابلية للتطور والتجدد ، والجمود على اوضاع حضارية ذات طراز خاص ، بحيث تصاب الحضارة بنكسة ترتد بها الى الوراء ، وتضعف الخلايا الحية فيها . ويراد به ثانيا عدم القدرة على الابداع والابتكار واضافة اشياء جديدة الى المكتسبات القديمة ، وانما يعاد تكرار الماضي الحضاري بنفس صوره القديمة ، فينتفي عنصر الطرافة ، وتصبح النماذج يعيد بعضها بعضا ، وربما كان هذا المدلول الثاني متفرعا عن المدلول الاول . ويراد به ثالثا ضعف القدرة على الاستفادة من الحضارات الوافدة ، بمعنى استعارة بعض خصائصها مع استساغتها وهضمها ثم اعطائها الطابع المحلي وتحويلها الى خصائص ذاتية او شبه ذاتية ويراد به اخيرا تقلص تاثير حضارة معينة على حضارات مشابهة لها او محتكة بها من قريب او بعيد ، وعلى الذين يعيشون في ظلالها ، اذ ان انظارهم لا تبقى تشد اليها بقوة كما كان يحدث قبل فترة الضعف . بعد الاشارة العابرة الى المراد بالضعف الحضاري اتعرض لنتائج ضعف حضارة فاس الكلاسيكية فاقول : ان من هذه النتائج تهيؤ فرص اكثر للحضارة الحديثة كي تسيطر على الشخصية المحلية وتدمغها بطابعها وتضع لها من الاذواق والمشارب والنزعات العقلية والقيم الجمالية ما يسايرها وينسجم معها . فقبل اليوم ، كانت قوة الحضارة ذات الطابع المحلي تقف سدا منيعا دون تسرب حضارة العصر الى المجتمع المحلي والعقلية المحلية . واذا تسرب شيء منها فمن اضيق المنافذ واشدها استعصاء ومناعة . فلما ضعفت الحضارة المحلية ، انهارت تلك المقاومة ، وخلى بين الحضارة الحديثة وبين المجتمع المحلي ، تغزوه بهياكلها على تفاوت بين اوساطنا الاجتماعية في تقبلها والارتماء في احضانها ، او الاخذ منها بشيء من الحذر والاحتياط . ومن تلك النتائج ضعف الصلة بين القديم والحديث ، وبالتالي زوال سيطرة القديم على الحديث . فقبل اليوم وعندما كانت الحضارة المحلية قابضة على زمام المجتمع بيد قوية ، كانت الصلة بين القديم والحديث متينة ، لدرجة ان الحديث كان خاضعا للقديم وتوجيهه ، فكان الناس او قل البعض منهم يتعاطى الجديد من ازياء الحضارة واشكالها وهياكلها ، في اللباس والبناء والاثاث والثقافة ، وفي الوقت نفسه يترك للقديم ان يتحكم في هذا الجديد ، يقبل منه ما يقبل ويرفض منه ما يرفض ، وفقا لذائقته ومزاجه . وعندما جاءت فترة اخرى تحقق فيها شيء من التوازن بين القديم والحديث استمرت العلاقة قوية بينهما ، الا ان حرب الاعصاب بين الطرفين كانت سجالا ، او قل انهما اقتسما مناطق النفوذ ، وكثيرا ما كانا يختصمان ويتعارضان ويبذل كل منهما اقصى ما لديه من جهد ، من اجل الاستحواذ على اغلبية قطاعات المجتمع وطبقاته . واليوم نشهد

انتصار الحديث على القديم وظفره به والقاءه جانبا في اكثر من مجال . واذا كانت بعض الطبقات الاجتماعية تعمل من أجل الملاءمة بين القديم والحديث بقدر الامكان ، فتنجح في ذلك حينا وتفشل احيانا ، فان غالبية الشباب قد قفزت من القديم الى الحديث طفرة واحدة ، محرقة كل الجسور التي بين الطرفين . ومع ذلك فلو خلي هذا الشباب بين نفسه وبين ان تتصرف على سجيتها لكان متحركا بوحي من رواسب الحضارة المحلية القابعة في اعماقه . وما كان شيء من هذا ليحدث ، لو استمرت الحضارة المحلية قوية مشعة ذات سلطة روحية ، ولكن هذا غير ممكن ، اذ من المتعذر ان لم نقل من المستحيل بقاء اوضاعنا الحضارية على ما كانت عليه ، نظرا لسنن التاريخ والاجتماع التي تغير من حياة الناس وتبدل في جبرية شبه مطلقة. ومن تلك النتائج زوال صفة المركزية عن الحضارة او اقترابها من الزوال . هذه المركزية التي كانت قبل اليوم تجعل حضارة معينة تفرض نفسها بوصفها ذات امتياز ، وتجعل من اللازم لكل من اراد ان يكون متحضرا ان ينتقل الى العيش في ظلالها او ينقلها اليه ما استطاع الى ذلك سبيلا . وهذا كان ينطبق على حضارة فاس كما كان ينطبق على حضارة بعض المدن المغربية الاخرى بالدرجة الثانية . كما انها — اي المركزية الحضارية — تشعر طبقات معينة من فئات الشعب بانها ممتازة من غيرها، وان حضارتها مما لا يسهل اكتسابه ، لكونه يحتاج الى سلسلة من الآباء والاجداد عاشوا كلهم الحضارة المركزية وتشربوا خصائصها فصارت لهم فطرة وسليقة . زالت تلك المركزية الحضارية او اوشكت ان تزول ، وفسح المجال واسعا امام حضارة العصر التي يتساوى جل المواطنين المغاربة في كونها جديدة بالنسبة اليهم . ومن ثم ليس لاي أحد ان يدعي العراقة في هذه الحضارة الجديدة ، اذ هي جديدة طارئة بالنسبة الى الجميع . واذا كانت القلة القليلة قد سبقت اليها ، فهذه السابقة لا تستغرق اكثر من ثلاثة عقود او اربعة عقود من السنين ، وهي مدة لا تخول لاحد ادعاء العراقة في الحضارة . وهذا الوضع الحضاري اشعر المغاربة جميعا انهم متساوون في حداثتهم الحضارية نتيجة للامركزية الحضارة . بل ان هذه اللامركزية وسواسية الجميع أمام حضارة العصر، بالمعنى الذي اقصد اليه من لفظ المساواة ؛ قد رجح كفة بعض المدن المغربية الناشئة حديثا على كفة مراكز الحضارة التقليدية وفي طليعتها مدينة فاس . اذ ان تلك المدن الناشئة — وفي طليعتها الدار البيضاء — تتمثل فيها الحضارة الحديثة تمثلا اكثر تقدما ووضوحا. بحكم انها اتسمت بطابع الحداثة منذ نشأتها الاولى ، في حين ان المدن العتيقة كانت لمسات الحداثة امرا طارئا عليها ، فعجزت عن منافسة المدن الاخرى ، وبدت ازاءها صغيرة الشأن ، بسيطة القيمة ومن مميزات الحضارة الحديثة ، كونها تهيء لمن يرغب فيها ويعمل على اكتسابها شتى الوسائل والادوات التي تسهل عليه ممارستها والتكيف معها . ومن ثم نجد كثيرا من الافراد الذين ليست لهم سابقة في هذه الحضارة ، يستطيعون ان يندمجوا فيها في بضع سنين ، فينظموا حياتهم ويصوغوا اذواقهم ويكونوا عاداتهم بوحي منها. اما الحضارة الكلاسيكية كحضارة فاس ، فكان تمثلها وهضمها والانتساب اليها صعبا للغاية ، ويحتاج الى سنين طويلة ، اذ هي بطيئة الوسائل بدائيتها ، لا تمكن الانسان من نفسها الا بعد جهد جهيد كله مران ودربة واختيار . ومن ثم فسنة واحدة تقضى في الاحتكاك بالحضارة الحديثة تعادل سنوات من الاحتكاك بالحضارة الكلاسيكية ، وشهر يعادل سنة ، ويوم يعادل شهرا . وما ذلك الا لان الحضارة الحديثة معتمدة اساسا على العلم ، والعلم دقيق الوسائل منظم الخطوات ، اما الحضارة الكلاسيكية عندنا فمعتمدة على المحاكاة والتقليد غالبا ، وعن طريقهما تنتقل التجارب والخبرات والكفاءات . ولا اقصد الى ان اكتساب الحضارة الحديثة مقصور على من تعاطى العلم الحديث ، وانما اقصد الى انها ابتكرت من الوسائل والادوات العلمية ، والآلات البصرية والسمعية ، ما يساعد من يريد اكتسابها على تحقيق غرضه من اقصى الطرق ، فاذا ضم الى ذلك ما تقدمه هذه الحضارة من الدروس والحقائق العلمية ، فقد صار اكثر قدرة على الاندماج فيها واساغتها وهضمها .

وبعد ، فاني اعتقد اني قد قصرت في شرح جوانب هذا الموضوع ، وان كل مسالة من مسائله محتاجة الى فضل من بيان وايضاح ، ولعل غيري ممن يملكون من وسائل البحث التاريخي والاجتماعي وادواته ما لا املك ، ان يتصدوا لهذا الموضوع ذي الاهمية الكبيرة ، وما اكثر النواحي البكر في تاريخ الحضارة المغربية بصفة عامة ، الامر الذي يهيء للباحث ميادين خصبة غزيرة المادة ، اذا هو اراد مواصلة البحث ، واستقصاء حقائق التاريخ .

فاس — عبد العلي الوزاني

المؤلفون المغاربة في مختلف العصور

للأستاذ عبد السلام بن سودة

منذ عقلت وميزت في هذه الحياة وانا مغرم بمطالعة كتب التاريخ بصفة عامة . وما يتعلق بالتاريخ المغربي بصفة خاصة .

وكنت شديد الولوع منذ نعومة الاظفار بمطالعة اسفارها واجزائها على اختلاف انواعها وتعدد مشاربها حتى تجمعت في مخيلتي خطوط عريضة عن التاريخ المغربي وقد بث في هذا الطبع ما وجدته في بيئتي الخاصة من مصادر متعددة ترجع الى تاريخ علماء المغرب ورجالاته الافذاذ على اختلاف مراتبهم ومشاربهم واطلاعهم ، اذ قلما مضى عصر لم تحفظ آثاره بالتدوين قبل المغتنين بتقييد ما عثروا عليه او عاينوه من ضروب المآثر وظهر منهم الشيء الكثير .

نبغ منهم على ممر العصور رجال عرفوا بالبحث والتنقيب الى وقتنا هذا جماعة من اهل العلم في هذا الميدان .

ومن أقدمهم محمد بن حارث بن اسد الخشني الاندلسي نزيل سبتة فقد ذكر في ترجمته ان له كتاب الطبقات وكذلك غيره مثل الشيخ القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الشيخ الشهير في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة اعلام مذهب مالك طبعت على الحروف، وفي فهرسة اشياخه التي تعرف بالغنية .

والشيخ احمد بن يوسف بن احمد ابن فرتون السلمي نزيل فاس في كتابه الذيل والتكملة لكتابه الصلة ذيل به صلة ابن بشكوال .

والشيخ محمد بن عبد الله بن ابي بكر في كتابه التكملة لكتاب الصلة ايضا طبع على الحروف .

والشيخ عبد الرحمن بن ابي طالب عبد الله اللخمي العزفي في كتابه الاشادة ، في المشتهرين من المتاخرين بالاجادة .

والشيخ احمد بن ابراهيم ابن الزبير العاصمي الغرناطي في كتابه صلة الصلة طبع البعض منها .

والشيخ محمد بن عبد المالك الانصاري الاوسي المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة الواقع في عدة اجزاء طبع البعض منها على الحروف .

والشيخ ابي البركات محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم يعرف بابن الحاج البلفيقي في كتابه المؤتمن على ابناء الزمن .

والشيخ الحسن بن عتيق بن الحسن ابن رشيق التغلبي في كتابه التاريخ الكبير وفي كتابه ميزان العمل في ايام الدول .

والشيخ محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماني لسان الدين المؤرخ الشهير دفين فاس في جل كتبه في هذا الموضوع ولولاه لضاع الشيء الكثير منها الاحاطة في اخبار غرناطة طبعت اطراف منها على الحروف .

والشيخ محمد بن ابي بكر بن عبد المهيمن الحضرمي في كتابه السلسبيل العذب من المنهل الاحلى المرفوع للخلافة العزيزة التي لا تزال مناقبها على ممر الدهور تتلى في سلك من تحلى سلكهم الاربعين في الجيل جيل فاس ومكناس وسلا وفي كتابه الكوكب الوقاد — في ذكر من حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد —

والشيخ ابراهيم بن علي ابن فرحون اليعمري في كتابه الديباج المذهب ، في معرفة اعيان المذهب يعني المذهب المالكي .

والشيخ يحيى بن احمد السراج الحميري الرندي في فهرسته المعروفة .

والشيخ اسماعيل بن ابي الحجاج يوسف بن الاحمر الخزرجي في كتابه نثير الجمان فيمن نظمني واياهم الزمان وفي تاليفه في اعيان فاس .

والشيخ محمد بن قاسم بن محمد الانصاري السبتي في كتابه بلغة الامنية والمقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وطبيب .

والشيخ ابي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عسكر في فهرسته المسماة دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من اهل القرن العاشر — طبعت على الحجر بفاس مرارا .

والشيخ احمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي في فهرسته الشهيرة .

والشيخ احمد محمد ابن القاضي المكناسي في كتابه جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس طبع على الحجر بفاس وفي كتابه درة الحجال في اسماء الرجال طبع على الحروف وفي كتابه غنية الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض وفي كتابه لقط الفرائد من لفاظة الفوائد .

والشيخ احمد بن محمد بن سعيد المقري في كتاب ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض طبع البعض منه على الحروف وفي كتابه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب طبع على الحروف مرارا وفي كتابه روضة الانس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس طبع على الحروف اخيرا .

والشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب وغيره من تاليفه .

والشيخ المهدي بن احمد الفاسي الفهري في كتابه ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع طبع على الحجر بفاس مرتين .

والشيخ الطيب بن الشيخ محمد فتحا بن الشيخ عبد القدر الفاسي الفهري في كتابه مطمح النظر ومرسل العبر بذكر من غبر من اهل القرن الحادي عشر .

والشيخ محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي في كتابه ازهار البستان ، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان طبع على الحروف وفي كتابه المعرب المبين عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين طبع على الحجر بفاس .

والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه الاعلام بمن غبر من اهل القرن الحادي عشر .

والشيخ محمد الصغير بن محمد الافراني المراكشي دفين ابي الجعد في كتابه صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر طبع على الحجر بفاس .

والشيخ محمد بن احمد بن محمد فتحا بن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه الذي جمع فيه اعيان الاعيان الذين الفوا ومنهم اعيان المدرسين الذين لم يؤلفوا .

وهذا التاليف من المؤسف اننا لم نقف عليه مع قرب زمنه وذكر القادري في النشر الكبير انه لم يعثر عليه والامر لله وحده .

والشيخ محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني قيدوم المؤرخين المغاربة فى كتابه نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني كبير وصغير والكبير هو الذي اخذت فى تصحيحه الآن اعاننا الله على ذلك واما الصغير فهو مطبوع على الحجر بفاس وفى اختصاره الذى اسماه التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر ، فى اخبار اعيان المائة الحادية والثانية عشر ، وفى كتابه الاكليل والتاج فى ذيل كتاب كفاية المحتاج .

والشيخ محمد بن احمد السوسي الحضيكي الجزولي فى كتابه الطبقات طبع على الحروف فى جزاين .

والشيخ محمد فتحا بن علي الزبادي الحسني فى كتابه سلوك الطريق الوارية ، فى الشيخ والتلميذ والزاوية

والشيخ احمد بن محمد ابن عجيبة الحسني فى كتابه ازهار البستان فى طبقات الاعيان .

والشيخ سليمان بن محمد الحوات الحسني العلمي فى كتابه الروضة المقصودة والحلل الممدودة فى مآثر بني سورة وفى كتابه البدور الضاوية فى اهل الزاوية الدلائية وفى كتابه ثمرة انسي فى التعريف بنفسي

والشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد السلام المعروف بمهيز من اولاد ابن الاشقر الزرهوني فى فهرسته التى سماها بغية المرام بمن اخذت عنه من الاعلام .

والشيخ ابو القاسم بن احمد على الزياني فى الفهرسة التى الفها فى اشياخ المولى سليمان المسماة جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان فى الملوك العلويين واشياخ المولى سليمان وفى غير ذلك من تآليفه .

والشيخ التهامي بن المكي بن عبد السلام ابن رحمون الحسني العلمي فى مجموعته التى جمع فيها اجازات اشياخه وتراجمهم .

والشيخ الطالب بن الشيخ حمدون ابن الحاج السلمي فى فهرسته التي سماها روض البهار ، فى ذكر جملة من اشياخنا الذين فضلهم اجلى من شمس النهار .

والشيخ عبد الكبير المدعو الكبير بن المجذوب الفاسي الفهري فى كتابه تذكرة المحسنين بوفيات الاعيان وحوادث السنين .

والشيخ العباس بن الشيخ محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجراتي فى كتابه الذي جعله ذيلا على نشر المثاني والذى سماه لوامع الدرر من رجال اهل القرن الثالث عشر .

والشيخ العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي فى كتابه نزهة الابصار بذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن فى مناقب سيدي احمد وولده سيدي الحسن فهو مفعم بالتراجم وذكر المؤلفات

والشيخ احمد بن خالد الناصري الجعفري فى كتابه الاستقصا، فى اخبار المغرب الاقصى، طبع مرتين . وفى كتابه طلعة المشتري فى النسب الجعفري طبعت على الحجر بفاس .

والشيخ احمد بن محمد بن الشيخ حمدون ابن الحاج السلمي فى كتابه الدر المنتخب المستحسن فى بعض مآثر امير المؤمنين مولانا الحسن ، وفى اختصاره المسمى الدرة التاريخية المهداة للحضرة الحسنية .

والشيخ جعفر بن ادريس الكتاني الحسني فى كتابه الشرب المختصر والسر المنتظر من معين اهل القرن الثالث عشر طبع على الحجر بفاس .

والشيخ العربي بن عبد الله بن محمد الوزاني الحسني نزيل الرباط فى كتابه بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من اشياخ اهل الفضل والكمال وفى كتاب معجم الشيوخ .

والشيخ محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي فى كتابه الاغتباط ، فى تراجم اعلام الرباط .

والشيخ محمد بن الشيخ جعفر بن ادريس الكتاني الحسني فى كتابه سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس وغيره من تآليفه .

والشيخ فتح الله بن ابي بكر الرباطي فى كتابه المجد الشامخ ، فيمن اجتمعت بهم من المشايخ

والشيخ محمد بن احمد العبدي الكانوني الاسفي في كتابه آسفي وما اليه طبع على الحروف وفي كتابه جواهر الكمال في تراجم الرجال طبع الجزء منه .

والشيخ محمد بن علي دينية الرباطي في كتابه مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء الرباط يقع في مجلدين .

والشيخ محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني الحسني في كتابه لواقح الازهار الندية فيمن تولى واقبر من القضاة والعدول وغيرهما بهذه الحضرة الادريسية .

والشيخ احمد بن العياشي سكيرج الانصاري في كتابه رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الاعيان وفي كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب وفي كتابه رفع النقاب بعد رفع الحجاب كلاهما مطبوع على الحجر بفاس .

والشيخ محمد بن علي الدكالي السلاوي في كتابه ادواح البستان ، في اخبار العدوتين ومن درج فيها من الاعيان وفي كتابه الاتحاف الوجيز في اخبار العدوتين لمولى عبد العزيز .

والشيخ محمد بن المفضل غريط في كتابه فواصل الجمان ، في انباء وزراء وكتاب الزمان طبع على الحروف بفاس .

والشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن زيدان الحسني العلوي في كتابه اتحاف اعلام الناس بجمال حضرة مكناس طبع منه خمسة اجزاء والباقي لا زال .

والشيخ محمد بن محمد ابن الموقت المسفيوي المراكشي في كتابه السعادة الابدية في التعريف برجال الحضرة المراكشية طبع على الحجر بفاس في سفرين وفي اختصاره طبع على الحروف .

والشيخ احمد بن محمد الرهوني نزيل مدينة تطوان في كتابه عمدة الراوين في تاريخ تطاوين يقع في عدة اسفار .

والشيخ محمد بن الحسن الحجوي في كتابه الفكر السامي ، في الفقه الاسلامي طبع على الحروف في اربعة اسفار .

والشيخ العباس بن محمد بن ابراهيم المراكشي في كتابه الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام طبع منه خمسة اسفار والباقي لا زال .

والشيخ عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الحسني الكتاني في كتابه فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات طبعت على الحروف في جزأين .

والشيخ المختار بن الشيخ علي السوسي الالغي في كتبه منها كتاب المعسول طبع على الحروف في اجزاء 20 وغيره من تآليفه .

والشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ الطاهر الفاسي الفهري في فهرسته التي سماها رياض الجنة او المدهش المطرب طبعت على الحروف في جزأين وغيره من تآليفه .

والشيخ احمد بن الشيخ محمد فتحا الحسني التميشي في كتابه تاريخ الشعر والشعراء بفاس طبع مختصره على الحروف بفاس في جزء صغير .

ومن الاحياء حفظهم الله وزاد في معنويتهم :

الشيخ محمد بن احمد داود التطواني في كتابه تاريخ مدينة تطوان طبع منه سبعة اسفار على الحروف والباقي لا زال تحت الطبع .

والشيخ محمد عباس القباج في كتابه الادب العربي بالمغرب الاقصى طبع في جزءين صغيرين على الحروف .

والشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الصمد جنون في كتابه النبوغ المغربي في الآداب العربي طبع مرتين على الحروف في جزءين

والشيخ عبد الله بن العباس الجراري في كتبه التي طبعت .

وغيرهم وغيرهم ولو تتبعنا ذكر الفهارس التي الفها المغاربة والتي لا تخرج في الواقع عن طبقات الاشياخ وذكر رجالهم الذين عاصرهم صاحب الفهرسة لطال ذلك وان اردت مراجعة اسماءهم انظر دليل مؤرخ المغرب الاقصى في القسم السادس .

وهذه الكتب التى ذكرت ربما كان البعض منها مفقودا الآن مثل كتاب الذيل والتكملة لابن فرتون وكتاب الاشادة وغيرهما نرجو ان نقف عليها .

— ◆ —

وبعد تعقب هذه المطالعات المختلفة والمراجعات المتابعة والجهود المتواصلة وقطع مسافات شاسعة وتضحيات بكل نفيس فى سبيل البحث والتنقيب عن مآثر تآليف رجال المغرب مع الاقتصار على ذكر وفاتهم وولادتهم ان امكن بصفة خاصة .

وبيت القصيد هو ذكر المؤلفات سواء كانت كبيرة متعددة الاجزاء او صغيرة مما انتجه الفكر المغربي فى شتى الفنون .

اما الترجمة فلا اذكر منها الا الاسم والعائلة والوفاة ويكون كتابنا هذا معجما لكل تآليف المغاربة منذ نشأ الاسلام فى هذا البلد العزيز علينا الى وقتنا الحاضر .

واذا قلت المغرب فانى اقصد المغرب الاقصى بحدوده المعروفة سابقا ولا اتوسع بذكر المغرب العربي عامة حيث ذكر ذلك يطول .

وسوف اذكر الاجانب عن البلاد الذين عاشوا بها مدة ولو قليلة او طويلة لاجل الرحلة والاستفادة وربما ماتوا بها او رجعوا الى بلادهم .

وسوف ابحث عن هؤلاء حتى أوفي بذكرهم وذكر تآليفهم ووفاتهم حسب الامكان ويكون ذلك مرتبا على حروف المعجم باصطلاح المغاربة باعتبار اسماء تآليفهم كما فعل صاحب كشف الظنون وغيره.

مقتصرا على وصف الكتاب وصفا مجملا وذكر موضوعه وتاريخ الفراغ من تأليفه ان امكن

وهذه الفكرة من جمع اسماء الكتب وترجمة مؤلفها هي فى الحقيقة وليدة الاندلس يدل على ذلك ما جاء فى ترجمة الشيخ الجليل محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم يعرف بالحاج يكنى ابو البركات البلفيقي الانصاري المتوفى سنة 771 هـ — 1369 م المذكور .

فقد ذكروا من جملة كتبه تأليفا فى اسماء الكتب والتعريف بمؤلفها مرتبة على حروف المعجم .

فهذه الفكرة كما ترى نشأت بالاندلس وظهرت بعد بالمغرب واصلها من الشرق ولكنها لم تتم ومن المؤسف ان تأليف الشيخ ابي البركات هذا لا يعرف له اثر الآن ولا ذكر له فى الخزائن العلمية حيث لم تحتفظ به فهو من التآليف الضائعة .

وفعلا قمت بهذا الواجب فجمعت كل ما وقفت عليه من اسماء كتب المغاربة التى الفوها منذ دول اسلام الذين تعاقبوا عليه الى الآن .

جمعت ذلك من الوقوف على الكتب التى توجد الآن سواء كانت بالخزائن العامة التى دخلت اليها واستفدت منها او من الخزانة الخاصة او من التراجيم التى ذكرت فى الكتب التى وقفت عليها وليست مفقودة .

واما ذكر كتب الرجال الذين عاصرتهم فانى اخذتها من الجرائد والمجلات التي ظهرت اخيرا على الطبع او من افراد الرجال الذين اتصلت بهم وعرفتهم او من بعض عائلاتهم .

وبهذه الجهود المبذولة اجتمع فى هذه الدراسة التى اسميتها : معجم تآليف رجال المغرب الاقصى اكثر من خمسة عشر الف كتاب وهذا العدد هو اكثر مما ذكر صاحب كشف الظنون الشيخ مصطفى بن عبد الله المعروف حاجي خليفة المتوفى سنة 1066 هـ — 1656 م .

مع الزيادة التى اضيفت اليه فانما اجتمع فى ذلك نحو من ثلاثة عشر الف كتاب وهو جامع لكتب دول الاسلام جمعاء حتى المغرب الاقصى وهذه الدراسة خاصة بالمغرب .

اما عدد اسماء المؤلفين الذين ذكرتهم فهم اكثر من خمسة آلاف مؤلف على اختلاف محل سكناهم بالمغرب .

ولست ادعي ان هذا الجمع احاط بذكر كل كتاب المغاربة نهائيا وان هذه الدراسة محيطة بكل ما هنالك ، فانما هي محاولة صادرة من قلب مفعم بحب وطنه وخيرة رجاله يصعب عليه ان يضيع هؤلاء فى مجاهل التاريخ ولا يبقى لهم ذكر ابدا مع مجهوداتهم الشاقة ومتاعبهم المضنية ورحمهم الله على نيتهم الصالحة وقدس ارواحهم فى دار النعيم ونسال الله التوفيق بمنه وكرمه .

هذا ولا زالت الجهود متواصلة فاننا بحول الله وقوته فى كل يوم نسمع ان العالم الفلاني والنابغة

الفلاني والباحث المتفوق قام بالتاليف فى موضوع من المواضيع التى كانت خفية ومتشردة قد جمعها واحاط بها ونقب عليها حتى صارت مجتمعة بعد ما كانت مشتتة متفرقة لا يهتدى اليها فى الحين .

كما تسمع ان الشاب المنهمك فى طلب العلم قد جعل رسالته او اطروحته فى ناحية من النواحي العلمية او التاريخية مما هو خاص فى موضوع يتصل بالمعارف المغربية .

وربما طبع البعض منها مثل رسالة الدكتور محمد بن شريفة فى ابن ابي عميرة او اطروحته فى الامثال الشعبية الاندلسية طبع الجزء الثاني منها والاول تحت الطبع .

والاستاذ المطلع حجي السلاوي الذى جعل رسالته فى الزاوية الدلائية طبعت وهو الآن منهمك فى جعل اطروحته لنيل الدكتورة فى الدولة السعدية وما اليها اعانه الله على ذلك وقوى معنويته .

والدكتور النابغة العباس بن الشيخ عبد الله الجراري الذي جعل اطروحته فى فن الملحون بالمغرب سماها القصيدة طبعت .

والدكتور محمد بن عبد المالك بن الحفيظ الكتاني الحسني فى كتاب ابن الخطيب روض التعريف فى الحب الشريف بلغني انه طبع .

والاستاذ النابغة الحسن بن الشيخ محمد بن عبد السلام السائح الرباطي فى رحلة البلوى وقد طبع المقدمة وعلى نية طبعها اعانه الله وغيرهم وغيرهم

كما لا زال لم يظهر انتاج البعض منهم فى عالم الطبع وان كانوا حازوا بها شهادتهم وانما سمعت صداهم وربما اذكر البعض منها داخله ان شاء الله.

حفظ الله كل من ينهج هذه المناهج واعانهم على خدمة العلم لصالح هذا البلاد العزيز .

هذا وبعد ان اشرف هذا المعجم على التمام وان كان لا زال قابلا للزيادة والتنقيح والاصلاح والبحث والتنقيب .

ظهر لي ان اقتطف من الكتاب تقريرات تنشر تكون كنموذج اذكر وفاة المؤلف او زمنه واسمه ونسبه وبعد ذلك اسماء مؤلفاته كيف ما تنشر وذلك لينشر على صفحات مجلة دعوة الحق القراء التى تصدرها وزارة عموم الاوقاف ليكون ذلك بين مقالاتها القيمة بالتتابع ويكون ذلك عنوانا لما فى هذا المعجم بصفة مجملة عامة .

ورجاء من الذين لهم اعتناء فى البحث بهذا الموضوع أن يتقبلوا باقتراح وجد ذلك .

ويعذرون جامعه ان وقع منه فى بعض الاحيان خلل ونقص وفى امكانهم التنبيه على الاغلاط والاوهام حتى تستدرك فى محلها .

ولا يخفى ان هذه الدراسات من الدراسات الجامعة لا من الدراسات الفردية كما هو شأن فى الدراسات العامة وخصوصا مثل هذا .

المؤلفون المغاربة فى مختلف العصور

364 هـ — 964 م

محمد بن حارث بن اسد الخشني الاندلسي دخل الى مدينة سبتة فحبسه اهلها عندهم له :

كتاب فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك
كتاب الفتيا
كتاب النسب
كتاب فى رأي مالك الذى خالف فيه اصحابه
كتاب المولد والوفاة
كتاب المحاضرات
كتاب الاقتباس
كتاب التعريف
كتاب الطبقات
كتاب مناقب سحنون
كتاب الراوية عن مالك
تاريخ قضاة الاندلس
تاريخ الافريقيين
تاريخ علماء الاندلس

---

453 — 1061 م — 523 — 1128 م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الصقر الانصاري له :

مختصر السيرة والمغازي .

اختصار تاريخ ابي جعفر الطبري
مختصر سيرة المصطفى لابي سعيد الخراساني
مختصر في اصول تعبير الرؤيا

---

530 — 1135 بعد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي يعرف بابن برجان المتوفى مغربا عن وطنه بمراكش بعد الثلاثين وخمسمائة له :
تفسير القرآن لم يكمل ذكر لي انه يوجد باحدى خزائن تركيا .
شرح على اسماء الله الحسنى

---

476 — 1087 — 544 — 1149 م

عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي لـــه :
اكمال المعلم في شرح صحيح مسلم كمل فيه شرح الامام محمد بن علي المازري .
الاجوبة المخبرة — على اسئلة المتخيرة
بغية الرائد في معرفة ما في حديث ام زرع من الفوائد
اجوبة القرطوبين
اجوبة عما نزل به ايام قضائه
غنية الكاتب وبغيـة الطالـب في التصديـــر والترسيل
سر السرات في آداب القضاة
كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى طبع
المعجم في شيوخ ابن سكرة
خطـب الجمعـة
شرح على المدونة سماه التنبيهات المستنبطة ، في شرح مشكلات المدونة والمختلطة .
المقاصد الحسان مما يلزم الانسان
مشارق الانوار على صحيح الآثار طبع
مسألة الاهل المشروط بينهم التزاور
نظم البرهان على حجة وحزم الاذان
الاعلام بحدود قواعد الاسلام طبع
وله : كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالـك بمعرفة اعلام مذهب مالك طبع
الفنون الستة في اخبار سبتة
جامع التاريـخ

الالماع الى معرفة الرواية وتقييد السماع
البغية وهي فهرسة

484 — 1091 — 553 — 1158 م

حسن بن ابراهيم بن عبد الله ابن زاكـور له :
تاليف في الراي والجدل .

---

555 — 1160 م كان حيا

عبد الملك بن موسى الوراق له :
كتاب القياس في المغرب وفاس

---

574 — 1178 م

عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعـروف بالسلايجي يكنى ابا عمرو له :
البرهانية في علم الاعتقاد وضعها لامراة صالحة من اهل الاندلس اسمها خيرونة .

---

581 — 1185

عبد الرحمن بن عبد الله بن احمـد السهيلـي احد الرجال السبعة بمراكش له :
تفسير آية الوصية في الفرائض
تفسير سورة سيدنا يوسف
شرح على سيرة ابن هشام سماه روض الانف طبـــع
نتيجـــة الفكـــر
مسألة رؤية النبي صلـى الله عليه وسـلم في المنـــام
مسألة السر في عور الدجال
منظومة في الاستغاثة

---

582 — 1186 م

احمد بن عبد الصمد بن ابي عبيد محمـد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الخزرجـي نزيـل فـاس له :
حسن المرتفق — في بيان ما عليه المتفق
مقام المدارك في افحام المشارك
نفس الصباح فـي غريب القـرآن وناسخـه ومنسـوخه .

قامع هامات الصلبان وروائع رياض الايمان ، رد فيه على بعض القسيسين بمدينة طليطلة .
قصد السبيل – في معرفة آيات الرسول عليه الصلاة والسلام
آفاق الشموس وافلاق النفوس .

1190 – 586 — 1108 – 502

محمد بن سعيد بن احمد بن سعيد يعرف بابن زرقون الانصاري قاضي سبتة له :
كتاب الانوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار
كتاب الجمع بين سنن الترمذي وسنن ابي داود السجتاني .

---

595 – 1198 م

عبد الجليل بن ابي بكر الرقعي المعروف بابن الصابوني توفي بمراكش له :
نكت الاقتصاد
الكتاب المستوعب في أصول الفقه
رسالة في الاعتقاد

---

511 – 1117 — 592 – 1195 م

احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عميرة اللخمي عرف بابن مضاء له :
كتاب سماه تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان
كتاب المشرف في النحو والرد على النحويين

---

603 – 1206 م

محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي الفتدلاوي له :
المستفاد بمناقب الصالحين والعباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد .
اللمعة في ذكر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم السبعة

---

609 – 1212 م

علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي عرف بابن خروف له :
شرح على كتاب سيبويه في النحو سماه تنقيح الالباب في شرح غوامض الكتاب .
كتاب الفرائض
شرح على ابيات الجمل
تزين ائمة النحو عما نسب اليهم من الخطا والسهو ، رد فيه على ابي زيد السهيلي وابن ملكون وابن مضى ، وعنى بالرد حتى على ابي المعالي الجويني

---

610 – 1213 م تقريبا

علي بن محمد بن محمد الحصار الخزرجي كانت ولادته بفاس له :
تاليف في اصول الفقه
كتاب الناسخ والمنسوخ
عقيدة في اصول الدين
شرح عليها في اربعة اسفار

كتاب المدارك بايصال مقطوع حديث مالك
تقييد على البرهان سماه البيان في تنقيح البرهان
ارجوزة في اصول الدين

---

620 – 1223 م

محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ عرف بابن مناصف الازدي القرطبي نزيل مراكش له :
كتاب الاتحاد في ثواب الاجتهاد
رجز سماه المذهب في الحلى والاثاث وغيرها

---

628 – 1230 م

علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم الكتاني عرف بابن القطان من اهل مدينة فاس وتوفى بمدينة سجلماسة له :
شرح على الاحكام الكبرى للشيخ عبد الحق الازدي المتوفى 582 برنامج في مشيخته
مقالة في الاوزان
كتاب النزاع في القياس
النظر في احكام النظر
كتاب في الرد على ابن حزم

573 ـ 1177 م — 655 ـ 1257 م

محمد بن يوسف بن عمران المزدغي له :
تفسير القرآن انتهى فيه الى سورة الفتح
انوار الافهام في شرح الاحكام انتهى فيه الى الاقضية
مقالة في نزول الوباء بارض قوم الحديث
مقالة فيمن يجوز الفقراء المضطرين في اموال الاغنياء المفترين .
عقيدة موجزة

---

656 ـ 1258 م

محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الفاسي المقري له :
شرح على حرز الاماني ووجه التهاني النظم المعروف بالشاطبية للرعيني المتوفى بالقاهرة سنة 510 سماه الفريدة في شرح القصيدة .

---

598 ـ 1201 م — 656 ـ 1258 م

احمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر القرطبي عرف بابن مزين توفى بفاس له :
اختصار صحيح الامام البخاري
اختصار صحيح الامام مسلم
شرح عليه سماه المهم على صحيح مسلم يقع في اسفار
شرح على الامام البخاري

---

582 ـ 1186 م — 658 ـ 1268 م

احمد بن عبد الله بن محمد ابن عميرة المخزومي يكنى ابا المطرف له :
تاليف في كائنة مربوضة وتغلب الروم عليها نحا فيه منحى العماد الاصبهاني .
تعقبات على فخر الدين الرازي في كتاب المعالم
رد على كمال الدين ابي محمد عبد الكريم السماكي في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان سماه التنبيهات على ما في البيان من التمويهات
رسائل تشتمل على نظم ونثر

675 ـ 1276 م

رشيد بن ابي راشد الوليدي له :
كتاب الحلال والحرام
طرر على المدونة
شرح على الرسالة

---

639 ـ 1301 م

مالك بن عبد الرحمن بن علي ابن المرحل المخزومي له :
الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والاخرى وهو شعره الذى دون فيه عدة انواع عشرياته الزهرية
ارجوزة سماها مسلك النحل لمالك ابن المرحل
قصيدة سماها التبيين والتبسير في نظم كتاب التيسير عارض بها الشاطبية وزنا وقافيا
قصيدة في الفرائض سماها الواضحة
قصيدة سماها اللؤلؤ والمرجان
ارجوزة في العروض
كتاب في ما كان وماذا
نظم غريب القرآن لابن عزوز
نظم اصلاح المنطق لابن العربي
كتاب الفصيح
شرحه
نظم الثلث الاول من آداب الكتاب بعد ترتيبه
كتاب الحلى
ترتيب الامثال لابي عبيد على حروف المعجم .

---

718 ـ 1318 م

عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بالخراز له :
نظم في علم القراءات يعرف بضبط الخراز .

---

719 ـ 1319 م

علي بن محمد بن عبد الحق الصغير ابو الحسن الزرويلي الشيخ الشهير له :
الشعلة على الشاطبية
تقييد على الرسالة
شرح على المدونة
تقييد رد فيه على المتصوفة الذين ينتمون الى السنة وهم عنها بمعزل

1323 — 723

محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف باجروم ومعناه باللغة البربرية الفقير له :

المقدمة فى علم النحو شهيرة شرقا وغربا

فريدة المعاني فى شرح حرز الاماني ووجه التهاني

---

654 — 1256 — 723 — 1323 م

احمد بن محمد بن عثمان الازدي الشهير بابن البناء المراكشي ودفينها لـه :

الاصول والمقدمات

تاليف فى احكام النجوم

تنبيه الفهوم بمدارك العلوم

تنقيح الفصول فى الاصول

حاشية على تفسير الامام الزمخشري المعروف بالكشاف

الختام المفضوض ، فى علم العروض

رسالة فى طبائع الحروف

رسالة فى ذكر العلوم الثمانية

رسالة فى احصاء اعداد اسماء الله الحسنى

رسالة فى الفرق بين الخوارق الثلاث المعجزة والكرامة والسحر .

رسالة فى المتباينات

رسالة فى الرد على مسائل مختلطة نحوية وفقهية

رسالة فى العمل بالصفحة الدرقالية

رسالة فى السكازية

رسالة على الكرة

رسالة فى اختصار رسالة ابن الصفار

رسالة فى ذكر الجهات وبيان القبلة والنهي على تغيرها

الروض المريع ، فى صناعة البديع

الكامل المقرب رسالة فى العمل بالميزان .

تسمية الحروف وخاصة وجودها

كتاب عمل الفرائض

كتاب الفصول فى الفرائض

تقييد فى الكلام على العزائم والرقى والطلاسمات وعمل الزجر والفال والكهانة والخط والرمل

كليات فى علم العربية

منهاج الطالب فى تعديل الكواكب

المقالات الاربع والقوانين

مقالة فى الاقرار والانكار

مقال فى المدبر

مقالة فى الحما الستة

مقالة فى المكايل الشرعية

مقالة فى علم الاسطراب

مقامة فى عيون الشعر

مقدمة على اقليدس

موضوع فى صناعة الاوفاق

صور الكواكب

عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل

عواطف المعارف

اختصار فى علم الفلاحة

تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى صناعة النجوم

مراسم الطريقة فى فهم الحقيقة

المناخ فى تعديل الكواكب

المناخ فى رؤية الهلال

المناخ فى تركيب الازياج

منتهى السول فى علم الاصول

المستطيل واليسارة ، فى تعليل السيارة

جزء فى عمل الرومي

جزء فى المساحات

جزء فى ذوات الاسماء والمنفصلات

جزء صغير على سورة العصر وانا اعطيناك الكوثر

شرح على فرائض الحوفي

التقريب لطالب اللبيب

الاقتضاب فى القانون

التلخيص فى علم الحساب

قانون فى معرفة الاوقات بالحساب

قانون فى فصول السنة

قانون فى ترحيل الشمس

قانون فى الفرق بين الحكمة والشعر

اختصار احياء علوم الدين للامام الغزالي

قاطع هامة الصلبان ومواقع عيدة الاوثان رد فيه على بعض القسيسين بطليطلة .

مقالة فى شرح لغز ابن الفارض عمر بن اسماعيل

747 — 1346 م

ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر التازي التسولي نزيل مدينة تازة له :

شرح على الرسالة

تقييد على تهذيب المدونة للشيخ خلف بن ابي القاسم الازدي البرادعي جمعه من تقرارت شيخه الزرويلي الصغير

---

713 — 1313 م — 770 — 1368 م

ابراهيم بن عبد الله بن محمد التميري عرف بابن الحاج من اهل غرناطة له :

جزء فى بيان اسم الله الاعظم

جزء فى تيسير المشكلات الحديثة الواصلة من زبيد واليمن الى مكة .

جزء فى الفرائض

رجز فى الاحكام الشرعية

رجز فى الحجاب والسلام

روضة العباد المستخرجة من الارشاد

الزهرات واجالة النظرات

كتاب الاربعين حديثا البلدانيات

مستدرك عليها

كتاب فى التورية على حروف المعجم

كتاب الوسائل ونزهة المناظر فى الخمائل

مثالث القوانين فى التورية والاستخدام والتضمير

نزهة الحدق فى ذكر الفرق

الفاظ الكرم باخبار المندم .

فيض العباب واجالة الادب فى الحركة الى قسنطينة والزاب

المساهمة والمسامحة فى تبين طرق المداهبة والممازحة

تنعم الاشباح بمحادثة الارواح

رجز فى الجدل .

---

778 — 1376 م

محمد بن محمد بن عمران الفزازي السلاوي عرف بالمجراد له :

نظم الجمل النحوية

ايضاح الاسرار والبدائع ؛ تهذيب الدرر المنافع فى شرح الدرر اللوامع فى اصول مقرء الامام نافع

---

778 — 1376 م

محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الفاسي .

تحفة الناظر ونزهة الخواطر فى غريب الحديث

الجامع المفيد فى سفرين

الرحلة

المغرب فى حفلة من صلحاء المشرق والمغرب

القواعد الخمسة

المقدمات

شرحها

الوعظ والشعر

المهاد والاعتماد فى الجهاد

تنبيه الغافل وتعليم الجاهل

اقتصار المقدمة لابن رشد

الاسئلة والاجوبة

اختصار الحدود للتبرازي

نظم مراحل الحجاز

الروضة البهية فى البسملة والتصلية

---

779 — 1379 م

احمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي عرف بالقباب له :

مباحث مع الامام الشاطبي فى مراعاة مسالة الخلاف فى المذهب .

شرح على قواعد القاضي عياض

تــوازن

اختصار احكام النظر لابن القطان

شرح على ميوع ابن جماعة

لباب الالباب فى مناظرة القباب .

---

787 — 1385 م

محمد بن ابي بكر عبد المهيمن الحضرمي له :

سلسل العذب من المنهل الاحلى المرفوع للخلافة العزيزة التى لا تزال مناقبها على مر الدهور

تتلى فى سلك من تحلى سلكهم الاربعين فى الجبل جبل فاس ومكناس وسلا
الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة والعلماء والصلحاء والعباد
الدر النفيس من شعر ابن خميس جمع فيه شعر ابن خميس الاندلسي .

---

807 – 1404 م

اسماعيل بن ابي الحجاج يوسف ابن الاحمر الخزرجي له :
شرح على البردة
تأسيس النفوس فى اكمال نقط العروس
نثير الجمان فيمن نظمنا واياهم الزمان
حديقة النسرين ، فى اخبار بني مرين
روضة النسرين فى اخبار بني مرين طبعت على الحروف .
تاليف فى اعيان مدينة فاس واهلها .

---

720 – 1320   811 – 1408 م

سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني الشيخ الشهير قاضي سلا ومراكش له :
تفسير سورة الفتح
شرح على الجمل فى النحو
تفسير سورة الانعام
شرح على تلخيص ابن البناء
شرح على مختصر ابن الحاجب الاصلي
شرح على البردة
شرح على قصيدة ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة
شرح على العقيدة البرهانية
شرح على الحرفية

---

816 — 1414 م

ميمون بن ماعدري بن عبد الله المصمودي المعروف بالفخار مولاهم له :
نظم مقدمة الاجرومية
تحفة المنافع فى مقرء الامام نافع
الدرة
المؤزر فى نقط المصحف العلي

نظم فى الحذق
رجز فى علم النحو طبع

---

833 — 1429 م

محمد بن عبد العزيز التازغدري
تعليق على شرح المدونة للشيخ ابي الحسن الزرويلي

---

898 – 1444 م كان حيا

الحسن بن علي بن طلحة الرجراجي الوصيلي الشوشاوي له :
شرح على مورد الظمآن لابن بري
الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة
الانوار السواطع على الدرر اللوامع لابن بري
حلية الاعيان على عمدة البيان

سعيد بن سليمان السملالي الكرامي له :
تقريب معنى الضبط وهو شرح على نظم الخراز
حاشية على نظم الفاظ مورد الظمآن سماها
اعانة المبتدىء على معاني الفاظ مورد الظمآن
شرح على ذلك فرغ منه سنة 875 — 1470
وله شرح على الرسالة سماه مرشد المبتدئين

---

817 – 1414 م — 903 – 1497 م

ابراهيم بن هلال السجلماسي عرف بابن هلالي الفيلالي الزلماطي
نوازل فى الفقه المالكي
كتاب المناسك
شرح على مختصر الشيخ خليل
شرح على الامام البخاري فى اربعة اسفار
الدر النثير فى اجوبة ابي الحسن الصغير
اختصار كتاب الديباج المذهب لابن فرحون

---

909 — 1503 م

محمد بن عبد الكريم المغيلي له :
تاليف فى الاصالة العظمى

تقييد فيما يجب على المسلمين واجتناب الكفار وما يلزم اهل الذمة من القلة والصفار

---

914 – 1508 م

احمد بن يحيى الونشريشي له :
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب طبع على الحروف .
ايضاح الحالك ، فى الرد على من افتى بتضمين الراعي المشترك
ايضاح السالك الى قواعد الامام مالك
المبدر لخطا الحميدر
المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغنى الابق ، باداب الموثق واحكام الوثائق .
الفوائـــد
شرح على وثائق ابي عبد الله محمد بن احمد الفشتالي سماه غنية المعاصر والتالي فى شرح بقية وثائق ابي عبد الله الفشتالي
الفائق فى علم الوثائق
تعليق على فرعي ابن الحاجب
تاليف فى الفروق
كتاب الولايات وقد ترجم الى احدى اللغات

---

918 – 1512 م

محمد بن عبد الله بن محمد اليفراني الشهير بالمكناسي قاضي فاس له :
كتاب التنبه والاعلام فى مجالس القضـــاة والحكام المعروف بالمجالس المكناسية فرغ منه عام 896 .

---

841 – 1458 — 919 – 1514 م

محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن علي ابن غازي العثماني – الشيخ الشهير له :
حاشية على الصحيح سماها ارشاد اللبيب الى مقاصد الحبيب
كليات فى الفقه
حاشية على المختصر وبعض شراحه سماهـا بشفاء العليل فى حل مقفل خليل .
انشاد الشريد من هول القصيد فى علم الرسم
امداد البحر القصيد
مقالة فى نظائر من الرسالة
غنية الطالب نظم
منية الحساب نظمـا
شرح عليه سماه بغية الطالب فى شرح منيـة الحســـاب
فهرسة سماها التعلل برسوم الاستاد بعد انتقال اهل المنزل والناد
ذيل عليهـا
نظم فى القراءات السبع جمع فيه ما يسمى بالعشـــرة الصغـــرى
روض الهتون فى اخبار مكناسة الزيتون طبـع على الحروف .

---

920 – 1514 م

محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن بخمس التازي له :
المنفــرج نظـــم
مراسلات مع الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحسنـــي

---

956 – 1549 م

ابو القاسم بن محمد ابن خجو له :
ضياء النار المجلى لغمام الابصار فى نصرة اهل السنة الفقراء الاخيار تكلم فيه على اجتماع الفقراء بالذكر والرخص بأن ذلك جائز .
جواب عن سؤال رفع اليه نظما فى مسلة فقهية
شرح على نظم الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي فى العدة والحيض والرضاع طبع على الحجر بفاس .

---

963 – 1556 م

محمد بن علي بن عطية الشطيبي دفين مدشر تزغدرى من قبيلة بني زروال له :
الجنة بشرط العمل بالكتاب والسنة
اللباب المختصر لاهل العبادة والنظر ويسمى

اللباب فى حل مشكلات الكتاب وهو تفسير على وجه الاختصار .

---

964 – 1557 م

عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي الفاسي المكناسي نسبا الميموني المتوفى بالمدينة المنورة . له :
تقييد على المختصر
منظومة فى نيف وعشرين علما
الفية فى النحو ضمنها الفية ابن مالك وزاد عليها
ارجوزة فى عدة فوائد سماها قرة الابصار

---

975 – 1567 م تقريبا

محمد بن علي الخروبي الطرابلسي . له :
شرح الحكم لابن عطاء الله
رسالة رد فيها على أبي عمر القسطلي المراكشي
تفسير فى مجلد

---

992 – 1584 م

احمد بن قاسم بن على القدومي الاندلسي الاصل الفاسي الدار . له :
تقييد على شرح شمس الدين المرادي على الالفية سماه الهادي على حل الفاظ المرادي فى اربعة اسفار

992 – 1584 م

احمد بن علي بن الحسن ابن عرضون الزجلي الغماري الشفشاوني قاضيها له :
الشهب اللامعة فى السياسة النافعة
كتاب اللائق لعلم الوثائق طبع على الحجر بفاس
حدائق الانوار وجلاء القلوب والابصار ، فى الصلاة والسلام على النبي المختار فرغ منه سنة 982 – 1574 م

---

995 – 1586 م

احمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي له :
نظم العوائد ومبدا الفوائد لمحصل المقاصد لابن زكري المغراوي فى علم الكلام
اختصاره
حاشية كبرى على شرح الكبرى الشيخ السنوسي فى علم الكلام
حاشية صغرى على الصغرى للسنوسي
مراقي المجد فى آل السعد
شرح نظم علاقات المجاز لابن الصباغ الخزرجي المكناسي
شرح المنهج المنتخب الى قواعد المذهب
شرح المختصر من ملتقط الدرر
فهرسة كبرى مفيدة
فهرسة صغرى

فاس : عبد السلام ابن سودة

الأدب المغربي أيام العلويين

العصر الثاني : 1171 - 1238 هـ
1757 - 1823 م

للدكتور محمد الأخضر

ا ـ الحياة السياسية :

عاش المغرب من الناحية السياسية سنوات الاضطراب الثلاثين (1139 — 1171 هـ) ، وقد اعتلى العرش اثناءها عدة مرات سبعة من الملوك غدوا العوبة في يد قبائل (الجيش) تارة ، وفي يد عبيد البخاري تارة اخرى . تلك كانت فترة اضطرابات « يشيب لهولها الولدان » حسب عبارة بعض المؤرخين .

واثرت هذه الازمة ايضا في الحالة الاقتصادية للبلاد ، لأن بيت المال كاد أن يصبح فارغا ، وافتقدت الحبوب الرئيسية من الأسواق ، أو بيعت فيها بأثمان فاحشة . غير ان الحياة الفكرية — لحسن الحظ — تابعت مسيرتها رغم هذه الظروف الصعبة ، فرأينا كيف امكن لمولاي عبد الله ان يتمم بعض اعمال أبيه في هذا المضمار . ومن جهة اخرى ، فان وجود كتاب لامعين من امثال محمد بن المكي ابن ناصر (1) ، ومحمد بن الطيب الشرقي (2) ، ومحمد ابن عبد السلام بناني (3) ، وعبد الوهاب أدراق (4) ، ومحمد الافراني (5) ، بل وحتى امرأة شهيرة هي خناثة بنت بكار (6) ، يدل على أن الحركة الثقافية لم يعترها بطء او خمول .

ستعقب هذه الأزمة الطويلة فترة استقرار ودعة، بفضل ملكين عظيمين هما سيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ، اذ كان كل منهما عالما متضلعا ومؤلفا لعدة كتب ، ويمثل عصرهما أوج عهود الثقافة ، لكننا سندرس اولا الحياة السياسية .

1 — سيدي محمد بن عبد الله
(1789 — 1757 = 1204 — 1171)

ا ـ ملكه .

برهن هذا العاهل عن مقدرة وكفاية ، قبل وفاة والده ومبايعته بالخلافة ، أيام كان نائبا عن والده في جنوب المغرب . فقد مهد بلاد مراكش وآسفي، ثم عين قائدا عاما للجيش فأخذ على عاتقه اقرار السلام في سهول سوس وجبالها . ولما اعتلى العرش تابع عمله في

---

1) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية في المغرب ايا م الدولة العلوية** ، ص 206 — 208 .
2) المصدر السابق ، ص 201 — 206 .
3) المصدر السابق ، ص 197 — 200 .
4) المصدر السابق ، ص 187 — 190 .
5) المصدر السابق ، ص 178 — 185 .
6) المصدر السابق ، ص 190 — 192 .

اخماد الفتن ونشر الأمن والطمانينة داخل البلاد ، وفي تحرير بعض الثغور المحتلة ، فطرد البرتغاليين من الجديدة يوم ثاني ذي القعدة ، عام 1182 = 28 فبراير 1769 (7) ؛ وحصن بعض المراسي كآسفي ، واسس أخرى كالصويرة وفضالة ، وجدد ميناء آنفا (الدار البيضاء) ، غير انه لم يتمكن من استرجاع مليلية وسبتة من يد الاسبانيين ، وربط علاقات ودية مع عدة اقطار في اوربا والشرق الاوسط .

ب — أعمالـــه :

كان سيدي محمد بن عبد الله مولعا بالبناء والتشييد كجده مولاي اسماعيل ، فشيد صروحا عدة، وكون جيشا عظيما ، ونظم الجبايات ، وضرب سكة سليمـــة .

ج — منجزاته في الميدان الثقافـي .

قد يطول بنا الحديث لو حاولنا ذكر كل ما جدد او شيد هذا الملك العظيم من مساجد ومـدارس في جميع المدن المغربية ، لأنها تعد بالمآت ، ونكتفـي بالقول ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، بان الثقافة بلغت غاية الازدهار في عهده ، ما دام هو نفسه عالمـا كبيرا (8) يشجع العلماء على تحصيل المعارف وتأليف الكتب . وهكذا امر ثلاثة من أكابر الفقهاء بشرح **مشارق الانوار** للامام ابي الفضل الحسن الصغاني (ت . 650 = 1252) ، الثلث لكل واحد منهم . فكان الثلث الاول من نصيب الشيخ التاودي ابن سودة (9) ، والثاني للشيخ عبد القادر بوخريص (10) ، والثالث للشيخ ادريس العراقي (11) . ولما توفي هذا الاخير قبل اتمام نصيبه من الشرح المذكور، أتمه ابنه عبد الله (12) بامر من السلطان .

ان سيدي محمد بن عبد الله هو اول من نظم العدلية ، ووضع برنامجا دراسيا لجامعة القرويين ، بمشوره المؤرخ بعام 1203 = 1788 ، والـذي نقتطف من فصله الثالث ما يلي : « أمرنا المدرسين في مساجد فاس الا يدرسوا الا كتاب الله تعالى بتفسيره، وكتاب **دلائل الخيرات** . والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها ، والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح ، ومن كتب الفقه **المدونة والبيـان والتحصيل ، ومقدمة ابن رشد ، والجواهر** لابن شاس **والنوادر ، والرسالة** ، لابن ابي زيد ، وغير ذلك من كتب الاقدمين . ومن أراد تدريس مختصر خليل ، فانما يدرسه بشرح بهرام الكبير ، والمواق ، والحطاب ، والشيخ علي الاجهوري ، والخرشي الكبير لا غيـر ، فهذه الشروح الخمسة بها يدرس خليل مقصورا عليها وفيها له كفاية ، وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس به ... » .

وبعد ذلك تاتي لائحة الكتب الموصى بقراءتها في مختلف الفنون :

« وكذلك قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كالكلاعي ، وابن سيد الناس اليعمـري ؛ وكذا كتب **النحو كالتسهيل والالفية** وغيرهما من كتب هذا الفن ، **والبيان بالايضـاح والمطـول** ، وكتب

(7) هذا التاريخ المعجمي الموافق ليوم فتح الجديدة تدمه ا. الناصري في الاستقصا ، 8 : 37 ، غير أن جدول موافقة التاريخي الهجري والميلادي تجعل يوم الفتح موافقا لعاشر مارس من نفس السنة .

(8) نذكر من مؤلفاته :

أ — **الفتوحات الالهية في أحاديث خير البرية** .

ب — **الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من عدة مسانيد**

ج — **مواهب المنان بما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان** .

د — **رسالة في منهج التعليم** .

هـ — **رسالة في اختياراته المذهبية** .

و — **ترويـح القلـوب** .

كل هذه الكتب في الحديث والفقه الا الاخير فقد جمع فيه ما استحسن من القصائد الشعرية .

(9) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية بالمغرب أيام الدولة العلوية** ، ص . 257 — 262 .

(10) انظر ترجمته عند ل. بروفنسـال ، **الشرفاء** ، ص 146 وهامش رقم 6 .

(11) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية** ، ص 232 — 234 .

(12) انظر ترجمته عند م. الكتاني ، **سلوة** ، 3 : 13.

التصريف ، وديوان الشعراء الست ، ومقامات الحريري ، والقاموس ، ولسان العرب وأمثالها مما يعين على فهم كلام العرب ، لأنها وسيلة الى فهم كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناهيك بها نتيجة . ومن اراد علم الكلام فعقيدة ابن ابي زيد رضي الله عنه كافية شافية يستغني بها جميع المسلمين .. » (13) .

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بالتوجه الى علماء مملكته ، وانما كتب أيضا الى علماء مصر ، يطلعهم على الاجراءات التي اتخذها في ميدان التعليم، طالبا أن يدلوا برايهم في الموضوع : « .. نريد منكم أن تطالعوا مسائل اخر مؤكدة في هذا الدفتر بمنته ، قد أمرنا قضاة المغرب أن يحكموا بها ، فما كان منها على صواب اثبتوه واكتبوا عليه بخطوط أيديكم ، وما كان منها على خطأ فاكتبوا عليه ايضا بخطوط أيديكم في الدفتر المذكور لنرجع عنه ، ووجهوا لنا الكناش بعينه وعليه خطوط أيديكم » (14) .

هذه الاحتياطات التي اتخذها سيدي محمد بن عبد الله تظهر الى اي حد كان مدققا ومهتما بالبحث عن الحقيقة ، متمنيا كذلك ان يرى وحدة النظر على صعيد القضاء تتحقق في العالم الاسلامي . وباعتباره محافظا متشددا في امور الدين ، شن حملة شعواء على البدع ، داعيا بدون انقطاع الى الرجوع الى السنة والتقيد بمبادىء الاسلام الحق . وناصر علانية مذهب السلفية ، وتغلب على الفرق الضالة القليلة التي كانت تحاول التسرب الى المغرب كالعكاكزة (15) ، وأتباع احمد بن يوسف الملياني (16) .

وحصر دراسة العلوم الشرعية في القرآن والسنة ، والمناقشة في توضيح المتن وصحة الحديث المروي ، مبعدا بذلك كل جدل منطقي أو عقدي ، لانه كما قال : « انما يتعاطاها الذين يجهلون انهم يجهلون » (17) ، كما لا ينبغي — في نظره — أن يقرأ علم الاصول « لانه امر قد فرغ منه » . «دواوين الفقه قد دونت ولم يبق اجتهاد ، والطلبة الموجودون في الوقت ، كل من أراد منهم أن يتعاطى علم الاصول فاني اقول فيه : اراد ان يترتب قبل ان يتحصرم » (17) و « من ترك الشراح المذكورين واشتغل بدرس الزرقاني وامثاله من شراح خليل ، فانه يكون كمن اهرق الماء واتبع السراب » (17) .

ولم يكن سيدي محمد بن عبد الله يفرق بين اي من المذاهب الاربعة ، فكان يصرح في كتاباته أنه مالكي المذهب حنبلي العقيدة ، الا انه نبذ الأشعرية المنتشرة آنذاك في المغرب ، بسبب المجادلات العقدية التي يحتوي عليها هذا المذهب والتي يعتبرها الملك بدعة مستقبحة في الدين . لذلك نراه يأمر فقهاء عصره بالتزام هذه التعليمات ، ويعقد معهم اجتماعات متعددة تخصص للمباحثات والمناقشات الفقهية . وكثيرا ما كانت هذه الاجتماعات تعقد بمدينة مراكش بعد كل صلاة جمعة ، وتضم جهابذة العلماء ، من امثال عبد الرحمن المنجرة (18) ، ومحمد التاودي ابن سودة الفاسيين ، واحمد بن عثمان المكناسي ، ومحمد بن عثمان الشريف التادلي ، والشيخ الطاهر السلاوي .

كانت هناك طبقة اخرى من الكتاب في بلاط سيدي محمد بن عبد الله مكلفة بتدوين التوجيهات الملكية والسهر على تطبيقها ، من بينهم محمد بن عبد الله الغربي ، ومحمد ابن المير السلاوي ، ومحمد الكامل الرشيدي ، وعبد الرحمن بوخريص ، وابن عمرو الرباطي (19) وعبد الرحمن المنجرة المذكور آنفا، ومحمد بن عبد الصادق ، وعلي بن اويس الفيلالي ، وعبد السلام بن ابي عزة حركات السلاوي . وتدل القصة التالية على ما كان لهذا الملك من تقدير للعلوم والعلماء : « كان أبو الفيض حمدون بن الحاج السلمي (20) يوما في مجلسه الشريف ، مع جماعة من

---

13) ع. ابن زيدان ، **احياء العلوم ، في مجلة المغرب،** السنة 5 ، نونبر — دجنبر 1936 ، ص 8 .
14) المصدر السابق ، ص . 9 .
15) انظر ح. اليوسي ، **محاضرات** ، ص. 145 ، والرسالة التي كتبها نفس المؤلف عن هذه الفرقة الضالة ، (مخطوطة رقم 1224 ك ، ص 167 — 187)
16) انظر م. المهدي الفاسي ، **ممتع الاسماع** ، ص . 30 وما بعدها .
17) مقتطفات من المرسوم المتعلق باصلاح التعليم المشار اليه سابقا .
18) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية** ، ص 226 — 227 .
19) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية** ، ص. 306 — 309 .
20) انظر ترجمته في المصدر السابق ، ص 281 — 284 .

العلماء الملازمين لحضرته ، سنة 1199 ، فأديرت عليهم كؤوس الأتاي ، وكان اسم الوصيف الذي يديرها ميمونا ، فناول أولا الكأس للسلطان ، وكان على اليسار ، فقال له : اذن يقول السيد حمدون :

سددت الكأس يا ميمون عنا
وكان الكأس مجراها اليمينا

فقال السيد حمدون : نعم ، وأزيد عليه :

ولم تعمل بحكم الشرع فينا
كما جلاه خير المرسلينا

رسول الله فيما صح عنه
من انه قال : ناولها اليمينا (21)

2 — مولاي اليزيد
(1792 — 1789 = 1206 — 1204)

لم تكن المدة القصيرة لهذا الملك سوي فاصل مليء بالاحداث السيئة : قنبلة مدينة طنجة من طرف الاسبانيين ، ثورات وقمع فى جنوب البلاد ، اخفاق محاولة استرجاع سبتة . على أن مولاي اليزيد لقي حتفه وهو يحارب اخاه مولاي هشام الذي كان ينازعه ملك والدهما سيدي محمد بن عبد الله .

3 — مولاي سليمان
(1823 — 1792 = 1238 — 1206)

أ — ملكه .

قبل أن تكون لمولاي سليمان السلطة الكاملة ، كان عليه أن يحارب اخويه مولاي هشام فى الجنوب ، ومولاي مسلمة فى الشمال . وقد أمكنه فى الاخير ان يتخلص منهما ، لكنه قضى أيامه كلها فى تمهيد البلاد ومحاربة برابرة الاطلس المتوسط الملتفين حول ابي بكر امهاوش . وقبل ان يفاجئه الموت بمراكش ، كان قد عين ابن عمه عبد الرحمن بن هشام نائبا عنه فى فاس فخلفه على العرش .

ب — منجزاته فى الميدان الثقافي :

لما كان مولاي سليمان عالما (22) قبل أن يكون ملكا ، فانه عمل بالخصوص فى الميدان الثقافي . زار مرات عديدة جامعة القرويين ، وحضر مجلس اعلامها وناقشهم فى اعوص المسائل محاولا ايجاد الحلول المناسبة لها . وكان يزور الفقهاء بنفسه ، فى تواضع كامل ، متقصيا أخبارهم المادية واحوالهم الصحية . وهكذا ذهب لزيارة المحدث ابي زكرياء يحيى بن المهدي الشفشاوني (23) امام ضريح المولى ادريس ، وشيخ الجماعة بفاس التاودي ابن سودة ، وعاد عبد القادر ابن شقرون الفاسي (24) وهو على فراش الموت ، ثم حضر تشييع جنازته وساعد بنفسه على وضعه فى قبره ، ولم ينصرف الا بعد ان تمت عملية الدفن وسوي التراب على القبر . كما كان يحضر الحفلات التي تقام بمناسبة ختم الدروس العلمية ، ويختلط بجمهور الطلبة دون اية امتيازات رسمية . فنجده يوم 24 شعبان 1211 = 22 فبراير 1797 يحضر ختم شيخه الطيب ابن كيران (25) تفسير القرآن الكريم فى زاوية ابن رحمون (26) .

ومن اعتناء مولاي سليمان بالعلم واهله « ان ابا العلاء ادريس البدراوي امام القراء فى عصره نظم حقيقة الروم والاشمام فى أبيات ثلاث ذكرها فى **توضيحه** ، ونصها :

ضممت لاشمام لتفعل مثله
فضنت وجاءت فى القراءة بالأصل

فرمت باخفاء لكي تدرك المنى
فقالت أشيخ الذكر فاقراه بالوصل

---

(21) ع. ابن زيدان ، **احياء العلوم ، مجلة المغرب** المشار اليها سابقا ، ص 9 .
(22) انظر ترجمة هذا الملك العالم فى كتابنا **الحياة الادبية** ، ص 287 — 293 .
(23) انظر ترجمته عند ل. بروفنسال ، **الشرفاء** ، ص 147 ، وهامش رقم 4 .
(24) انظر ترجمته فى المصدر السابق ، ص 335 ، وهامش رقم 5 .
(25) انظر ترجمته فى كتابنا **الحياة الادبية** ، ص 275 — 277 .
(26) توجد هذه الزاوية فى زقاق الحجر بفاس . انظر ر. لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، ص 263 و 457 و 608 .

فان وقوفي يقتل الصب حسنـــــه
فقلت لها قفي فقـد لذ لي قتلـــي

وعندما اطلع عليها السلطان المترجم أمر لــــه بجائزة قدرها مائة مثقال » (27) .

وعندما اتم محمد الجريري (28) شرحه علــى **قافية ابن الونان** (29) المعروفة باسم **الشمقمقيـــة** ، واهداه الى مولاي سليمان ، اعطاه مبلغا مهما مـــن المال مكافأة له على عمله الأدبي . وقد أوقف هذا الملك العالم عددا من المخطوطات المهمة وخص مكتبة آسفي منها بعشرين كتابا . وهو وان لم يشيد مدارس مثلما فعل اسلافه ، فانه جدد عددا منها كالبوعنانية بفاس.

ومن السمات المميزة لمولاي سليمان تصوفـــه وتعلقه المتين بالمبادىء الصحيحة للاسلام ، كذلــك حارب بشدة جميع البدع المخالفة للسنة النبوية ، وكان اول من رحب بظهور الوهابية في الجزيرة العربية ، وطبق في المغرب بعض تعاليمها الصارمة ، فمنع زيارة القبور واقامة مواسم الصالحين (30) .

(يتبــع) **الرباط ـــ د. محمد الاخضر**

---

27) ، ابن زيدان ، **احياء العلوم** ، مجلة المغرب المشار اليها سابقا ، ص 10 .
28) أبو عبد الله الجريري السلاوي (مات عام 1240 = 1824) أو شارح **للشمقمقية** لابن الونان انظر ع. ابن سودة ، **دليل** ، 2 : 431 — 432 .
29) انظر ترجمته في كتابنا **الحياة الادبية** ، ص 235 — 240 .
30) كان لمولاي سليمان ـــ كوالده ـــ فقهاء يسهرون على تطبيق تعليماته ، من بينتهم : ابن شقـــرون الفاسي ، ومحمد بن عثمان المكناسي ، والطيب ابن كيران ، ومحمد الرهوني ، وحمدون ابن الحاج ، ومحمد بن عبد السلام ابن ناصر .

تصحيـــح خطايـــن في بحثيـــن

قرات العدد 1 من السنة 16 من مجلة دعوة الحق الغراء .. وهو عدد حافل بالكثير الطيب من الدراسات والمقالات العلمية والادبية المفيدة .. وفي بحثين مغربيين رايت خطأين مهمين ، احببت ان انبه على تصحيحهما عناية بهما ، وذلك : 1) في بحث (ابو سالم العياشي) للدكتور محمـد الاخضر ، الذى جاء فيه بصفحة 168 نسبة كلمة الاسناد من الديـن (ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء) الى ابن المبارك احمد بدليل تاريخ الوفاة المذكور عقب اسمه ، وهو لابن المبارك عبد الله الامام المحـدث الفقيه المشهور من اهل القرن الثاني . 2) في مقال مالـك ابن المرحـل للاستاذ العلمي حمدان الذى ذكر فيه ان المنصور الموحدي هو صاحـب وقعة العقاب التى انهزم فيها الجيش المغربي بالاندلس ، وذلك وهم، فان صاحبها كان هو الناصر بن المنصور . واما المنصور فقد انتصر في وقعـة الارك كما هو معلوم ، على حد تعبير الاذاعة المغربية وشكرا ..

المغـــرب ـ قـــاريء

أدباء المغرب في العصر المريني الأول



الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره .

للأستاذ محمد العلمي حمدان

- 2 -

2 ـ حياة ابن المرحل ومحيطه ..

1 ـ حياته : في مالقة وسبتة وفاس من خلال اوضاع عصره :

اصل شاعرنا من مصامدة المغرب ، واسمه الكامل مالك بن عبد الرحمن بن علي ابن عبد الرحمن ابن فرج .. انتقل احد اجداده الى جزيرة الاندلس ونزل بوادي الحجارة بمدينة تسمى باسمه ، مدينة الفرج (1) ومنها انتقل الى مدينة شنتمرية . ولما احتلها النصارى سنة خمس وستين وخمسمائة كان بها علي بن عبد الرحمن جد شاعرنا ، فغادرها مهاجرا الى مالقة ، فلقب بالمرحل . وجرى هذا اللقب بعد ذلك على اولاده ، وبمالقة هذه ولد ابو الحكم ، وابو المجد مالك بن المرحل في سابع عشر محرم سنة اربع وستمائة الموافق لسبعين ومائتين والف ميلادية كما يعدد ذلك هو نفسه اذ يجيب ابن عبد الملك المراكشي حين ساله عن مولده (2)

يا سائلي عن مولدي كي اذكره
ولدت يوم سبعة وعشرة
من المحرم افتتاح اربع
من بعد ستمائة مفسرة

ولكننا لا نعرفه الا بسبتة ، فمتى رحل من مالقة (3) هذه التى ولد فيها الى سبتة ؟ وما الداعي الى هذه الرحلة ؟ هل هي عدوى الرحيل انتقلت من اجداده والتى حملوا اسمها بسببها قد نالت منه فرحل الى سبتة ؟ وهل هو الحنين الى الوطن قد هتف به ودعاه الى ذلك ؟ أم هو شيء آخر غير ما ذكرنا ؟

اما عن السؤال الاول متى رحل ، فليس بين ايدينا ما يثبت لنا ذلك نهائيا لا في مؤلفاته ولا في اقواله ، وكل ما نستطيع ان نصل اليه انه انتقل الى سبتة وهو صغير . وما بايدينا هو وثيقة صداق كتبه شعرا لاسرة العزفيين ولاة سبتة قبل توليها ، يذكر

(1) سلوة الانفاس ج 3 ص 99 ـ درة الحجال ص 323 رقم 897 ـ جذوة الاقتباس ص 222 / 223 بغية الوعاة للسيوطي ص 384 ـ دائرة المعارف الاسلامية مجلد 4 رقم 31 .
(2) درة الحجال ج 2 ص 323 ـ سلوة الانفاس ج 3 ص 99 .
(3) بسبب ولادته بمالقة فيما يظهر عده بعض المؤرخين كابن خلدون من ادباء الاندلس الذين انتهت اليهم صناعة الشعر والنثر ، انظر المقدمة ص 565 .

فيه تاريخ كتابة الصداق بسنة ثمان وعشرين وستمائة وهو منظوم في بحر البسيط (4) يقول :

. . . . . .

. . . . . .

في شهر ذي الحجة يوم الخميس ضحى
وذلك في سادس من عشرة الاخرة

في عام عشرين زد لها ثمانية
من بعد ستمائة كلها قمر

فاحمد شاهد بالعقد فيه على
شقيقه الزوج ابراهيم بالمهد

وما لك عابد الرحمن والده
من الشهود بمنظوم ومنتشر

وهكذا نجد انه قام بهذه الشهادة وله من العمر اربع وعشرون سنة ، ولا بد ان يكون له قدم في المدينة حتى يأخذ هذه المكانة التي تؤهله ليكون موثقا معروفا مشهورا في البلاد فيشهد لاحدى بيوتات المدينة المشهورين بالمال والعلم . ومن المؤكد ايضا ، انه لم يكن صغيرا جدا ، اذ يخبرنا المترجمون له امثال بن القاضي انه تلا بالسبع على ابي جعفر احمد ابن الفحام المالقي ، اي انه قرأ القرآن وجالس عددا من الشيوخ امثال ابي بكر بن عبد الرحمن بن علي ، وابي عمر بن ساليم وابي النعيم رضوان ابن خالد وابن عسكر ، وستأتي ترجمتهم ، فاخذ عنهم ما اهله ليكون موثقا يشهد في زواج ابن ابي القاسم العزفي المذكور آنفا ، خاصة وان المصادر لا تذكر ، كما لا تدل الاحوال على انه درس بسبتة .

اما الداعي الى رحلته ، فالغالب انها كانت كرحلة جده علي بن عبد الرحمن من شنتمرية الى مالقة ولنفس الاسباب والدواعي ، اذ من المعلوم كما عرفنا سابقا ، ان وقعة العقاب سنة تسع وستمائة ، التي انهزم فيها الموحدون ، كانت انعكاساتها مؤلمة على الاندلسيين، اذبعدها تمكن النصارى من الاستيلاء على اكبر مدن الاندلس كاشبيلية وقرطبة وغيرهما من المدن والقلاع . مما دعا كثيرا من اهل بلاد الاندلس للنزوح الى غرناطة او الهجرة كما سبق ان ذكرنا في التمهيد التاريخي، الى المغرب عامة، وسبتة خاصة ، فرارا بدينهم واموالهم وحياتهم (5) فليس من المستبعد ان يكون رحيله الى سبتة لمثل السبب الذي اضطر اليه جده ليقينه بأن العدو لن يلبث ان يصل الى مالقة كما سقطت غيرها ، وهو ما حصل فعلا ، وان تأخر الزمن قليلا ، وليس ببعيد ان يكون اهله قد لاقوا حتفهم في احدى معارك المسلمين مع النصارى ، ففرر ، وهو القريب ، او بناء على توصية من اهله قبل وفاتهم ، النزوح الى سبتة بعيدا عن ذلك الجو . ويؤيد هذا الرأي شطر من ابيات تركها قبل وفاته اوصى ان تكتب على قبره يقول فيها :

زر غريبا بمغرب نازحا ما له ولي

وقد اتم ابن المرحل دراسته بالمغرب ، وكانت بفاس ، اذ لم يثبت انه ذهب الى غيرها ، حيث اخذ عن ابي زيد البرنوصي والفقيه اليزناسي ، فحصل من دراسته باعا طويلا في علوم اللغة والآداب ، الى جانب اطلاعه على علوم الشرع مما اهله لمنصب القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها .

لا نعرف متى ذهب الى فاس لاتمام دراسته ، والغالب انها كانت في اوائل سن قدومه لسبتة ، اما توليه القضاء بجهات غرناطة ، فلا شك ان ذلك كان وسبتة في عهدة الموحدين وحكمهم ، اذ ظلت كذلك الى سنة اربعين وستمائة حين استولى عليها ابن خلاص ، واليها من قبل الموحدين . ويظهر من خلال الاحداث ، ان ابن المرحل كان رجلا متدينا محترما منذ يفاعته ، ولعل ذلك يرجع الى اسرته ايضا ، اذ نراه يتولى صناعة التوثيق من اربع وعشرين سنة ، ويتولى القضاء ، وهو مهمة لا يقدم لها الا من عرف باخلاق مستقيمة واتزان وذكر طيب بين الناس، ثم نراه فيما بعد بفاس يحرض الناس للتطوع لمحاربة النصارى بالاندلس ، وذلك من عمل الفقهاء المجاهدين .

(4) جذوة الاقتباس ص 225 .

(5) يقول ابن خلدون، والقت الاندلس افلاذ اكبادها من اهل تلك المملكة بالجلاء من العدوة الاشبيلية الى سبتة ، ومن شرقي الاندلس الى افريقيا. المقدمة ص 565 الفصل 43 .

وتجمع التراجم على اختلافها انه كان حسن الكتابة ، والشعر غلب عليه (6) ، وحسن الكتابة هذا بمعنى جودة الانشاء وبراعة الاسلوب وجمال الخط ، قد اظهره انتخابه لكتابة دولة ابن الاحمر بالاندلس (7) والامير ابي مالك عبد الواحد المريني المرشح اذ ذاك لولاية العهد ولابيه السلطان يعقوب الذى استكتبه كما جاء فى الاحاطة (8) ولابنه يوسف من بعده وهذا ما وضعه فى مكانة سامية على النطاق الرسمي ، وهو ما يطلعنا على ما كان له من حسن صيت ، وعلم، مما يجعله فى مصاف من زاولوا الكتابة بعده فى بلاط المرينيين من امثال ابن الخطيب السلماني الغرناطي ، وابن خلدون صاحب المقدمة .

ولم تكن الكتابة وانتخابه لها ناتجا عن خطه الحسن واسلوبه الواضح الرائق ، بل وعن خصال فيه نادرا ما تتوفر فى الناس حتى المثقفين معهم فقد كان « ناقد الذهن شديد الادراك قوي العارضة والتبريز فى ميدان اللوذعية وحرارة النادرة وحلاوة الدعابة » « .. وقصد فى رواية العلم والشعر الملح والفوائد لسعة الافق وانفساح المعرفة وعلو السن وطيب المجالسة » (9) .

فهذا وما عرفناه من صفاته الحميدة ، واخلاقه المثالية ، هو ما تبحث عنه الملوك ، وهو ما تبحث عنه قصور المرينيين ، ومجالسهم بالذات . وقد غلب عليه النظم والشعر فكان اكثر انتاجا وقد سهل عليه القول حتى كاد لا يتكلم الا شعرا ، اذ لا يتصل بكتاب او فكرة الا نقلها شعرا وسياتي الحديث عنه وعن شعره فى غير هذا المكان .

ويظهر ان ابن المرحل كان فترة انتدابه للقضاء، يستغل فراغه للمزيد من الدراسة فى اشبيلية ، فقد اخذ بها عن ابي علي الشلوبين وابي القاسم بن بقي (10) ولعل هذا ما اخره عن قول الشعر الى ان حصل من دراسته باعا طويلا فى علوم اللغة والادب الى جانب دراسته الاولى فى علوم الشرع قبل ان تتفتق شاعريته بسبتة لاول مرة وهو يستقبل بلاده فى عودته النهائية اليها فيقول :

سلام على سبتة المغرب
اخية مكة او يثرب (11)

او يتغزل بجمالها منشدا :

اخطر على سبتة وانظر الى
جملها تصبو الى حسنه (12)

كأنه عود غناء وقد
القي فى البحر على بطنه

ويذكر مترجموه انه انتقل من سبتة الى فاس ثم رجع الى سبتة ، ثم عاد الى فاس ثانية وبقي بها الى ان توفي بها . ويظهر ان المرة الاولى التى انتقل فيها من سبتة الى فاس هي التي كانت من اجل تتميم دراسته وبين عودته لسبتة ورجوعه لفاس ثانية كان يتولى القضاء للموحدين بجهات غرناطة وغيرها فلم كانت عودته الثانية لفاس سنة اثنين وستين وستمائة ؟

ذكر صاحب الذخيرة السنية فى تاريخ هذه السنة قال « فيها جاز المجاهدون من بني مرين والمتطوعة من اهل المغرب الى الاندلس برسم الجهاد.. وهو اول جيش جاز الى الاندلس من بني مرين ، والسبب فى جوازهم ، ان النصارى ، دمرهم الله تعالى ، كانت تكالبت على بلاد المسلمين بالغارات والسبي ، فابادوا اكثرها ، واهلكوا قواعدها ، فتفجع اهل العدوة لحالهم ؛ فصنع الفقيه الاديب المكنى بابي الحكم مالك بن المرحل رحمه الله قصيدة يحرض فيها بني مرين وسائر المسلمين على جهاد

(6) جذوة الاقتباس ص 222 / 223 ـ سلوة الانفاس ج 3 ص 99 / 100 ـ درة الحجال ج 2 ص 323 رقم 897 بغية الوعاة ص 384 .
(7) المقدمة لابن خلدون ص 565 .
(8) الاحاطة المجلد الاول ص 483 .
(9) جذوة الاقتباس ص 222 / 223 .
(10) يقول ابن خلدون عنه فى مقدمته ص 565 : ومالك بن المرحل من تلاميذ الطبقة الاشبيلية بسبتة
(11) درة الحجال 327 ـ ازهار الرياض ج 1 ص 29 .
(12) ازهار الرياض ج 1 ص 29 ـ جذوة الاقتباس 223 ـ درة الحجال ص 324 ج 2 .

الكافرين ونصرة بلاد الاندلس من المسلمين المستضعفين فانه كان في تلك السنة بمدينة فاس ، يكتب الامير ابي مالك بن امير المسلمين ابي يوسف ، فقرئت القصيدة بصحن جامع القرويين من فاس يوم الجمعة بعد الصلاة ، فبكى الناس عند سماعها ، وانتدب كثير منهم للجهاد » (13) والقصيدة من البسيط يقول في مفتتحها :

استنصر الدين بكم فاستقدموا
فانكم ان تسلموه يسلم

لا تسلموه الاسلام يا اخواننا
واسرجوا لنصره والجموا

ولكن تلميذه ابن الزبير يقول عنه : « تقدم ذكره وقدومه علينا بغرناطة وآخر انفصالاته آخر سنة اربع وستين وستمائة » فما سبب وجوده بها ؟ .

لقد كان ابن المرحل صديق القصرين ، قصر ابن الاحمر أولا ثم قصر المرينيين وكاتبهما معا ، فليس افضل منه لتقريب وجهتي النظر بين القصرين، ولعل سفرته لابن الاحمر موفدا من القصر المريني ليشرح لهم اسباب تاخر السلطان عن نجدتهم اثر طلبهم لها ، والجواز الى الاندلس في تلك الظروف التي لم يكن قد تم للمرينيين الاستيلاء على المغرب ؟

وهكذا يكون عاد منها الى سبتة ومكث بها مدة، قبل ان يرجع لفاس نهائيا حيث وافاه الاجل ، فتكون مرات ذهابه وايابه بين سبتة وفاس ثلاث مرات لا مرتين كما ذكر بعض مترجميه .

الاولى للدراسة والثانية وهو في كتابة الامير وحض المجاهدين للتطوع والاخيرة كسفير وهي التي توفي اثر عودته منها بفاس .

ولكنا نعلم انه رجع لسبتة من جديد بعد ذلك بمدة ، فلم كان رجوعه اليها هذه المرة ؟ هل لموت الامير ابي مالك متبوعه اثر في هذا الرجوع ؟ فقد القى ابن المرحل قصيدة تهنئة بفتح مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وبقي مدة سافر اثرها الى سبتة وكانت وفاة الامير مالك سنة احدى وسبعين وستمائة وهل لها صلة بقدوم ابي طالب العزفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة الى فاس لمصالحة ابي يوسف وصرفه عن سبتة بعد دخوله الى طنجة واستيلائه عليها وبعد تغلب جيوش المرينيين عليه وهو صديق القصرين ، فلعب بذلك دور النابغة في سبيل قبيلته بين قصري الحيرة وغسان ؟ قد يكون كل هذا او بعضه . ولعلها السنوات ايضا التي تصدر فيها للتدريس بعد ان توسعت معارفه وتضجت وذاع ذكره وكثرت تآليفه إذ تخبرنا المصادر التي ترجمت له ان كل من أخذ عنه انتقل اليه بسبتة .

— * —

محيط ابن المرحل

اختلف محيط ابن المرحل باختلاف أطوار نشأته وسنه وظروفه ويتكون هذا المحيط من أقاربه واشياخه واصحابه وتلامذته ومتبوعيه ومعاصريه ..

أقاربه :

(1) اخته : سبق ان قلنا ان ابن المرحل كان غريبا وحيدا حينما نزح الى سبتة اللهم ما كان من اخت له ذكر صاحب الاحاطة انها تزوجت من ابراهيم الانصاري التلمساني (14) .

(2) صهره : ابراهيم المذكور ، ويكنى ابا اسحاق، كان فقيها عارفا مبرزا في العدد والفرائض، اديبا شاعرا رحل به ابوه من تلمسان حيث ولد سنة تسع وستمائة الى غرناطة ، وهو ابن تسع سنوات فأقام بها ثلاث سنوات انتقل بعدها الى مالقة التي اخذ بها معظم قراءاته ، ولعل صداقته لابن المرحل في صغره والتعرف على اسرته جعله ينتقل اليهم بسبتة ليجدد علاقته القديمة مع صديق الطفولة مالك ، واحياء عواطف القلب الكامنة منذ الصغر نحو اخته ، بالمصاهرة ، وقد توفي بسبتة سنة تسعين وستمائة .

(3) ابنه محمد وقد ترجم له ابن القاضي بقوله : « محمد بن مالك بن عبد الرحمن ابن المرحل

---

(13) الذخيرة السنية ص 108 .
(14) الاحاطة : المجلد الاول ص 336 .

المالقي ... اجاز له والده وابن الحسين بن احمد ابن الربيع .. واجاز لابن رشيد ولغيره ، ولم يذكر وفاته في مشيخته (15) .

شيـــوخه :

اما عن شيوخ ابن المرحل فهم كما في مختلف الكتب التى ترجمت له :

1 ـ جعفر بن الفحام ، احمد بن علي بن محمد ابن علي الانصاري المالقي ، رحل الى شرق الاندلس وتلا هناك بالسبع ، وكان تقيا ورعا مؤثرا الخلوة (16)

2 ـ ابن عسكر : ابو عبد الله ابن عسكر تلميذ ابي علي الرندي ، النجيب ، الذي اثنى عليه واشار بان يخلفه في موضعه لتصدر الاقراء .

3 ـ ابو عمرو بن سالم بن صالح الفهرواني المالقي ، والاديب المقيد الضابط ، احد نحاة مالقة المشهورين .

4 ـ ابو النعيم رضوان بن خالد ، احد شعراء عصره المشهورين ، من اظرف الادباء زيا ومجالسة توفي خارج بلده مالقة .

اما شيوخه بالمغرب فهم ابو زيد البرنوصي ، والفقيه اليزناسي ، ولم اعثر على ترجمة لابي زيد هذا ، **اما الثاني فلعله ان يكون :**

5 ـ عبد الرحيم بن محمد اليزناسي ، العالم الصالح الفاضل المحصل المتقي والمكنى ابو زيد احد العلماء الذين لهم السبق ، رحل الى المشرق ، ولقي الافاضل وجد وحصل كان محصلا لمذهب مالك واصول الفقه على طريقة الاقدمين ودخل بجاية ثم ارتحل عنها الى فاس واستوطنها الى ان توفي بها ، وكان له ظهور بها (17) .

اما في اشبيلية ، فقد لقي بها ابا علي الشلوبين وهو من ائمة النحو المشهورين بالاندلس المتوفى باشبيلية .

6 ـ ابو القاسم بن بقي وهو احمد بن مخلد الفقيه المحدث ، ولي القضاء مدة طويلة الى ايام السلطان ابي يوسف المريني ، وسنة من ايام ابنه محمد (18)

ولا اظننا في حاجة لتبيين مدى العلاقة التى تربط بين هؤلاء الاشياخ وتلميذهم اديبنا ابي الحكم الذى نراه نسخة لما عرفوا به من فضل وعلم وفقه ولغة وقراءات وما عرف به بعضهم من روحانية وتصوف .

تلاميـــذه (19) :

كما اخذ ابو الحكم فقد اعطى وعرف من تلامذته ثلة من الادباء والشعراء ، كان لهم شان ووزن يذكر في عصرهم ، ومنهم :

ا ـ احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي الاندلسي ويكنى ابا جعفر روى عنه ورحل اليه من بلده وخارجها الكثير ، وتصدى للاقراء واسماع الحديث وتعليم العربية وتدريس الفقه ، وكان من اهل التجويد والاتقان عارفا بالقراءات حافظا للحديث ، متسع الرواية ، بحث عنها وانتقل من اجلها الى سبتة ، فلعل ذلك للاتصال بشيخنا ابي الحكم لما عرف من علمه الواسع ، وكان مولده بجيان سنة ثمان وعشرين وستمائة .

ب ـ ابو حيان : اثير الدين محمد بن يوسف البربري النفزي النحوي الاندلسي المتوفى سنة خمس واربعين وسبعمائة ، وقد اجاز له ابن المرحل، يقول المقري : وممن كتب عنه من مشاهير الادباء ، ابو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي بن المرحل (20) .

---

(15) درة الحجال ص 282 رقم 742 ج 1 .
بغية الوعاة ص 384 .
(16) الذيل والتكملة ج 1 ص 322 .
(17) جذوة الاقتباس ص 223 .
(18) الغصون اليانعة ص 32 .
(19) سلوة الانفاس ج 3 ـ ص 100 .
(20) نفح الطيب ج 3 ص 305 .

ج ـ ابن عبد الملك المراكشي : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاولـي المراكشي ، اخذ عن ابن المرحل بسبتة ، وهو اديب بارع الكتابة ، يقرض الشعر صاحب التاليـف المشهور في تراجم الرجال « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلـة » (21) ولد بمراكش ، ودفن بتلمسان سنة ثلاث وسبعمائة ، ذكر ابن المرحل في كتابه المذكور ووصفه بشيخنا ، كما اخذ عليه مآخذ عروضية وغيرها في قصيدتين أوردهما له في كتابه المذكور (22) في مدح مثال النعل النبوية ، منها كثرة التضمين كعيب من عيوب النظم وغيرها من عيوب القافية. وقد رد عليه ابن رشد السبتي (23) صاحب الرحلة المعروفة بـ ملء العيبة واحضار ما جمع بطول الغيبة في الوجهة الى مكة وطيبة وهي في اربعة اسفار .

د ـ احمد بن عبد الله الانصاري المعـروف بالرصافي المتوفى سنة 650 يذكر ابن القاضي انه اخذ عن ابي الحكم مالك ابن المرحل وعن صهره ابراهيم التلمساني الانصاري ويورد خبرا على لسانه يقول : اخبرني شيخي بمدينة سبتة ابي الحكم مالك بن المرحل قال ، ثم يروي خبرا عن ابي اسحاق ابراهيم بن سهل كاتب ابي علي بن خلاص صاحب سبتة (24) .

هـ ـ ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد بن علي بن مالك المعافري من اهل غرناطة تولى قضاء المرية ووادي آش ومالقة يقول عنه في درة الحجال اجاز له مالك بن المرحل (25) .

و ـ ابو عبد الله محمد بن جعفر الاسلمي يعرف بابن مشتمل وبالبلياني بشرق الاندلس توفي سنة 736 يقول عنه ابن القاضي اجاز له جماعة ، منهم ... والاديب مالك ابن المرحل (26) .

ز ـ القاضي ابو اسحاق ابراهيم الغافقـي الاشبيلي ، ولي القضاء بسبتة بعد خروجه من بلده اشبيلية عند تغلب الروم عليها سنة 646 ، اخذ اللغة على صدر النحاة ابن ابي الربيع ، وروى عن ... والاديب الفرضي ابي الحكم مالك ابن المرحل لقب باستاذ الطلبة وعام الحلبة (27) .

ح ـ محمد بن يوسف بن ابراهيم الامي نزيل المرية ويعرف بابن مشون من اساتذة المرية ومقرئيها، رحل الى سبتة فاخذ بها عن ... وسمع الى ابي اسحاق ابراهيم التلمساني والاديب ابي الحكم مالك ابن عبد الرحمن بن المرحل والاديب ابي الحكم مالك الحسن عن عتيق بن حسين بن وثيق التغلبي (28).

معاصـروه :

ومن معاصري الشيخ ابي الحكم واصحابه الذين وصلته بهم ظروف الادب او العمل او المعاصرة .

1 ـ ابو علي الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي ، وهو مري الاصل سبتي الاستيطان، جاء في الاحاطة : « وقد وقعت بينه وبين ابن المرحل من الملاحاة والمهاترات ، اشد ما يجري بين متناقضين » (29) ولا ندري لها سببا سوى أن تكون نوعا من التنافس الادبي ، للشهرة الكبيرة التي لحقها ابن المرحل في سبتة ، فأراد ابن رشيق ان يظهر على حسابه او يزحزح مكانته في قصر سبتة ؟ ام هي عداوة الادباء شاعت ، دفعته الى هجوه حسدا لما اصابه من سمعة وانتشار صيت ؟

قد يكون ! ولكن المعروف عن ابن رشيق انه كان موحشا ، جهم المحيا ، فاحش القول ، وقد جاء في قصيدة هجاء له في ابن المرحل ما ينم عن دعابة وسخرية كانت في ابن المرحل، ولعل اجتماعا ضمهما،

---

(21) الذيل والتكملة : ج 1 ص 331 .
(22) الذيل والتكملة ص 331 ـ 335 .
(23) انظر تعليق الدكتور بنشريفة في الذيل ج 1 ص 331 وما بعدها .
(24) درة الحجال ص 14 رقم 37 ـ 38.
(25) درة الحجال ص 69 / 70 رقم 166
(26) درة الحجال ص 188 رقم 54 .
(27) تاريخ قضاة الاندلس لابي الحسن النباهي المالقي الاندلسي . نشر ليفي بروفانسال ص 133
(28) درة الحجال ج 1 ص 176 رقم 495 .
(29) الاحاطة . المجلد الاول صفحة : 480 .

واصابته احدى دعاباته ، او علم عن لمز منه فيه ، فوجد عليه ، ونظم قصيدة فى هجوه يقول فيها :

لكلاب سبتة فى النباح مدارك
واشدها دركا لذلك مالك

شيخ تفانى فى البطالة عمره
واحال فكيه الكلام الآفك

احلى شمائله السباب المفترى
واعف سيرته الهجاء الماعك

والد شيء عنده فى محفل
لمز لاستار المحافل هالك

يخشى مخاطره اللئيم تفكها
ويعاف رؤيته الحليم الناسك (30)

وبعثها له مع كلب علقها فى رقبته ، والقصيدة طويلة ، ولكننا نكتفي بما سبق لما فى الباقي من فحش وسقط الكلام (31) .

وبصرف النظر عما تحمله من تهم باطلة يعد ابن المرحل بريئا منها ، ولا تتناسب مع ما بلغنا عنه ، من اخلاق فاضلة ، واحترام بين الاوساط المختلفة، رغم ذلك فابن المرحل لم يقابل الهجو والسب بمثله، ولم يغضب او يغتاظ ، بل اجاب ابن رشيق ، باعصاب هادئة تدل على تضج عقله ورزانة فقيه عالم:

كلاب المزابل آذينني
بأبوالهن على باب داري

وقد كنت اوجعها بالعصا
ولكن عوت من وراء الجدار(32)

2 ـ ابن الربيع : العالم النحوي الذى جرت بينه وبين ابن المرحل مناظرة حول (ماذا) والتي قال فيها ابن المرحل بيتيه المشهورين :

عاب قوم كان ماذا
ليت شعري ام هذا

واذا عابوه جهلا
دون علم كان ماذا ؟

والف كتابا فى الرد عليه سنورد الحديث عنه فى موضعه من مؤلفاته النثرية .

3 ـ سارة ، بنت احمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية الفاسية ، استاذة وشاعرة وطبيبة ماهرة ، كانت لها مكانة مرموقة فى الادب ، اجادت كثيرا من الصناعات ، اصلها من الشام وفدت على الامير المستنصر بالله الحفصي صاحب افريقيا فمدحته ودخلت سبتة اواخر المائة السابعة عن طريق الاندلس تمدحت رؤساءها ، وقد صدر منها فى مالك ما يدل على صداقة ومودة ، وتقدير له واعجاب به وبعلمه اذ تقول :

ياذا العلا يا مالكي
انعم علي بمالك

العالم المتفنن البحـ
ـر المحيط السالك

يا نفس ان جاد الزما
ن به بلغت منالك

ولطالما قد نلت ما
املت من آمالك

فراجعها ابن المرحل بقوله وذلك بمدينة سبتة :

يا نظرة الدنيا لقد
حزت العلا بكمالك

جمعت لك الآداب
حتى انتهى كمالك

وملكت افئدة الورى
فالناس فيك كمالك

ان قايسوك بمالك
القوك املك مالك

فردت عليه برسالة نثرية بليغة ، واجابها بابيات شعرية قال فيها :

(30) جذوة الاقتباس ص 112 .
(31) الاحاطة ص 480 ـ 483 والنفح ج 5 ص 279 .
(32) الاحاطة المجلد الاول ص 483 .

قل للتي سارت برائق شعرها تحكي ابن سارة
الآن اذ سارت ركابك فى البلاد دعيت سارة
بل انت هاجر اذ هجرت بتونس دار الامارة

ثم وفدت على ابي يوسف بن عبد الحق المريني بمراكش، فمدحته، وفى ايامه توفيت بالدار البيضاء (33).

متبوعــو مالــك بن المرحــل :

لم يكن ابن المرحل من المتملقين او الراغبين فى التمسح بأبواب القصور او حياتها فيما نعلم من خلال آثاره واخلاقه، بل كان شيخا حكيما وفقيها ورعا ومسلما مؤمنا، وعالما، واديبا قانعا، ذا نفس ابية. ففرض وجوده على البيئات المختلفة، وهو سيد نفسه، ولا غرابة وهو القائل :

ابت همتي ان يراني امرؤ
على الدهر، يوما له ذا خضوع

ومـا ذاك الا لانـي اتقيـ
ـت بعز القناعة ذل الخضوع (34)

وقد استكتبه السلطان ابو يعقوب كما عمل فى كتابة الامير ابي مالك عبد الواحد ابنه من قبل، فمدح اعمالهم وانتصاراتهم وشجاعتهم فى نصرة المسلمين وتهدئة الاوضاع، فكان على حق، لم ينافق، فالتاريخ يشهد على ما قام به المرينيون فى نصرة الاسلام خاصة فى الاندلس، جهادا لوجه الله، لم يريدوا من ورائه جزاء، ولا طمعوا فى مكسب بل كانوا يقدمون الحصون والمدن التي تسقط فى ايديهم من حرب الروم الى الحاكمين من اهل الاندلس، بل وحتى لرؤوس قوادهم، فكان اولئك الخونة الجبناء من حكامها يقدمونها هدية وتملقا مرة اخرى الى من فقدوها من الاسبان، وليس من شك فى انه لاقى تقدير رؤساء سبتة لمعرفته ومكانته، خاصة وان اتصاله بولاتها العزفيين، لم يكن حديث العهد، فمن هؤلاء الذين اتصل بهم او طلبوا منه العمل فى خدمتهم :

1 ــ السلطان ابو يوسف يعقوب المنصور المريني المولود سنة ست وستمائة الذى بويع سنة ست وخمسين وستمائة والذى تم فى عهده القضاء على جل الثورات الخطيرة، التى اعطت الاستقرار للمغرب، وقد حارب يغمراس صاحب تلمسان، وجاز الى الاندلس اربع مرات، احرز فيها على انتصارات استرد فيهاكثيرا من الحصون والمدن، واعاد الطمأنينة لنفوس المسلمين من سكانها، وقد مدحه ابن المرحل بقوله وهو من البسيط :

انتم لابناء عبد الحق كلهم
فخرهم للورى فخرا اذا افتخروا

فحبكم شرفا ان كان جدكم
بر بن قيس جده مضر (35)

وقد استكتب ابن المرحل، واستقدمه الى فاس من بلاده سبتة، واعله وجد فى علمه واخلاقه ما يفيد ابنه ولي العهد، وكان السلطان يحبه ويعزه كثيرا فخصه به.

2 ــ الامير ابو مالك عبد الواحد : ابن السلطان ابي يوسف يعقوب المنصور المريني الذى اخذ له ابوه البيعة، من القبائل والعلماء والاشراف لولاية العهد سنة ثمان وستين وستمائة بعد انتصاره فى مراكش، وسقوطها من يد الموحدين كآخر معقل لهم « وكان الامير ابو مالك على غاية العقل والذكاء والنبل والكرم والنباهة والسياسة والاقدام والحذق والشجاعة وعلو الهمة ومكارم الاخلاق، محبا فى الادب والتاريخ مقربا للعلماء والفقهاء والشعراء، ويذاكرهم» (36) وقد كان ساعد ابيه الايمن فى محاربة الخارجين عن الطاعة والطامعين وحرب الموحدين. رفع اليه ابن المرحل قصيدة تهنئة بفتح مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وهي من البسيط يقول فيها :

(33) معجم اعلام النساء بالمغرب الاقصى : المكتب الدائم للتعريب ص 15 / 16.
(34) سلوة الانفاس ج 3 ص 100 وجذوة الاقتباس ص 224. ودرة الحجال ص 323 ج 2 ــ اما صاحب النبوغ فينسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمي.
(35) الذخيرة السنية طبعة دار المنصور
(36) الذخيرة السنية ص 135

فتح تبسمت الاكوان عنه فما
رايت املح منه مبسما وفما

فتح كما فتح البستان زهرته
ورجع الطير فى افنانه نغما

بفتح مراكش عم السرور فما
يكابد الغم الا قلب من ظلما (37)

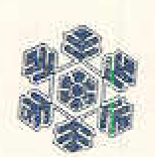
وقد توفي الامير ابو مالك سنة احدى وسبعين وستمائة .

3 ــ ابو القاسم محمد بن القاضي المحدث ابي العباس احمد الشهير بابن العزفي اللخمي كان قيامه بسبتة سنة سبع واربعين وستمائة فى دولة المرتضي الخليفة الموحدي بمراكش، قتل والي سبتة من قبل الرشيد الموحدي ابا عثمان بن خلاص ، وملك طنجة ودخل اصيلة ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة عن سبعين سنة، وكان قد كتب رسالة طويلة الى قبائل المغرب يستنصرهم فيها ويحثهم على الجهاد فى سبيل الاندلس سنة اثنين وستين وستمائة ، وهي السنة التى القى فيها ابن المرحل قصيدته بالقرويين يستنفر المجاهدين وسياتي الحديث عنها فى محله ، ولا يبعد ان يكون اتفاق قد حصل بينه وبين ابن المرحل فى استنفار المجاهدين للاندلس ، وهو صديقهم وشاهد افراحهم ، الا ان ما ضاع من شعر ابن المرحل ، والبعيد عن متناول ايدينا ، لم يمكنا من اظهار مدى العلاقة الجديدة التى كانت تجمع بينهما ثم بينه وبين ابنه من بعده ابي طالب ، وهم ولاة سبتة (38) .

ــ تابــع ــ

محمد العلمي حمدان

(37) الذخيرة السنية ص 135
(38) ازهار الرياض ج 2 ص 374 .



تحقيق القول في أصل قبيلة "زعير"

للأستاذ محمد التاودي بن سودة

يقول أبو العباس أحمد الناصري صاحب كتاب(1) الاستقصا : ان الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا (2) من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر ، غير ان لسان الجميع عربي ، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ، ثم انضافت اليهم قبائل اخرى واختلطوا بهم فاطلق على الجميع شاوية تغليبا .

وهكذا وقع فى سائر عرب المغرب الاقصى المواطنين بتلوله ، فانهم وقع فيهم اختلاط كبير ، حتى نسوا انسابهم وأصولهم الاولى بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال ، والانتجاعات ووقعات الملوك بهم فى كثير من الاحيان وتفريق بعضهم من بعض ، ونقل بعضهم الى بلاد بعض ، ومع ذلك فأسماؤهم الاولى لا زالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان ، فمنها يهتدى الفطن الى التنقير عن انسابهم والحاق فروعهم باصولهم والله اعلم هـ .

وفي كتاب الاغتباط لابي عبد الله محمد بوجندار ما يلي : « كانت بلاد زعير تعد فى القديم من تامسنا التى هي عاصمة برغواطة فقد نقل عن محمد الامين الصحراوي عند ما تكلم على ترجمة عبد الله بن ياسين قال انه مات شهيدا مع الامير ابي بكر اللمتوني فى برغواطة وذلك قبل بناء مراكش الى ان قال وكانت بلاد زعير تعد فى القديم من تامسنا التي هي عاصمة برغواطة هـ .

وذكر صاحب قبائل المغرب للاستاذ عبد الوهاب ابن منصور عند ما تعرض للكلام على أصل برغواطة قال: « ومن اشهر الامراء والقواد الذين فتكوا بهم الامير تميم اليفرني بعد سنة 420 والفقيه عبد الله ابن ياسين الجزولي داعية الموحدين (3) الذي استشهد وهو يقاتلهم بكريفلة من أرض زعير سنة 450 (4) وقد اندثر اسم برغواطة منذ ذلك التاريخ وحل محل اتباعه فى مواطنهم او شاركهم فيها قبائل عربية طارئة واخرى بربرية متعربة مثل مالك وسفيان وعامر وحصين والشاوية وزعير . ونص فى كلام آخر عند تكلمه على مواطن القبائل العربية فقال : والقبائل العربية الكبرى الاخرى التي تسكن سهول الشاوية والحوز مثل زعير والشاوية والرحامنة وورديغة وبني عمير وبني موسى هـ

كما تعرض الدكتور عبد الرحمن حميدة فى كتابه : دراسة فى الجغرافية البشرية عند الكلام على ترحيل السلطان يعقوب المنصور للقبائل العربية الى

(1) ج 4 صفحة 66 — طبعة دار الكتاب .

(2) تامسنا هي الممتدة من نهر سلا الى نهر ام الربيع اي ما يعادل المنطقة التي تسكن فيها حاليا قبائل الشاوية وزعير ، وكانت فى الاصل موطنا لزناتة وزواغة من قبائل المغرب .

(3) قوله داعية الموحدين سبق قلم بل هو داعية المرابطين .

(4) الصواب سنة 451 هـ .

سهول المغرب فقال : واشهر هذه القبائل بنو سفيان ومالك الى ان قال : وسنكتفي بسرد قبيلتين من معقل تقيمان بجوار المحيط وهما بني احسن في سهل المغرب قرب المهدية وقبيلة زعير جنوب شرق الرباط .

فدلت هاته النصوص التاريخية على ان قبيلة زعير تعد من دون شك من القبائل العربية وبالتالي فانها ترجع الى عرب معقل ، وهذا ما يشهد به لسانهم (5) الذي يتخاطبون به وعوائدهم التي هي عوائد عربية ، وكذلك حالتهم الاجتماعية .

وهناك ادلة اخرى تصرح بحربيتهم ، فكل المؤرخين الذين ترجموا للولي الصالح ابي عبد الله سيدي محمد بن مبارك دفين تاساوت يقولون ويفصحون بعرب زعير ، فهذا ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدوني دفين ابي الجعد في كتابه : « يتيمة العقود الوسطى » في مناقب الشيخ ابي عبد الله محمد المطي الشرقي حينما تكلم على حياة سيدي محمد بن مبارك السالف الذكر ، قال : « وقد نسبه بعض الائمة الى عرب وطنه زعير ونحا منحاه صاحب كتاب الاعلام بمن حل باغمات ومراكش من الاعلام لابي العباس محمد ابن ابراهيم قاضي مراكش .

لكن لا يبعد ان تتأثر بعض افخاذ هاته القبيلة بالعوائد البربرية بطبيعة الحال ، فينحون منحاهم في حالتي التزويج (6) وعدم توريث المراة كما مشاهد الى الان في بعض الجهات المجاورة لبلاد زيان وزمور الشلح ، وذلك بحكم الجوار والمصاهرة والتجارة في الاسواق القريبة لبلاد البربر ، بل نجد بعض افخاذ قبيلة زعير مسماة باسماء بربرية مثل ايت حم الصغير وايت الجيلالي وايت موسى وايت عقة ، لان لفظة ايت لا تعرف الا في الاوساط البربرية مما يدل على ان البعض انتقل من موطنه الاصلي وسكن بقبيلة زعير ، وهذا ما نبه عليه الناصري في تاريخه كما تقدمت الاشارة اليه في طالعة هذا المقال .

هذا وذهب بعضهم الى ان زعير اصلها من قبيلة زيان قرب الولي الصالح سيدي محمد بن مبارك من المدشر المعروف اموت رزكان ، وسميت تسميتهم بزعير حسبما تلقيته من بعض افواه المعمرين الطاعنين في السن هو ما كان يقع بينهم وبين جيرانهم اعراب احواز الرباط من حروب متطاحنة على مدى الازمان وتعاقب الاجيال وذلك بحكم الجوار الذ(ينشأ عنه الاختلاف على المرعى والسقي وغير ذلك من المصالح المختلفة الداعية الى نشوب حرب ضروس بينهم تتسبب في اراقة الدماء بين الطرفين والتوغل في اطراف بلاد المغلوبة على امرها مما يؤدي الى تربص احداهما بالاخرى كلما لاحت بادرة .

ومن جملة ما وقع من هذا النوع انه اندلعت الحرب بينهما ذات يوم الى ان تغلبت قبائل أعراب احواز الرباط عليهم فتقهقرت زعير عن بلادهم منهزمين ونزحوا الى المحل المذكور بأرض زيان ، فبسبب ذلك قيل انهم زعروا اي تفرقوا وابتعدوا عن موطنهم الاصلي وهذا ربما يساعد على سبب التسمية بزعير ان ساعدت عليه المصادر التاريخية والاشتقاق اللغوي .

وقد بذلت المجهود في التنقيب في كتب الاقدمين على ما يؤيد هاته النظرية فلم اقف على شيء يرجع لهذا المعنى .

نعم وقفت على بحث بالخزانة العامة بالرباط باللغة الفرنسية المسمى الرباط ونواحيه تحت الرقم: 2622 ، نعم وقفت على كلام له في اصل زعير فقال : « وهناك عرب اسمهم زعير يسكنون بين ابي رقراق وشراط » ، الى ان قال : « وكلمة زعير عربية قحة ، اذ زعير معناه انسان تائه يبتعد منه الناس لسوء طبعه»

هذا هو رايي الذي استخلصته من المصادر التاريخية التي جلبتها لك ايها القارىء الكريم .

وهناك رأي آخر للاخ العلامة البحاث مولاي التقي العلوي فقد قال : في جواب له عن سؤالي له عن اصل

---

(5) انظر ما كتبه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في بحثه القيم « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي » ففيه ما يدل على أن لسانهم عربي فصيح .

(6) لقد ادركت هذا حينما كنت قاضيا ببلادهم فيما بين سنة 49 ــ 56 فكانت جل القبيلة تتزوج وتطلق بالجماعة حتى بعد ما عين ببلادهم القضاة الشرعيون فانهم كانوا يفضلون عقد انكحتهم على مقتضى عوائدهم المتعارفة عندهم قبل الحماية وما بعدها ، وكذلك الحال فيما يرجع لعدم توريث المراة الا في القليل من الجهات ، واذا ما طلقت المراة فانها ترد كامل الصداق الى مطلقها .

قبيلة زعير فبعد ان قرر في مقدمة جوابه بانه يستحيل ان تجد على وجه الارض شعبا او قبيلة او اتحادية او تجمعا من التجمعات البشرية ترجع كلها الى اصل واحد لان المقاييس العلمية الصحيحة تأبى ذلك ، بعد ان قرر ذلك في تمهيد له ، ذهب الى ان الزعريين او بني « زابر » على ما هو موجود في طبعة دوسلان لابن خلدون الذين تتحدث عنهم النصوص الموجودة في العبر اكثر بطونهم مزاتة وهي تحتوي على فروع كثيرة من جملتها دغمة وحمرة وقرنة ((كرينات)) وهاته الفروع او الاسر موجود كلها او جلها في زعير الحالية، كما يؤخذ من هاته النصوص ان من فروع لواتة فرعا يسمى زنارة وهي موجودة بكثرة في اقليم تادلا ونواحيه

ومن هاته النواحي بلاد زعير الحالية مما يثبت ان الزعريين الحاليين بينهم عناصر تتصل بلواتة من طريق حزاتة ومن طريق زنارة ، ويلاحظ ان نصوص العبر يجب ان تراجع في طبعة دوسلان او النسخ المخطوطة اما طبعة بولاق وما تفرع عنها فليست بشيء .

هذا ولا يبعد ان تكون في قبيلة زعير الحالية عناصر برغواطية مصمودية ، ذلك ان برغواطة كانت صاحبة الاقليم في الزمان الاول قبل ان تعصف بهم حملات المرابطين في عهد ابي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين انتقاما منهم لقتل زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين في هاته البقعة ، وبعد هاته النكبة التي حلت بهم تعمد الذين سلموا من السيف منهم اخفاء الاحوال الاولى فبدلوا اسماء بطونهم وتجاهلوا اصل ارومتهم ، وهذا شيء طبيعي في كل قبيل نظر اليه الجمهور نظرة غريبة وحل به ما حل بهم .

كما لا يبعد ان تكون فيهم عناصر هلالية من تلك القبائل العربية التي جلبها يعقوب المنصور وانزلها بتامسنا تلك المقاطعة القديمة التي كانت تقع فيما بين بورقراق وام الربيع ، وغني عن البيان ان بلاد زعير الحالية جزء منها .

اما الحسن الوزان الزياتي المعروف عند الاوربيين بليون افريكان فله راي آخر في قبيلة زعير حيث يدرجها مع جارتها قبيلة بني احسن في عرب معقل ، ومن المعلوم ان المعقليين كانوا ضمن بني هلال عند دخولهم الى افريقيا ، وبعد اكتساحهم لمناطق الواحات تسربت بعض فرقهم الى المغرب الداخلي عبر منافذ الاطلس مثل الرحامنة وبني احسن وزعير وغيرهم .

وربما يؤيد ذلك وجود تجمع سكني على الضفة اليسرى لوادي درعة في قلب الصحراء يحمل اسم قطر (7) زعير ، وقد اشار اليه شارل دوفكول في رحلته .

وعلى هذا يكون الزعريون او بعض العناصر منهم من عرب المعقل جاءوا من مناطق الواحات واخترقوا الاطلس الكبير والمتوسط وانتهى بهم المطاف في محلهم الحالي على ضفاف المحيط ، وهذا ما يؤيده الوزاني فقد تحدث عنهم في عدة مناسبات سيما حينما كانوا يتجمعون بمواشيهم بالاطلس المتوسط في منخفض تكراكر قرب ازرو ، وفي حوض كيكوا ، وبأم اجنيبة ومضيق انجناتس الذي يسميه بمضيق الفربان ، ويستفاد منه انهم كانوا موجودين في وقت ما على طول الطريق التي تربط فاس بتافلالت عبر بلاد ايت يوسى حاليا .

ونحن نعلم ان المعقليين انفسهم قد اندمجت فيهم عناصر بربرية كثيرة حيثما كانوا في طريقهم الى المغرب خصوصا احلافهم زناتة .

وزاد مولاي التي قائلا : ويمكن الجمع بين هاته الاقوال كلها بأن الزعريين فيهم عناصر بربرية كثيرة (8) وفيهم عناصر عربية ، لكنها قليلة ، وقد فقدوا لسانهم الاصلي منذ زمان بعيد بعملية الاستعراب مثل صنهاجة

(7) نعم يوجد هذا القصر بمقربة من وادا يسمى وادي زعير الذي يصب بوادي درعة المار بجوار مركز المحاميد الغزلان في اتجاه طنطان ، هذا ما اخبرني به بعض اهل الثقة من سكان ورزازات ، وزاد فقال: ان وادي زعير تسقى به وبغيره من الوديان الارض التي تسمى بور سيدي عمرو ، وزاد في افادته ان هناك زعيرا الفوقانية وتوجد عند الجزائريين ، وزعيرا التحتانية الذي لا زالت اشجار النخيل موجودة هناك بورزازات هـ .

(8) اقول ان الامر بالعكس ، فالاكثرية من زعير عرب ، والاقلية بربر بحكم الجوار لقبيلتي زيان وزمور الشلح كما سلف لنا بيانه ، فقد احصيت الافخاذ التي تحمل لفظة ايت البربرية ، فلم اجدها تعدو اصابع اليد الواحدة .

الورغة وزنانة الشمالية وصنهاجة أزمور ومصمودة دكالة ، وغير ذلك كثير .

وكيفما كان الحال فالكثير من سكان زعير حاليا يرجعون بأصولهم الى العناصر الاولى التي انحدرت منها قبائل زمور المجاورة لهم وبني مكيلد وايت امالو، ومن المعلوم ان هاته القبائل كلها كانت تعرف في القديم باسم زناكا ، وسماهم ابن خلدون صنهاجة اهل الطبقة الثالثة ، وقد كان الزعريون طيلة القرون الاخيرة محصلين على العضوية الكاملة في صنهاجة ايت امالو ، المشرفين على تادلا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

وبهذه المناسبة يقول مولاي التقي نورد هنا أسطورية محلية تدور على بعض الالسنة وتؤكد ان زعيرا هم اخوة بني مكيلد وبني احسن ، وقد كانوا يؤلفون قبيلة واحدة في جبالة ، مجيئهم من الجنوب ، ففي أثناء الطريق ، قال البعض منهم هنا « نكيلو » اي نسكن وقت القيلولة فأقاموا هناك ، لذلك سموا بني مكيلد ، بينما استأنف الاخرون مسيرتهم ، ومرة اخرى قالت طائفة اخرى هنا « نزعرو » فسموا لذلك بزعير ، واخيرا تقدمت الطائفة الاخيرة نحو الشمال وقالوا : « نزيدوا حسن » لذلك سموا بني احسن ، انتهى كلام مولاي التقي ، وانما جلبته وان كان فيه طول لما اشتمل عليه من فوائد تهم موضوعنا .

ومن اغرب واعجب ما اتت في تسمية هاته القبيلة « بزعير » ما وقفت عليه في مجموع باللغة الفرنسية حول دراسة أولية لقبيلة زعير للاخ القائد السيد الحبابي عثمان حينما كان على راس قيادة عين العيودة التي تضم طرفا من « زعير » قال يظهر من بعض المخطوطات القديمة ان الشيخ ابا عبد الله بن مبارك الزعري كان يحرث على فرس وجمل فكان يستعمل في زجر الجمل لفظة « زا » وفي زجر الفرس لفظة « ري » ومجموع الكلمتين يعطي « زعري » وهو الاسم الذي اطلق على القبيلة « زعري » حيث استقر الشيخ هذا ما قاله هذا السيد في سبب التسمية وهو راي غير صواب ، لا يساعد عليه التاريخ بل لم اقف على من قال بهاته المقالة .

والواقع التاريخي هو ان ذلك كان سببا في لقب الشيخ المذكور « بالزعري » ، اذ كل المؤرخين الذين تعرضوا لحياة الشيخ ابى عبد الله سيدي محمد بن مبارك المتوفى بالوباء في 2 شوال عام 100 هـ المدفون بتراب زيان قرب الولي الصالح ابى يعزى ، كلهم ساقوا هاته القصة على انه لقب بالزعري بسبب ذلك ، وممن قال بذلك تلميذه ابو العباس ابو محلي السملالي في كتابه الاصليت حين عرف بشيخه المذكور ، ومما قاله انه لقب باللفظتين مركبتين ، واشتهر بذلك ، ونسخ اسمه الاول وهو سليمان .

فبان من هذا السند التاريخي ان الشيخ عرف بالزعري منذ حدوث تلك القصة ، مما يدل دلالة واضحة على ان عرب « زعير » معروفون من قبل ان يلقب الشيخ بلفظة « الزعري » لا ان ذلك هو السبب في تسمية القبيلة باسم « زعير » ولعل القائد اغتر بما هو جار على السنة العامة في القبيلة من غير اعتماد على سند تاريخي ، اذ كل المصادر التاريخية مجمعة على ان الشيخ من اهل زعير ، لكن أولاده من بعده انتشروا في نواحي متعددة من المغرب ، ومن هاته النواحي «زعير» التي يوجد بها بعض احفاده .

كما تجدر الاشارة بهاته المناسبة ان ننبه الى غلط آخر وقع فيه هذا السيد حيث ذكر انه يوجد في قبيلة زعير شرفاء يعرفون اليوم باسم أولاد سيدي بوعمرو الذي هو بنفسه ينحدر من سيدي محمد بن مبارك المدفون عند زيان ، هذا كلام هذا السيد ، مع ان الحقيقة هي ان سيدي بوعمرو لا يمت الى سيدي محمد بن مبارك بصلة النسب ، وانما هو شيخ لسيدي محمد بن مبارك ، وعلى يده فتح الله عليه في الولاية وادرك ما ادرك بعد ان شد الرحلة الى شيخه ابى عمرو بمراكش ، لان الشيخ أبا عمر (9) بفتح العين والواو هو احمد بن ابى القاسم القسطلي الاندلسي المراكشي استيطانا ومدفنا المتوفى في منتصف شوال عام 972هـ

فقد ارتكب هذا السيد غلطتين كبيرتين ، أولهما حيث زعم أن سيدي بوعمرو منحدر من سيدي محمد ابن مبارك ، والثانية حيث حلى ابا عمرو بالشرف مع انه لم يقل بشرفه احد ممن ترجم له من المؤرخين ، وانما هو من كبار الاولياء ، ولولا خوف التمادي في هذا الغلط الفاحش لما جلبت مثل هاته المقالة هنا ، والله اعلم واحكم .

الرباط : محمد التاودي ابن سودة

(9) ضبطه بفتح العين والواو صاحب نشر المثاني فانظره .

قصة العدد

- صنـــدوق الموسيقـــى

معرض الكتاب ١٨

- عثرات المنجد فى الادب والعلوم والاعلام
- العقــد .. لابن عبــد ربــه
- كتــاب صــدر ..



قصة العدد

صندوق الموسيقى ...

للكاتب الانجليزي ملاتشي أوتيابيكر
ترجمة : للأستاذ عبد المجيد بن جلون

كانت امراة ومعها طفل صغير ينحدران مع شارع القرية الحجري ، واذا استمرا في سيرهما ثلاثة اميال وصلا الى مدينة حيث يوجد منزل كانا يقصدانه ، وقد قرآ عنوانه في احدى صحف المساء.

كانت المراة شابة قصيرة القامة لها رجلان صغيرتان اعتادت ان تزهو بهما ، وكان للطفل عينان كبيرتان زائغتان فيهما برود وفيهما تأمل ، وقد امسك بيدهما وكانا يسيران وعليهما مسحة بادية من السرور ، انهما في طريقهما الى شراء شيء ما .

ويدعى زوج السيدة تكستون مورفيت ، وهو يكبرها سنا ويعمل في قص الاحجار فقد كان له شعر في مثل لون الرمل ، ولما لم يكن يحلق ذقنه الا مرة واحدة كل يوم سبت فقد كان له لحية وشارب باديين دائما في نفس اللون ، وله وجه ملوح وجسم ضخم الهيكل قليل اللحم ، وصوت اجش غاضب يبعث في ابنه الرعب .

ولم يتح لزوجته ان تدعوه باسمه « تكستون » فقد كان يبدو لها ذلك سخيفا ، ولذلك فقد كانت تطلق عليه « الاب » وكانت تشير اليه ايام زواجها المبكر بضمير « هو » حتى اذا ما اجبرت على ان تكون افصح اطلقت عليه لقب « السيد » وان كانت تكره ذلك لما يكشف عليه من حقيقة ، وسرها ان تصبح اما ليكون في استطاعتها ان تطلق عليه لقبا معينا .

وحينما اصبح في استطاعة الطفل الصغير ـ وقد سمته « هنري » ـ ان يتكلم اصبح يطلق عليه هو ايضا « الاب » ، وكانت العائلة تعيش في مؤخرة القرية حيث تفضي الطريق الخشنة الى الادغال ، وحينما كان الطفل وهو يباشر بعض العابه القامضة يرى الرجل الضخم قادما ، يجري الى داخل المنزل وهو يصيح : « اماه ، ها هو ذا الاب » .

ولم يكن في استطاعة هنري ان يكون لنفسه فكرة عن « الاب » ، فقد كان المنزل احسن مقاما واهدا في غيبة هذا الرجل الذي كان يأخذ مكانه من المقعد الخشبي وينظر الى الطفل في ضجر ، وهو الذي لا يخفي انه كان يفضل لو كان طفلا سمينا ضخما بدلا من هذا المخلوق الهادىء ذي العينين الزائغتين .

ولكن لا داعي للقلق فان اشياء كثيرة في الدنيا تدعو الى الاهتمام ، فيوم الاثنين مثلا يوم الغسيل وتأخذ فيه الام ابنها الى كهف المنزل حيث توقد النار ليمتلىء المكان بالماء الساخن المرغي لتعطيه الام بعض مناديل « الاب » ليزعم لنفسه انه يغسلها ، فاذا ما تعب من ذلك انصرف الى امه وهي تباشر عملها .

ولم يكن في مستطاعه ان يعيش على مبعدة من امه ، فقد كانت الحقيقة الوحيدة التي تتحرك في حياته ، ولم تكن له اية رغبة في اللعب مع غيره من اطفال الحي .

وحينما ذهب الطفل مع امه ذات يوم الى الكنيسة تسلل الى غرفة الارغن واخذ يداعبه الى ان صدرت عنه بعض الانغام ، فعاد الى امه ليطلعها عن سره العظيم ، فاستبشرت الام لذلك ، ولكن احدى الاخوات فتحت عليهما الغرفة ونهرتهما ، وعندما غادرا الكنيسة وعدت الام ابنها بان تشترى له آلة ارغن ليعزف عليها ، واخذت تدخر منذ ذلك اليوم بعض النقود الصغيرة وتتبع الاعلانات التى تنشر عن الآلات الموسيقية المعروضة للبيع فى الصحف ، واخيرا استقر الراي على ان يزورا المنزل الذى كان يقصدانه وهما يسيران على بعد ثلاثة اميال منه فى طريقهما اليه ، وكان ذلك فى عشية من عشايا اوائل خريف كئيب ، وعبرا الوادي ثم قطعا الجسر ليقتربا من المنزل الذى كانا يقصدانه فى سيرهما . ويجدا نفسيهما امام بابه الضخم ، وترددا فى نقر الباب ، ولكن شيخا غادره وهو يحمل فى يده كمانا فتأكدا من انه المنزل المقصود ، وكانت للباب اكرة بديعة استرعت انتباه الطفل ، ولما ظهر امامهما رجل نحيف القامة مد يدها تطلعت الام اولا الى صديريته ثم الى رجليها الصغيرتين ولكنها لم تقل شيئا ، فاستجمع الطفل قواه وقال : « هل عندكم من فضلك .. » ثم توقف لان صوته بدا له مثيرا ...

فقال الرجل بصوت صادق عميق : «اتبعاني» حتى اذا ما اقتربا من قاعة المنزل الداخلية طلب منهما ان ينتظراه ، واوحى اليهما انه سيعود اليهما بعد قليل ، فوقفا فى مكانهما وقد احتبست انفاسهما وهما ينتظران اوبته .

وقفا فى الحجرة الدامسة وقد احاطت بهما الآلات الموسيقية من كل نوع ، وعندما عاد الرجل شعر الطفل بالزهو وهو يسمع امه تسأله عن ثمن الارغن ، بل انها استطاعت ان تسأله وهي تبتسم ابتسامة مقتضبة خائفة بدت للطفل جميلة رائعة .

وما كادت تسمع الثمن حتى ولت على عقبيها قاصدة الباب وهي تسحب الطفل المشمئز من يده، ولكن الرجل اعترض طريقهما قبل ان يبلغا الباب ، واخذ يبتسم ويتحدث ويقول انه لا يود ان ينصرفا دون ان يقتنيا اي شيء ، واطلعهما على صندوق اصفر مربع تحليه زهور حمراء ، وقال : لعل هذا انسب لكما .

ورفع الصندوق خلال ذلك على صندوق آخر للتعليب ، ودفع داخله بلفة من الورق ثم اخذ يدير مقبضا ، فوقفت الام والطفل كانهما تمثالان ولكنهما كانا مأخوذين فان الارغن لا شيء بالنسبة لهذا الصندوق، الذي صدر عنه نغم كانت تعرفه الام منذ ايام المدرسة فاخذت تحرك رأسها وتترنم وقد اضاءت عيناها .

وهمس الطفل : ما هذا يا أماه ؟

فاجابته انه صندوق موسيقي ، واذا لم يكن عزيز المنال اشتريناه .

وذهبت تتخيله وهو يردد انغامه الى الابد فى المطبخ بالمنزل ، فسوف تضعه على خزانة الصحون وتحافظ عليه بعناية ، حتى اذا ما عصفت الرياح بالامطار سارع الصندوق الى بث الانس فى الحياة ، وعندما يلتحق هنري بالمدرسة — وهي لا تستطيع ان تتصور ذلك اليوم وان كان قريبا — فان الصندوق سوف يغريه بالعودة فورا الى المنزل .

وكان البائع يقدر الثمن المطلوب وهو يداعب شاربه ويحدجهما فى تشكك ، وكان على اهبة ان يطلب خمسة دراهم ، ولكنه قرر ان يضيف درهما سادسا من قبيل التفاؤل ، وهنا فرقع وتر كمان ، فجفلوا ثلاثتهم .

قال الرجل : من الممكن شراؤه بستة دراهم ، فان الانغام وحدها تساوي ذلك .

وتبادلت الام النظرات مع الطفل ، فى نظراته وفى نظراتها سعادة ، ثم نظرا الى الرجل وهو يكتم تثاؤبه ، وبعد لحظات غادرا باب المنزل فى طريق العودة ، وقد تأبطت الام صندوقا كبيرا لف بعناية كانه شيء مقدس .

وخيل اليهما انهما وصلا المنزل فى لحظة ، وبدا الصندوق فوق الخزانة رائعا بوروده الحمراء التى تلالات مع نار المدفاة ، وادارا عدة انغام قبل ان يخلعا ملابس الخروج ، وكانت الام تدير المقبض بينما جلس الطفل فى كرسيه ينظر اليها فى اعجاب ، وكانا يبدوان معا فى حالة من الجد والاهتمام ولا يتحدثان الا قليلا ، ومما قالته الام بصوت جاد واثق: ستمتلك ارغنا فى السنة القادمة . ولكنها تعلم ان ذلك يكاد يكون مستحيلا على ان موضوع الارغن لم يعد مما يثير الاهتمام .

وفجأة سمعا وقع خطى

فقال الطفل فى هلع « : انه الاب » ولم تكن الام قد اعدت له أي طعام يتناوله .

فقفزا معا واسرعا الى الباب ، وجرؤ الطفل الصغير على ان يصيح : ابي ، ابي. فقال الرجل : ابن الشاي .

قالت الام : سيكون كل شيء معدا فى لحظة ثم دفعت بالابريق الى قلب النار ووضعت فى سرعة بعض الاشياء على المائدة .

وكان يبدو على الاب ان هناك ما يضايقه فقد خسر درهما فى سباق الخيل فى ذلك المساء ، ولم يكن كثير المشاركة فى هذا الرهان ، ولكنه كان يخسر فيه على الدوام ودون استثناء تقريبا ، على انه كان يتوقع دائما ان يكسب مبلغا كبيرا فى السباق التالي – وفجأة وقع نظره على صندوق الموسيقى ، فغمغم:

– ما هذه الخزعبلة ؟

فنظر اليه الطفل وهو يتلعثم ، فقد تملكه ان قوة تقمصت اباه ، وان من الممكن ان يستعملها فى قسوة بالغة ، وبدا على الام ان تفس الشعور ساورها ، وقد اخفت وجهها في انتظار غليان الابريق ، وهي تبدو كانها تنتظر ان تعاقب .

– هيا ، اننا نريد ان نعرف ما هذه الخزعبلة

فاجابته زوجته بصوت لا يكاد يسمع : انه صندوق للموسيقى .

ونظر الرجل الى الصندوق فى كآبة ، وتطلع الطفل الى وجه ابيه ، ثم سحب كرسيا وقف عليه واخذ يدير مقبض الصندوق ، فاستمع اليه الرجل مليا ، ثم علا وجهه غضب مثير ، ما لبث معه ان وقف ملوحا بيديه وهو يصيح : اقفل هذه الجلبة ، من الذى جاء بهذه اللعنة الى المنزل ؟

فتوقف الطفل ، وقد غادر البشر وجهه ليحل محله الشحوب ، وبدا غطاء الابريق يهتز ولكن الام لم تنتبه اليه ، وانما قالت وهي فى مثل شحوب الطفل :

– لقد اشتريته .

– اذن تستطيعين اعادته الى صاحبه .

قال ذلك وهو ينظر الى الصندوق فى مقت ، كما لو كان قد الحق به ضررا .

وبدا الماء يتطاير من الابريق الى النار ، فكان ذلك الصوت الوحيد الذى يسمع فى الحجرة بعد ذالك .

وما كاد الرجل يغادر المنزل الى عمله فى صباح اليوم التالي حتى اسرعت المرأة الى ارتداء ملابسها والبست الطفل معطفه وفتحت الباب ، وطالعهما الضباب فسعلا وهما ينحدران مع الشارع ، ولم يكونا قادرين على تناول وجبة الافطار ، واخذا يرتعشان من برد الشارع ، وكانت الام تحمل علبة الموسيقى لتعيدها الى صاحبها ، وقد بكت الام بكاء مرا ، كما فعل الطفل ، وقد وعدا الاب بأن لا يديرا الصندوق حينما يكون فى المنزل ، فاقتصر على اجابتهما بأن الصندوق يجب ان يعاد ، فهو لا يعرف لماذا يحق لهما ان يروقهما ما لا يروقه .

كانا يسيران فى بطء شديد وقد بدا الصندوق ثقيلا ، وشعرت الام بالخجل ، ولم تكن تعرف كيف يمكن ان تفاتح الرجل ذا القامة المديدة فى موضوع استرداده الصندوق ، وخشيت ان يرفض اعادة ثمنه ، وبدا لها حل وحيد ، ذلك انها لم تتمكن من ان تخبر زوجها بانها نقدت ثمنه حينما كان زوجها يصيح وقد تعلق الطفل بأذيالها .

واخيرا وصلا الى الشارع المقصود بعد ان توقفا عن السير عدة مرات، وكانت المنازل الشاهقة ملفوفة فى الضباب وقطرات الماء تتساقط من الاشجار، وكادا يقفان عدة مرات فى الشارع اللزج .

وبينما كانت الام تنقر الباب نقرا خفيفا مسح الطفل الصغير الاكرة العاجية ليتأملها ، فدارت الاكرة فى يده ، ولم يسمعا اي ركز فاستدار الى امه ونظر اليها فى تواضع بعينيه المنتفختين ، وبدا عليها انها فهمته ، فدفعت الباب بذراعها فانفتح : ثم دخلت لتضع الصندوق على ارض البهو الصغير ثم اقفلت الباب فى رفق ، ولم يمر وقت طويل حتى كانا معا قد اختفيا فى الضباب .

الرباط – عبد المجيد بن جلون



للسفير الشيخ ابراهيم القطان
تعليق د. عبد الهادي التازي

تفضل سعادة الزميل الشيخ الاستاذ ابراهيم القطان سفير المملكة الاردنية الهاشمية لدى المملكة المغربية، فاهداني النسخة الاولى التي وردت عليه من بيروت لكتابه القيم الذي يحمل العنوان أعلاه، وقد كانت النظرة الاولى على الكتاب مدعاة للاشادة بهذا العمل الفذ الذي ينم عن اطلاع واسع وعلم جم الى جانب الصبر والداب والنفس الطويل بالاضافة الى ما يعبر عنه من غيرة زائدة على العربية وحرص كبير على سلامة المعلومات المقدمة لاجيالنا الصاعدة.

والواقع ان (المنجد) كان مثار انتقاد عدد من رجالات العلم بالمغرب والمشرق فقد انتبه جل الباحثين لما فيه من اخطاء وتحريف وتشويه، وكان في صدر الذين تطوعوا مشكورين لكشف تلك الاخطاء فضيلة الاستاذ الكبير العلامة الحاج عبد الله كنون الذي تصدى في مجلة (دعوة الحق) المغربية فانتقد زهاء اثنين وتسعين وستمائة مادة في أربع وعشرين حلقة...

كما أن الاستاذ الكبير منير العمادي اصدر بدوره مقالات نقدية للمنجد المشار اليه نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية ومجلة المعرفة الدمشقية.

وتطوع كذلك الاستاذ العلامة الكبير سعيد الافغاني فحرر تقريرا اضافيا عن اضرار المنجد مشيرا فيه الى ما حرره العالمان الجليلان كنون والعمادي... واخيرا كتبت مجلة (العربي) مقالين للاستاذ الباحث عبد الستار فرج السيد كانت هي الاخرى تنبيها للناطقين بالضاد لما يضمه المنجد مما يوقع في الحذر واللبس...

لكن عمل الشيخ القطان كان متوجا لكل هذه الجهود التي تحيي في اصحابها روح النقد البناء الهادف، وقد بلغ عدد المفردات التي حققها او ضبطها او اوضحها الى «الفين واربعمائة واربع وثلاثين مادة» كما بلغت صفحات الكتاب الى ستمائة واربع وستين صفحة.

وان ابرز ظاهرة في نقد الشيخ القطان لسقطات المنجد انه لم يكن مدفوعا بعامل تعصب ديني أو اقليمي بقدر ما كان غيورا على ابراز الحقيقة حيث هي واين هي، فقد صلح اخطاء تمس المسيحيين (اديب اسحاق مثلا ص 38) واليهود (ابو نظارة مثلا ص 580) الامر الذي يدل على ان هدف الاستاذ القطان كان يقصد الى تدارك ما يمكن تداركه بالدرجة الاولى.

وان مما زاد في قيمة الكتاب ومتانته ان المعلومات التي يحتويها ليست مبنية على الحدس والتقدير ولكنها تحقيقات تعتمد على أهم المصادر العربية والاجنبية الموثوقة مما بينه المؤلف الفاضل في آخر مجلده وتصل الى زهاء مائتي مصدر.

ولم يقتصر الشيخ القطان فقط على التدليل على الاخطاء الواردة ولكنه عمد، مشكورا، الى تبيين

المعجمة الظاهرة في المنجد احيانا والعبارات والجمل العامية التي وردت واللحن الواضح في بعض المواد .

وكل هذا مما يحبذ بل مما يفرض امتلاك الكتاب ولا سيما بالنسبة للذين يتوفرون على المنجد ويجعلونه عمدتهم في المدرسة والمكتب والديوان ، لقد اضحى واجبا على كل اولئك ان يجعلوه الى جانب المنجد لينجدهم مما قد يوقعهم فيه ذلك المنجد من عثرات .

وقد حبب الي ، وأنا بالمغرب ، أن اقوم بجرد للائحة المفردات التي تمس بلادنا المغرب مما كان حظه في (المنجد) على غير ما ترتضيه الحقيقة المنشودة وحتى لا أفوت على القارىء فرصة العودة الى هذا المؤلف المفيد الجليل فانني سأكتفي بالاشارة مختصرا ومحيلا على الصفحات المقصودة .

ص 19 ـ اسفي ، ضبطه بسكون السين والصواب الفتح .

ص 22 ـ ابوام وابو عام : عاصمة تافيلالت جنوبي بلاد المغرب ، وبالقرب من ابوام مولاي علي الشريف (كذا)، والصواب بوعام، والقبر هو لمولاي علي الشريف .

ص 23 ـ أبو العون ، بلدة شمال المغرب الاقصى ، والصواب بولعوان .

ص 28 ـ ادريس قال المنجد : كان ادريس شيعيا مع ان ادريس نفسه من سلالة النبي عليه الصلوات . وقد قال عن وليلة انها : اليلي بفتح الهمزة مع العلم ان الصواب انها بالواو ...

ص 36 ـ ازمور قال ان فيه قبة سيدي شعوب والصواب شعيب ، وقال انه كان محلا لحرب جرت بين البرتغال وبين بني مرن ، والصواب مرين .

ص 41 ـ مولاي اسماعيل : قال ان العلويين حسينيون مع العلم أنهم حسنيون ، أما قصد المنجد بكلمة (الثانية) فان العلويين دولة الاشراف الثانية بعد السعديين .

ص 50 ـ افرن قبيلة من البربر ، والصواب بنو يفرن وهم من القبائل الزناتية .

ص 51 ـ افني ضبطها المنجد بفتح الهمزة ، والصواب كسرها .

ص 89 ـ بوشرون ، مدينة في شمال المغرب مع ان الاسم الصحيح هو (المذاكرة) وقد سماها الفرنسيون بوشرون .

ص 104 ـ التمبكي (احمد بابا) تقدمت له ص 57 من حرف الباء ترجمة تحت عنوان (بابا احمد التكروري الصنهاجي ... وقد حسبهما المنجد اثنين مختلفين ...

ص 104 ـ تلوث، قال عنها قاعدةالفقلاوي، الصواب تلواث ، والجلاوي بالجيم المصرية .

ص 127 ـ الجزولي ، قال انه مات مسموما في ابو غال ، والصواب « افغال » .

ص 137 ـ بنو جوهر من عرب الاندلس ، والصواب بنو جهور بتقديم الهاء على الواو .

ص 150 ـ حجر النسر ، ضبطه بضم الحاء وتسكين الجيم ، والصواب الفتح ، وادعى انه مستقر لابني ادريس جنون وحنون ! جعلهما اثنين وهما واحد : كنون .

ص 155 ـ حزب البحر قال عنه : انه كتاب في دعاء مشهور للشاذلي اليمني ، والصواب ان المؤلف مغربي الاصل وسكن الاسكندرية ، أما الشاذلي اليمني فهو متاخر عن المغربي بنحو مائتي سنة وقد توفي بميناء (مخا) باليمن .

ص 195 ـ داداح عوض داداه بالهاء .

ص 199 ـ دمنة : بلدة بالمغرب الاقصى ، وبالقرب منها مغارة أم النفرى ، والصواب دمنات ، وقوله مغارة أم النفرى تحريف ، والصواب (ايميون يفري) . (يعني فم الفار) .

ص 251 ـ السخاوي قال عنه انه مغربي وقد تحرفت الكلمة عن (مقرىء) ...

ص259 ـ سفرو ، بلدة بالمغرب ، كتبها بالسين مفتوحا ، والصواب انه بالصاد مكسورا على مقربة من فاس .

ص 289 ــ احمد الشاوي ، قال انه من شاوية جبل اوراس ، والصواب انه من غرب الشاوية اهل تامسنا من المغرب .

ص 289 ــ الشاوية اسم اطلقه البربر على جبل اوراس في الجزائر ، والصواب انها قبائل فيها العرب وفيها البربر وتقطن المغرب بمنطقة تامسنا التي تمتد من نهر سلا الى نهر ام الربيع .

ص 298 ــ الشرفاء : ضبط الراء بالسكون وقال انهم المنحدرون من سلالة الحسن ، والصواب فتح الراء ، وان لا فرق بين الحسن والحسين .

ص 533 ــ مصفرى : قال عنه انه شعب من بربر المغرب يقيمون بين فاس وتازة الخ ... ولعله محرف عن مطغرة وهم من قبائل البرانس ساهموا في فتح الاندلس ...

ص 533 ــ مصمودة: احدى كبريات الاسر البربرية في مراكش، والصواب القبائل، فان المعروف ان الاسرة هي اقارب الرجال الادنون ويكون عددهم قليلا بينما القبيلة تجمع اناسا كثيرين من اصل واحد ...

ص 562 ــ مولاي بوشتا : قال انه شفيع الموسيقيين ... والصواب اولا كتابة الاسم : ابو الشتاء ... اما كونه شفيع المغنيين فان الشافع انه شفيع الذين يقصدونه عند انحباس المطر .

— ◆ —

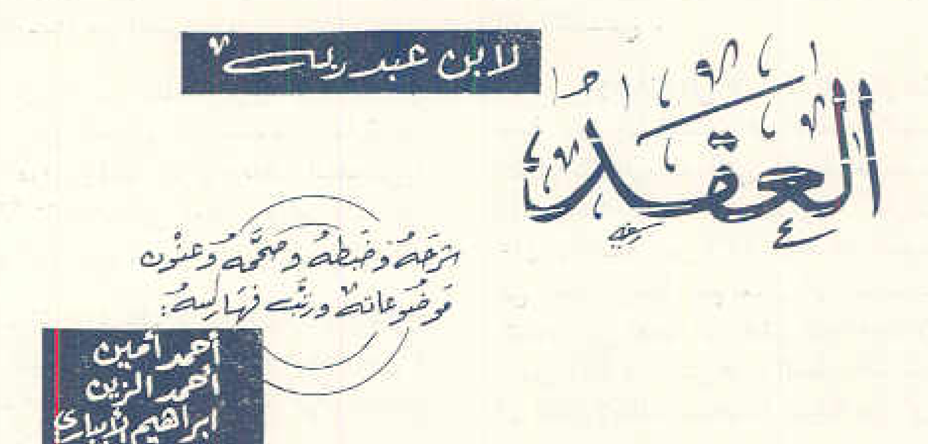
تلك بعض المستدركات المغربية التي لاحظها الشيخ القطان على السادة اصحاب المنجد ، ولا اعتقد انني قد استوعبتها جميعها فان هناك اخريات واخريات من امثال المعلومات المقدمة عن عبد الواحد المراكشي .

وبالاضافة الى كل هذا لا بد ان تلفت النظر لناحية هامة عني بها الشيخ في انتقاده للمنجد ، تلك التي تتعلق بالمعلومات التي قدمها المنجد عن بعض الموضوعات الاسلامية الصرفة كالراي والقياس ص 214 والسنة (ص 273) وكذلك المعلومات التي قدمها عن بعض الرجال من امثال ابي سفيان (ص 260) كذلك التي قدمها عن بعض المذاهب الاسلامية المعروفة (ص 257) ، مثل هذه المعلومات تحتاج بالتأكيد الى ان تقدم لابنائنا صحيحة بعيدة عن كل تشويش أو تحريف ...

واخيرا فاني على يقين قوي ان هدف الزميل القطان لم يكن غير خدمة الحقيقة ، والحقيقة وحدها ولذلك فانه اذا كان لنا من رجاء نرجوه الى السادة الاساتذة الذين قاموا مشكورين باتحاف ناشئتنا بالمنجد الذي كان له الفضل كل الفضل في التقريب والتيسير ، فان ذلك الرجاء ان يعملوا في الطبعة القابلة على تلافي تلك العثرات ، انهم بذلك يبرهنون مرة اخرى على انهم يعملون للحقيقة ومن اجل الحقيقة .

وبعد فاني اذ اقدر مجهود الشيخ الذي كان يحتاج طبعا الى سهر متواصل وعمل دائب فانني لا انسى مع ذلك ان اقدم بهذه المناسبة تهنئتي للدار التي اشرفت على طبع (عثرات المنجد) : دار القرآن الكريم ، فقد نجحت في تقديم الكتاب للجمهور على نحو ما يجب التقديم ... والامل بعد هذا ان يجد الكتاب مكانه في كل مكتبة وفي كل خزانة، وكل رف الى جانب والى جانب كتاب المنجد في الادب والعلوم والاعلام حتى يكمل هذا ذاك ، وذاك هذا ..

د. عبد الهادي التازي



كان استاذنا مصطفى السقا ، رحمه الله ، يصر على ان اسم الكتاب هو « العقد » وان الوصف بالفريد ، انما اتى من قارئيه لا من مؤلفيه ، وقد اعتقدنا ما قاله الاستاذ ، ولم نجد منذ ان كنا طلبة بكلية الآداب ، فى القاهرة حتى الآن ما يصرفنا عن هذا الاعتقاد ، ولذلك اقتصرنا على العنوان بمجرد العقد ، وان كان الاساتذة الذين اشرفوا على هذه النسخة ، كغيرهم ، لم يكتفوا بهذا العنوان المجرد وان كانوا ينصون فى تعاليقهم ، بنحو « تم الجزء كذا من «العقد» او من كتاب « العقد » هكذا مجردا من الوصف المذكور

وتعد هذه النسخة ، بين عشرات النسخ المطبوعة ، قديما وحديثا ، احسنها واجملها ، بما قام به الاساتذة ، رحم الله الاحمدين منهم .

اما المطبعة فهي للجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى كان يشرف عليها استاذنا احمد امين منذ نشأتها، الى ان وافته منيته، رحمه الله، وغير خفي عنا ما قامت به هذه اللجنة من خدمات جلى فى حقل النشر المضبوط ضبطا علميا متثبتا .

وتقع هذه النسخة ، فى سبع مجلدات ، خصصت السابعة بالفهارس المتنوعة ، وهي اثنتا عشرة فهرسة ، للقرآن ، والحديث ، والاعلام ، والامثال ، والامكنة ، والايام ، والامم ، والكتب ، والاشعار ، وانصاف الابيات ، والارجاز ، والموضوعات ، على ان كل سفر له فهارسه الخاصة به .

ومعدل هذه الاسفار نحو خمس مائة صفحة ، من القطع الكبير ، اذ بعضها يزيد وبعضها ينقص ، وبذلك تكون هذه النسخة قد طبع نصها فى نحو ثلاثة آلاف صفحة ، وهو عدد اقصى ما وجدت عليه نسخ « العقد » العديدة جدا .

ويبدو من قراءة الجزء الاول ، ان صديقنا الاستاذ ابراهيم الابياري ، كان قد استقل وحده بتصحيح الصفحات الاولى منه ، لدرجة انني كنت اتصوره ، وهو ينوء بحمله ، مقهقها بضحكاته المعروفة لاصحابه ، فأذكرني موقفه الذى تصورته ، خاطئا ، موقفا آخر له مع استاذنا جميعا ، الدكتور طه حسين ، فقد قيل لي ان الاستاذ الابياري ، نشر كتابا اشرك فيه الدكتور طه ، فقال له هذا : يا ابراهيم انا لا علم لي بهذه المشاركة مني ، فأجابه على الفور ضاحكا : بس نسيت معاليك ؟؟؟ وتعالت الضحكات من الجميع ، وأسدل الستار ، كما قيل لي ..

حقيقة ، عدت بذاكرتي الى هذه القصة ، التى ربما كانت من نسج مداعبات الاصدقاء ، ولابراهيم كثير من هؤلاء ولست منهم ... حملني على هذا عدم التعرض للتعليق نصوص لم يكن اصحابها غير معروفين، للاستاذين المرحومين، فلم ينبه عليهم الا

فيما بعد حينما شرعوا في مباشرة العمل ابتداء من منتصف هذا الجزء الذي ذكرنا ، كما ان التصحيف طالعنا فيه ، ابتداء من الصفحة 55 واستمر الى الصفحات التي توسطته ، كما قلنا ، وتعدى في عدد مراته عشرين ، مع القاء ما كان منه من قبيل النقط ونحوها ، وهو ما عهد لنا به فيما ينشر بهذه الدار ، وتحت اشراف مسيرها المرحوم احمد امين .

وقد عممنا في اطلاق كلمة التصحيف ، حتى على ما يسقط من العبارة او يتكرر فيها ، مثلا ، في الصفحة المذكورة، ورد : « ناولني هذه الدواة ، فامسك عنه ، ثم قال : ناولني هذه الدواة ، فامسك عنه ، فامسك عنه »

ولا شك ان « فامسك عنه » اما ان تكون مكررة، واما ان يكون قد سقط قبلها « ثم قال ناولني هذه الدواة » والا فلا محل لورودها بعد اخرى ... ومثلا آخر نجده في الصفحة 144 ، هكذا : ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث هشام فسقط « بن » قبل هشام .

اما غير هذا ، فمثل ما ورد في الصفحة 75 ، هكذا :

حجابك ليس يشبهه حجاب
خبروك دون مطلبه السحاب

ولا شك ان صواب الشطرة الثانية هكذا :

وخيرك دون مطلبه السحاب

وفي الصفحة 180 ، هكذا :

حاز صمصامة الزبيدي عمرو
من جميع الانام مواسي الامين

وصوابه :

من جميع الانام موسى الامين

وفي الصفحة التالية :

فكائن الفرند والرونق الجا
ري في صفحتيه ماء معين

وصوابه :

فكأن الفرند والرونق الجا

وفي الصفحة 303 :

اصبح في قيدك السماحة والجو
د وفك العناة والافضال

وعلق على البيت ، بانه في الشعر والشعراء وهبة الايام « اصبح في قيدك السماحة والجود وحمل الديات والحسب »

ولا شك ان هذا التعليق لم يرد منه ما يتصل باصبح ، وبذلك يكون التصحيف الواقع فيه لم يتنبه له عند المراجعة للتجارب المطبعية .

وفي الصفحة 317 ورد شطر هكذا :

الحمد والنممة في يديكا

وصوابه :

الحمد والنعمة في يديكا ..

وهناك شيء آخر ، كان يجب التنبه له والتنبيه عليه ، وهو ما يقع في المؤلف من اخطاء ، مثلا نجده في الصفحة 100 ينسب هذا البيت :

ولسنا على الاقدام تدمى كلومنا
ولكن على اقدامنا تقطر الدما

لحسان بن ثابت ، مع انه للحصين بن الحمام ، وهو من ابيات الحماسة لابي تمام ، بل ان المؤلف نفسه نجده في الصفحة 104 ياتي ببيت آخر سابق على هذا وينسبه ، كما في الحماسة ، لحصين بن الحمام ، وهو :

تاخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل ان اتقدما

ولا شك ان هذا لم يكن ليفوت الاستاذين المرحومين ، ولم يكونا ليغيب عنهما ما ورد في

الحماسة ، التي لم يرد ذكرها الا بعد وفي الصفحة 107 وما جاء بعدها من صفحات الكتاب .

وفي الصفحة 140 ، بعد ما يأتي المؤلف بأبيات ثلاثة ، يعتذر بها الحارث بن هشام من الفرار ، وهي :

الله يعلم ما تركت قتالهم

الى آخر الابيات المذكورة في الحماسة ، ويعقب عليها بماقاله رتبيل في التشنيع ، يقول : « وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك » فيعلق عليه ، بأنه « لم يرد في الاصول قول حسان هذا المشار اليه في الاعتذار من الفرار » مع ان المؤلف في الصفحة 144 يأتي بثلاثة ابيات يعير بها الحارث بن هشام بفراره يوم بدر ، وهي :

ان كنت كاذبة الذى حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة لم يقاتل دونهم
ونجا براس طمرة ولجام

ملأت به الفرجين فاستدت به
وثوى احبته بشر مقام

اذن فقول حسان ، ورد مورد التشنيع ، كما قال رتبيل : « يا معشر العرب ، حسنتم كل شيء فحسن حتى الفرار » ولم يكن قول حسان كما أفهمنا التعليق انه « في الاعتذار من الفرار » والعجيب ان يغيب عنهم هذا وهو لم يبعد عن التعليق الا بثلاث صفحات .

وفي الصفحة 319 يذكر ان ذا الرمة تقدم الى مروان بن محمد ، متحانيا كبره ، فعلق عليه بأنه طعن في السن ، مع انه عاش 40 سنة وتوفي قبل بيعة مروان بعشر سنوات .

نكتفي بهذه الملاحظات على الجزء الاول ، ولنتصل بالجزء الثاني :

فنجد في الصفحة 94 منه ان الاخطل دخل على عمر بن عبد العزيز ، مع الشعراء في خلافته ، مع انه توفي قبلها بعشر سنوات كذلك ولم يتنبه المعلق لهذا ولا نبه عليه طبعا .

وفي الصفحة 299 يرد هذا البيت :

فلولا السلامة كنا كهم
ولولا البلاء لكانوا كنا

فيعلق عليه بأنه « استعمل الضميرين هم ونا في غير موضعهما ضرورة » فلم نفهم لهذه الضرورة وجها ، بل المعروف ان كاف التشبيه خاصة بالظاهر ، ولا تدخل على الضمير مطلقا ، متصلا كان ام منفصلا ، كما قال ابن مالك :

بالظاهر اخصص منذ مذ وحتى
والكاف والواو ورب والتا

وفي الصفحة 205 سقطت الالف من ابن في « اطلاق بن السندي »

وفي الصفحة 253 ورد البيت المعروف :

رأى الامر يفضي الى آخر فصير آخره اولا

فصحف «الامر» بالهم، ولم يصلح او ينبه على ذلك.

وفي الصفحة 309 ورد البيت هكذا :

واذا أتاك بعيبه
واش فقل لم تعتمده

والصواب :

واش فقل لم يعتمده

وفي الصفحة 324 ورد آخر هكذا :

فدام لي ولهم ما بي وما بهم
وما أكثرنا غيظا بما يجد

والصواب :

ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وفي الصفحة 349 ورد آخر هكذا :

فليت الالى باتوا يفادون بالالى
اقاموا فيفدى ظاعن بمقيم

فعلق عليه ، بكذا في ي والذى في سائر الاصول « كانوا » ولو تذكر ما جرى بين الاندلسي وبين ابن

النحاس لعلم ان الجميع محرف عن « بانـو » وبه يستقيم المعنى تماما .

وهذا التصحيف وان كان من قبيل النقط الذي استثنيناه ، فاننا ذكرنـاه هنا حيث علق عليه ، واهملنا غيره في نحو الصفحتين 441 ، و 473 ، من هذا الجزء ، الذي لنتركه لنتصل بالجزء الثالث :

فنجد في الصفحة 8 بيتا لكثير مثبتا هكذا :

لئن عـاد عبد العزيـز بمثلهـا
وامكنني منهـا اذا لا اقواهـا

وصوابـــه :

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلهـا
وامكنني منهـا اذا لا اقيلهـا

وهكذا يكون قد سقط « لـي » من المصراع الاول ، وحرف في الثاني « لا أقيلـها » بمعنـى لا اتركها ، اي خطة الرشد التى تقدم ذكرهـا سلفـا والبيت من شواهد النحاة على اذا المنونة

وفي الصفحة 123 ورد المثل « ان لم يكـن شحم فنفش » بالسين اخيرا ، وعلق عليه بانه في مجمع الامثال بالشين ، ولا معنى لاثباتها بالسين ثم التعليق عليها ، وهي مثـل معـروف ولا يستقيـم بالسين مطلقا في معناه، وقد ورد في شعر ابي نواس، هكذا والروى شين به ولكن الناشر اثبت البيت في الصفحة التالية بالسين هكذا :

قال لي ترضـى بوعـد كـاذب
قلت ان لم يك شحـم فنفـس

كما اثبت الكلمة ثلاث مرات غير هذه في نفس السطر بالسين ، وهي بالشين ، ومعنـاه كمـا في القاموس الصوف ، وساق التاج المثل هذا ناقلا اياه عن الصاغاني عن ابن الاعرابي والازهري عن المنذري، كما قال وكذلك فعل في لسان العرب، فهو بالشين على كل حال .

وفي الصفحة 292 نجد بيتا هكذا :

سينطبق الشعـر بأيامـه
على لسان غيـر معقـود

والصواب :

سينطق الشعر بأيامه

وفي الصفحة 294 ورد بيت آخر هكذا :

لقـد رزئـت نـزار يـوم اودى
عمـد ما يقـاس بـه عميـد

وصوابـه :

عميـد ما يقـاس بـه عميـد

نكتفي بهذا لنتصل بالجزء الرابع :

وهذا الجزء اقل تصحيفا من غيره ، واهم ذلك اثناه ، ففي الصفحة 351 ، من ذكر اصحاب عبد الله بن وهب الراسبي من الخوارج ، فقد ذكروا هنا بانهم اصحاب البرانس ، ولا يعرف من الخوارج أيام علي فرقة تدعى بأصحاب البرانس ، بل الراسبـي المذكور في جل كتب التاريخ الاسلامي ، ثم في نفس الصفحة ذكر ابو موسى بانه كان مبرنسا ، مرتين ، فهل نهتدي لوجه هذا من الصواب .

وفي الصفحة 494 ذكر الفقيه المفسر « بقـي بن مخلد » بانه بقي بن محمد ، وليس هذا تصحيفا مطبعيا ، فقد ذكر في فهارس الاعلام كذلك .

نقتصر على هذا ثم نتصل بالجزء الخامس .

فهذا الجزء اذا استثنينـا ما هو من قبيـل التصحيف بالنقط ، فانه خال منه ، اللهم الا ما حصل في بعض الهوامش التى وضعها الناشر ، من سقط « ابن » بالصفحة 175 :

غير ان هناك خطأين وقعا من المؤلـف ، وكان الواجب ان ينبه عليهما في التعليق، فقد ذكـر في الصفحة 327 ، ابيات من مجزو الرمل ، على انهـا رجز ، وهي :

انمـا الشعـر بنـاء
يبتنيـه المبتنونـا

فـاذا مـا نسقـوه
كان غنـا او سمينـا

وربما واتـاك حينـا
ثم يستصعـب حينـا

وهذا الخطأ من المؤلف ــ ان كان منه ــ يعد بحق من قبيل « سبق قلم » ولا يعقل مطلقا ان يكون غير ذلك ، فهو غلط وليس خطأ منه ثم ذكر في الصفحة 384 قصة وقعت لسليمان بن عبد الملك مع الاخطل ، مع ان الاخطل قد مات قبل خلافة سليمان بست سنوات والقصة ، كما في رسالة القيان للجاحظ ، وقعت لعبد الملك مع الاخطل والفرزدق وجرير، ولم تقع لابنه سليمان ، وهو خليفة كما ذكر وابن عبد ربه قد يتساهل في مثل هذا فلا يستشير التاريخ ، كما تقدم امثلة من ذلك .

واخيرا نتصل بالجزء السادس والاخير من الكتاب

وهذا الجزء يكاد يخلو من المآخذ ، لولا شطر بيت لا يستقيم فيه ، وهو في الصفحة 131 هكذا :

اذا سرى ليل الدجى قمرا بدار

فقد اجهدت نفسي فيه ، فلم اهتد الى صوابه وما ادري كيف اثبت في النسخ الاخرى ، وخصوصا نسخة المرحوم سعيد العريان .

وبعد فان نستغرب فلنستغرب لهذا الكتاب الذي لم يرد فيه اي صدى للمغرب ، لا من مدنه ولا من دوله ، بالرغم من انه كان لعهد المؤلف شديد الاتصال بالاندلس ، وكانت احداثه تقلق الخلافة الاموية في الداخل والخارج ، في داخل الاندلس ، حيث عمر بن حفصون يخطب لامير ادريسي ، هو ابراهيم بن القاسم بن ادريس ، صاحب مدينة البصرة ، وفي خارج الاندلس حيث قيام دولة الفاطميين الخطيرة وقد تعرض المؤلف لاخبار الطالبيين في الجزء الخامس من هذه النسخة ، وكان المنتظر انه سيذكر ادريس بن عبد الله ، بعد ما ذكر اباه واخوته ، كما فعل ابو الفرج في « مقاتل الطالبيين » او ابن حزم، في « جمهرة انساب العرب » مثلا ، ولكنه لم يفعل ، انسياقا مع كراهية الدولة الاموية هذه ، التي نالت الادارسة بالقدح الشنيع ، مما نجده في شعر شعرائهم ، وبقي صداه يتردد حتى بعد ذهابها من الوجود ، كما نجد في المسالك والممالك للبكري ، وهو بحق ما ترفع عنه خصوم هذه الدولة في الشرق ، اعني العباسيين واتباعهم الاغالبة بافريقية ، مما يشير اليه ابن خلدون في مقدمته ، ورحم الله العباس بناني ، الذي كان يربا بنفسه ان يعرج عليه وهو يدرس هذه المقدمة بالقرويين .

بل لم يذكر المؤلف من التاهرتيين الرستميين احدا ، بالرغم من اتصال هؤلاء بالدولة ، وتقلد احدهم فيها منصب الوزارة ، وقد استبشرت لاول الامر حينما عثرت على بكر بن حماد في الصفحة 207 من الجزء الثالث ، اذ ظننته انه التاهرتي ، ولكنني فيما بعد خاب ظني فعلمت انه الباهلي في الجزء السادس .

ولم يرد لافريقية ذكر الا في مناسبة اتيان « زرياب » المغني ، ولم يذكر من امرائها الا ابراهيم ابن الاغلب ولا من فقهائها الا اسد بن الفرات ، على حين وجدناه يتتبع العباسيين ، وحتى الطاهريين امراء وشعراء وغيرهم ، مما يثير الدهشة حقا .

اما الاندلس ، فبالرغم من ان المؤلف اظهر له الحماس ، فيما عناه بكلمة « المغرب » الا ان الاندلسيين لم يأخذ احدهم نصيبه من الكتاب ، بقدر ما اخذ المؤلف وبشعره خاصة ، لدرجة اننا نستطيع ان نستخرج ديوانا له وسيطا من كتابه هذا ، وان كان نثره لم يظهر بقوة في هذا الكتاب وبالنسبة لشعره ، كما سبق ان قلناه في الرد على الدكتور احمد هيكل ، فيما قاله بكتابه عن الادب في الاندلس نشر ذلك بدعوة الحق .

يلي المؤلف في هذا يحيى الغزال ، الذي ذكر له قصائد واشعارا ، ولم يذكر لغيره الا ابياتا قليلة ، كالعباس بن فرناس وابن الشمر الذي ذكر منه المؤلف اربعة عشر بيتا ، ولعله هو الذي اوحى اليه بمنظومته في عبد الرحمن الناصر ، وبنفس الوتيرة

ومن فقهائهم ذكر الخشني وبقي بن مخلد .

الى جانب هذا ، يذكر « بعضهم » في مناسبات كثيرة ، او يذكر « بعض » المحدثين ، فلعه يريد بهؤلاء بعض معاصرين ولكنه لا يفصح باسمهم ، كما يفعل بعض « علمائنا » الادباء ، وهم يسرون حسوا في ارتغاء ، سامحهم الله ، او لا سامحهم ، على « حسوهم » هذا . .

ومما يفيدنا في هذا الكتاب القيم ، ما احدثه كتاب سيبويه في الاندلس لعهد المؤلف المبكر ، من

توجه العناية اليه فيما ظهر اثره بهذا الكتاب ، وفيما ناقش او اعترض به المؤلف رحمه الله ، كما نجد ذلك في الصفحة 390 وما بعدها من الجزء الخامس ضمن « باب ما غلط فيه على الشعراء » ، قال وأكثر ما ادرك على الشعراء ، له مجاز وتوجيه حسن ولكن اصحاب اللغة لا يتصفونهم وربما غلطوا عليهم، وتاولوا غير معانيهم التى ذهبوا اليها، فمن ذلك قول سيبويه، واستشهد ببيت في كتابه على اعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ واخطا فيه :

معوى اننا بشر فاسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديدا

كذا رواه سيبويه على النصب ... وانما قاله الشاعر على الخفض ، والشعر كله مخفوض ، فما كان يضطره ان ينصب هذا البيت ؟.. ونظير هذا البيت ما ذكره في كتابه ايضا واحتج به في باب النون الخفيفة :

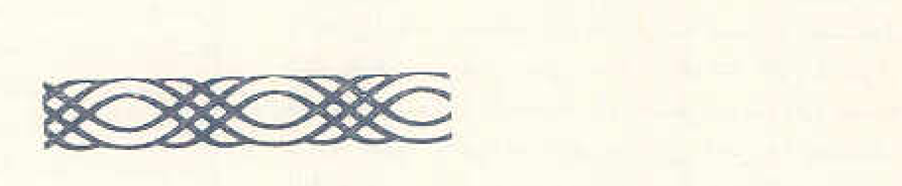
نبتم نبات الخيزراني في الثرى
حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا

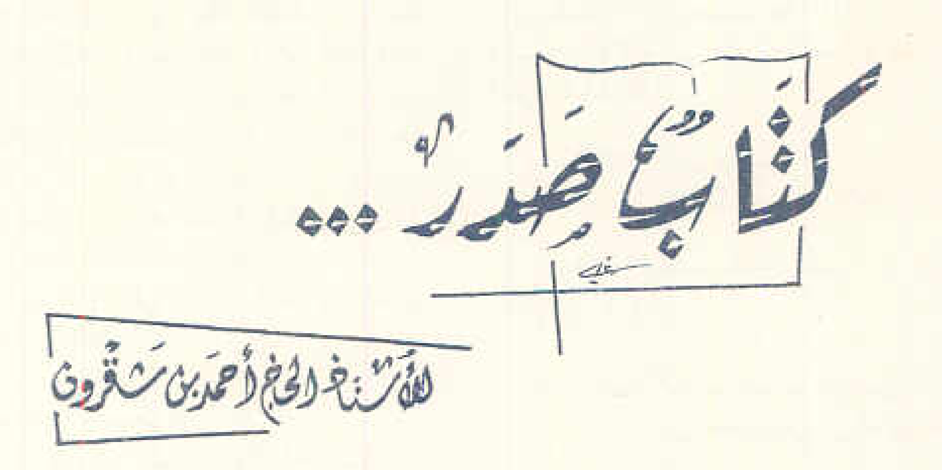
وهذا البيت للنجاشي .. في شعر كله مخفوض ، وهو :

ايا راكبا اما عرضت فبلغن
بني عامر عني يزيد بن صعصع نبتم

الخ ...

تطوان ـ محمد بن تاويت





تفضل الاستاذ الكبير العلامة سيدي عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب ، فأهدى الي نسخة من كتابه الذي سماه : نظرة في منجد الآداب والعلوم — والذي طبع من قبل في سنة 1972 بعناية معهد البحوث والدراسات العربية — بالقاهرة ، والذي روعي في طبعه ما لا بد منه من الاتقان والدقة — بحيث لم تند الا بعض الشوارد التي لا تكاد تذكر . والذي يشتمل على 678 ملاحظة . وقد القيت نظرة اولى على فهرست الكتاب وبعض موضوعاته وقرات مقدمته التي حررها المؤلف الفاضل بنفسه تلك المقدمة التي أعرب فيها عن الدواعي والاسباب الوجيهة التي دعته لالقاء هذه النظرة الفاحصة على منجد الآداب والعلوم الذي يكثر تداوله بين الطلاب اسهولة البحث فيه عن الكلمات المطلوبة فكان منصفا للمجهود المبذول من طرف صاحبه . ولكن ذلك لم يمنع الاستاذ الناقد — وقد احس بما يوجب نوعا من التثبت والتمحيص ازاء ما سطر في هذا المعجم من ان (يلقى نظرة على المواد الاسلامية، والعربية، والمغربية منها بالخصوص) فقلت في نفسي : ان هذا عمل جليل كان دينا في عنق كل باحث مسلم وقد سبق اليه الامين العام للرابطة ووفاه حقه فجزاه الله خيرا — وعندئذ عاد الى ذاكرتي وجرى على لساني ما كنت قراته في المنجد يوم كنت طالبا في القرويين — من قول صاحبه في تفسير لفظة العذراء ، قال : العذراء : والدة الاله المتجسد — وهو كما ترون —

هذا وقد اتيح لي من قبل ان اقرا بعض مضامين هذا الكتاب في مجلة « دعوة الحق » فأعجبت بصنيع صاحبه ورجوت ان يطيل الله عمره حتى يتمه وغيره من جلائل اعماله — فلما رأيته مجموعا كله على حدة ومطبوعا في كتاب خاص به كان ذلك أدعى للمزيد من اعجابي وسروري .

ولذلك فانا احض كل مالك لنسخة من كتاب المنجد ان يقتني نسخة من كتاب : نظرة في المنجد . لان صاحبها بما عهد فيه من صبر على البحث ، وتثبت فيه — واجادة في الحبك والسبك وغوص على غور المعاني وانتقاء لدرر الالفاظ وتبسيط للموضوعات الشيقة التي يهيم بتقريبها للمثقفين خاصة الشباب والطلاب منهم — اقول ان صاحب هذه النظرة بما ذكر وبأكثر مما ذكر — قد حصن مطالع المنجد المذكور من الوقوع في مزالق الاخطاء والاغلاط المنبثة فيه — لانه عرض بالذات للاخطاء والكلمات والحروف والجغرافيات وصحح الاوهام والتعابير والنقول التاريخية ولم يغفل حتى شكل الكلمات التي ذكرت مشددة وصوابها التخفيف او مصغرة وصوابها عكسه — او منكرة وصوابها التعريف الى آخر ما يجده المطالع من فوائد جليلة وفرائد قيمة في كتاب . نظرة في المنجد — خصوصا اذا من الطلاب الذين هم في حاجة ماسة الى حفظ المعارف خالية من الشوائب — حفظنا الله في البلاء من علمائنا الذين يحرسون اللغة العربية والثقافة الاسلامية وينقبون — بسخاء — على ما قد يعلق بهما عن قصد او غير قصد فيكشفون عنه للاجيال الصاعدة حتى يكونوا على بينة مما يأخذون وما يذرون . وهذه العجالة تقتضي العودة الى الموضوع بأوسع مما سطرناه والله ولي التوفيق .

فاس : الحاج أحمد ابن شقرون

من أنباء العالم الإسلامي

المغــــرب :

* قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميــة والثقافة بنشاط ثقافي ملحوظ في عدد من المناسبات الوطنية والدينية مساهمة في توعية المواطنين وتسهيل وسائل الاطلاع والمعرفة لاكبر عدد ممكن منهم ، وفي هذا الصدد أعدت الوزارة برنامجا ثقافيا ودينيا حافلا بمناسبة شهر رمضان المعظم شمل عددا من المدن وشارك فيه ثلة من رجال الفكر والعلماء والمثقفيــن الذيــن يتمتعون بسمعة في الاوساط الفكرية بالمغرب .

* ثلاثون الف حديث ديني القيت خلال رمضان المعظم ، اقترحت مواضيعها وزارة عمــوم الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة على الف مرشد وواعظ انتشروا في كافة مدن واقاليم المملكة لمزاولة مهامهم داخل المساجد والمعامل والمصانع والمستشفيات والسجون واندية الشبيبة والرياضة والمراكز النسوية بالاضافة الى ثلاثين حديثا اخرى اذيعت على شاشة التلفزة وامواج الاذاعة طيلة شهر رمضان بعنوان حديث الصائــم .

وقد تعاونت الــوزارة مع سائر العمــالات في تنفيذ برامجها الثقافية والجمعيات الاسلامية وكــل الهيئات التي تطلب من الوزارة المساعدة في هــذا المجال ، كما تقدم مساعداتها لكل الجمعيات الثقافية والاسلامية في شتى اقاليم المملكة لتغطية نشاطهــا الثقافي بمناسبة رمضان الابرك .

واستكمــالا لتكويــن المرشديــن حتــى يكونـوا في مستــوى الدعـوة والرسالــة التي يقومون بها نظمت الوزارة دورات تدريبية لفائدتهم وقد نظمت دورة في الرباط واخرى في البيضــاء ، شارك في الاولى عدد من ضباط القوات المسلحــة الملكية الى جانب اخوانهم المدنيين ، اما دورة الدار البيضاء فقد شارك فيها ما لا يقل عن 700 مرشد تلقوا خلالها محاضرات متنوعة في العبــادات والتوحيــد والسيرة النبوية ، وسيرة الخلفاء الراشديــن ، وفي قصة الدعــوة وفي الجنديــة وفي الاســلام ، والاســلام والتيــارات المعاصــرة ، والاســلام والنظم الاقتصادية ، ومحاضرات عن الوطن والاسلام

والغاية طبعا من هذه الدورات هي لفت النظر الى الجوانب المهمة التي يجب ان يركز عليها في دعوتــه وهي المواضيع او الجوانب التي يعيشها الانسان المسلم وبخاصة ، الشباب المثقف الذي لم يتعرف بعد على الحقيقة الاسلاميــة ، فبهــذه الــدورات يمكــن ان تعطى للمرشد فكرة عن المنطلقات التي ينطلق منها حتى يكون عملا مجديا وذا قيمة وفائدة ، وهناك غاية اخرى وهي تزويد المرشد بالاسلوب الذي يتناسب ومناطق هذا العصر بالاضافة الى المعلومات القيمة التي حصلوا عليها او استفادوا منها خلال هذه الدورات .

والى جانب الــدورات هنــاك قســم هــو المشرف على عمليــة التوجيه الدينــي في المملكــة ، ومن جملة ما يقوم به لفائدة هذا التوجيــه تحريــر احاديث دينية دورية أسبوعية توزع على سائر وعاظ المملكة بواسطة نظارة الاوقاف ، ويطبع من كل حديث حوالي 2000 نسخة ، وقد بلغ مجموع ما طبع لحد الان حوالي 48 الف نسخة .

ويشرف هذا القسم كذلك على تحرير خطــب منبرية توزع كذلك على سائر خطباء المملكة ، وقد بلغ مجموع ما طبع لحد الان 28 الف نسخة

وان الاحاديــث الدينيــة فــي مجموعهــا موجهــة الــى الجمهــور المسلــم : امــا بالنسبــة للشباب الحائر او الرافض ، فالوزارة لها مشروع اصدار سلسلة من كتب الجيب التي تعرض العقيــدة الاسلامية عرضا جميلا علميا مدعما بالحجج والبراهين

العلمية والمنطقية ، كما انها عازمة على اصدار مجلة للشباب والطلبة .

* فى نطاق العناية الكبرى التي يوليها جلالة الملك الحسن الثاني لرعاياه المخلصين الذين سيتوجهون الى البقاع المقدسة ، انعقد بمقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة اجتماع ضم اعضاء اللجنة الملكية لتنظيم شؤون الحج بالاضافة الى رئيس الوفد الرسمي للحج فى الموسم السابق وذلك بحضور السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ووزير الداخلية وزير الاشغال العمومية والمواصلات ووزير الصحة العمومية ووزير الشغل والشؤون الاجتماعية والكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ومدير مصلحة الجو وممثل شركة الخطوط الملكية الجوية .

وافتتح الجلسة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مرحبا بالسادة الوزراء الحاضرين مبينا الهدف الرئيسي من هذا الاجتماع وهو اتخاذ الاجراءات ووضع الترتيبات لموسم الحج المقبل بالتعاون التام بين مختلف الوزارات المعنية حتى توفر لحجاجنا الميامين الظروف الملائمة وجميع اسباب الراحة المادية والمعنوية ذهابا وايابا واقامة .

وقد طرحت عدة مشاكل تهم مصالح الحجاج ودرست دراسة مستفيضة ، واسفرت عن حلول عملية واضحة أثناء الاجتماع اتخذت في شأنها اجراءات نهائية .

وهكذا تقرر خلال هذا الاجتماع ما يلي :

اولا : التسهيل على الحجاج بتمكينهم من السفر عن طريق المطارات القريبة منهم الصالحة لهذا النوع من النقل وتركيز حركة نقل الحجاج فى ثلاث مطارات بدلا من مطار الرباط وسلا وحده ، وهذه المطارات هي مطار فاس ومطار اكادير بالاضافة الى مطار الرباط وسلا الذي كان سابقا هو المنطلق الوحيد للطائرات بالنسبة لكافة حجاجنا الميامين .

ثانيا : اختيار طائرات مريحة وممتازة من ءاخر طراز من نوع بي.سي 10 وترستار والبوينغ التي تقل على متنها ما بين 200 و 400 حاج بنسبة طائرتين من الرباط وطائرة من فاس وأخرى من اكادير كل يوم الشيء الذي يمكن الحجاج من قطع مسافة السفر فى اطمئنان وراحة وسرعة ما عليها من مزيد .

ثالثا : اتخاذ التدابير الصحية اللازمة بالزيادة فيعدد اعضاء البعثة الصحية وتزويدها بمعدات جديدة وبكميات كافية من الادوية زيادة على ما كانت تقوم به وزارة الصحة فى السنوات الماضية وبمخيمات طبية لايواء وعلاج المرضى من الحجاج اقتنتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لهذا الفرض .

رابعا : ونظرا للمشاكل المتعددة التي يواجهها كثير من حجاجنا اثناء السفر أو عند وصولهم الى مطار جدة كضياع الجوازات أو الحوالات البنكية من يدهم أو تذاكر السفر أو الحقائب التي يحملونها معهم نتيجة للارهاق الذي يلحقهم وعدم الخبرة ومتاعب السفر — فقد تقرر تفاديا لهذه المشاكل العويصة ومعالجتها فى الوقت المناسب تعيين سبعين مرشدا بمعدل مرشد واحد لكل مجموعة من الحجاج ياخذ بيدهم ويقدم لهم الخدمات الضرورية لدى سلطات المطار السعودية ، كما يقوم هؤلاء المرشدون بجمع الجوازات والحوالات وتذاكر السفر مع قائمة بأسماء اصحابها وبمرافقة الحجاج أثناء قيامهم بمناسك الحج وذلك بتعاون تام مع أعضاء السفارة المغربية بجدة ومندوبين من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة .

وقد تقرر فى هذا الاجتماع القيام بتدريب خاص لمرشدي الحجاج يتلقون أثناءه المعلومات الضرورية لهذه المهمة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ووزارة الاشغال العمومية والمواصلات ووزارة الصحة ، وسيشرع فى تدريبهم بالرباط ابتداء من الاسبوع الاول لشهر نوفمبر .

وقبل انفضاض الجمع اختتمت الجلسة بكلمة للسيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة اعرب فيها عن ارتياحه لما ابداه كافة الوزرا من استعداد طيب وتعاون صادق على ما يضمن سلامة الحجاج وراحتهم ذهابا وايابا واقامة طبقا لتعليمات جلالة الملك الحسن الثاني الحارس الامين على راحة رعاياه الاوفياء فى حلهم وترحالهم .

* تنفيذا للتعليمات السامية الرامية الى بث الوعي الاسلامي فى نفوس المواطنين المغاربة فى الداخل والخارج واستعدادا لشهر رمضان الابرك اشرف الشيخ المكي الناصري وزير الاوقاف

والشؤون الاسلامية والثقافة بمقر وزارته على رئاسة اجتماع هام قد ضم هذا الاجتماع اعضاء البعثة الدينية الثقافية التي توجهت الى الخارج لالقاء دروس في الوعظ والارشاد خلال شهر رمضان المعظم في أوساط العمال المغاربة المقيمين في فرنسا واسبانيا وبلجيكا وهولندا والمانيا الغربية وجبل طارق ، ويتكون اعضاء البعثة من 33 عالما من خيرة علماء جامعة القرويين ونخبة من خريجي دار الحديث الحسنية .

وفي بداية هذا الاجتماع القى السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية كلمة في اعضاء البعثة ابلغهم فيها ان اختيار جلالة الملك وقع عليهم نظرا لما عرفوا به من كفاءة واخلاص واستعداد للقيام بتبليغ الدعوة الاسلامية .

واضاف يقول ان نظر صاحب الجلالة اقتضى ايفاد طائفة مختارة من علماء هذه البلاد الاسلامية الى الاقطار الاوربية التي يوجد بها عمال مغاربة فارقوا هذا الوطن بحثا عن العمل ولكنهم ظلوا مرتبطين ارتباطا دينيا وروحيا وماديا .

* افتتح الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بمسرح محمد الخامس بالرباط المباريات العمومية للموسيقى والرقص والفن المسرحي الذي اعتاد المعهد الوطني للموسيقى ان يقيمها في نهاية الموسم الدراسي .

والقى مدير المعهد السيد عبد الوهاب اكومي في بداية الحفل كلمة قال فيها بصفة خاصة انه لمن دواعي الفخر ان تحظى مباريات هذه السنة برئاسة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على الاهتمام البالغ الذي توليه الوزارة لهذا القطاع الفني وللحركة الفنية التي يقودها الفنان الاول جلالة الملك الحسن الثاني ويرعاها بجميع الوسائل المادية والمعنوية ، كما اشار مدير المعهد الى ان هذه المباريات هي عبارة عن مناقشة بين الطلبة الذين قضوا سنوات في الدرس والتحصيل متمنيا لهم في الختام المزيد من التوفيق والنجاح .

ثم تناول السيد الوزير الكلمة فهنأ الطلبة على المرحلة الاولى التي اجتازوها في امتحاناتهم الفنية السنوية متمنيا لهم النجاح في المرحلة الاخيرة التي سيبرزون فيها مواهبهم أمام رجال الفن والموسيقى من مغاربة وضيوف أجانب .

واستطرد الشيخ محمد المكي الناصري يقول ان الامم تقدر بفنونها كما تقدر بثرونها المادية ، وقال ان التراث الفني هو الذي يعطي الدليل على اصالة كمال امة وعلى مدى ذوقها الرفيع ، كما حث السيد الوزير على مواصلة الجهود قصد الحصول على أرفع درجة من الفن تشرف المغرب .

والجدير بالذكر ان المباريات العمومية التي ينظمها المعهد الوطني للموسيقى والرقص والفن المسرحي سنويا يشارك فيها طلبة الملك الثاني من المعهد ، وقد بلغ عدد المرشحين هذه السنة 90 مرشحا ومرشحة اغلبيتهم الساحقة من المغاربة .

* توجه وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الشيخ محمد المكي الناصري الى ملحقة ابن كرار حيث قام بتدشين مسجد جديد تبرع بارضه المحسن تميمي ، ورافق السيد الوزير في هذه الجولة السيد صالح زمراك عامل اقليم وجدة ورئيس دائرة بركان ، ومدير الامن الاقليمي وقائد الدرك الملكي ، وكان في استقبال السيد الوزير والشخصيات المرافقة له ببني كرار اعضاء المجالس المنتخبة .

وبهذه المناسبة القى رئيس المجلس القروي كلمة رحب فيها بالسيد الوزير والتمس منه الموافقة على تسمية مسجد با كرار باسم مولاي رشيد والذي بلغت تكاليف بنائه 31 مليون سنتيم ، والقى الشيخ محمد المكي الناصري كلمة توجيهية داخل المسجد اعلن فيها باسم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله تسمية مسجد بني كرار بمسجد مولاي رشيد ، واكد عزم الوزارة على تتميم مرافقه ، وألقى درسا في الحاضرين أبرز فيه حكمة جلالة الحسن الثاني نصره الله الهادفة الى جعل هذه السنة سنة بعث اسلامي ، ثم نوه بالسيد تميمي محمد لما قدمه من ارض لبناء بيت الله وهنأ السكان على ما بذلوه من تضحيات في اقامة هذا المسجد ان ذلك سيبقى مسجدا لكل مومن يضع جبهته على الارض ساجدا لله ، واثر ذلك قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة في دائرة ابركان بوضع الحجر الاساسي لمسجد الدائرة وزار عدة مرافق ادبية وثقافية .

✼ اختار الله لجواره فقيد الادب والشعر الاستاذ الكبير السيد محمد بنعاشر الجزولي اوائل شهر رمضان المعظم وقد كان فى الثلاثينات الغابرة فى طائفة كانت تتمتع بزعامة الادب بالرباط وهو الى ذلك من اعلام الفكر وقادة الرأي ، وله مشاركة ايام الاستعمار بجهوده الخالصة لخدمة القضية الوطنية المغربية التي له فيها مواقف مشرقة ، وصفحات لامعات ، وقد طبع من آثاره الادبية جزء من ديوانه الشعري « ذكريات من ربيع الحياة » وكان بصدد طبع تاليف له حول الدولة السعدية مع بقية ديوانه الذى ظل يهتم بجمع شتاته ، والحديث عن الاستاذ الجزولي يحتاج الى تخصيص صفحات من المجلة تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه .

✼ فى نطاق سياسة المغربة والتعريب لحكومة صاحب الجلالة تخبر وزارة التربية الوطنية انها قررت تعريب كلية الاداب والعلوم الانسانية فى جميع اقسام العلوم الانسانية .

وذلك ابتداء من السنة الجامعية الحالية .

✼ اصدرت وزارة الانباء عددا خاصا من سلسلة « وثائق ومستندات » بالعربية عن المؤتمر التأسيسي لقدماء المقاومة وجيش التحرير .

ويقع الكتاب فى حوالي 90 صفحة تحتوي على خطب جلالة الملك وخطاب الوزير الاول ، وكذا ممثل المقاومة وجيش التحرير بالاضافة الى توصيات وقرارات وملتمسات الجمع العام .

ويعتبر الكتاب لما يكتسيه من اهمية ، مرجعا اساسيا للمعركة التي يخوض المغرب غمارها والتي من اجلها ضحى المقاومون والشعب المغربي قاطبة وعلى راسه الاسرة المالكة المناضلة ، هذه الثورة التي تتمثل فى المشاريع والمنجزات التي ما فتىء المغرب يشهدها فى شتى المجالات وعلى جميع المستويات عملا بالشعار المقدس الذي رفعه جلالة المغفور له المقاوم محمد الخامس الا وهو قولة جلالته المشهورة « لقد خرجنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » هذا الشعار الخالد الذي اتخذه خلفه الصالح جلالة الملك الحسن الثاني مبدأ وسيرة وسلوكا ومهجا .

✼ اصدر معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط مؤخرا مجموعة من المؤلفات ، منها كتاب فى قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي وهو مقارنة بين الكتب العربية والكتب الاوربية من حيث المحتوى للاستاذ احمد الاخضر غزال ، وكتاب المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية وفيه شرح واضح لما يجب عمله لايجاد المصطلحات العربية الكامنة فى اللغة ثم بحثها وانتقاءها وهو ايضا للاستاذ احمد الاخضر غزال .

وهناك ايضا كتاب الطيور المغربية ويتضمن الاسماء الفصيحة لطيور المغرب العربي مع مقابلاتها العلمية والفرنسية .

وهناك كتاب للثبيتات المغربية مصورة باسمائها العربية الفصيحة والاوربية العلمية والفرنسية مع نبذة عن مميزاتها الخاصة وهو انتاج مشترك بين معهد التعريب والمعهد العلمي الشريف وادارة المياه والغابات .

ونشر للاستاذ أحمد الاخضر غزال مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب بحثا لغويا حول النقاش النحوي الذي برز بصدد فتح حرف راء المشتركة تصحبها مقدمة للاستاذ محمد الفاسي .

✼ فى نطاق المحاضرات التي تنظم لضباط الاركان العامة وقوات الوحدات القى الاستاذ الكبير عبدالوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة محاضرة بنادي الضباط بالرباط موضوعها « القبائل المغربية والدور الذي لعبته فى نشر الاسلام والدفاع عن حوزة التراب الوطني » .

وقد استمع الى المحاضرة التي ارتجلها الاستاذ ، عبد الوهاب بنمنصور — ودامت ساعتين — عدد كبير من ضباط القوات المسلحة الملكية وعلى راسهم الجنرال محمد بلعربي والجنرال ادريس بنعيسى

✼ صدر للشاعر المغربي كمال الزبدي ديوان جديد باللغة الفرنسية تحت عنوان « سلم نحو المستقبل » وقد سبق للشاعر ان نشر ديوانين آخرين هما : صرخة المملكة احرز على جائزة الاكاديمية الفرنسية و « ليريبل » والى جانب الشعر يباشر كمال الزبدي فنا آخر هو الرسم الزيتي .

يتغنى الزبدي فى ديوانه الجديد بالانسان والطبيعة منطلقا من انسان وطبيعة المغرب وتجمع شاعريته بين نفحة من القلق الوجودي مضمون جمالي غني بالرموز التي تشكل فى مجموعها نظرة متفائلة نحو

المستقبل لربط الماضي بالحاضر والاتجاه نحو غد افضل يفتخر فيه الانسان بانتمائه الى بلده وتاريخه وعائلته الكبرى .

من بين القصائد التي حلق فيها الشاعر في ديوانه الجديد نذكر على الخصوص « قصيدة ضد الموت » لقد هزموا الموت « والكتيبة » .

* المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس اصدر اخيرا القسم الثاني من النشرة يختص بالعصر الوسيط الذي نشرت الابحاث المتعلقة به في الفترة بين 54 و 62 .

اما الكتب التي تم تصنيفها فتشمل الجوانب السياسية ، الحربية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الدينية ، الثقافية والفنية .

وجدير بالذكر أن هذه النشرة تتوجه اساسا الى الهيئات العلمية الجامعية داخل وخارج المغرب .

سبق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ان اعلن عن تنظيم مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة عن سنتي 1971 و 1972 الاولى والثانية تقديم مخطوط نفيس مستوفى الشرح والتعليق او بحث جديد حول اللغة العربية .

ويتعلق موضوع المسابقة الثالثة لسنة 1972 و 1973 التي تفضلت المملكة العربية السعودية بتمويلها وقد مد في اجلها الى غاية آخر دجنبر 1973 ، حيث كان من المقرر انتهاء مدة تقبل الوثائق والبحوث المتعلقة بها في تمام يناير 1973 ، وكان موضوعها (وضع معجم حول الدراسات القرآنية والحديثية) .

ونظرا لاهمية موضوع هذه المسابقة قرر المكتب تنظيم مسابقة رابعة مماثلة تفضلت المملكة العربية السعودية الشقيقة بتمويلها ايضا بمبلغ عشرة آلاف درهم = اي ما يعادل 000 2 دولار أمريكي كسابقاتها لتغطية قيمة الجوائز الاربعة التي ستمنح للابحاث الفائزة وستكون وفقا لرغبة وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية التي اتفق المكتب الدائم معها على موضوع (دراسة قرآنية أو من السنة النبوية) في مجال — العلوم الطبيعية — او الفلك — او العلوم العسكرية — او العلوم الادارية — ، على ان يؤخذ بعين الاعتبار استخلاص الافكار الاساسية للبحث من القرآن الكريم او السنة المطهرة مع وضع المصطلحات العلمية المستعملة في القرآن أو الحديث النبوي والبحث عما يقابلها في احدى اللغتين الانجليزية والفرنسية ليتضح للعالم سعة القرآن الكريم والسنة النبوية وشمولها وتضمنها الكثير من الحقائق العلمية السابقة لما توصل اليه البشر في العصر الحديث مما يشبه المعجزات في العلم والتقنية مصداقا لقول الله تعالى : ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) الآية ، مع اخضاع هذه البحوث العلمية لمفاهيم الاسلام وحقائقه وتعاليمه .

ويشترط ايضا مراعاة ما يلي :

ا — ان لا تقل الدراسة على مائة وخمسين صفحة (150) من الحجم المتوسط .

ب — يجوز اشتراك اكثر من شخص في المعجم الواحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

ج — يرسل البحث (في نسختين) الى **مقر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي 8 شارع انكولا — ص. ب. (190) — الرباط — المغرب .**

د — تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من اعضاء تختارهم وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية .

هـ — تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من فاتح يونيه 1973 الى نهاية يونيه 1974 .

المملكة العربية السعودية **وزير المعارف**	**مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي** (المدير العام)

* سبق لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي اعلانه عن تنظيم مسابقات سنوية في موضوعات تتعلق باختصاص المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الاولى (وقد تبناها المغرب) تقديم مخطوط غميس مستوفى الشرح والتعليق أو بحث جديد حول اللغة العربية ، وكانت الجائزة الثانية (بعد أن احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب استاذ من الجمهورية العراقية ، والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من جمهورية مصر .

وقد نظم المكتب مسابقة ثانية لسنة 1971 — 1972 — على غرار المسابقة الاولى — وتبنت دولة

الكويت الشقيقة تمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم – أي ما يعادل 2000 دولار امريكي لتغطية قيمة الجوائز الاربع التي ستمنح للابحاث الفائزة .

وبعد دراسة الابحاث المشاركة من طرف لجنة كونتها وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت لهذا الغرض . اصدرت القرارات الآتية :

قامت اللجنة بفحص الكتب المقدمة ودراستها وعددها 12 بحثا وكتابا ثم عقدت عدة اجتماعات ووضعت التقارير المرفقة بهذا وتدارستها بعناية ودقة وانتهت الى النتيجة التالية :

الجائزة الاولى :

ومقدارها 700 دولار امريكي :

(كتاب القرائن النحوية) بحث للاستاذ الدكتور تمام حسان عميد كلية دار العلوم بالقاهرة . مع توصية اللجنة بطبع هذا البحث .

الجائزة الثانية :

ومقدارها 500 دولار امريكي . وذلك لكل من :

1 – كتاب (الاعلام ولغة الحضارة) (بحث) للاستاذ عبد العزيز شرف بوزارة الاعلام المصرية .

كما توصي اللجنة بطبع الكتاب بعد التعديلات الموضحة بالتقرير .

2 – كتاب (معجم ديوان الادب للفارابي) دراسة وتحقيق ، للسيد الدكتور احمد مختار عمر المدرس بجامعة ليبيا .

وتوصي اللجنة بطبع مراعاة التعديلات والمقترحات الموضحة بالتقرير .

الجائزة الثالثة :

ومقدارها 300 دولار امريكي :

(كتاب الاشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل ابن سليمان البلخي) تحقيق الدكتور عبد الله شحاتة .

وتوصي اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ادراج التعديلات والتصحيحات الموضحة بالتقرير .

❊ انعقد اجتماع في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بين كل من السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة في المملكة المغربية وبحضور السيد الكاتب العام للوزارة وبين السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت وبحضور سعادة سفير دولة الكويت في المملكة المغربية والسيد مدير مكتب الوزير .

وتحقيقا لاسس التعاون بين البلدين في مجال الثقافة والدعوة الاسلامية وفيما يدعم الرابطة الاخوية الاسلامية بين المسلمين .

فقد تم الاتفاق بين الطرفين على ما يلي :

اولا : تبادل المعلومات حول المراكز والمنظمات الاسلامية بغية تنسيق التعاون لمساعدتها ماديا وثقافيا

ثانيا : تنسيق العمل وتبادل النشرات والكتب والمجلات التي تطبع بكلا البلدين والتعاون في مجال نشر الثقافة الاسلامية وخاصة التراث الاسلامي الذي هو كنز من كنوز حضارتنا التي تعتز بها امتنا .

ثالثا : التعاون في مجال الدعوة الاسلامية بتبادل زيارات العلماء والمرشدين لالقاء الدروس والمحاضرات في المناسبات الدينية وغيرها .

رابعا : اجراء المشاورات والتعاون بشأن عقد المؤتمرات واللقاءات والعمل على تنفيذ مقررات مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الدينية الذي انعقد في الكويت ما امكن ذلك ، ويؤكد كل من الوزيرين عزمهما على القيام بكل ما من شأنه توطيد العلاقة التي تجمع بين البلدين وجعلهما مركزي اشعاع مستمر للثقافة التاريخية والحضارة الاسلامية باسهامها في المجهود العلمي الذي تقوم به الدول المتحضرة في هذا القرن .

وقعه بعد الموافقة عليه كل من :

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
بدولة الكويت
رشيد عبد الله الفرحان

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
والثقافة بالمملكة المغربية
محمد المكي الناصري

الجزائـــــــر :

* اصدرت مديرية البحوث الاسلاميـــة نيابـــة والشؤون الدينية بالقطر الجزائري الشقيق البـلاغ التالي :

تعلن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية أن الملتقى الثامن للفكر الاسلامي سينعقد فى بجاية بقاعة المسرح البلدي من الثامن الى التاسع عشر من ربيع الاول 1394 هـ الموافق الفاتح الى الثاني عشر ابريل 1974 م .

وسيحضره طلاب وطالبات جامعات الجزائـر ، وقسنطينة ، ووهران ، وتلاميذ وتلميذات السنتيـن السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والنهائيـة سابقا) من اي بلد كان ، وسيسمح لغير الطلبة مـن الجزائر وغيرها ممن هم فى المستـوى المذكـور بالمشاركة فى الملتقى حسب الاماكن الشاغرة .

وستدعى الى الملتقى شخصيات جامعية ورجال بحث من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامـي وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات ، وعقد النـدوات ، والمناقشة فيما بينهم بحضور الطلبة ومشاركتهم .

ونظام الملتقى هو النظام الداخـلي ، ويمكـن السماح بالنظام الخارجي لمن يطلبه .

هذا وتتحمل الوزارة ، فى اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطني ، وبالنسبـة للطلبة الآتين من اوروبا فستتحمل الوزارة نفقـات سفرهم ذهابا وايابا من مرسيليا واليها أو أحد موانيء البحر الابيض المتوسط .

وسيطلب من المشاركين اسهام رمزي قـدره خمسون دينارا جزائريا ، ويعفى منه الطلبة الآتون من خارج الجزائر ، جزائريين كانوا او غيرهم .

وترسل طلبات المشاركة الى ادارة البحـوث الاسلامية ، نيابة الملتقيات ، وزارة التعليم الاصلـي والشؤون الدينية ، 4 نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف .

وعلى كل مترشح أن يبعث مع طلبـه شهـادة دراسية وشهادة طبية .

وآخر اجل لقبول طلبات المشاركة هو السابع من محرم 1394 هـ الموافق 31 يناير 1974 م .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالآتي :

1) وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء ، والمفكرين ، ورجال الاعلام نحوها .

2) دور المفكر اليوم وعلى مر العصور فى امته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وآفـاق المستقبـل .

3) مساهمة بجاية الحماديـة فى الحضـارة والفكر الاسلامي والعالميين واسباب وآثار انحطاطها .

4) مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين فى مختلف مجالات العلوم ، والفنون ، والتراث الانساني على العموم . عوامل ازدهارها ـ أسباب انحطاطهـا وشروط انبعاثهما .

5) الاصالة والتفتح ـ ما معناها ؟ وما مدى اهمية هذا الجمع اليوم بالنسبة للافراد والامم ولمصير الانسانية كلهـا ؟ .

* توفى السيد مالك بن نبي الكاتـب والمفكر الجزائري الشهير عن عمر يناهز 68 سنة بعد مرض عضال .

وقد خصص هذا المفكر الجزائري معظم حياته للمحافظة والدفاع واثراء القيم الاسلامية وله مؤلفات عديدة اشهرها ـ مشاكل الفكر فى العالم الاسلامي ـ و ـ الفكر الافريقي والاسيـوي ـ و ـ اسس النهضة ـ و ـ الظاهرة القرآنية .

وكان عضوا فى مجمع البحوث الاسلاميـة بالقاهرة .

وكان مالك بن نبي يكتب اللغة الفرنسيـة ، وعاش فترة طويلة بالقاهرة ، وترجمت كتبه الى عدد من اللغات الاجنبية ، وكتب سيرة حياته فى كتاب : الطالـب .

* توصلت عمليات التنقيب عن الآثار التي اجريت فى ماي الماضي فى مدينة اكدير القديمـة قرب تلمسان الى اكتشاف الهيكل الاصلي لمسجد بني فى 17 يونيو 789 ـ القرن الثامن ـ ويعتبر اقدم مسجد اقيم فى الجزائر وترجع الاكتشافات التى تمت الى عصرين ـ العصر الروماني والعصر العربي ، وكماترجع شواهدالاضرحةواحجارها التىظلتمجهولة حتى الآن الى العصر الروماني ، اما العصر العربي

فيتجلى فى اكتشاف حمام المسجد الذى ظل هيكله مجهولا رغم اعمال التنقيب التى قام بها المؤرخ الفرنسي الفريد بيل فى عام 1910 .

* الاستاذ قدور ابراهيم عمار ، من الجزائر ، يعد رسالة ماجستير موضوعها تحقيق ودراسة كتاب السحر والشعر لابن الخطيب ، وذلك فى كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت اشراف الدكتور لطفي عبد البديع الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على صورة المخطوطة التى صورها معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية من مكتبة الاسكوريال باسبانيا .

* صدر حديثا عن دار العودة كتاب لمحمد الميلي عن (ابن باديس وعروبة الجزائر) .. وهو ترجمة موسعة لحياة ابن باديس السياسية والاجتماعية التي ظلت مجهولة فى تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية.

وابن باديس بدا نشاطه بتقديمه للفكر الاصلاحي اضافات عملية اكثر منها نظرية . استطاع ان يتجاوز حدود محيطه ليتبادل النقاش والحوار والتاثير مع النخبة المثقفة بالفرنسية . وقد اسس سنة 1925 صحيفة « المنتقد » التى اراد بها تحطيم عالم كانت تهيمن عليه الزوايا كما اراد تحطيم القديم البالي فى جريدة « الشهاب » بعد ذلك ، وراح ابن باديس يعمق عمله ويصعد نشاطه من الدروس المسجدية الى منبر الجريدة ، الى مدارس اللغة العربية الى التبشير بالاصلاح الديني والاجتماعي على نطاق واسع بعد تأسيس جمعية العلماء ..

يضم الكتاب بنماذج من كتابات ابن باديس.

تونس :

* صدرت عن الدار التونسية للنشر ترجمة لديوان « المعالم » لسان جون بيرس الشاعر الفرنسي الحائز على جائزة نوبل للآداب لسنة 1960 وقد انجز الترجمة الكاتب المغربي الاستاذ مصطفى القصري تحت عنوان « الفلك ضيقة »

وقدم للترجمة بافتتاحية للاستاذ محمد مزالي مدير مجلة الفكر التونسية ووزير الصحة حاليا وجاء فى هذه الافتتاحية فى الخصوص :

« انه لكسب كبير للآداب العربية وفتح مبين للشعر العربي وثورة فكرية سيكون لها شان فى حفز ادبائنا على التفكير والالمام بحقيقة الشعر ورسالته والاتصال بتيار من اغزر التيارات الشعرية الحديثة واكثرها ثراء » ، « والواقع ان عمل الاستاذ مصطفى القصري ليس ترجمة عادية بل هو خلق جديد للنص الفرنسي واستمد من تشبعه بالقرآن الكريم ، وعشرته الطويلة للآداب العربية القديمة ما مكنه من تادية النص الفرنسي فى ايقاعاته وتفعيلاته واسترسالاته ونفسه الشعري واكسب الترجمة هالة من القداسة والرهبة والرنة الغنائية اصبح قارىء المعالم معها كانه يطالع اطول نشيد يؤلفه سان جون بيرس .

والى جانب ترجمة المعالم التى استغرقت من الكتاب حوالي 72 صفحة بحروف مشكلة ومزينة برسوم انجزها الفنان التونسي المنصف زريباط يشتمل على فصول تتناول حياة الشاعر واسلوبه الفني ومصادر الوحي الشعري عنده ومجموع آرائه، ونظرياته من خلال الشعر وامثلة من التصوير الفني فى شعره ونظرة الشاعر الى الحب واهتمام العالم بانتاجه وتحليل انتاجه الشعري .

وجدير بالاشارة انه سبق للاستاذ مصطفى القصري ان ترجم ديوان ازهار الشر للشاعر الفرنسي بودلير .

افريقيا :

السودان :

* حصل الباحث السوداني محمد الحسن فضل المولى مؤلف كتاب « لمحات عن النقد الادبي » على الماجستير بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة فرع الخرطوم . كان موضوع الرسالة « ابن التعاويذي الشاعر » .

اوغندة :

* اعلن 4 000 شخص فى اوغندا اسلامهم ، وهم من السكان المقيمين فى جنوب اوغندا .

نجيريا :

* بعث الاخ ا. ك. ر. سليمان من نيجيريا برسالة الى مجلة الجهاد التى تصدر فى جزر كمورو قال فيها « ان زعماء حركة الاحمدية فى نيجيريا

وقعوا على عريضة اعلنوا فيها ايمانهم المطلق بأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء ولا يعترفون من الآن بنبوة ميرزا غلام احمد مؤسس الاحمدية .

واضافت العريضة ان الموقعين عليها لم يعودوا يعتبرون انفسهم فرعا لجمعيات القاديانية والاحمدية في باكستان وانهم لن يتسموا من الآن باسم الاحمدية » وتقول المجلة ان هذه الانباء هامة جدا وقد تم بذلك ازالة حركة الاحمدية من افريقيا. ومعلوم ان جزر الكومورو تقع مقابل جنوب شرق افريقيا بين موزمبيق ومدغشقر مساحتها 790 ميل 2 وعدد سكانها حوالي 157 الف نسمة حسب احصاء 1960) .

※ ان مشروع بناء المركز الطبي في العاصمة النيجيرية والذي تبرعت بانشائه الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي ، قد قطع مرحلة في التأسيس ..

والجدير بالذكر ان مساحة الارض التي تبرع بها فخامة الرئيس حماني ديوري تبلغ 13 الف متر مربع ، وهي من اهم المناطق في العاصمة النيجيرية وبجانب الجامعة ، ولا يفصلها عن المؤسسات الحكومية والتي تشغلها حاليا المشاغل الوطنية اليدوية ..

وقد تم تصميم المركز الطبي ليظهر في احدث الطرق الهندسية المعمارية ، وسيقوم الرئيس حماني ديوري في احتفال كبير بوضع الحجر الاساسي لهذا المركز ، ويشهده جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية في افريقيا وزعماء المنظمات الاسلامية .. وقد انتدبت الامانة العامة للرابطة الدكتور احمد الشلبي ، ليكون مشرفا على هذا المركز .. وقد وصل الى النيجر منذ شهر وباشر الاعمال التنفيذية لهذا المركز الكبير الذي يعتبر الاول من نوعه تقيمه الرابطة في افريقيا.

ويقوم الدكتور شلبي بزيارة المستشفيات والمستوصفات ، وبدراسة امكانية تأثيث المركز الطبي على احدث الطرق وتامين المعدات اللازمة له ..

هذا ، وسينشأ في المركز مكتبة تابعة له ، كما يجري حاليا دراسة الطريقة المثلى لاستيراد الادوية والعقاقير .. وتجري الترتيبات حاليا لبناء مدرسة ، حيث وافق فخامة الرئيس حماني ديوري على ان تكون تابعة للمركز وان تستوعب من 50 الى 60 طالبا وستكون على مستوى المرحلة الاعدادية وتهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية والاجتماعية ، وتدريس اللغة الفرنسية والرياضيات لتاهل الطلاب لدخول المدارس الثانوية بعد تخرجهم .. وقد ابدى الرئيس حماني ديوري اهتمامه بالفكرة وتشجيعه لها ، حيث اعلن استعداده لافتتاح المركز والمكتبة والمدرسة التابعتين له بنفسه ..

ويتوقع ان يتم ذلك خلال الاشهر الثلاثة القادمة ..

وتعتبر هذه المشاريع اول المشاريع الايجابية التي تدعم موقف نشر الدعوة الاسلامية ، ومنطلقا لها ومركزا لجميع دول غرب افريقيا ينطلقون منه لنشر السلام والمحبة بين الشعوب الافريقية الشقيقة ..

※ تم تكوين الرابطة الاسلامية بنيجيريا لتنسيق وتدعيم النشاط الذي يزاوله الهلال الاحمر النيجيري وجعله متمشيا مع العقيدة الاسلامية وفي خدمة الدعوة الاسلامية ومن اجل مواجهة النشاط التبشيري للصليب الاحمر النيجيري .

※ اكد مسؤول بالسفارة الغينية في جدة ان الحكومة الغينية قد قررت تدريس اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم في غينيا بنفس القدر الذي تدرس به اللغة الغينية المحلية وان الغرض من تدريس اللغة العربية هو اجادة لغة القرآن حتى يمكن للمسلمين تفهم دينهم وعقيدتهم بنفس اللغة التي انزل بها التشريع الاسلامي وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

مـــــالـــي :

※ اصدرت دار النشر والطبع في مالي مؤخرا كتابا بعنوان تطبيق مبادىء الاسلام في افريقيا السوداء ، من تاليف بابا مختار .

والكتاب في خمسة ابواب تتناول صور ممارسة الدين في الدول الافريقية وحياة الرسول محمد وحقيقة الاسلام ونقل القرآن وترجمته ونقل الاسماء الحسنى وترجمتها يقول المؤلف : اعتبر الاسلام دينا كاملا وشاملا ما زال يساء فهمه في افريقيا السوداء بسبب الافتقار الى الجديد في اتباع قواعد الدين .

وعزا المؤلف ذلك الى عدة عوامل منها ما يتعلق بملقني القرآن الذين يكتفون بتلقين الشباب المسلم آيات من الكتاب الكريم دون اهتمام بشرح معناها او مداولها ومنها أن اغلب الشباب الذين تلقوا العلم في المدارس الاجنبية يجاهرون بعداء شديد لمبادىء الاسلام ويرون أنها بالغة التزمت في حين أنهم يجهلون كل شيء عن الدين .

جنـــوب افريقيــا :

※ المصنف ، في الحديث ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني نشره محققا على عدة مخطوطات المجلس العلمي الباكستاني في مدينة جوهانسبرج — ترانسفال بجنوب افريقيا ، وقد جاء في احد عشر مجلدا .

القـاهـــــرة :

※ توفي الكاتب العربي الكبير الدكتور طه حسين عن سن يقارب الثمانين وبذلك يكون قد اسدل الستار على مسرح الفكر الثوري المجدد في الادب العربي .

— ولد طه حسين سنة 1889 في مصر من ابوين فقيرين .

— فقد بصره وهو في حوالي الثامنة من عمره .

— حفظ القرآن في سن مبكرة من عمره واتم دراسته الدينية في كتاب قريته الى ان التحق بجامعة الازهر .

— في سنة 1912 تابع دراسته بجامعة القاهرة الى ان حصل على شهادة الدكتوراه في الادب والفلسفة سنة 1914 .

— بعد اربع سنوات من حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة تقدم برسالة في موضوع — الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون — فحصل بها عن الدكتوراه من جامعة السوربون .

— في سنة 1917 تزوج من فرنسية تعرف عليها اثناء دراسته في فرنسا .

— كتب طه حسين في النقد والفلسفة والقصة، ثم المقالة — الادبية منها والسياسية — ترجم معظمها الى 10 لغات اجنبية

والف اكثر من ثمانين كتابا من أشهرها (الايام) (في الادب الجاهلي) (حديث الاربعاء) (على هامش السيرة) (من حديث الشعر والنثر) (الوان) (نقد واصلاح) (نقد وبناء) (احاديث في النقد) كما وضع روايات من بينها (دعاء الكروان) وترجم عدة مسرحيات يونانية الى جانب عمله في الجامعة خاض طه حسين المعارك السياسية وكتب في اكبر الصحف اليومية المصرية واشرف على جيل كامل من الكتاب ورعى التجديدات التي كان الادب العربي يتلقاها من الشباب فشجع الشعر الجديد والرواية وترأس كثيرا من الرابطات والجمعيات الادبية زيادة على انه عضو شرفي في كثير من الجامعات الدولية ومنحت له كثير من الاوسمة العالية كان من اهمها وسام فرنسي رده طه حسين الى فرنسا عندما قامت بغزو مصر سنة 1956 .

وقد تعرض طه حسين خلال نشاطه الادبي الى المحاكمات والمتابعة لكنه كان شجاعا ظل الى جانب افكاره ودافع عن حرية التعبير .

※ توفي في القاهرة الشاعر الكبير عزيز اباظة (85 عاما) على اثر نوبة قلبية ، وقد اشترك اكثر من عشرة آلاف من المثقفين ورجال الفكر والادب في تشييعه . وقد اصدر الفقيد عدة دواوين شعرية خلال نصف قرن اضافة الى العدد من المسرحيات الشعرية التي اشتهر بها . وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضوا في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب .

※ فيما مضى الفت كتب كثيرة تبحث عن المؤلفات منها (الفهرست) لابن النديم (والفهرست) لابن خير الاشبيلي و (كشف الظنون) لحاجي خليفة، وذيله (ايضاح المكنون) لاسماعيل باشا البغدادي وله ايضا (هدية العارفين) و (مفتاح السعادة) لطاش كبرى زادة و(الرسالة المستطرفة للكتاني) فضلا عن الكتب الحديثة الكثيرة وعلى راسها كتاب (تاريخ الادب العربي) للمستشرق الالماني كارل بروكلمان و (تاريخ التراث العربي) من تأليف فؤاد سزكين و (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة وكثير غيرهم.

※ كتاب « البرصان والعرجان والعميان والحولان » من تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو كتاب عثر عليه بالمغرب وصور منذ

خمسة عشر عاما ، قام بتحقيقه الاستاذ محمد مرسي الخولي السكرتير الثالث بالمعهد التابع للجامعة العربية ، وصدر عن دار الاعتصام بالقاهرة فى 448 صفحة .

❋ من مؤلفات الدكتور عبد الرحمن بدوي استاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب صدر ما يلي :

1 — كتاب التعليمات لابن سينا ، طبع مطبعة المؤسسة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة 1972 .

2 — شروح على ارسطو مفقودة فى اليونانية، دار المشرق المطبعة الكاثوليكية بيروت 1972 .

3 — تاريخ الفلسفة فى الاسلام بالفرنسية ، الناشر دار فران ، جزءان فى الف صفحة .

❋ صدر بالعربية عن مكتبة الانجلو المصرية كتاب ايران ومصر عبر التاريخ ، وهو ترجمة لبحث قدمه بالفارسية الدكتور حسين مجيب المصري الى المؤتمر العالي للدراسات الايرانية الذى انعقد فى اكتوبر عام 1971 فى مدينة شيراز بايران بمناسبة الاحتفال بمرور الفين وخمسمائة عام على تأسيس الدولة الفارسية ، والبحث ينقسم الى قسمين : الاول فى العلاقة بين ايران ومصر قبل الاسلام ، والثاني فى العلاقة بينهما بعد الاسلام .

❋ (ابطال عقيدة وجهاد) للدكتور احمد الشرباصي ، من منشورات مجمع البحوث الاسلامية فى الازهر ويقع فى (350) صفحة والكتاب دراسات لسير جمهرة من ابطال العقيدة والجهاد فى الاسلام .

❋ وصل الى جدة مدير جامعة الازهر الدكتور محمد حسن فايد والدكتور محمود شوكت حسين عميد كلية الشريعة فى جامعة الازهر وذلك للاشتراك فى مناقشة رسائل الماجستير لبعض خريجي قسم الدراسات العليا فى جامعة الملك عبد العزيز .

❋ « رجل من الامس » مجموعة قصص تاليف عباس الاسواني صدرت فى منشورات كتاب اليوم بالقاهرة وهي تعرض نماذج من انسان عالمنا المعاصر الذى يمزقه الالم وتطحنه الحياة حين تقسو عليه .

❋ تواصل بعثة جامعة الدول العربية — معهد المخطوطات العربية مهمة تصوير المخطوطات العربية فى مكتبات المملكة العربية السعودية برئاسة الاستاذ قاسم الخطاط .

❋ افتتح مجمع اللغة العربية فى القاهرة دورته السنوية الاعتيادية لهذا العام ، وقد افتتح الدورة الامين العام الدكتور ابراهيم بيومي مذكور .

❋ انتخب الدكتور ناصر الدين الاسد (من فلسطين) عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

❋ اشار رئيس تحرير جريدة اخبار اليوم المصرية ان الراسمالية العربية قد هزمت منذ التاريخ القديم الذى شهد فيه العالم العربي الاستعمار بمختلف انواعه ولكن المواطن العربي هرب ايضا من الاشتراكية الى الله .. الى الاسلام والى المسيحية واصبحت العقيدة الاسلامية الآن اكثر من اي وقت مضى هي المؤثر الاكبر على الشعب العربي دون باقي الايديولوجيات .

❋ الاستاذ احمد نصر الدين الجندي ، الاخصائي بالهيئة العامة للارصاد الجوية ، وهو مهتم بالبحث فى المخطوطات وما تضمه فى ثناياها من حديث العرب عن الارصاد الجوية ، وكذلك على فهارس المعهد وبعد مراجعه .

❋ يعد الاستاذ عبدالسلام محمد الشاذلي، الموظف بمراقبة التحرير والنشر بوزارة الزراعة بالقاهرة ، رسالة ماجستير موضوعها « حازم القرطاجني ومقصورته » ، وذلك فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة .

❋ نوقشت فى قاعة العقاد بكلية اللغة العربية بالقاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من علي صبح المدرس المساعد بجامعة الازهر وعنوانها « الصورة الادبية فى شعر ابن الرومي » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة محمد عبد المنعم خفاجي مشرفا على الرسالة وعبد الحميد يونس واحمد الشرباصي.

❋ تقرر فى محافظة سوهاج التابعة لجمهورية مصر العربية انشاء مسجد خاص بالنساء لا يرتاده غيرهن .

※ « اثر السينما على سلوك الشباب فى المجتمع المصري » موضوع رسالة الماجستير التى قدمها عبد المنعم سعد مدير المهرجانات بهيئة السينما ونوقشت بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة حكمت ابو زيد وسيد عويس ونيازي حتاتة .

※ فى نبأ لوكالة الانباء الفرنسية من القاهرة ان الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام اصدر قرارا يقضي بعدم السماح بتقديم اية مساعدات من مصر لانتاج او اخراج فيلم سينمائي عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن جهة اخرى لن يسمح بعرض هذا الفيلم فى مصر ..

※ انتخب الدكتور بطرس غالي استاذ العلوم السياسية المصري عضوا فى لجنة المحلفين الدولية وهي لجنة مستقلة غير حكومية مقرها جنيف ولها صفة استشارية مع الامم المتحدة وهدفها الدفاع عن سيادة القانون والالتزام بحقوق الانسان فى العالم .

※ صدر فى القاهرة الجزء الثاني من كتاب « فن التحرير الصحفي » للدكتورة اجلال خليفة مدرسة التحرير الصحفي بجامعة القاهرة . يعالج الكتاب لاول مرة الموضوعات السياسية والعلمية والدينية والادبية والفنية صحفيا باسلوب اكاديمي .

※ « صابر وجهاد » مسرحية شعرية للشاعر الشاب صابر عبد الدايم يونس امين اللجنة الثقافية بجامعة الازهر تصدر قريبا .

※ الاديبة الشاعرة جميلة العلايلي رئيسة مجمع الادب العربي بالقاهرة صدر لها كتاب « الناسك وجاسوسة صهيون » . قدمت 200 نسخة هدية الى المقاتلين فى الجبهة .

※ اسرة تحمل اسم الدكتور عبد الرزاق السنهوري عميد القانونيين العرب تخليدا لذكراه ، يجري تكوينها الآن فى كلية حقوق جامعة القاهرة ويرأسها الدكتور احمد الصاوي مدرس قانون المرافعات .

※ « نهاية التاريخ : مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني » تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري صدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام بالقاهرة .

※ منحت جامعة عين شمس عاصم احمد الدسوقي درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى فى التاريخ الحديث . كان موضوع الرسالة « كبار ملاك الاراضي الزراعية ودورهم فى المجتمع المصري من سنة 1914 حتى سنة 1952 » .

※ « الخيوط » رواية شعرية انتهى من كتابتها الشاعر المصري حسين علي محمد وقد استوحى محتواها من التراث العربي عن قصة « بشر العابد وهند » المعروفة .

※ « الامثال حول العالم » دراسة تحليلية لامثالنا وللامثال الاجنبية انتهى من اعدادها الاديب المصري عبد الرحمن شلش .

دمشـــــــق :

※ صدر فى دمشق كتاب « الشخصية والصراع المأساوي » لعدنان بن ذريل وهو دراسة نفسية فى طلائع المسرح الشعري العربي ويبحث فى الشخصية والصراع فى مسرحيات احمد شوقي والمرحوم عزيز اباظة وعدنان مردم بك ، كما صدر لعدنان بن ذريل فى دمشق ايضا (التفسير الجدلي للاسطورة) وهو عرض تفسيري للاساطير المتوارثة فى سومر ومصر وسورية ولبنان ربطها المؤلف بالواقع والحياة ، مع ضميمة فى اصول الحضارات الشرقية القديمة .

※ صدر عن المكتبة العربية بحلب كتاب «الجنى الداني فى حروف المعاني» للحسن بن القاسم المراوي المتوفي عام 749 هـ وهو مصدر المغني لابن هشام . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، عدد صفحات الكتاب 688 .

※ القى الدكتور عبد السلام العجيلي فى الندوة الثقافية النسائية بدمشق محاضرة بعنوان « قصائد مهمشة » .

* القى الاديب الحلبي محمد الحسناوي محاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب عنوانها « الفاصلة القرآنية والشعر الحديث » .

* شرع مجمع اللغة العربية في دمشق بطبع كتاب «الاختيارين» للاخفش الاصغر تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة مدرس الادب القديم والنحو بجامعة حلب .

* حسين دلالة المدرس في ثانويات حلب نال دبلوم الدراسات العليا من الجامعة اللبنانية في موضوع « ابن حمديس الصقلي ، حياته وشعره » .

* القى احمد وهبي السمان محاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب عنوانها « اشراقة العروبة في الاندلس » .

* (المسجد في الاسلام) رسالته ، نظام بنائه ، احكامه ، آدابه ، بدعه ، تأليف خير الدين والي من علماء الشام ، ويقع في (368) صفحة متوسطة ، وطبع في مطبعة الانشاء بدمشق .

* دعت نقابة المحامين في حلب الى ندوة علمية موضوعها (عمليات الزرع والتطعيم في الجسم البشري) اشترك فيها كل من الاطباء طه اسحق الكيالي وبشير الكاتب ونبيل المارتيني وزهير امير براق .

بيـــروت :

* رياض طه نقيب الصحافة اللبنانية صدر له عن دار النهار للنشر ببيروت كتاب جديد عنوانه « الاعلام والمعركة » وقد قدم له شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية السابق ويقع الكتاب في 100 صفحة .

* اقامت لجنة تكريم العلامة والمؤرخ الكبير محمد جميل بيهم حفلة تكريمية له في اوتيل كارلتون ببيروت تكلم فيها عدد من المفكرين والادباء .

* رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة ويحيى بن عدي ، وسوف تطبع في بيروت عام 1973 .

* صدر عن دار المشرق في بيروت قاموس « المنجد » فرنسي عربي في 984 صفحة حافلة بالرسوم في طباعة انيقة واخراج بديع وهو من توزيع المكتبة الشرقية في بيروت .

* صدر عن دار العودة في بيروت الكتب التالية : « الثورة والثورة الجنسية » لويلهلم رايخ ترجمة محمد عيتاني في 336 صفحة حجم كبير . « فن الحب » لاريك فروم ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد في 168 صفحة . « ايام الحب والموت » رواية تاليف رشاد محمود ابو شاور في 96 صفحة . « فنجان قهوة لزائر الصباح » قصص تاليف غازي العبادي في 96 صفحة . « افتتاحية الضحك » تأليف عاليه ممدوح في 96 صفحة .

* « ديوان ابو القاسم الشابي » دراسة وتقديم الدكتور عز الدين اسماعيل صدر عن دار العودة ببيروت في 576 صفحة حجم كبير مجلد .

* صدر عن دار التراث الفاطمي ببيروت « كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار » السبع – الرابع تاليف الداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي المتوفي سنة 872 هـ تقديم وتحقيق الدكتور مصطفى غالب . وهو الكتاب العاشر في سلسلة التراث الفاطمي ويقع في 442 صفحة حجم كبير .

* دعا رئيس جامعة بيروت العربية لحضور حفل افتتاح المعرض السنوي للخرائط الذى اقامه قسم الجغرافيا بكلية الآداب .

الا ر د ن :

* نوقشت في الفترة الاخيرة رسالة الدكتوراه المقدمة من الاستاذ عبد السلام داود العبادي من الاردن الى كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر ، وكان موضوعها « الملكية ، طبيعتها ووظيفتها وقيودها » ، دراسة مقارنة بالقوانين والنظم الموضوعية ، وناقشته لجنة مكونة من الدكاترة : محمد علي السايس ، وعبد الله عبد النبي وصوفي ابو طالب وعبد الغني عبد الخالق ، وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* كتاب (المراسلات التاريخية) آخر ما صدر لمؤرخ العصر الحديث في الاردن سليمان موسى ، جمع فيه اكثر من 200 وثيقة من وثائق الثورة العربية الكبرى من مستندات وزارة المستعمرات البريطانية اتيح له لاول مرة ان يستنسخها بعد ان ظلت خمسين سنة من اسرار تلك الوزارة ، وقد اضاف لها وثائق الامير زيد وهي التى لم يسبق لها ان نشرت في كتاب قبله ، ولا شك ان هذه المجموعة ستلاقي ما تستحق من الاهتمام في دوائر القضية الفلسطينية .

* عاد الى عمان تيسير ظبيان صاحب مجلة الشريعة) من رحلة الى باكستان استغرقت تسعة ايام واخذ ينشر انطباعاته عن تلك البلاد الشقيقة.

* قرر المراقب العام للمطبوعات في الاردن منع دخول وتداول كتابي (التطور السياسي للمجتمع العربي) تاليف سليمان محمد الطماوي وكتاب (لورنس في البلاد العربية) تأليف ريتشارد الفنجتون وترجمة محمود عزت وهما مطبوعان في القاهرة .

* تقرر ان تقوم ثلاثة وفود من اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر بزيارة مجامع اللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة ، وتتألف هذه الوفود من الدكتور خليفة والدكتور محمود ابراهيم لزيارة بغداد والدكتور عبد العزيز الخياط ، والدكتور احمد سعيدان لزيارة القاهرة ، وعبد الرحمن بشناق وعيسى الناعوري لزيارة دمشق وذلك للاطلاع على اعمال المجامع فيها ونشاطاتها وحضور بعض جلساتها ووضع اسس التعاون بين المجامع واللجنة الاردنية التى ينتظر ان تتحول الى مجمع لغوي اردني .

* نظمت دائرة الآثار الاردنية موسما ثقافيا لتعريف المواطن بتراث بلده وقيمته الحضارية واستمر الموسم ستة اسابيع ويتضمن قيام عدد من الخبراء المختصين في دائرة الآثار بالقاء محاضرات توضح نتائج الحفريات الاثرية التى قامت بها الدائرة في السنوات الاخيرة وضرورة المحافظة على الآثار لكونها ثروة وطنية عامة .

* توفي عبد الله التل الحاكم العسكري الاردني في القدس عام 1949 وصاحب معركة القدس الشهيرة .

وعبد الله التل رجل من رجالات المسلمين الافذاذ الذين ابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن القضية العربية ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وسجلوا اروع آيات الشجاعة والبطولة .. وللفقيد مؤلفات عديدة عن القضية الفلسطينية وخاصة مذاكرته عن معركة القدس التى تناول فيها بالتفصيل دور الاخوان المسلمين في حرب فلسطين .. رحم الله الفقيد .

السعودية :

* علمت (اخبار العالم الاسلامي) ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي قد وجهت رسائل الى كل من وزير المعارف ، ووزير العدل ، وسماحة رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وسماحة رئيس الاشراف الديني بالمسجد الحرام بخصوص ترشيح مندوبين من العلماء الافاضل من قبل كل جهة ليكونوا اعضاء في اللجنة التحضيرية التى تقرر تشكيلها لدراسة مشروع انشاء مجمع للفقه الاسلامي الذى تدرسه الامانة العامة للرابطة وذلك بالاضافة الى عدد من اعضاء المجلس التأسيسي للرابطة .

* توالي وزارة المعارف السعودية اهتماما كبيرا بالتطور العلمي في المملكة والتعريف بالمنجزات العلمية في مختلف المجالات . وفي مجال البحث العلمي قررت جامعة الملك عبد العزيز بجدة اصدار مجلة تحمل اسم الجامعة وتعبر عن رسالتها الفكرية بين الجامعات ولتكون مرآة صادقة لمستوى البحث العلمي في جامعات المملكة في مجالات الدراسات الاسلامية والتراث واحدث اتجاهات العلوم في التربية وعلم النفس والاقتصاد وعرض الوسائل الجامعية ومختلف اوجه النشاط الفكري بالجامعة.

* تعتزم وزارة الحج والاوقاف في السعودية اصدار سجل عام يحتوي على جميع المساجد في المملكة وقد كتب وزير الحج والاوقاف لوزير المعارف خطابا جاء فيه ان انتشار الاسلام في ارجاء الجزيرة العربية قد صاحبه تاريخ مشرق سجل لكل مدينة وقرية آثارا تستحق ان تبرز للوجود . وطلب تزويد وزارة الحج بما لدى وزارة المعارف من معلومات تاريخية اسلامية تتعلق بتلك المدن ليكون السجل المزمع اصداره مستوفيا الغرض الذى وضع من اجله .

* عقدت اللجنة التنفيذية للبحوث والنشر بجامعة الرياض اجتماعا لها ترأسه الدكتور عبد العزيز الفدا وكيل جامعة الرياض وقد اتخذت اللجنة عددا من القرارات منها طبع بعض الكتب والمراجع الجامعية فى علم النفس كما اقرت طبع اطلس خاص بتوزيع الامطار فى المملكة ومعجم للنباتات الطبيعية .

* قال سعادة وكيل وزارة المواصلات السعودية فى تصريح حول انجازات الوزارة لطرق مشاعر الحج انه قد اخذ بالاساليب التى سوف تحقق باذن الله من انجاز مشروع تخطيط منطقة عرفات قبل موسم حج هذا العام حتى يمكن الاستفادة من هذا المشروع . وكذلك مشروع ربوة الخريف ، وكوبرى سوق العرب المعلق .. والذى يعتبر اول كوبرى سيكون جاهزا خلال موسم حج هذا العام .

* افتتح الدكتور عبد العزيز الفدا وكيل جامعة الرياض متحف العقاقير والمستحضرات الطبية لكلية الصيدلة وتهدف الجامعة من انشاء هذا المتحف الى اطلاع طلبة كلية الصيدلة على الادوية ذات المصدر النباتي وخاصة نباتات المملكة والمستحضرات الطبية الحديثة .

* صدر عن المطابع الاهلية للاوفست فى الرياض كتاب « التعليم فى مكة والمدينة آخر العهد العثماني » تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ الاستاذ المساعد فى كلية الآداب بجامعة الرياض فى 184 صفحة حجم كبير .

* اصدر الامين العام لرابطة العالم الاسلامي بيانا يؤيد فيه القرار التاريخي الحاسم الذى اتخذته حكومة كشمير الحرة باعتبار القاديانية اقلية غير مسلمة فى البلاد .

وكانت الجمعية التشريعية فى كشمير الحرة قد اقرت بالاجماع صيغة قرار يقضي بأن القاديانية فرقة ضالة لا تمت الى الاسلام بصلة وان من الضروري توضيح مكانتها فى المجتمع الاسلامي بانها فرقة خارجة عليه لانها تدعى نبوة احمد القادياني النبي الكذاب. كما اقرت حكومة كشمير عدة قرارات هامة منها تقرير اجبارية تعلم اللغة العربية فى مدارس كشمير .. وان على كل موظف حكومي حفظ ولو جزءا من القرآن الكريم ..

* صرح الامير فهد بن سلطان المدير العام للرعاية الاجتماعية بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية لوكالة الانباء السعودي بقوله لقد قررت مديرية الرعاية ان تفتح لها دارا فى مكة المكرمة تكون موئلا لابناء الاخوة فى العالمين العربي والاسلامي ممن تضطرهم ظروفهم للاقامة لفترة محدودة . وقد توفرت لها جميع المتطلبات من الموظفين ، كما توفر الغذاء والتعليم لمن يؤمها . واما بالنسبة للقطاع الاهلي فان هذه الادارة تشرف على الجمعيات الخيرية وتتعاون معها كما قد تمت الموافقة على تاسيس جمعية خيرية للخدمات الاجتماعية فى المنطقة الشرقية .

* صرح مصدر مسؤول فى وزارة الحج والاوقاف بالسعودية بانه قد تم درس احتياجات مساجد المملكة وما تتطلبه من الترميمات والفرش والاثاث . وستزود الوزارة جميع هذه المساجد بكميات من الكتب الاسلامية القيمة بالاضافة الى المصاحف الشريفة لتكون نواة المكتبة الاسلامية فى كل مسجد . كما تعتزم الوزارة تنفيذ عدة مشروعات لتطوير رسالة المسجد فى المملكة العربية السعودية .

* اول سعودي يحصل على الدكتوراه من جامعة الازهر هو الدكتور زاهر عواض الالمعي الاستاذ بكلية الشريعة بالرياض حصل على الدكتوراه بتقدير جيد جدا عن رسالته « مناهج الجدل فى القرآن الكريم » .

* قامت وزارة المعارف السعودية بتوزيع مجموعة كبيرة من الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية على رابطة معلمي اللغة العربية والاتحاد الاسلامي بداكار بالسينغال . وذلك مساهمة من وزارة المعارف فى نشر الدين الاسلامي واللغة العربية فى القارة الافريقية .

* انطلاقا من مبدأ المحافظة على التراث العربي والاسلامي المتناثر فى مختلف مدن وقرى المملكة العربية السعودية والحفاظ عليه والعناية به ومساعدة الدارسين والباحثين للاستفادة منه فقد اصدرت جامعة الرياض القسم السادس من فهرس المخطوطات بالجامعة وهو يتضمن تعريفا بالمخطوطات التى بلغ عددها ثلاثة آلاف وخمسمائة مخطوط .

☼ استقبل وزير المعارف السعودية البروفسور توماس جيمستن رئيس قسم الدراسات العربية فى كلية الدراسات الشرقية والافريقية فى جامعة لندن الذى زار المملكة بدعوة من جامعة الرياض . وقد بحث مع وزير المعارف تطور الدراسات الاسلامية فى جامعة لندن والجامعات البريطانية .

☼ قال مصدر مسؤول بوزارة المالية السعودية ان مجموع ما صرف كمساعدات للمؤسسات والجمعيات الاسلامية منذ بداية العام المالي 92 – 93 هـ بلغ اكثر من اربعة ملايين ريال واضاف المصدر ان هذه المساعدات تستخدم فى بناء المساجد والمستشفيات والمدارس والمراكز الاسلامية فى مختلف انحاء العالم .

☼ علمت وكالة الانباء السعودية من مصدر مسؤول بوزارة المالية والاقتصاد الوطني بأن الوزارة قامت بتنفيذ الاوامر السامية بصرف دفعة جديدة من المساعدات لعدد من الجمعيات والمؤسسات الاسلامية فى مختلف انحاء العالم ..

واشار المصدر الى ان مجموع هذه الدفعة يبلغ حوالي ثلاثة ملايين وخمسمائة الف ريال موزعة على عدة جهات منها ثلاثمائة الف جنيه سوداني للمركز الاسلامي الافريقي المزمع اقامته فى الخرطوم ويدفع هذا المبلغ خلال ثلاث سنوات – مائة الف ريال لجمعية الدعوة والتبليغ الاسلامي فى الهند لتوسعة دار الايتام التابعة للجمعية – مائة الف ريال لمساعدة اسر شهداء المسلمين فى الفلبين – 37.300 ريال للجالية الاسلامية فى فيلادلفيا بالولايات المتحدة الامريكية – 13.500 ريال مساعدة فى تكملة مشروع مؤسسة بيت اليتيم فى لبنان 2.520 ريالا مساعدة فى اكمال مدرسة فرسان الاسلام فى نيجيريا – خمسون الف ريال مساعدة لجمعية دار الايتام المحمدية فى اندونيسيا .

البحريــــن :

☼ تم اعتقال 85 بحرينيا وردت اسماؤهم فى الكشوف التى ارسلتها للبحرين دولة الامارات المتحدة باعتبارهم اعضاء فى جبهة تحرير الخليج العربي .

ابـو ظبـــي :

☼ دعت امارة ابو ظبي الى اتخاذ اجراء عربي موحد، ضد كتاب نشر فى بريطانيا ، يتضمن صورة للنبي محمد مع الملاك جبريل . وعلم ان الشيخ احمد عبد العزيز المبارك قاضي قضاة ابو ظبي دعا الى اتخاذ اجراء ضد الكتاب فى برقيات بعث بها الى رؤساء الدول العربية المختلفة .

وفى لاهور عاث مئات من الطلاب فسادا بمكتبة المجلس الثقافي البريطاني احتجاجا على نشر دائرة علوم خاصة بالاطفال فى لندن يظهر فيها رسم للنبي محمد وهو امر محظور فى الدين الاسلامي وسار اكثر من 400 طالب قبل مهاجمة المكتبة امام المبنى وهم يرددون هتافات ضد ناشر الكتاب وهو شركة هول وتومسون . وقد حطموا نوافذ المبنى والاثاث وبعثروا الكتب قبل ان يفرقهم البوليس .

العـــراق :

☼ بعدالاستاذ هادي عطية مطر، المدرس بالعراق، بعد رسالة ماجستير موضوعها تحقيق ودراسة كتاب « كشف المشكل فى النحو » ، لعلي بن سليمان اليمني النحوي المتوفى 599 هـ ، وذلك فى كلية الاداب بجامعة عين شمس تحت اشراف الدكتور طه عبد الحميد طه الاستاذ المساعد بالكلية ، وقد اطلع على النسخة التى صورها المعهد من مكتبة رامبور بالهند .

☼ صدر فى بغداد لباسم عبد الحميد حمودى كتاب (الوجه الثالث للمراة) وهو فى النقد القصصي، ويعد الى الطبع كتابا عن (حسين مردان شاعر من بلادي) ، ويصدر لكاظم المظفر (ثورة العراق التحريرية عام 1920) في جزءين وصدر الجزء الاول من المجلد الثاني لمجلة (المورد) التى يراس تحريرها عبد الحميد العلوجي بوزارة الاعلام العراقية ، وصدر « الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي » لابن جني وتحقيق الدكتور محسن غياض .

☼ ادى خلال العام الحالي الشاعر والاديب العراقي خضر عباس الصالحي فريضة الحج ، وقد الف كتابا عن سفرته الى الديار المقدسة بعنوان

(رحلتي الى الحجاز) ضمنه مشاهداته وانطباعاته واتى على ذكر مناسك الحج والمعاني الكبيرة التي تنطوي عليها .

❊ صدر فى النجف الاشرف بالعراق (ديوان ابي دعبل الجمحي) رواية ابي عمرو الشيباني تحقيق عبد العظيم عبد المحسن تقديم زهير غازي زاهد ، ويقع الكتاب فى 177 صفحة حجم كبير .

❊ تم انتخاب مجلس ادارة جديد لرابطة الادباء فى الكويت على الوجه التالي : احمد السقاف رئيسا ، خليفة الوقيان امينا للسر ، عبد الله الدويش امينا للصندوق ، محمد احمد المشاري وخالد عبد الكريم وسليمان الشطي اعضاء .

❊ اصدرت عمادة كلية الامام الاعظم ببغداد العدد 1 من (مجلة كلية الامام الاعظم) رئيس تحريرها الدكتور صبحي محمد جميل ويقع هذا العدد فى 416 صفحة حجم كبير .

❊ انتهت اللجنة التى الفتها وزارة الاعلام العراقية لجمع وتحقيق (ديوان الجواهري) من اعداد الجزء الثاني ، وينتظر ان يقع الديوان فى خمسة اجزاء .

❊ جدد انتخاب الشاعر محمد مهدي الجواهري رئيسا لاتحاد الادباء فى العراق ، وتستعد وزارة الاعلام العراقية لاصدار مجلة للكتاب العراقي .

❊ تقيم الدار الوطنية للنشر والتوزيع معرضا للكتاب العراقي فى كل محافظة وستتولى شؤون المعرض العالمي للكتاب الذى سيعقد قريبا فى بغداد، وتعمل على فتح فروع للكتاب العراقي فى العواصم العربية .

❊ انشات وزارة الاعلام العراقية (الدار الوطنية للنشر والتوزيع) ، واسندت ادارتها الى عبد الجبار محمود العمر ، ويتفاءل المؤلف العراقي بهذه الدار.

❊ صدر فى بغداد الجزء الثاني من كتاب الزهرة لمحمد بن داود الاصفهاني تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودى القيسي من كلية الآداب بجامعة بغداد .

❊ (دفاع عن ابي هريرة) لعبد المنعم صالح العلي العربي، والكتاب دراسة شاملة عن جهود ابي هريرة فى تاريخ السنة الشريفة وقد تضمن ثبتا فى جميع مروياته فى كتب السنة الشريفة حيث لاحقها المؤلف ملاحقة دقيقة شاملة ، كما اجتهد فى الذب عن حرمة هذا الصحابي الجليل ، ورد على الطاعنين فى سيرته بالحجة والدليل القاطع ، ويقع هذا الكتاب فى (650) صفحة وطبع فى بيروت 1973 وهو من منشورات مكتبة النهضة ببغداد .

❊ (وضع الاصر عن الفسر) جزء اول لعبد الامير الورد المدرس فى جامع السليمانية ، صدر حديثا فى (48) صفحة كبيرة ، وهو نقد لكتاب : « الفسر » لابن جني فى شرح ديوان ابي الطيب المتنبي الذى حققه الدكتور صفاء خلوصي ، وطبع بين يدي الذكرى الالفية لابي الفتح عثمان بن جني بمطبعة المعارف بغداد 1973 .

❊ صدر العدد الاول من السنة الثامنة من مجلة المورد التى اصبحت من المجلات العراقية التى لها وقع قوي فى دنيا الدراسات التراثية والعلمية فى العالم .

❊ (صناعة الكتاب) لابي جعفر النحاس ، جمع نصوصها وحققها الاستاذ احمد نصيف الجنابي ، قدمت الى المطبعة اخيرا .

❊ (مراجع تراجم الادباء العرب) للاستاذ خلدون الوهابي جزء خامس ويتضمن هذا الجزء مراجع مترجمة من الكندي ، الى حرف الياء مطبعة النعمان ، النجف 1972 ، ويقع فى 469) صفحة متوسطة .

❊ يعد الباحث العراقي الدكتور جلال الخياط بحثا عن الشكوى فى الشعر العربي .

❊ فهرست القصة العراقية الذى الفه عبد الاله احمد قررت وزارة الاعلام العراقية طبعه .

❊ اصدرت وزارة الاعلام فى القطر العراقي ، طبعة جديدة من ديوان الشاعر القروي .

رسالـــة تركيـــا :

ـ انضم رسميا الى حزب السلامـة الوطنـي كل من البروفسور نجم الدين اربكـان نائب قونيـة وزعيم حزب النظام الوطني السابق وحسام الدين اك موجو نائب اسبارتا وحسين عباس نائب طوقـاط وجميعهم من ركائز الحـزب السابـق الذى حلتـه الحكومة على أساس انه يناهض العلمانيـة ويدعـو لاقامة حكومة دينية على اساس الاسلام .

ـ والبروفسور نجم الدين اربكـان من اهـم الشخصيات التركية المعروفة باستقامتـها ونظافـة سلوكها الشخصي والسياسي. ومن الداعين ان تسود تركيا لتاريخها المجيد .. وان تتبوأ مكانها اللائق بها فى الشرق الاسلامي بدلا من احتلالها آخر القافلة فى الغرب . وهو يدعو الى تصنيع تركيا بـدلا مـن تصدير العمال ليقيموا صناعات الغرب بأجر بخس .. وهو اول من طالب باقامة مصنع للطيـران في تركيـــا .

ـ ويقوم البروفسور نجم الدين بعد انتسابه للحزب الجديد بجـولات فى جميـع انحـاء البـلاد يشرح فكرته ويوضح غايات الحزب الاساسية وهو يقابل فى كل مكان يزوره بالاهتمام الكبير وبالتأييـد الكاسح .

ـ يتزعم حزب السلامـة الوطنـي السيـد سليمان عارف امرا وقد وجه فى الآونة الاخيرة بيانا للشعب التركي دعاه فيها الى الموازنة بين مطالـب الجسم ومطالب الروح بشكل يـؤدي الى التناسـق المفيد والتوازن المثمر وقد لاقت رسالته كل تأييـد وتفهم من كافة الاتراك فى جميع انحاء البلاد.

ـ يصدر الحزب الجديد جريدة يومية اسمها (ملي جازيتا) وهي من اوسع الجـرائد الاسلاميـة توزيعا فى البلاد .

ـ وتتلخص مبادىء الحزب بالنقط التاليـة :

معنويـــا :

أ ـ التركيز على الناحية الاخلاقية والمعنوية .

ب ـ الارتباط بالتاريخ .

ج ـ الابتعاد عن التقليد الاعمى .

د ـ ضرورة احترام تقاليد واعراف الامة .

اقتصاديـــا :

أ ـ محاربة الاسراف .

ب ـ الغاء جميع المعاملات التى تقوم على الربا.

ج ـ تخفيض الضرائب وجعلها اكثر عدالة فى فرضها .

د ـ انعاش منطقة الاناضول المهملة .

آسيـــا

اندونيسيـــا :

※ جاكرتا ـ صرح وزير الشؤون الدينيـة فى اندونيسيا بأن التربية الاسلامية هي القناع الواقـي من كل انحلال وتصدع ..

وقال : انه يجب ان يكون التعليم الدينـي فى مستوى مواجهة التحديات ..

وان الحكومة الاندونيسية قد بدات العمل على رفع مستوى المدرسين الدينيين ، وذلك باعطائهـم دورات تدريبية ..

وقال : ان التعليم الديني يجب ان يعم جميع المدارس بدون استثناء ، مع وجود المدرسين الاكفاء فـي علم التربيـــة .. وامـا تعليـم اللغـــة العربيـــة فلا بد من تجديـد اساليـب التدريـس بها وذلك بوضع مناهج حديثة يكون باستطاعتها تمكين الطالب الذى يتعلمهـا لمدة سنتيـن الى 3 سنوات ان يتكلم ويكتب بها ..

كما ان المعاهد والكليات الاسلامية التى اقامتها الحكومة الاندونيسية فى مختلف انحاء البلاد ، كان من اجل التعمق فى الدراسات العربية ، لانها لغـة القرآن الكريم .

※ نشرت جريدة (ابـدى) الاندونيسيـة ان هيئة اتحاد دور النشر فى جاكرتا قامـت بوضـع مسودة مشروع (موسوعة اسلامية) .

وقد ايد معالي الدكتور معطي على وزير الشؤون الدينية هذا المشروع لما يهدف اليه من بث الوعي الاسلامي ونشر الثقافة الدينية بين ابناء اندونيسيا خاصة والعالم الاسلامي عامة ..

وعلم ان معالي وزير الشؤون الدينية طلب مناقشة مسودة هذا المشروع وتشكيل لجنة لهذا الغرض من وزارة الشؤون الدينية واتحاد دور النشر ..

وقد صرح معاليه بانه بات من الضروري فى الوقت الحاضر اصدار كتب دينية على مختلف المستويات سواء للطلبة فى المدارس والجامعات ، او لابناء الشعب على اختلاف طبقاتهم .. وذلك من اجل تثقيفهم فى امور دينهم واطلاعهم على مبادىء الاسلام السمحة باحدث الاساليب المعاصرة ..

❊ القى نائب حاكم جاوا الغربية كلمة فى الاحتفال الذى اقيم بمناسبة مسابقة تلاوة القرآن الكريم .. فحث فى كلمته على التمسك بكتاب الله .. وقال ان المسابقة ليست هي الهدف فى حد ذاتها ولكنها الوسيلة لنشر تعاليم القرآن الكريم وحفظه فى القلوب والصدور ، لانه النور الالهي للبشرية جمعاء .

كما انه دعوة لحفظ الاخلاق وصون كرامة الانسان فالطالب الذى يحفظ القرآن يصون نفسه وكرامته من التمرغ فى الرذيلة والعادات الوضيعة..

❊ بعث مدير اذاعة ـ راهبو ـ فى كالي رنجو باندونيسيا برسالة الى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي يطلب فيها ارسال كتب دينية واشرطة مسجلة لتلاوة القرآن الكريم . وقد اهتم الامين العام للرابطة بالموضوع ، وطلب الى السيد رشيد فارسي امين مكتبة الرابطة بارسال مجموعة كبيرة من الكتب الاسلامية واشرطة مسجلة لتلاوة القرآن الكريم .

جاء فى مجلة قبلة « جاكرتا » العدد الثالث عشر :

طلبت لجنة مسابقة تلاوة القرآن الكريم فى جاوا الوسطى من وزير الشؤون الدينية ان يمنع استيراد المصاحف المطبوعة فى سنغافورة والتي توزعها مطبعة سالم نبهان ، وذلك لوجود اخطاء كثيرة فيها .

كما طلبت ايضا ان ينبه على جميع المكتبات التى تبيع المصاحف الا تعرضها للتداول الا بعد مصادقة وزارة الشؤون الدينية عليها ، بعد ان تراجع مراجعة دقيقة ..

❊ يوجد بمدينة ميدان بجاكارتا مبنى ضخم فيه مدرسة تسمى ـ مدرسة العلوم ـ يدرس فيها الطلاب والطالبات بملابسهن الخاصة المحتشمة .. وتحيط بالمبنى ساحة واسعة ، وبها مكتبة .

وهذه المدرسة تضم مدرسة ابتدائية ومدرسة عالية ، وقد اقامت هذه المدرسة مؤسسة تسمى ـ مؤسسة الجهاد ـ عام 1965 فى الوقت الذى كان الشيوعيون حينذاك يسيطرون على المجتمع ، وقد نجحت فى اقامة المبنى من تبرعات افراد المسلمين .

❊ بلغ عدد المصاحف التى طبعتها مؤسسة المعارف للنشر فى اندونيسيا خلال السنوات الثلاث الماضية حوالي 11 مليون ونصف مصحف الى جانب طباعة ثلاثمائة كتاب اسلامي باللغة الاندونيسية .

❊ فى كاليمانتن الوسطى ـ اندونيسيا ـ وهي منطقة جديدة يبلغ عدد سكانها 750 الف نسمة، بها الآن 190 مدرسة ابتدائية و32 مدرسة متوسطة و43 رباطا ـ زاوية التعليم الديني ـ وخمس مدارس عالية و 3 مدارس للمعلمين حكومية و 16 مدرسة للمعلمين اهلية ، وكلية التربية تابعة للجامعة الاسلامية وبها 330 مدرسا للدين ، وسيضاف اليهم 200 مدرس ، ولكن الحاجة ماسة الى اكثر من ذلك للمدرسين ..

وقد تبرع الشباب المسلم هناك بالاموال فجمعوا مبلغ 225 الف روبية اندونيسية .

اما مباني هذه المدارس فما زالت بسيطة جدا، الا القليل منها لا بأس به ، وهي من مساعدات الاهالي ، لاسيما الشباب ، ومساعدة الحكومة.

❊ اصدرت منظمة (الشبان المسلمين) فى جاكرتا بيانا استنكرت فيه بشدة فكرة اخراج فيلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقال البيان ان هذا المشروع المشبوه انما هو عمل تخريبي موجه ضد الاسلام وضد شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام .. ودعت المنظمة جميع المؤمنين بالله فى العالم الى استنكار هذا العمل التخريبي احتراما لمقام النبوة وللرسالات السماوية .

ماليـزيـا :

❊ قامت شرطة الآداب فى كوالا لمبور ، عاصمة ماليزيا ، بحملة شاملة ضد الالبسة الخلاعية

والمظاهر النسوية التى تفشت بين الشباب .. حيث قام رجال شرطة حماية الآداب بملاحقة الشبان الذين يطلقون شعورهم ، واستطاعت فى جولة واحدة ان تقص شعور 300 شاب ماليزي وتعيد اليهم مظهر رجولتهم ..

وقد صرح مدير الشرطة يوسف جعفر بأن الحملة نفذت لمنع الشباب من اطالة شعورهم وتشبههم بالنساء .

※ عقد مؤخرا فى ماليزيا المؤتمر السنوي الثالث لطلبة المسلمين فى آسيا الشرقية والجنوبية وذلك بمقر جامعة سرادنج الزراعية فى العاصمة الماليزية كوالا لمبور .. وقد حضر المؤتمر وشارك فى جلساته معظم طلبة الجامعات فى المنطقة .. وقد استمر بين 5 الى 8 ابريل عام 1973 م .

※ يعد الاستاذ عبد الله ابراهيم، من ماليزيا ، رسالة دكتوراه موضوعها « جباية الزكاة وحق الدولة فيها » ، وذلك فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر ، تحت اشراف الدكتور مصطفى طنطاوي استاذ كرسي الفقه بالكلية ، وقد اطلع على بعض المراجع المتعلقة بموضوعه .

الفلبيـــــن :

※ بلغ عدد الذين تشردوا فى منداناو بالفلبين نتيجة المذابح الجارية هناك حوالي مليون شخص ، وصرح الرئيس ماركوس ان حوالي مائة من جنود الحكومة قد قتلوا خلال الاسبوعين الاولين من تجدد القتـــال .

كوريـــا الجنوبيـــة :

※ تبرع رئيس جمهورية كوريا الجنوبية لمسلمي كوريا الجنوبية بقطعة أرض مساحتها (حوالي 5 000 متر 2) فى وسط مدينة سيول وذلك لبناء مسجد عليها، وتبلغ قيمة هذه الارض حوالي 000 300 دولار أمريكي

بـــورمـــا :

※ خطب ى. م. ا. راشد رئيس منظمة بورما الاسلامية فى مؤتمر عقد مؤخرا فى رانجون ، ونادى بالوحدة بين مسلمي بورما . ثم تطرق فى الحديث عن مطالب مسلمي بورما العاجلة . فهم يحتاجون من الحكومة الى تصاريح لاداء فريضة الحج ولاستيراد الكتب والمجلات الاسلامية باللغات العربية والفارسية والاوردية وتصاريح للموظفين الحكوميين المسلمين بالخروج الى الصلاة يوم الجمعة ، وتصاريح بتقديم اللحوم المذبوحة ذبحا حلالا لطلبة الجامعات المسلمين وتزويد المسلمين بالورق اللازم لطباعة القرآن الكريم باللغة البورمية وتصاريح بانشاء مكتبة فى المنطقة الاســلاميـــة .

اليــابـــان :

※ صرح السيد هيديجي تامورا السفير الياباني السابق فى جدة والذي يشغل الان منصب المستشار الخاص لشركة الزيت العربية انه قد تم ترجمة وطبع القرآن الكريم الى اللغة اليابانية (50 الف نسخة) ، وقد ساعدت فى هذه المهمة رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع الجالية المسلمة اليابانية .

مـانيـــلا :

※ قام وفد رابطة العالم الاسلامي لجنوب وشرق آسيا بزيارة المركز الاسلامي فى مانيلا واجتمعوا هناك بالشخصيات الاسلامية وبرئيس المركز وأدوا الصلاة فى المركـــز .

وقد قام الوفد الذى زار جنوب الفلبين واطلع على الاوضاع هناك بمقابلة كارلوس رومولو وزير خارجية الفلبين فى وقت سابق .

وقد رحب رومولو بالوفد وهو الوفد الثاني من العالم العربي الذي يقوم بجولة لتقصي الحقائق فى جنوب الفلبين حيث يدور قتال بين قوات الفلبين المسلحة وبين المسلمين منذ سنوات .

وقال المستر رومولو « سنبذل جهدنا لنريكم كل شيء لاننا لا نخفى أي شيء » .

وحضر الوفد فى وقت لاحق حفلة استقبال اقامها الشيخ عقيل محمد المقيل السفير السعودي.

وهناك 3.500.000 بين سكان البلاد البالغ عددهم 39 مليون نسمة وهم يعيشون بصورة رئيسية فى اربع مقاطعات مسلمة فى الجنوب .

وقال مصدر مسلم مطلع ان في مانيلا 20 الف مسلم . وان الوفد سينقل انطباعاته عن الاحوال في الجنوب الى الرئيس الفلبيني ماركوس .

الهنـــد :

* طالب مجلس اتحاد المسلمين لعموم الهند الحكومة الهندية بأن تتعهد بعدم القيام بأي تغيير او تعديل لقانون الاحوال الشخصية للمسلمين الذي يقوم على اساس الشريعة الاسلامية . كما طالبها بالغاء القرار الذي اتخذته الحكومة المركزية باغلاق جامعة عليكرة الاسلامية وحثها على اعادة فتحها فورا وعقد الامتحانات بها .

باكستـــان :

* بلغ عدد سكان باكستان حسب الاحصاء الاخير لسنة 1972 حوالي 65 مليون نسمة و 57ر6 ٪ منهم يعيشون في مقاطعة البنجاب ، و 21ر6 ٪ يعيشون في السند ، و 12ر9 ٪ في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية ، و 3ر7 ٪ في بلوشستان ، و 3ر8 ٪ في المناطق القبلية ، و 0ر4 ٪ في منطقة اسلام آباد العاصمة الفدرالية .

* اعلن وزير الحج والاوقاف والاعلام الباكستاني ان 60 000 باكستاني سيؤدون فريضة الحج هذا العام واشار الى ان ادارة خاصة بشؤون الحج قد انشئت في اسلام آباد للاشراف على شؤون الحجاج وتسهيل سفرهم وان اجهزة الكترونية حاسبة قد استخدمت في اكمال اجراءات سفر الحجاج اختصارا للوقت .

كـابـــل :

* قام وفد رابطة العالم الاسلامي لدول الشرق الاوسط برئاسة سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي وعضوية الاستاذ احمد جمال بنشاط في اطار مهمته التي اوفد من اجلها للدعوة والارشاد في افغانستان حيث اجتمع بالمسؤولين والمهتمين بالدعوة الاسلامية، كما قوبل الوفد بترحاب وحفاوة بالغة من الاوساط الرسمية والشعبية في افغانستان ..

كما كان الوفد قد قام بزيارة لمدرسة ابو حنيفة الدينية يرافقهم مدير المدارس الدينية بوزارة المعارف الافغانية حيث اطلع الوفد على مناهج الدراسة بالمدرسة .

كما قام الوفد بعد ذلك بزيارة لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم .

وقد كان لهاتين الزيارتين اثرهما الطيب لدى المسؤولين والطلاب في افغانستان .

واختتم الوفد زيارته لافغانستان ووصل الى طهران ليواصل نشاطه في نطاق الخير .

* بلغ عدد الناطقين باللغة البنغالية حوالي 120 مليون شخص في الهند و (باكستان الشرقية المحتلة) . ولكن من دواعي الاسف انه الى الآن لم تبذل جهود جدية لتعريف هذا العدد الهائل من افراد البشرية بالاسلام وتعاليمه ، مما نتج عنه وقوع الكثيرين منهم فرائس الكثير من الدسائس والمفاهيم الخاطئة عن الاسلام .. وفي الوقت ذاته لا يجد المسلمون في لغتهم الا وسائل قليلة جدا للتعرف على مختلف تعاليم الاسلام الحنيف وتوجيهاته الآخذة بيد الانسانية الى طريق الحق والعدالة .

ونظرا لهذه الظاهرة المؤلمة فقد قام نفر من اصحاب الهمة والغيرة على الاسلام بانشاء وقف اسلامي لنشر الكتب الاسلامية باللغة البنغالية في مدينة كلكتا بالهند ، وسجلوه لدى الحكومة ..

وقد وضع الوقف ميزانية سنوية لاعماله قدرها ثلاثمائة الف روبية ـ 140 الف ريال سعودي تقريبا ـ ومع ان القائمين بهذا المشروع الهام الكبير يرجون ان يتمكنوا من جمع هذا المبلغ من المال بوسائلهم من داخل مقاطعة بنغال الغربية نفسها ، فانهم يرحبون بأي مساعدة مالية تقدم اليهم من محبي الاسلام افرادا وجماعات ومؤسسات خيرية في أي بقعة من بقاع الارض لانهم بالاضافة الى انهم يريدون نشر الكتب عن الاسلام يريدون كذلك ان يصدروا جريدة اسلامية اسبوعية نموذجية باللغة البنغالية ..

كشميـــر :

* لقد كان للقرار التاريخي الهام الذي اتخذته حكومة كشمير الحرة برئاسة السيد عبد القيوم خان باعتبار القاديانيين « الاحمديين » اقلية غير مسلمة في البلاد .. اهمية قصوى .. ذلك ان هذه الفرقة القاديانية تدعي انها مسلمة وان شيخها المدعو احمد القادياني الدجال هو الذي اخبر عنه الرسول صلى الله

عليه وسلم في الوحي المنزل في محكم التنزيـــل في قوله تعالى : « ومبشرا برسول ياتي من بعدي أسمه احمد » ، انه هو المعني بذلك .. قاتلهم الله .

لذا ، كان من الاهمية القصوى اتخاذ هذا القرار بطرد هذه الفرقة الدخيلة على الاسلام والمسلميـــن ، وانقاذ المسلمين ووحدتهم من شرها .

كما ان القرارات الاخرى التي اتخذتها حكومـــة كشمير الحرة بأن تكون اللغة العربية اجباريـــة ، في المرحلة الابتدائية وان على كل موظف حكومي حفـــظ جزء من القرآن الكريم ، اهمية بالغة في تكوين المجتمع الاســـلامـــي .

أوروبـــــــا :

اسبـــانيــــا :

❋ صدر في منشورات البيت الاسباني العربي في مدريد الترجمة الاسبانية لرواية الاديب الاردني عيسى الناعوري (بيت وراء الحدود) التي ترجمها المستعرب الاسباني ، خيسوس ربوساليذو ، وجدير بالذكـر ان المستشرق الامريكي هوارد رولاند يقوم الان بترجمة هذه الرواية الى الانجليزية ، ومن المنتظر ان تترجم الى الالمانية كذلك ، وقد ترجمها المؤلف نفســه الى اللغة الايطاليـــة .

انجلتـــــــرا :

❋ ذكر المشرفون على انجاز القاموس الانجليزي اكسفورد بأن كلمة يهودي ستبقى في قاموسهم الذي ينتهي العمل به عام 75 تعني العرق العبري وثانيـــا مقـــرض المـــال .

وكان المشرفون على اصدار القاموس الانجليزي الجديد قد تعرضوا الى ضغط من الاوساط الصهيونية تطالبهم بحذف المعنى الثاني للكلمة اي مقرض المال والاقتصار على المعنى الاول فقط .

❋ نشرت مجلة «الشعر الحديث» التي تصدر في لندن باللغة الانجليزية 10 قصائد عربية في صفحاتها الاولـــى .

وكانت القصائد للشعراء عبد الوهاب البياتي ، ونزار قباني ، وأدونيس ، ويوسف الخال ، وبلنـــد الحيـــدري .

كما نشرت بعض المقاطع النثرية من مؤلفـــات الطيب الصالح ، ووليد اخلاصي ، مع نبذة عن حياة كل شاعر ومؤلف .

❋ بدا العمل في ربيع الثاني المنصرم لازالـــة المبنى الحالي للمركز الاسلامي في لندن ، ليقام عليه اكبر واحدث مسجد ومركز في اوروبا .

❋ اكد المستشرف البريطاني البروفيسور داود كاون ، الذي سبق له ان اعتنق الاسلام منذ سنـــة 1932 م . انه يرى ان مستقبل العالم هو الاتجاه نحو الاسلام .. وان هذا هو الحل الوحيد البديل للفوضى التي تضرب اطنابها في أوروبا في العصر الحاضر ..

❋ نصوص من تاريخ ابن الفرات تتعلق بالحروب الصليبية ، نشرها لايمزوسميث في مكتبة هيفرز في كمبرج ، وقد صدر بالعربية في مجلدين مع ترجمة انجليـــزيـــة .

بلغـــاريــــا :

❋ تفيد الانباء الواردة من بلغاريا ان الاتراك الذين يعيشون هناك يتعرضون لجو شديد من الارهاب ، فقد أغلقت مدارسهم الخاصة بهم .. ومنعوا من الدراسة بلغتهم .. حتى ان السلطة اعتقلت أخيـــرا بعـــض الاشخاص بجريمة (الختان) .. لان الختان من عادات المسلمين ..!

النشاط الكنســـي :

❋ نشرت دائرة معارف (انسكلوبيديا) الكنسيـــة الارقام التالية عن النشاط الكنسي .

❋ لدى الكنيسة الكاثوليكية 250 الف متفرغ في العالم بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكاثوليكية 1 600 000 نســـمـــة .

❋ خلال ربع قرن من عام 1925 — 1952 حول المبشرون 13 مليون شخص الى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون كل عـــام .

❋ لدى الكنيسة البروتستانتينية 43 الف متفرغ ويديرون 600 1 مركز ومستشفى في العالم لاغراض التبشير ، وقد زاد عدد البروتستانت في ربع القرن 1925 — 1952 حوالي 30 مليون نسمة .

كوبنهاكن :

❊ عقد في كوبنهاجن مؤخرا اجتماع للسفراء المسلمين لدى الدول الاسكندنافية ، وقد تقرر انشاء مركز اسلامي في كوبنهاجن ، وسوف يقوم المركز بتنظيم مختلف اوجه النشاط الثقافي والتعليمي والديني للجاليات الاسلامية في المنطقة ، كما ستعقد ندوات واجتماعات ، ويصدر النشرات .. الخ . وسوف يكون للمركز فروع في ايسلندة وغيرها من الدول السكندنافية .

❊ (الوافي بالوفيات) جزء ثامن للصفدي صدر حديثا بتحقيق البرت ديتريش ، وهو من منشورات جمعية المستشرقين الالمان .

فرنسا :

الاسلام في نظر المؤرخين الاجانب .

❊ ــ مرآة الاسلام ــ مجموعة نصوص تاريخية ــ بيزنطية وقبطية وسريالية وارمنية ــ أعدها الان دوسلييه المحاضر بجامعة تولوز للكشف عن آراء مختلف المؤرخين في الفتح الاسلامي عبر العصور والاقاليم .

هذه النصوص لا تخلو من بعض الاجحاف والتحيز باهتمام المؤرخين العرب .

اسكتلندا :

❊ كتاب الفهرست لابن النديم طبع أخيرا بطهران بتحقيق رضا تجدد ، عن نسخة جستربتي بدبلن باسكتلندا ، وهذه الطبعة تحتوي على المقالة الخامسة الخاصة بالمعتزلة .

المانيا :

❊ جاء في جريدة « العالم الاسلامي » ، التي تصدر في مكة المكرمة ان المستشرق الالماني برند مانو فيرشر قال في محاضرة القاها على طلاب معهد الدراسات الاسلامية في أندونسيا ، بأن الدراسات الاسلامية اصبحت الآن تسيطر على العقل الغربي .

وكان المستشرق الالماني يلقي محاضرة في المعهد عن التصوف في الشرق والغرب والتصوف الاسلامي في المسيحية .

واشار الى ان الاداب العربية التي اصبحت في متناول الدارسين الان تساعد الى حد كبير على متابعة الدراسات الاسلامية .

وقال فيرشر انه لكي يصبح الانسان مسلما حقيقيا فانه يجب عليه دراسة الاسلام والارتباط بمجتمع اسلامي. وناشد المؤمنين من كافة الاديان في جميع انحاء العالم أن يمارسوا دينهم بالصورة الصحيحة .

❊ اكتشف علماء الاثار الالمان اثرا تاريخيا عظيما اثناء قيامهم بأعمال التنقيب في جنوب العراق ، اذ عثروا على الواح خزفية مكتوبة بالخط المسماري يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وتبين بعد الدراسة انها تحتوي على اقسام من اسطورة قلقاش الشهيرة التي عثر لاول مرة على نصها الكامل ، وسوف يساعد هذا الاكتشاف بعد تفسير المضمون الكامل على الوقوف على معلومات اضافية عن حضارة السومريين، واغناء العلم بكنز جديد .

الاتحاد السوفياتي :

❊ اكتشف تلميذان سوفياتيان فيحقل بالقرب من قرية كاسيانكي اكبر مجموعة اكتشفت حتى الآن من النقود القديمة ، ويتضمن الكنز حوالي ثمانية آلاف قطعة من النقود الفضية بالخط العربي اصدرت في الفترة بين القرنين الثامن والتاسع .

وقد صكت هذه النقود في بغداد وسمرقند وبخارى ومرو .

❊ بدعوة منسيادة المفتي الشيخ شاكر خيال الدينوف رئيس الادارة الدينية لمسلمي القسم الاوربي وسيبريا ، قام وفد من الشباب المغربي ينتمي الى جمعية شباب الوعي الاسلامي بزيارة عدة مدن اسلامية بالاتحاد السوفييتي وبالخصوص مدن آسيا كطشقند وسمرقند وجمهورية تاتاريا واوفا وقزان وكذلك موسكو ولنغراد .

وقد لقي الوفد حفاوة بالغة واستقبل من طرف عدة هيئات اسلامية وشارك المسلمين في صلواتهم .

وقبل ان يغادر الوفد الاتحاد السوفياتي اقام المفتي السيد بابا خنوف رئيس ادارة مسلمي آسيا الوسطى حفلة استقبال على شرف جمعية شباب الوعي الاسلامي .

فهرس العدد الثاني – السنة السادسة عشرة

صفحة

دراسات مغربية :

قصة العدد :

معرض الكتب :

مطبعة فضالة